

الترغيب والترهيب

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثالث

۱۴۱۰ - ۱۹۹۰ م

الروض الأليف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء الثالث

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

توزيع

بمكتب العالم بحجة

حي الشجر

٦٨٧٧٠١٤

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ١٠٤٢٤٠٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .
« أما بعد » فبإسم الله نقدم الجزء الثالث من « الروض الأنف » للسهيلى
والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا
هذا صالحاً عنده . إنه سميع مجيب .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

عبد الرحمن الوكيل

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى

على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافترضت الصلاة عليه ، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ،
والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير ، عن
عائشة رضى الله عنها ، قالت : افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين ، كلّ صلاة ، ثم إن الله تعالى أتمها
في الحضر أربعاً ، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن الصلاة حين افترضت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعبء
في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين . فتوضأ جبريل عليه السلام ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليُريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل ، فصلّى به ،
وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها ليربها كيف الطهور
للصلاة ، كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام ،
ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كما صلى به جبريل ، فصلّت بصلاته .

قال ابن إسحاق : وحدثني عُثْبَةُ بْنُ مُسْلَمٍ ، مولى بنى تميم ، عن نافع بن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - وكان نافع كثير الرواية - عن ابن عباس قال : لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام ، فصلى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ، ثم جاءه ، فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ، ثم صلى به الصبح مُسْفِرًا غير مشرق ، ثم قال : يا محمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم ، وصلاتك بالأمس

ذكر أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق : ثم كان أولَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه ، وصدق بما جاءه من الله تعالى : عليُّ بْنُ أَبِي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم - رضوان الله وسلامه عليه - وهو يومئذ ابن عَشْرَ سنين .

وكان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراد به من الخير ، أن قرىشا أصابهم أزمة شديدة ، وكان أبوطالب ذا عيال

كثير ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للعبّاس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم : يا عبّاس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه ، فلمُخَفَّفْ عنه من عياله ، آخِذٌ من بني رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، ففكاهما عنه ، فقال العبّاس : نعم ، فانطلقا ، حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلًا ، فاصنعا ما شئتما قال ابن هشام : ويقال : عقيلًا وطالبا .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا ، فضمّه إليه ، وأخذ العبّاسُ جعفرًا فضمّه إليه ، فلم يزل عليٌّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيًّا ، فاتبعه عليٌّ رضي الله عنه ، وآمن به وصدّقه ، ولم يزل جعفرٌ عند العبّاس ، حتى أسلم واستغنى عنه .

أبو طالب يكتشف إيمان علي :

قال ابن إسحاق : ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاةُ خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه عليٌّ بن أبي طالب مُستخفيا من أبيه أبي طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، فكنّا كذلك ما شاء الله أن يمكننا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخي ! ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عمّ هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رُسله ، ودين أبينا إبراهيم - أو كما قال صلى الله عليه وسلم - بعثني الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت أي عمّ ، أحقُّ من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ،

وَأَحَقُّ مَنْ أَجَابَنِي إِلَيْهِ ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهِ ، أَوْ كَمَا قَالَ . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : أَيُّ ابْنِ أَخِي ، إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفَارِقَ دِينَ آبَائِي ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا يُخَلِّصُ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَسْكُرْهُ مَا بَقِيَتْ .

وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ : أَيُّ بُنَيٍّ ، مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَتِ ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِ اللَّهِ ، وَصَدَّقْتَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ ، وَصَلَّيْتُ مَعَهُ لِلَّهِ وَاتَّبَعْتَهُ . فَرَعَوْا أَنَّهُ قَالَ لَهُ : أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَدْعُكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالْزَمْنِ .

إِسْلَامُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ثَانِيًا

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ اسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ شَرَحْبِيلَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ الْكَلْبِيِّ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَوَّلَ ذَكَرَ اسْلَمَ ، وَصَلَّى بَعْدَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ شَرَحْبِيلَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِوَدٍّ بْنِ عَوْفِ بْنِ كِذَانَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُذْرَةَ بْنِ زَيْدِ اللَّاتِ بْنِ رُقَيْدَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ . وَكَانَ حَكِيمٌ بَنِي حِزَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ قَدِمَ مِنَ الشَّامِ بَرَقِيقٌ ، فَيَهْمُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَصِيفٌ . فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عَمَّتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهَا : اخْتَارِي يَا عَمَّةُ أَيَّ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ شِئْتِ فَبَوَّأَكَ ، فَاخْتَارَتْ زَيْدًا فَأَخَذَتْهُ ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا ، فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهَا ، فَوَهَبَتْهُ لَهُ ، فَأَعْتَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَبَنَّاهُ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوْحَى إِلَيْهِ .

وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَذْرِ مَا فَعَلَ أَحَىُّ ، فَيَرْجَى أُمِّ آتَى دُونَهُ الْأَجَلَ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي ، وَإِنِّي لَسَائِلٌ أَغَالَتْ بَعْدِي السَّهْلُ ، أُمُّ غَالَتِ الْجَبَلُ
وَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَكَ الدَّهْرُ أَوْبَةً فَخَسِبِي مِنَ الدُّنْيَا رَجْوُ عَمَلِي بِجَلْ
تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا غَرَبَهَا أَفَلْ
وإِنْ هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ هَيَّجَنَ ذِكْرَهُ فَيَا طُولَ مَا حَزَنِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلَ
سَأَعْمِلُ نَصَّ الْعَيْسَى فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا وَلَا أَسَامُ الْقَطُوفِ أَوْ تَسَامُ الْإِبِلِ
حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَى مَنِيَّتِي فَسَكُلْ أَمْرِي فَا نَ ، وَإِنْ غَرَّه الْأَمَلُ

تم قدم عليه - وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم - : إن شئتَ فأقيمَ عندي ، وإن شئتَ فانطلق مع أبيك ، فقال : بل أقيمَ عندك . فلم يزل عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بعثه الله فصدقه وأسلم ، وصلى معه ، فلما أنزل الله عز وجل : « ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ » الأحزاب : ه قال : أنا زيد بن حارثة .

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة ، واسمه : عتيق ، واسم أبي قحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبي بكر : عبدالله ، وعتيق : لقب لحسن وجهه وعتقه

قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله .

وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه ، محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ، ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله ، وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، ممن يفتشاه ويحاسب إليه .

فرض الصلاة

وذكر حديث عروة عن عائشة : « فُرِضَت الصلاة ركة-تين ركعتين ، فزيد في صلاة الحضر ، وأُقِرَّت صلاةُ السفر »^(١) ، وذكر الأُمَريُّ أن الصلاة قبل الإسرائ^(٢) كانت صلاةً قبل غروب الشمس ، وصلاةً قبل طلوعها ، ويشهد لهذا القول قوله سبحانه : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ^(٣)) غافر : ٥٥ . وقال يحيى

(١) البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والفسائى .

(٢) قال الحافظ فى الفتح : « كان صلى الله عليه وسلم قبل الإسرائ يصلى قطعاً ، وكذلك أصحابه ، أقول : وفى ختام سورة المزمل ، وهى التى نزلت بعد القلم : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، آية : ٢٠ وفى سورة القلم : « أرايت الذى ينهى عبداً إذا صلى ، وهى قطعاً قبل الإسرائ وفى المدثر بعدها عن المجرمين : (ما سلككم فى سقر ، قالوا : لم نك من المصلين) ٤٢ ، ٤٣ وآيات غيرها تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسرائ .

(٣) لا تصلح دليلاً لما يقول ، إذ يمكن أن يفهم أن المقصود هو الأمر بالتسبيح طول اليوم .

ابن سلام مثله ، وقال : كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام ، فعلى هذا يحتمل قول عائشة : فزيد في صلاة الحضر ، أى : زيد فيها حين أكملت خمسا ، فتكون الزيادة في الركعات ، وفي عدد الصلوات ، ويكون قولها : «فرضت الصلاة ركعتين» أى : قبل الإسراء ، وقد قال بهذا طائفة من السلف ، منهم : ابن عباس ، ويجوز أن يكون معنى قولها : فُرِضَت الصلاة : أى ليلة الإسراء ، حين فُرِضَت الخمسُ فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك ، وهذا هو المروى عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة ، ومن رواه هكذا الحسن والشَّعْبِيُّ أن الزيادة في صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام ، أو نحوه ، وقد ذكره أبو عمر ، وقد ذكر البخارى من رواية مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ عن عائشة قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ففُرضت أربعا ، هكذا لفظ حديثه وههنا سؤال يقال : هل هذه الزيادة في الصلاة نسخ أم لا ؟ فيقال : أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة ، فذلك نسخ لأن النسخ رفع الحكم ، وقد ارتفع حكم الإجزاء من الركعتين ، وصار من سَلَمَ منهما عامدا أفسدما ، وإن أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم ، وتحدث عامدا لم يُجزَّه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها ، فقد ارتفع حكم الإجزاء بالنسخ ، وأما الزيادة في عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين ، فيسمى نسخا على مذهب أبي حنيفة ، فإن الزيادة عنده على النص نسخ ، وجمهور المتكاملين على أنه ليس بنسخ ولا احتجاج الفريقين موضع غير هذا (١) .

(١) ليس في القرآن آية منسوخة بالمعنى الذى فسر به النسخ علماء الأصول . والآيات التى =

الوضوء :

فصل : وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلى مكة حين همز له بعبقه ،
فأنبع الماء ، وعلمه الوضوء ، وهذا الحديث مقطوع في السيرة ، ومثله لا يكون
أصلا في الأحكام الشرعية ، ولسكنه قد روى مسندا إلى زيد بن حارثة - يرفعه -
غير أن هذا الحديث المستند يدور على عبد الله بن كهيمة وقد ضُفِّف ، ولم يخرج
عنه مسلم ولا البخاري ؛ لأنه يقال : إن كتبه احترقت ، فكان يحدث من
حفظه ، وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول ، ويقال إنه الذي روى عنه
حديث بئع الأُمريَّان^(١) في الموطأ مالك ، عن الثقة عنده ، عن عمرو بن
شُعَيْب ، فيقال : إن الثقة ههنا ابن كهيمة ، ويقال : إن ابن وهب حدث به
عن ابن كهيمة ، وحديث ابن كهيمة هذا ، أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد
ابن العربي قال : نا أبو المطهر سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء ، عن أبي نعيم الحافظ
قال : نا أبو بكر أحمد بن يوسف العطار قال : نا الحارث بن أبي أسامة ، قال :
نا الحسن بن موسى عن ابن لهيعة ، عن عقيل بن خالد عن الزهري ، عن عمرو
عن أسامة بن زيد ، قال : حدثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله - صلى الله عليه

ﷺ زعموا أنها مذكورة هي آيات يجب العمل بها . كل آية في المصحف الذي بأيدينا
يجب تدبرها والعمل بمقتضاها . ولنا حذر من القول بنسخ آية فيه فنحكم بطلان ما هو حق
(١) بيع العربان هو أن يشتري السلعة ، ويدفع إلى صاحبها شيئا ، على أنه إن
أمضى البيع حسب من الثمن ، وإن لم يمض البيع كان لصاحب السلعة ، ولم يرتجعه المشتري ،
وهو بيع باطل عند الفقهاء لما فيه من الشرط والغرر وأجازه أحمد ، قال ابن الأثير ،
وحديث النهي منقطع ومفردات ابن الأثير واللسان .

وسلم - في أول ما أوحى إليه أتاه جبريل عليه السلام ، فعلمه الوضوء ، فلما فرغ من الوضوء أخذ غُرْفَةً من ماء ، فنَضَحَ بها فَرَجَهُ ، وحدثنا به أيضا أبو بكر محمد ابن طاهر ، عن أبي علي الغساني عن أبي عُمر النَّمَرِيِّ ، عن أحمد بن قاسم ، عن قاسم بن أَصْبَغ ، عن الحارث بن أبي أسامة بالإسناد المتقدم ، فالوضوء على هذا الحديث مَسْكِيٌّ بِالْفَرَضِ ، مَدَنِيٌّ بِالتَّلَاوَةِ ، لَأَنَّ آيَةَ الْوُضُوءِ مَدَنِيَّةٌ (١) ، وإنما قالت عائشة : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ التَّيَمُّمِ ، ولم تقل : آيَةَ الْوُضُوءِ ، وهي هي ؛ لأنَّ الْوُضُوءَ قد كان مفروضا قبلُ ، غير أنه لم يكن قرآنا يتلى ، حتى نزلت آيَةُ الْمَائِدَةِ .

إمامة جبريل :

وذكر حديث عبد الله بن عباس في إمامة جبريل للنبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) يقول ابن حجر في الفتح عن حديث ابن لهيعة : وهو مرسل ، ووصله أحمد من طريق ابن لهيعة ، لكن قال : عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد عن أبيه ، وأخرجه ابن ماجه من رواية راشد بن سعد عن عقيل عن الزهري نحوه ، لكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند ، وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ، ولو ثبت لكان على شرط الصحيح . لكن المعروف رواية ابن لهيعة . هذا وقد روى حديث صلاة جبريل بالرسول أبو داود والترمذي مع اختلاف يسير عما في السيرة ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الحاكم والذهبي والنووي وغيرهم من المشكاة . . وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ نزل جبريل فأمني ، فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات . - زاد في رواية - ثم قال : بهذا أمرت ، رواه الخمسة إلا الترمذي - التاج . .

وتعليمه إياه أوقات الصلوات الخمس في اليومين ، وهذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع ؛ لأنَّ أهلَ الصحيح متفقون على أن هذه القصة ، كانت في الغدِّ من ليلة الإسراء ، وذلك بعد ما نُبِّيَ بخمسة أعوام ، وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل : بعام ، فذكره ابن إسحاق في بدء نزول الوحي ، وأول أحوال الصلاة .

أول من آمن :

وذكر أن أولَ ذَكَرٍ آمنَ بالله علىَّ - رضى الله عنه - ، وسيأتى قولُ من قال : أولَ مَنْ أسلم أبو بكر ، ولكن ذلك - والله أعلم - من الرجال ؛ لأن عليا كان حين أسلم صَبِيًّا لم يدرك ، ولا يختلف أن خديجة هي أول من آمن بالله ، وصدق رسوله ، وكان علىَّ أصغر من جعفر بعشر سنين ^(١) ، وجعفر أصغر من عَقِيل بعشر سنين ، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين ، وكلهم أسلم إلا طالبا اختطفته الجن ، فذهب ولم يعلم بإسلامه ^(٢) ، وأمُّ علىَّ : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وقد أسلمت ، وهي إحدى الفواطم التي قال فيهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعليَّ رضى الله عنه : اقسِمْهُ بَيْنَ الْفَوَاطِمِ الثَّلَاثِ ، يعنى ثوبَ حَرِيرٍ ، قال الْقُتَيْبِيُّ . يعنى : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة بنت أسد ، ولا أدري من الثالثة ، ورواه عبد الغنى بن سعيد : اقسِمْهُ بَيْنَ الْفَوَاطِمِ الْأَرْبَعِ ، وذكر

(١) هو كما قال في نسب قریش ص ٣٩ .

(٢) خرافة .

فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدمتا، وقال: لا أدرى من الرابعة، قاله في كتاب
الغوامض والمبهمات (١).

إسلام زيد:

فصل: وذكر حديث زيد بن حارثة، وقال فيه: حارثة بن شُرَحْبِيل،
وقال: ابن هشام شراحيل، قال أصحاب النسب كما قال ابن هشام، ورفع نسبه إلى
كلب بن وبرة، ووبرة هو: ابن ثعلب بن حلوان بن الحاف بن قضاة (٢)، وأم زيد:

(١) استدل من حكموا بسبق علي بحديث عند الطبراني أن النبي صلى
أول يوم الاثنين، وصلت خديجة آخره، وصلى على يوم الثلاثاء. وبما جاء
في المستدرک للحاكم: نبي النبي يوم الاثنين، وأسلم على يوم الثلاثاء. وإلى هذا
ذهب سلمان وخباب وجابر وأبو سعيد الخدري، وبما جاء في الطبراني عن الحسن
وغيره: كان أول من آمن على بن أبي طالب، وهو ابن خمس عشرة سنة، أو ست
عشرة. بينما روى عن عروة أنه أسلم وهو ابن ثمان سنين وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف.

(٢) في جمهرة ابن حزم: حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة.
وجاء في مجمع الزوائد عن نسبه: بن ربيعة بن كليب بن وبرة بن الحارث بن قضاة
وفي جمهرة ابن حزم: زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن عامر بن النهمان
ابن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة
ابن كلب بن وبرة، ونسبه في الإصابة: زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبدود بن عوف
ابن كنانة بن بكر بن عوف بن زيد اللات بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي
وما سأل يده بين قوسين في نسب أمه من الإصابة.

هذا وقد اتفق على أنه أول من أسلم من الموالى. وقيل إن حكيم بن حزام
اشتراه لعمته خديجة بأربعمائة درهم كما جاء في الإصابة. أما كونه أول ذكر أسلم،
فهو في حديث مرسل عند الطبراني كما في السيرة. وفي مجمع الزوائد أن خديجة
رضي الله عنها هي التي استوهته.

سُمِّدَى بَنْتُ ثَعْلَابَةَ [بن عبد عامر] من بنى مَعْنٍ من طَيْيَّةٍ ، وكانت قد خرجت بزید لتزیرَ أهْلَهَا ، فأصابته خيل من بنى الْقَيْنِ بن جِسْرٍ ، فباعوه بسوق حُبَاشَةَ ، وهو من أسواق العرب ، وزیدٌ بومثذ ابن ثمانية أعوام ، ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحاق ، ولما بلغ زيدا قول أبيه : بكيت على زید ، ولم أدر ما فعل .
الآيات . قال بحيث يسمعه الرُّكبان :

أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي ، وَإِنْ كُنْتُ نَائِيًا بَأْنِي قَعِيدُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ
فَكُفُّوا مِنَ الْوَجْدِ الَّذِي قَدْ شَجَاكُمْ وَلَا تَعْمَلُوا فِي الْأَرْضِ نَصْرَ الْأَبَاعِرِ
فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ أَسْرَةٍ كَرَامَ مَعَدَّةٍ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

فيبلغ أباه ^(١) قوله ، فجاء هو وعمه كعب ، حتى وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، وذلك قبل الإسلام ، فقال له : يا بن عبد المطلب ، يا بن سيد قومه ، أنتم جيران الله ، وتفككون العاني ، وتطمعون الجائع ، وقد جئناكم في ابننا عبدك ^(٢) ، لتحسن إلينا في فدائه ، فقال : أو غير ذلك ؟ فقالا : وما هو ؟ فقال : أدعوه وأخبره ، فإن اختار كما فذاك ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي

(١) في الإصابة أن بعض الحجاج رأوا زيدا فمرفهم وعرفوه ، فطلب منهم أن يبلغوا أباه :

أَحِنُّ إِلَى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِيًا بَأْنِي قَطِينُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ
فَانْطَلِقِ الْحِجَاجَ ، وَأَعْلُوا أَبَاهُ ، وَوَصِّفُوا لَهُ مَوْضِعَهُ

(٢) في رواية : عندك .

أختار على من اختارني (١) أحدا ، فقالا له : قد زدت على النصف ، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما جاء قال : من هذان ؟ فقال : هذا أبي حارثة بن شراحيل ، وهذا عمي : كعب بن شراحيل ، فقال : قد خيرتك إن شئت ذهبت معهما ، وإن شئت أقت معي ، فقال : بل أقيم معك (٢) ، فقال له أبوه : يا زيد أختار العبودية [على الحرية و] على أبيك (٣) وأملك وبلدك وقومك ؟ ! فقال : إني قد رأيت من هذا الرجل شيئا ، وما أنا بالذي أفارقه أبداً فعند ذلك أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده ، وقام به إلى الملاء من قريش (٤) ، فقال : اشهدوا أن هذا ابني ، وارثاً وموروثاً ، فطابت نفس أبيه عند ذلك ، وكان يدعى : زيد بن محمد ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ادعوهم لأبائهم ﴾ (٥) الأحزاب : ٥ .

وفي الشعر الذي ذكره ابن إسحاق لحارثة بعد قوله :

حياتي وإن تاتي (٦) على منيتي فكل امرئ فان وإن غره الأمل

(١) في الإصابة : د فامن علينا ، وأحسن في فدائه ، فإننا سنرفع لك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : زيد بن حارثة : فقال : أو غير ذلك . ادعوه ، فخيروه ، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء . (٢) في الإصابة : د أنت مني بمكان الأب والعم .

(٣) الزيادة من الإصابة

(٤) وقد أخرجه إلى الحجر كما ورد في الإصابة

(٥) عن عبد الله بن عمر ، قال : د إن زيد بن حارثة - رضي الله عنه - مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن : ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ، الصحيحان والترمذي والنسائي

(٦) في السيرة : أو تاتي

سأوصي به قيساً وعمراً كليهما وأوصي يزيد ثم أوصي به جبيل^(١)
يعنى : يزيد بن كعب [بن شراحيل] وهو ابن عم زيد وأخوه [لأمه]^(٢)
وبعنى بجبل : جبلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أسنَّ منه . سئل جبلة : من أكبر
أنت أم زيد ؟ فقال : زيد أكبر منى ، وأنا ولدت قبله ، يريد : أنه أفضل منه بسبقه
للإسلام^(٣) .

إسلام أبي بكر :

فصل : وذكر إسلام أبي بكر ونسبه ، قال : واسمه : عبد الله ، وسمى عتيقاً
لِعَتَاقَةٍ وجهه ، والعتيقُ : الحسنُ^(٤) كأنه أعتق من الذم والعيب - وقيل : سمي
عتيقاً ؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت إن وُلِدَ لها ولدٌ أن تسميه : عبد
الكعبة ، وتتصدق به عليها ، فلما عاش وشبَّ ، سمي : عتيقاً ، كأنه أعتق من
الموت^(٥) ، وكان يسمى أيضاً : عبد الكعبة إلى أن أسلم ، فسماه رسول الله -

(١) في الإصابة : ثم من بعدهم جبل

(٢) الزيادة من الإصابة

(٣) ورد في البخارى عن ابن عمر : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
وايم الله إن كان خليفاً للامارة - يعنى : يزيد بن حارثة - وإن كان من أحب الناس إلى ،
هذا وقد قتل زيد في غزوة مؤتة ، وهو أمير سنة ٨ هجرية

(٤) العتق أيضاً الكرم والنجابة والشرف والحرية .

(٥) في الإصابة : فلما ولدته استقبلت به البيت ، فقالت : اللهم هذا عتيقك
من الموت ، فبه لى ، وقيل : لقب بهذا لأنه قديم فى الخير ، أو لأنه لم يكن فى لسه
شئ يعاب به أدله .

صلى الله عليه وسلم - : عبد الله (١) ، وقيل : سمى : عتيقا ؛ لأن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - قال له حين أسلم : أنت عتيق من النار (٢) ، وقيل : كان
لأبيه ثلاثة من الولد : مُعْتَقٌ وَمُعْتِقٌ وَعَتِيقٌ (٣) ، وهو : أبو بكر (٤) ،
وسئل ابن معين عن أم أبي بكر فقال : أم الخير عند اسمها ، وهي : أم الخير
بنت صخر بن عمرو (٥) بنت عم أبي قحافة ، واسمها : سلمى ، ونسكنى : أم
الخير ، وهي من المبايعات ، وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأمه : قَيْلَةُ - بياض بانهن
منقوطة من أسفل - بنت أذاة بن رياح بن عبد الله بن قُرْطِ بن رِزاح بن عدي بن
كعب . وامرأة أبي بكر أم ابنه عبد الله وأسماء : قَيْلَةُ بنت عبد العزى بقاء
منقوطة بانهن من فوق ، وقيل فيها : بنت عبد أسعد بن نصر بن حنبل بن عامر

(١) عند سعيد بن منصور عن عائشة : قالت : اسم أبي بكر الذى سماه
عبد الله . ولكن غلب عليه اسم عتيق ، وقال مصعب الزبيري : قيل له عتيق
لأنه ، لم يكن فى نسبه شيء يباب به .

(٢) فى الترمذى : قالت عائشة : دخل أبو بكر على رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - فقال : أنت عتيق الله من النار . قالت : فمن يومئذ سمى : عتيقا .
وفى أبى يعلى بسنده إلى عائشة : من سره أن ينظر إلى عتيق من النار ، فلينظر إلى
أبى بكر . .

(٣) فى جمهرة ابن حزم : ولد أبى قحافة أبو بكر ، واسمه عبد الله ، وعتيق
ومعتق لاعتقب لهما ، ص ١٢٧ .

(٤) ورد نسب أبى بكر فى جمهرة ابن حزم ، وفى نسب قريش كما هو فى السيرة
أما فى الاشتقاق لابن دريد ، فليس فيه عمرو ، وفى تهذيب الاسماء واللغات
للنوى وعمير ، بدلا من عمرو ، انظر ص ٢٧٥ نسب قريش . .

(٥) فى الإصابة . وفى نسب قريش ، وفى تهذيب النوى ، وفى جمهرة ابن
حزم : عامر .

وهو قول الزبير^(١) وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرض عليه الإسلام، فما عنكم عند ذلك، أي: ما تردد، وكان من أسباب توفيق الله إياه - فيما ذكر - رؤيا رآها قبل ذلك، وذلك أنه رأى القمر ينزل إلى مكة، ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها، فدخل في كل بيت منه شُعْبَةٌ، ثم كأنه جُمِعَ في حِجْرِهِ، فقَصَّها على بعض السكنايين، فمبهرها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظلم زمانه تتبعه، وتسكون أسعد الناس به، فلما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، لم يتوقف، وفي مدح حَسَّان الذي قاله فيه، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم، ولم ينسكه دليل على أنه أول من أسلم من الرجال، وفيه:

خير البرية أتقاها، وأفضلها بعد النبي، وأوقاها بما حملا
والثاني التالي محمود مشهده وأول الناس قدما صدق الرُّسُلَا^(٢)

(١) نسبها في نسب قريش لأبي عبد الله الزبيري: قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حسل ص ٢٧٦ وفي جمهرة ابن حزم: قتيلة بنت عبد العزى بن عبد بن سعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ص ١٢٧ (٢) قبلهما:

إذا تذكرت شجشوا من أخى ثقة فاذا ذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
وقيل: إن ابن عباس كان يستشهد بهذه الآيات على أولية إسلام أبي بكر، وفي الروض جاء الشطر الثاني من البيت الثاني هكذا: والثاني التالي صدق المرسل. وقد روى هذا ابن عبد البر والطبراني في الكبير. وقد توفي أبو بكر رضى الله عنه في ٤ من جمادى الأولى سنة ١٣ من الهجرة. وهو ابن ثلاث وستين ولد بعد الفيل بستين وستة أشهر. وأولاده: عبد الله وعبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسامة وأم كلثوم. وأم عائشة وعبد الرحمن: أم رومان بنت عامر بن عمير بن ذهل بن دهمان بن الحارث بن تيم بن مالك بن كنانة، وفي جمهرة ابن حزم، وفي نسب قريش: بنت عبد شمس بن عَتَّاب بن أذينة بن سبيع بن عامر بن عويمر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة. نسب قريش ٢٧٦.

الذين أسلموا بدعوة أبي بكر

فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي
ابن غالب ، والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن
كَلَاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤي .

وعبدُ الرحمن بن عَوف بن عَبدِ عَوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن
كَلَاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤي .

وسعدُ بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص : مالك بن أهيب بن عبد مناف
ابن زهرة بن كَلَاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤي .

وطَلْحَة بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن
مُرّة بن كعب بن لؤي ، فجاء بهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين
استجابوا له ، فأسلموا وصلّوا ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول
فيما بلغني : مادعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كُنبوة ، ونظَر
وردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عَظَمَ عنه حين ذكرته له ،
وما تردد فيه .

قال ابن هشام : قوله : « بدعائه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عَظَمَ : تَلَبَّثَ . قال رُوْبَة بن العَجَّاج :

وانصاع وثأب بها وما عكم

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام
منفصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

ثم أسلم أبو عُبَيْدَةَ ، واسمه : عامر بن عبد الله بن الجراح بن
هلال بن أهيب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْر . وأبو سَلَمَةَ ، واسمه : عبد الله بن
عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَظْظَةَ بن مُرَّة بن كَعْب
ابن لؤى .

والأرقم بن أبي الأرقم . واسم أبي الأرقم : عبد مناف بن أسد — وكان
أسد يُكْنَى : أبا جُنْدُب — بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَظْظَةَ بن مُرَّة بن كَعْب
ابن لؤى . وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن خُذافة بن جُحج بن عمرو
ابن هُصَيص بن كَعْب بن لؤى . وأخواه : قدامة وعبد الله ابنا مَظْعُون بن حبيب

وعُبَيْدَةَ بن الحارث بن الْمُطَّلِب بن عبد مناف بن قصي بن كِلَاب بن مُرَّة بن
كَعْب بن لؤى ، وسَعِيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عَبْدِ الْعُزَّى بن عبد الله بن
مُطَّلِب بن رِيَّاح بن رَزَّاح بن عَدَى بن كَعْب بن لؤى ، وامراته : فاطمة بنت
الخطَّاب بن نُفَيْل بن عَبْدِ الْعُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَّاح بن رَزَّاح بن عَدَى
ابن كَعْب بن لؤى ، أخت مُعمر بن الخطَّاب . وأسماء بنت أبي بَكْر . وعائشة
بنت أبي بكر ، وهى يومئذ صغيرة . وخَبَّاب بن الأَرْت ، حليف بنى زهرة .

قال ابن هشام : خَبَّاب بن الأَرْت من بنى قَمِيم ، ويقال : هو من خزاعة .

قال ابن إسحاق : ومُعِيزُ بن أبي وقَّاص ، أخو سعد بن أبي وقَّاص .
وعبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمِخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل
ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بني زُهْرَةَ ، ومسعود بن القاري ،
وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزَّى بن حَمَالَةَ بن غالب بن
مُحَلَّم بن عائذة بن شُبَيْع بن الهون بن خَزْيمَةَ من القارّة .

قال ابن هشام : والقارّة : لقب ، ولهم يقال :

قد أنصف القارّة من رامها

وكانوا قومًا رُمَاءً .

قال ابن إسحاق : وسَلَيْطُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبدوُد بن نصر
ابن مالك بن حِشَل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . وعيَّاش
ابن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقْظَةَ بن مُرّة .
ابن كعب بن لؤي . وامراته أسماء بنت سلامة بن مُحَرَّبَةَ التميمية .
وخُنَيْس بن خُذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْن
ابن كعب بن لؤي . وعامر بن ربيعة بن عَنَز بن وائل ، حليف آل الخطَّاب .
ابن ثَقِيل بن عبد العزَّى .

قال ابن هشام : عَنَز بن وائل أخو بكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن جَحْش بن رِثَاب بن يَعْمَر بن صَبْرَةَ بن

مُرَّة بن كبير بن غَم بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمَة . وأخوه : أبو أحمد بن جَحْش ، حليفاً بنى أُمَيَّة بن عبد شمس . وجعفر بن أبي طالب ، وامراته : أمماء بنت مُعَمِّس بن النعمان بن كَعْب بن مالك بن فُحَافَة ، من خَنُوم ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حَبِيب بن وَهَب بن خُذَافَة بن مُجَحِّج بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَي ، وامراته فاطمة بنت المُجَلَّل بن عبد الله أبي قَيْس بن عبد ود بن نَضر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فهر . وأخوه خَطَّاب بن الحارث ، وامراته فُسَكِيَّة بنت يَسَار . ومَعْمَر بن الحارث ابن مَعْمَر بن حَبِيب بن وَهَب بن خُذَافَة بن مُجَحِّج بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَي . والسائب بن عثمان بن مَظْعُون بن حَبِيب بن وَهَب . والمطلب ابن أَرْهَر بن عُبَيْد عَوْف بن عَبْد بن الحارث بن زُهْرَة بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي ، وامراته : رَمْلَة بنت أبي عَوْف بن صُبَيْرَة بن سَعِيد بن سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَي . والنَّحَّام ، واسمه : نَعِمْ بن عبد الله بن أُسَيْد ، أخو بني عَدِيَّ بن كَعْب بن لُؤَي .

قال ابن هشام : هو نَعِمْ بن عبد الله بن أُسَيْد بن عبد الله بن عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عَدِيَّ بن كَعْب بن لُؤَي ، وإنما سُمِّي النَّحَّام ، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لقد سمعت نَحْمَه في الجنة .

قال ابن هشام : نَحْمَه : صوته وحِسَه .

قال ابن إسحاق : وعامر بن فُهَيْرَة ، مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنه

قال ابن هشام : عامر بن فُهَيْرَة مُوَلَّد من مُوَلَّدَى الأُسْد ، أَسْوَدُ اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْهُمْ .

قال ابن إسحاق : وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَامْرَأَتُهُ أُمَيَّةُ بِنْتُ خَلْفِ بْنِ أَسْعَدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ بَيَاضَةَ بْنِ سَبْعٍ بْنِ جَفْثَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مُلَيْحِ بْنِ عَمْرِو ، مِنْ خِزَاعَةٍ .

قال ابن هشام : وَيُقَالُ : هُمَيَّةُ بِنْتُ خَلْفٍ .

قال ابن إسحاق : وَحَاطِبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضَرَ ابْنِ مَالِكِ بْنِ حِصَلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وَأَبُو حَذَافَةَ ، وَاسْمُهُ : مِثْمَشٌ . فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ ابْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ . وَوَأَقْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ ابْنِ عَرَبِينَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، حَافِيفُ بْنُ عَدَى بْنِ كَعْبٍ .

قال ابن هشام : جَاءَتْ بِهِ بَاهِلَةٌ ، فَبَاعَوْهُ مِنَ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ ، فَتَبَنَّاهُ ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ » الْأَحْزَابُ : ه قَالَ : أَنَا وَأَقْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فِيمَا قَالَ أَبُو عَمْرِو الْمَدَنِيُّ .

قال ابن إسحاق : وَخَالِدٌ وَعَامِرٌ وَعَاقِلٌ وَإِبَاسُ بْنُوَالْبَكَّيْرِ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ نَاشِبِ بْنِ غَيْرَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ حُلَفَاءُ بَنِي

عدي بن كعب . وعمار بن ياسر ، حليف بني مخزوم بن يقطعة .

قال ابن هشام : عمار بن ياسر عذسي من مذحج .

قال ابن إسحاق : وصميب بن سنان ، أحد النمر بن قاسط ، حليف بني تميم بن مرة .

قال ابن هشام : النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار ، ويقال : أفصى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد ، ويقال : صميب : مولى عبد الله بن جذعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم .

ويقال : إنه رومي . فقال بعض من ذكر أنه من النمر بن قاسط : إنما كان أسيراً في أرض الروم ، فاشترى منهم ، وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : صميب سابق الروم .

إسلام أبي عبيدة وسعيد بن زبير :

وذكر إسلام أبي عبيدة بن الجراح واسمه ، وقد اختلف فيه ، فقيل : عبد الله بن عامر ، وقيل : عامر بن عبد الله . وأمه : أميمة بنت غنم بن جابر ابن عبد العزى بن عامرة بن وداعة بن الحارث بن فهر ، قاله الزبير ^(١) .

وذكر إسلام سعيد بن زيد ، وقد ذكرناه فيما مضى ، وذكرنا أمه فاطمة بنت بعتجة ^(٢) بن خلف الخزاعية ، وما وقع في نسبه من التقديم والتأخير ، ومن

(١) في ص ٤٤٥ من نسب قريش لأبي عبد الله الزبيرى ، وفي التهذيب للنووى أميمة بنت جابر .

(٢) في الإصابة: بعتجة بن مليح .

الفتح في رِزَاح بن عدى والكسر ، وأن رِزَاح بن ربيعة هو الذي لم يختلف في كسر الراء منه ، ويكنى سميد : أبا الأعور ، توفي بأرضه بالعقيق ، ودفن بالدينة في أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة ، روى عنه ابن عمر ، وعمرو بن حُرَيْث ، وأبو الطَّفَيْل عاصم بن وَائِلَة وجماعة من التابعين^(١) ، ولم يرو عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا حديثين^(٢) . أحدهما : « من غَصَبَ شبرا من أرض طُوَّقه يوم القيامة من سبع أرضين^(٣) » وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة ، وأحد الذين رجف بهم الجبل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « اثبت حِراء ؛ فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد^(٤) » ويروى : اثبت أحد^(٥) ،

(١) من كبارهم : أبو عثمان النهدي ، وابن المسيب ، وقيس بن أبي حازم وغيرهم

(٢) في ذخائر المواريث ذكر له عشرة أحاديث .

(٣) رواه البخاري في المظالم وبده الخلق ، ومسلم في البيوع

(٤) بعد هذاورد : وقيل : ومن هم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف . قيل : ومن العاشر ؟ قال - أي سعيد بن زيد رواى الحديث - أنا ، رواه الترمذى وأبو داود

(٥) روى قصة أحد البخاري وأحمد والترمذى والنسائي وأبو حاتم وأبو داود . والذين كانوا معه : أبو بكر ، وعمر وعثمان وفيه : « فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ، وحديث ثبير - وهو جبل بالمزدلفة على يسار الذهاب إلى منى - عن ثمامة بن شراحيل اليماني . والذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر وعثمان . وفيه : « فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان . وقد أخرجه النسائي والترمذى والدارقطنى . وفي حديث حراء المروى عن أبي هريرة أنه كان معه أبو بكر =

وأن القصة كانت في جبل أُحُدٍ ، ويروى أنها كانت في جَبَلِ ثَبِيرِ ذكره الترمذى ، وأنهم كانوا أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الخلفاء الأربعة ، ولعل هذا أن يكون مراراً ، فتصح الأحاديث كلها ، والله أعلم .

إسلام سعد وابن عوف والنخاس :

وذكر فيمن أسلم بعد أبي بكر سعد بن أبي وقَّاص ، واسم أبي وقاص : مالك بن أهَّيب ، وأهَّيب : هو عم آمنَة بنت وهب أم النبي — صلى الله عليه وسلم — والوقاص في اللغة ، هو واحد الوقاقيص وهي شبك يصطاد بها الطير ، وهو أيضاً فَعَالٌ من وَقَصَ إذا انكسرت عنقه ، وأمُّ سعد : حَمَّةُ^(١) بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، يكنى : أبا إسحاق ، وهو أحد العشرة ، دعا له النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يُسَدِّدَ الله سهمه ، وأن يجيب دعوته ، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة^(٢) . وفي الحديث أن

== وعمر وعثمان وطلحة والزبير ، وفي رواية : وسعد بن أبي وقاص ، ولم يذكر عليا في هذه الرواية . وفيه : فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد . وقد خرجهما مسلم ، والترمذى ، وذكر عليا ، ولم يذكر سعدا . ولكن الثابت أن سعدا مات بقصره بالعقيق قرب المدينة . ولم يستشهد .

(١) في الإصابة : حمزة . ولعله خطأ مطبعي ، وكانت غير واضحة في الروض فأثبتها من نسب قريش ص ٢٦٣ .

(٢) في البخارى ومسلم والترمذى أن الرسول وص ، كان يقول له يوم أحد هارم ، فذاك أبى وأمى . وزاد الترمذى أيها الغلام الحزور ، الشديد القوى ، وروى البخارى عن سعد : لقد مكثت ثلاثة أيام ، وإنى لئنك الإسلام ، يعنى ثالث رجل أسلم . وروى الترمذى : اللهم استجب لسعد إذا دعاك . مات سعد ==

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احذروا دعوة سعد . مات في خلافة معاوية .

وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث ابن زهرة^(١) ، وهو أيضا أحد العشرة يكنى : أبا محمد ، أمه : الشفاء بنت عوف ابن عبد بن الحارث^(٢) وهى بنت عم عوف والد عبد الرحمن بن عوف ، فأبوها : عوف عم عوف وأخو عبد عوف .

==رضى الله عنه بالعقيق، وحمل إلى المدينة ، وقال الواقدي : أثبت ما قبل في وقت وفاته أنها سنة خمس وخمسين ، وهو الذى بنى الكوفة ، وفتح مدائن كسرى واعتزل الفتنة . وعن عائشة قالت : سهر رسول الله « ص » مقدمه المدينة ليلة ، فقال : ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسنى الليلة ، قالت : فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح ، فقال : من هذا ؟ قال : سعد بن أبى وقاص ، فقال له رسول الله : ما جاء بك ؟ فقال : وقع فى نفسى خوف فجئت أحرسك ، فدعا له رسول الله « ص » ثم نام . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(١) نسبه هكذا فى نسب قريش ، وقد سقط من نسبه فى الإصابة : ابن بين عبد . وبين الحارث ، أما فى جمهرة ابن حزم ، فنسبه : عبد الرحمن بن عوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب .

(٨) فى الإصابة جاء نسبا : أبوها : عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ابن زهرة . وهو خطأ لأنها بهذا تكون أخت عبد الرحمن . وفى نسب قريش : الشفاء بنت عوف بن الحارث بن زهرة . فأسقطه عبد بن الحارث . من نسبها . وفى مكان آخر : « الشفاء بنت عوف بن عبد ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٣ وفى الإصابة : واسم أمه : صفية ، ويقال : الصفا ، حكاه ابن منده ذكر البخارى فى تاريخه من طريق الزهرى : قال : أوصى عبد الرحمن بن عوف لاسكل من شهد بدرا بأربعائة دينار ، فكانه مائة رجل ، مات سنة ٣١ أو ٣٢ وعاش ٧٢ عاما . دفن بالبقيع وصلى عليه عثمان . أو الزبير .

وذكر نعيم بن عبد الله النخام^(١) ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم :
سمعت نخمه في الجنة ، ولم يفسر النخم ماهو ، وهي سعة مستطيلة ، ويقال
للبخيل : نخام ؛ لأنه يسئل إذا سئل يتشاغل بذلك ، وأنشد الزبير :

مالك لا ننجم بارواحه إن النجم للشقاة راحة

قال : ويقال للنخمة : نخطة ، وقال غيره : النخطة في الصدر ، والنخمة
في الخلق ، والنخام أيضاً طائر أحمر في عظم الإوز^(٢) .

عبد الله بن مسعود ومسعود الفاري :

وذكر عبد الله بن مسعود^(٣) بن شئخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل

(١) نسبه في نسب قريش . نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد بن عوف .
ابن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب . أما في الإصابة فسكنا في السيرة ، أي : بإسقاط
ابن بين عبد وعوف . وقد استشهد نعيم بأجنادين في خلافة عمر سنة خمس عشرة .
وقيل : يوم موته في حياة النبي . ص .

(٢) في القاموس : نخط ينخط نخيطة : زفر زفيرا ، النخاط كغراب : تردد
البكاه في الصدر من غير أن يظهر كالنخط . وقال عن النخيم إنه كالزحير أو فوقه .
وقال عن النخام بمعنى طائر لأنها على وزن غراب ، وخطاً الجوهرى في فتحها
وشدها ، وفي الاستيعاب لابن عبد البر ، وعند ابن السكلي : أسيد بن عبد عوف .
انظر الخشنى ص ٨٠ ، وفي كتاب حذف نسب قريش ص ٨٢ لمؤرخ بن عمرو
السدوسي ، أسيد بن عبد عوف .

(٣) في الإصابة : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن فار
ابن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل الهذلي أبو عبد الرحمن .
في جمهرة ابن حزم : شئخ وتيم .

ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بني زهرة ، وقال في نسبه : كَاهِل ،
وقيده الوقشي بفتح الهاء من كَاهِل ، كأنه سُئِمَ بالفعل من كَاهِل يُكَاهِلُ ،
كما قال - عليه السلام لرجل استأذنه في الجهاد - واسمه : جَاهِمَةٌ - فقال : هل
في أهلك مِن كَاهِلٍ أَى : من قَوِيٍّ عَلَى التصرف ^(١) ، والا كتهال : القوة .
وقال أبو عبيد : كَاهِلٌ أَى : أَسَنٌ ، وقال ابن الأعرابي : إنما لفظ الحديث هل
في أهلك من كاهن ، وغيره الراوى له ، فقال : مِن كَاهِلٍ ، قال : وكاهن
الرجال ، هو الذى يخلف الرجل في أهله يقوم بأمرهم بعد ، يقال منه : كَهَنَ
يَكْهِنُ كهانة .

وذكر في نسبه أيضا شَمَخًا وهو من شَمَخَ بأنفه إذا رفعه عِزَّةً . وأم
عبد الله هي : أم عبد بنت سَوْدٍ بن قديم بن صاهلة هذلية ^(٢) .

وذكر مسعوداً القارى ، وهو : مسعود بن ربيعة ورفع نسبه إلى الهون
ابن خَزَيْمَةَ ، وهم القارّة وفيهم جرى المثل المثل : قد أنصف للقارة من رامها .
قال الراجز :

قد علمت سلمى ، وَمَنْ والاها أنا نرد الخليلَ عَنْ هواها

(١) في النهاية والقاموس : ويروى من كاهل - بفتح ميم من - وهاء كاهل
باعتبارها فعلاً ماضياً أى تزوج . أو أسن

وفي الاشتقاق : من كاهل أى كهل يقوم بأمرهم ذوسن محتك
(٢) في الإصابة : أمه : أم عبيد بنت عبدود بن سود أو اسوادة بن مريم
وفي جهرة ابن حزم : وأم عبد الله بن مسعود : أم عبد من المهاجرات الاول
من بني قديم بن صاهلة بن كاهل :

نردھا دایۃ کلاھا قد أنصف القارۃ من راماما
 إنّا إذا ما فئسۃ نأقأھا نرڈأ أولاھا علی أخرأھا
 وُسْمی بنو الہون بن خزیمۃ قارۃ لقول الشاعر منهم فی بعض الحروب :
 دَعُونَا قارۃ لَا تُذْعِرُونَا فَتُجْفِلَ مِثْلَ إِجْفَالِ الظَّلیمِ (١)
 هكذا أنشدہ أبو عبیدہ فی کتاب الأنساب ، وأنشدہ قاسمٌ فی الدلائل :
 دَعُونَا قارۃ لَا تُذْعِرُونَا فَتَذْبِقَکَ القَرَابۃُ والذَّمَامُ

وكانوا رُمَاةَ الحَدَقِ (٢) ، فمن رامام فقد أنصفهم ، والقارۃ : أرضٌ كثيرة
 بالحجارة ، وجمعها (٣) قُور ، فکأن معنى المثل عندهم : أن القارۃ لا تنفدُ حجارَتُها
 لما رمى بها ، فمن راماما فقد أنصف .

وهم فی نسب أبي مزينة :

وذكر أبا حذيفة بن عتبة . قال ابن هشام : واسمه : مِهْشَمٌ ، وهو وهم عند
 أهل النسب ، فإن مِهْشَمًا إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم ، وهشام
 ابني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه :

(١) فی الاشتقاق واللسان : لا تنفرونا . وفي مجمع الأمثال : القارة قبيلة ، وهم
 عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة ، ولما سموا قارة ، لاجتماعهم والتفافهم لما
 أراد الشداخ أن يفرقهم فی بنى كنانة ، وهم اليوم فی الین . وقيل غير ذلك .
 (٢) يقال : هو من رماة الحدق : حاذق ماهر فی النضال .

(٣) فی الاشتقاق : القارة : أكمة سوداء فیها حجارة ، وفي القاموس جاء
 أيضا أنها الجبل الصغير المنقطع عن الجبال ، أو الصخرة العظيمة أو الصخرة السوداء
 وجمعها قارات وقار وقور ، وقيران . هذا وقد ورد فی نسب مسعود فی الإصابة
 بعد غالب هو ابن عائدة بن نذیع بن ملیح ، وعند السکلي : مسعود بن عامر
 ابن ربيعة بن عمير بن سعد بن مظل بن غالب .

قيس فيما ذكروا^(١).

عميس :

وذكر أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب ، وعميس أبوها هو : ابن معد^(٢) بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وهو : جماعة خثعم بن أنمار على الاختلاف في أنمار هذا ، وقد تقدم . وأما : هند بنت عوف بن زهير بن الحارث^(٣) من كنانة ، وهي أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أمها واحدة ، وأخت ألبابة أم الفضل امرأة العباس^(٤) ، وكن تسع أخوات^(٥) ، فيهن ، قال رسول الله

(١) في الإصابة أيضا مع هذا : وقيل : هاشم . استشهد يوم اليمامة ، وهو ابن ست وخمسين سنة ، وفي الخثعمي ص ٨٠ مثل تصويب السبيلي

(٢) هو بإسكان العين أو فتحها . ونسبه في نسب قريش : عميس بن معبد بن تميم ابن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وفي جمهرة ابن حزم ، وعميس بن معد بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد ، ابن مالك بن بشر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حلف بن خثعم د ص ٨٠ . نسب قريش : ٣٦٨ جمهرة . والإصابة تنفق مع الروض حق ربيعة . ثم تقول عن ربيعة : ابن غانم بن معاوية بن زيد الخثعمية . وقيل : وعميس هو ابن النعمان ابن كعب ، والباقي سواء .

(٣) قيل خولة بنت عوف بن زهير .

(٤) في الاشتقاق : أنها أم بني العباس بن عبد المطلب لإتماما وكثيراً .

(٥) قيل : عشر لام ، وست لام وأب .

— صلى الله عليه وسلم : الأخوات مؤمنات ، وكانت قبل جعفر عند حمزة ابن عبد المطلب ، فولدت له أمة الله ، ثم كانت عند شداد بن المهدي ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن ، وقد قيل : بل التي كانت عند حمزة ، ثم عند شداد هي أختها : سلمى ، لأسماء ، وتزوجها بعد حمزة أبو بكر الصديق ، فولدت له محمد ابن أبي بكر ، وتزوجها بعده علي بن أبي طالب ، فولدت له يحيى . قال الكلبي : ولدت له مع يحيى عون بن علي ^(١) ، ولم يختلف أنها ولدت لجعفر ابنا اسمه : عون ^(٢) ، وولدت له أيضا عبد الله بن جعفر ، وكان جواد العرب في الإسلام ، وبنات عُمَيْس : أسماء وسلامة وسلمى ، وهن أخوات ميمونة وسائر أخواتها لأم .

نصوب في نسب بني عمري :

وذكر ابن إسحاق في السابقين إلى الإسلام من بني سَهْم : عبد الله بن قيس ابن الحارث بن عدى بن مُعَيْد بن سَهْم ^(٣) ، وحيثما تكرّر نسب بني عدى بن سعد

(١) في الإصابة أن الذي روى هذا هو ابن سعد عن الواقدي . أما ابن الكلبي فقال إنها ولدت له عوناً ، وقال أبو عمر : تفرد بذلك ابن الكلبي .
(٢) ولدته له في الحبشة في هجرتها . وفي الإصابة أنها تزوجت أبا بكر بعد قتل زوجها جعفر ، وروى عمر بن شبة في كتاب مكة أن الرسول زوجها أبا بكر يوم حنين .

(٣) المذكور في السيرة في هذا الموضع : خنيس ، أما عبد الله فأخوه ، وكان خنيس زوج حفصة رضي الله عنها . وقد مات بجراحه يوم أحد ، وقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعده . ونسب خنيس في نسب قريش هو : خنيس بن حذافة ابن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب . وهو مطابق لما في السيرة =

ابن سهم يقول فيه ابنُ إسحاق : سَعِيدٌ ^(١) ، والناس على خلافه ، وإنما هو سَعْدٌ ، وسيأتى فى شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك ، وإنما سَعِيدٌ بن سَهْم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سَعِيد بن سهم وفى سهم : سَعِيدٌ آخر ، وهو ابن سعد المذكور ، وهو جد المطلب بن أبى وداعة ، واسم أبى وداعة : عوف بن صُبَيْرَة ^(٢) ، ابن سَعِيد بن سعد ، وقد قيل فى صُبَيْرَة : صُبَيْرَة بالضاد المعجمة ، وهو الذى كان شابا جميلا يلبس حلة ، ويقول للناس : هل ترون بى بأسا إعجابا بنفسه ، فأصابته المنية بغتة ، فقال الشاعر فيه :

مَنْ يَأْمَنُ الْحَذَنَانَ بَعْدَ صَمِّ نِزَةِ الْقَرْشَى مَا نَا
سَبَقَتْ مَنِيَّتُهُ الْمَشِيدَ بَ وَكَانَ مَنِيَّتُهُ أَفْتِلَاتَا ^(٣)
عَنْزٍ :

وذكر عامر بن ربيعة ، وقال : هو من عَنْزِ بن وائل . عَنْزٌ بسكون النون ، ويذكر عن على بن العدي بنى أنه قال ، فيه عَنْزٌ بفتح النون ، والسكون أعرف . ذكر أهل النسب أن وائلا [بن قاسط] كان إذا ولده ولد ، خرج من خباته ،

= ولهذا يكون السهلى مخطئا فى نقله عن السيرة إذ ذكر عبد الله بن قيس بن الحارث بن عدى دون خنيس . وليس لعدى ولدا سمى الحارث ، فالحارث ابن قيس ، ووالد قيس هو عدى .
(١) وقوله هنا حق ، وقد صوبتها فى السيرة عن صاحب الروض ، وعن نسب قریش لأبى عبد الله المصعب الزبيرى ص ٤٠٠ وما بعدها ، وعن جهمرة ابن حزم ص ١٥٤ ، وعن الإصابة فى ترجمة خنيس .

(٢) هو كذلك فى النسب أما فى جمرة ابن حزم فهيرة وهو خطأ

(٣) منية : موت ، أفيلات : فجأة

فما وقعت عينه عليه سماه به ، فلما وُلد له بكر وقعت عينه على بَكْرِ من الإبل ، فسماه به ، فلما وُلد له ثعلب رأى نفسين يتغالبان ، فسماه ثَغْلِب ، فلما وُلد له عَنَز ، رأى عَنَزاً - وهى الأنثى من المعز - فسماه عَنَزاً ، فلما وُلد له الشَّخِص خرج فرأى شخصاً على بعدٍ صغيراً ، فسماه : الشَّخِص ، بهؤلاء الأربع (١) ، هم قبائل وائل ، وهم معظم ربيعة ، وهو عامر بن ربيعة العَدَوِيُّ حليف لهم ، ويقال : هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رُقَيْدَة بن عَنَز بن وائل بن قاسط ، وقيل : عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حُجَيْر بن سلامان بن هَنْب بن أَفْصَى بن دُعْمَى بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (٢)

إسلام عامر بن فهرية :

وذكر عامر بن فهرية مولى أبى بكر ، وفهرية : أُمُّ ، وهى تصغير فهر ، لأن الفهر مؤنثة ، وكان عبداً أسود للطفيل بن الحارث بن سخبرة (٣) اشتراه

(١) القصة فى الاشتقاق لابن دريد ص ٦ وفيها : « فإذا هو بشخص قد ارتفع له ، ولم تبيّنه نظراته ، وعن ثعلب : « فقلبه أن يرى شيئاً فسماه ثعلب ،
(٢) فى جهرة ابن حزم ص ٢٨٥ عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حجير بن سلامان بن مالك بن ربيعة بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار . وفى الإصابة كالنسخ الأول فى الروض مات سنة ٣٢ هـ قال أبو عبيدة سنة ٣٧ هـ ،

(٣) فى الإصابة للطفيل بن عبد الله بن سخبرة .

أبو بكر فأعتقه ، وأسلم قبل دخول النبي - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم ، وسيأتي في الكتاب نَبَذَ من أخباره ، منها : أنه قتل عامر بن الطفيل (١) يوم بدر معونة ، فلما طعنه خرج من الطعنة نوراً ، وكان عامر يقول : مَنْ رَجُلٌ لَمَّا طَعَنَتْهُ رُفِعَ ، حتى حالت السماء دونه ، هذه رواية البسكاني عن ابن إسحاق ، وفي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عامراً سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قدم عليه ، وقال : يا محمد مَنْ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ لَمَّا طَعَنَتْهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة ، وروى هشام بن عروة عن أبيه : أن عامراً التمس في القتلى يومئذ فلم يوجد ، فكانوا يرون أن الملائكة رفَعته ، أو دفنته (٢) ذكره ابن المبارك .

(١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر السكلافي العامري مات كافراً بإجماع أهل النقل . وفي الصحيح أنه قدم على النبي ﷺ ، فقال له : لك أهل السهل ، ولأهل المدر ، أو أكون خليفتك أو أغزوك بألف أشقر ، وألف شقراء ، فقال : ص ، اللهم اكفني عامراً فظمن في بيت امرأة - فقال : انتوني بفرسي ، فأت على ظهر فرسه ، وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي .

(٢) قتل عامر وسنه أربعون سنة ، وفي البخاري أنه كان غلاماً لعبد الله بن الطفيل بن سخبرة أخى عائشة لأمها ، وهو الذي كان يرعى بمنحة من غنم لابي بكر - كما جاء في البخاري - فيريحها على الرسول ﷺ ، وأبي بكر ، وهما في غار ثور ، غيبيتان - كما جاء في الحديث - في رسل - وهو لبن منحنم - غنم - ورضيفهما رسل اللبن ، والرضيف اللبن الذي وضعت فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه أو اللبن المغلى ، حتى ينقع عامر بهذه الغنم بغلس ، وكان يفعل هذا كل ليلة من الليالي الثلاث دون أن يشعر به أحد . وقد روى البخاري أنه لما قتل الدين بئر معونة ، وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار =

اصرع بما تؤمر وما المصيرية والنزى :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ ^(١) الحجر : ٩٤ .
والمعنى : اصدع بالذى تؤمر به ، ولكنه لما عدّى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ،
وكان الحذف ههنا أحسن من ذكرها ؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما
تقتضيه الذى ، وقولهم : مامع الفعل بتأويل المصدر ، راجع إلى معنى الذى إذا

== إلى قتيل ، فقال له عمرو : هذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيته بعد ما قتل
رفع إلى السماء ، حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . ونلاحظ
أن قاتل هذا هو عامر بن الطفيل الكافر .

(١) فى البخارى عن ابن عباس . قال : لما نزلت (وأنذر عشيرتكم) جعل
النبي يدعوهم قبائل قبائل . وعن أبى هريرة أن النبي قال : يا بنى عبد مناف .
اشتروا أنفسكم من الله . يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله . يا أم الزبير
ابن العوام عمة رسول الله ، يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله . لا أملك
لكما من الله شيئا ، سلانى من مالى ما شئتما . وعن ابن عباس أيضا : لما نزلت
وأنذر عشيرتكم ، جعل النبي ينادى : يا بنى فهر يا بنى عدى يبطور قريش ،
وهذه القصة إن كانت وقعت فى صدر الإسلام بمكة . فإن ابن عباس لم يدركها . لأنه
ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولا أبو هريرة لأنه إنما أسلم بالمدينة ، وفى نداء
فاطمة يومئذ أيضا ما يقتضى تأخر القصة ؛ لأنها كانت حينئذ صغيرة أو مراقة ،
وإن كان أبو هريرة حضرها ، فلا يناسب الترجمة (بمعنى ترجمة البخارى لهذا
الباب بقوله : باب من انتسب إلى آبائه فى الإسلام والجاهلية ، لأنه إنما أسلم
بعد الهجرة ، بدء ، والذى يظهر أن ذلك وقع مرتين مرة فى صدر الإسلام -
ورواية ابن عباس وأبى هريرة لها من مراسيل الصحابة - ومرة بعد ذلك حيث
يمكن أن تدعى فيها فاطمة عليها السلام ، أو يحضر ذلك أبو هريرة أو ابن عباس .
والمحافظ فى الفتح ج ٦ ص ٤٣٣ طبعة ١ عبد الرحمن محمد . هذا وحديث
ابن إسحاق بعد يؤكد فرضية الصلاة قبل الإسراء .

تأملته ، وذلك أن الذى تصلح فى كل موضع تصلح فيه ما التى يسمونها التصديرية
نحو قول الشاعر :

عسى الأيام أن يرزجني نَ يَوْمًا كالذى كانوا^(١)

أى : كما كانوا ، فقول الله عز وجل إذا : « فاصدع بما تؤمر » ، إما أن يكون معناه : بالذى تؤمر به من التبليغ ونحوه ، وإما أن يكون معناه : اصدع بالأمر الذى تؤمره ، كما تقول : عجبت من الضرب الذى تضربه ، فتكون ما ههنا عبارة عن الأمر الذى هو أمر الله تعالى ، ولا يكون للباء فيه دخول ، ولا تقدير ، وعلى الوجه الأول تكون ما مع صلتها عبارة عما هو فعل للنبي صلى الله عليه وسلم - والأظهر أنها مع صلتها عبارة عن الأمر الذى هو قول الله ووحيه ، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى : ما ، وإن كانت بمعنى الذى فى الوجهين جميعا ، إلا أنك إذا أردت معنى الأمر لم تحذف إلا الهاء وحدها ، وإذا أردت معنى المأمور به ، حذفت باء وهاء ، فحذف واحد أيسر من حذفين .

(١) البيت للفند - بكسر الفاء - الزمانى بكسر الزاى وتشديد الميم ، وهو شهل ابن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل جاهلى قديم . وفى الحيوان للجاحظ : الزمانى وهو خطأ ، والقصيد فى الحيوان ج ٦ ص ١٤٠ ط ١ : ساسى ، والامالى للقالى ، وفىه تسعة أبيات . وفى الحيوان :

عسى الأيام ترجمهم جميعا كالذى كانوا

وفى الامالى : ترجمن قوما ، ويقول البكرى فى السمط عن شهل صاحب الشعر ، وايس فى العرب شهل بشين معجمة غيره ، انظر ص ٢٦٠ ج ١ ط ١ : الامالى للقالى . وص ٥٧٨ سمط اللآلى للبكرى

مع أن صدّعه وبيانه إذا علّقه بأمر الله ووحيه ، كان حقيقة ، وإذا علّقه بالفعل الذى أمر به كان مجازا ، وإذا صرّحت بلفظ الذى ، لم يكن حذفها بذلك الحسن . وتأمله فى القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ، وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة : ٣٢ ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ﴾ التغابن : ٤ . و﴿ لَمَّا خَلَّصْتُ بَيْدَى ﴾ ص : ٧٥ ﴿ وَلَا أُعْبِدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ الكافرون . ولم يقل : خلّصته ، وحذف الهاء فى ذلك كله ، وقال فى الذى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ البقرة : ١٢١ ﴿ وَالَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ﴾ الحج : ٢٥ وما أشبه ذلك ، وإنما كان الحذف مع ما أحسن لما تقدّمناه من إيهامها ، فالذى فيها من الإيهام قرّيبها من ما التى هى شرط لفظا ومعنى ، ألا ترى أن ما إذا كانت شرطا تقول فيها : ما تصنع أم صنع مثله ، ولا تقول : ما تصنعه ؛ لأن الفعل قد عمل فيها ، فلما ضارعتها هذه التى هى موصولة ، وهى بمعنى الذى أجرى فى حذف الهاء مجراها فى أكثر الكلام ، وهذه تفرقة فى عود الضمير على ما ، وعلى « الذى » يشهد لها التنزيل ، والقياس الذى ذكرناه من الإيهام ، ومع هذا لم نر أحدا نبّه على هذه التفرقة ، ولا أشار إليها ، وقارىء القرآن محتاج إلى هذه التفرقة . وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذى ؛ لأنه أوجز ، ولكنه ليس كحُسْنِهِ مع مَنْ وَمَا ، فى التنزيل : ﴿ وَالنُّورُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ ﴾ التغابن : ٨ فإن كان الفعل متعديا إلى اثنين كان إبراز الضمير أحسن من حذفه ، لأنّه يتوهم أن الفعل واقع على المفعول الواحد ، وأنه مقتصر عليه ، كقوله تعالى : ﴿ [وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي] جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ﴾ الحج : ٢٥ ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ البقرة : ٢١ وشرح ابن هشام معنى قوله : اصدع شرحا صحيحا ، وتمتعه أنه صدّع على جهة البيان ، وتشبيهه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل . والقرآن نور ، فصدّع به تلك الظلمة ، ومنه سُمي الفجر : صديعا ، لأنه يصدّع ظلمة الليل ، وقال الشماخ :

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

قال ابن إسحاق : ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وتحدث به . ثم إن الله - عز وجل - أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يباذى الناس بأمره ، وأن يدعو إليه ، وكان بين ما أخفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمره ، واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من متبعه ، ثم قال الله تعالى له : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الحجر : ٩٤ . وقال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ . وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْذَّيْبُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء : ٢١٥ : ٢١٧

تري السرحان مُفْتَرِشاً يديه كان بياضاً لَبَّيْته صَدِيعٌ^(١)

على هذا تأوله أكثر أهل المعاني ، وقال قاسم بن ثابت : الصديع في هذا البيت : ثوب أسود تلبسه النواحة تحته ثوب أبيض ، وتصدع الأسود عند صدرها فيبدو الأبيض ، وأنشد :

كَأَنَّهُنَّ (٢) إِذْ وَرَدْنَ لَيْعاً نَوَاحِيَةً مُجْتَابَةً صَدِيعاً

(١) نسبة في اللسان في مادة صدع إلى عمرو بن معدى كرب ، والشماخ شاعر ذيباني مخضرم وهو ابن ضرار بن سنان ، وقيل اسمه : معقل والشماخ لقب له ، وقيل اسمه : الهيثم ، والاول أكثر . ص ٥٨ سطر اللآلي .
(٢) في معجم البكري : كأنها

قال ابن هشام : فاصدع : افرق بين الحق والباطل . قال أبو ذؤيب الهذلي ،
واسمه : خويلد بن خالد ، يصف أثن وخش وفخلمها :

وكانهنَّ رِبابَةٌ ، وكأنَّه يَسْرُ يَفِيضُ على القِداحِ وَيَصْدَعُ
أى : يَفْرِقُ على القِداحِ ويبين أنصاءها . وهذا البيت في قصيدة له . وقال
رؤبة بن المعجاج :

أنتَ الحَلِيمُ ، والأميرُ المُنْتَقِمُ تَصْدَعُ بالحقِّ ، وتنفي من ظلمٍ
وهذان البيتان في أرجوزة له .

صلاة الرسول وأصحابه في الشعاب

قال ابن إسحاق : وكان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلَّوا ،
ذهبوا في الشَّعابِ ، فاستَخَفُّوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص
في نَفَرٍ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شِغْبٍ من شِعاب مكة ،
إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين - وهم يصلُّون - فنادوا عليهم ، وعابوا عليهم
ما يصنعون حتى قاتلوه ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين
بلحى بعير ، فشجَّه ، فكان أول دم هُريق في الإسلام .

عداوة الشرك للرسول ومساومته لعمه

قال ابن إسحاق : فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه
بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه - فيما بلغني -

حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مُستخفون ، وحَدِّب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمهُ أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أمر الله ، مُظهراً لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتَبَرُ مِنْ شَيْءٍ ، أنكروه عليه ، مِنْ فراقهم وعَيِب آلهتهم ، ورأوا أن عُمهُ أبا طالب قد حَدِّب عليه ، وقام دونه ، فلم يُسَلِّمْهُ لَهُمْ ، مشى رجالٌ مِنْ أَشراف قُريش إلى أبي طالب ، عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابْنَا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة . ابن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب . وأبو سفيان بن حَرْب بن أُمَيَّة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر .

قال ابن هشام : واسم أبي سفيان : صَخْر .

قال ابن إسحاق : وأبو البَخْتَرِيُّ ، واسمه : العاص بن هشام بن الحارث ابن أَسَد ابن عبد العُزَيّ بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ .

قال ابن هشام : أبو البَخْتَرِيُّ : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطَّلَب بن أَسَد بن عبد العُزَيّ بن قُصَيّ ابن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ . وأبو جهل — واسمه عمرو ، وكان يُكْنَى أبا الحَكَم — ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم بن يَظْظَةَ بن مُرَّة ابن كَعْب بن لُؤَيّ . والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَظْظَةَ

ابن مِرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ . وَنُبِيهِ وَمُنْبَهُ ابْنَا الْحَبَّاج بن عَامِر بن حَذِيفَةَ بن
سَعْد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْن بن كَعْب بن لُؤَيٍّ . وَالْعَاص بن وائِل .

قال ابن هشام : الْعَاص بنُ وائِل بن هاشم بن سَعِيد بن سَهْم بن عمرو بن
هُصَيْن بن كَعْب بن لُؤَيٍّ .

قال ابن إسحاق : أَوْ مَن مَشَى مِنْهُمْ . فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِب ، إِنْ ابْنُ أَخِيكَ
قَدْ سَبَّ آلَهُنَا ، وَعَابَ دِينَنَا ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا ، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا ، فَإِمَّا أَنْ تُكْفِّهَ
عَنَّا ، وَإِمَّا أَنْ تُخَلِّىَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ ، فَكَفِّهِكَ
فَقَالَ لَهُمُ أَبُو طَالِب قَوْلًا رَفِيقًا ، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا ، فَانصَرَفُوا عَنْهُ .

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، يَظْهَرُ دِينَ اللَّهِ ،
وَيَدْعُو إِلَيْهِ ، ثُمَّ شَرَى الْأَمْرُ بَيْنَهُ ، وَبَيْنَهُمْ حَتَّى تَبَاعَدَ الرِّجَالُ ، وَتَضَاعَفُوا ،
وَأَكْثَرَتْ قُرَيْشٌ ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا ، فَتَذَامَرُوا فِيهِ ،
وَحَضَّ بَعْضُهُمْ بِمَعْضَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِب مِرَّةً أُخْرَى ، فَقَالُوا لَهُ :
يَا أَبَا طَالِب ، إِنْ لَكَ سِنًا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا ، وَإِنَّا قَدْ اسْتَدْنَهْنِيكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ
فَلَمْ تَنْهَ عَنْهُ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَانْصَبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتَمِ آبَائِنَا ، وَتَسْفِهِهِ أَحْلَامَنَا ،
وَعَيْبِ آلِهِنَا ، حَتَّى تُكْفِّهَ عَنْهُ ، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ ، حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ
الْفَرِيقَيْنِ ، أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ . ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ ، فَعَظَّمَ عَلَى أَبِي طَالِب فِرَاقَ قَوْمِهِ
وَعَدَاوَتِهِمْ ، وَلَمْ يَطْبُخْ نَفْسًا بِإِسْلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — هُمْ
وَلَا خِذْلَانُهُ .

مناصرة أبي طالب للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُثْبَةَ بن المُغِيرَةَ بن الأَخْنَس أَنَّهُ حَدَّثَ : أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ قَالُوا لِأَبِي طَالِبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةُ ، بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَقَالَ لَهُ : يَا بَنَ أَخِي ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي ، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا ، لِلَّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ ، فَأَبَيْتُ عَلَى ، وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ : فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَعْمَهُ فِيهِ أَنَّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نَصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ . قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : يَا عَمَّ ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي بَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرِكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ ، مَا تَرَكْتُهُ . قَالَ : ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَبَكَى ثُمَّ قَامَ ، فَلَمَّا وَلِيَ نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ ، فَقَالَ : أَقْبِلْ يَا بَنَ أَخِي ، قَالَ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَقَالَ : اذْهَبْ يَا بَنَ أَخِي ، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ ، فَوَاللَّهِ لَا أَسْلِمُكَ لَشَيْءٍ أَبَدًا .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا حِينَ عَرَفُوا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَى خَذْلَانَ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَإِسْلَامَهُ وَإِجْمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ وَعَدَاوَتِهِمْ ، مَشَوْا إِلَيْهِ بِمُحَارَّةِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، فَقَالُوا لَهُ — فِيمَا بَلَغَنِي — : يَا أَبَا طَالِبٍ ، هَذَا مُعْمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ ، أَنَّهُدُّ فِتًى فِي قُرَيْشٍ وَأَجْمَلُهُ ، نَخْذُهُ فَلَاكَ عَقْلُهُ وَنَصْرُهُ ، وَاتَّخِذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ ، وَأَسْلِمْنَا إِلَيْنَا ابْنَ أَخِيكَ هَذَا ، الَّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ

آبائك ، وفترق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله فلما هو رجل برجل ، فقال : والله لبئس ما تسومونني ! أتعطونني ابنسكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال : فقال المظعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال أبو طالب للمظعم : والله ما أنصفوني ، والكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي ، فاصنع ما بدا لك ، أو كما قال . قال : فحقب الأمر ، وحجيت الحرب ، وتناذ القوم ، وبأدى بعضهم بعضاً .

فقال أبو طالب عند ذلك - يعرض بالمظعم بن عدى - ويعم من خذله من بني عبد مناف ، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه ، وما تباعد من أمرهم :

ألا قل لعزرو والوليد ومظعم
من الخور حبيب كثير رغاؤه
تخلف خلف الورد ليس بلاحق
أرى أخويننا من أبنينا وأمننا
بلى لهما أمر ، ولكن تبجرا بجمنا

كما جرحمت من رأس ذي عني صخر
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً
فقد أضجعا منهم أكفهما صفر

هُمَا أَشْرَكَ كَافٍ لَاجِدَ مَنْ لَا أَبَا لَهُ مِنْ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُرْسَلَ لَهُ ذِكْرُ
وَتَيْمٌ وَتَحْزُومٌ وَزُهْرَةٌ مِنْهُمْ وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُنِيَ النَّعْمَرُ
فَوَاللَّهِ لَا تَنْفَكُ مِنَّا عَدَاوَةٌ وَلَا مِنْهُمْ مَا كَانَ مِنْ نَسَلِنَا شَفَرُ
فَقَدْ سَنَهَتْ أَحْلَامُهُمْ وَعُقُولُهُمْ وَكَانُوا كَجَفَرٍ بئس مَا صَنَعْتَ جَفَرُ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذاصروا بينهم على مَنْ فِي الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مِنْ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِينَ أَسْلَمُوا مَعَهُ ، فَوُثِّتَ كُلُّ قَبِيلَةٍ
عَلَى مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ بَوْنِهِمْ ، وَيَقْتَنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَمَنْعَ اللَّهِ رَسُولَهُ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْهُمْ بَعْمَهُ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ قَامَ أَبُو طَالِبٍ ، حِينَ رَأَى
قَرِيشًا يَصْنَعُونَ مَا يَصْنَعُونَ فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ،
مِنْ مَنْعِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْقِيَامِ دُونَهُ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ،
وَقَامُوا مَعَهُ ، وَأَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ ، هَدَوَ
اللَّهُ لِلْمَعُونِ .

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره في جهدهم معه ، وَحَدَبَهُمْ عَلَيْهِ ، جَعَلَ
يُمَدِّحُهُمْ وَيَذْكُرُ قَدِيمَتَهُمْ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهِمْ
وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ ، لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ ، وَلِيَجِدُّوا مَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَقَالَ :

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمَ مَا قَرِيشَ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرَّهَا وَصَمِيمُهَا
فَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدِ مَنْافٍ فِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا

وإنْ فُخِرَتْ يَوْمًا ، فإنْ مُحَمَّدًا هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمِهَا
تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غُثًّا وَنَجْدًا عَلَيْنَا فَلَمْ تَنْظُرْ وَطَاسَتْ حُلُومُهَا
وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نَقْرُ ظِلَامَةً إِذَا مَا ثَنَوْا صُغُرَ الْخُدُودُ نَقِيمِهَا
وَنَحْمِي جَاهَا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَنَضْرِبُ عَنْ أَجْجَارِهَا مَنْ يَرُومُهَا
بِنَا انْتَقَشَ الْعُودُ الذَّوَاءُ ، وَإِنَّمَا بَا كُنَّا نَفْنَأُ تَنْدَى وَتَنْمِي أُرُومُهَا

مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

أصل الصلاة لغة :

ذكر في الحديث : أن أبا طالب حَدَبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم -
وقام دونه : أصل الحَدَبِ : انحناء في الظاهر ، ثم استُعِيرَ فيمن عطف على غيره ، ورق
له كما قال النابغة :

حَدَبْتُ عَلَى بَطُونٍ ضَبَّةٍ كُلِّهَا إِنْ ظَالَمَا فِيهِمْ ، وَإِنْ مَظْلُومًا
ومثل ذلك الصلاة ، أصلها : انحناء وانعطاف من الصَّالِينَ وهما : عرقان
في الظهر إلى الفخذين ، ثم قالوا : صَلَّى عَلَيْهِ ، أَيْ : انحنى عليه ، ثم سموا الرحمة
حُذُوءًا وصلاة ، إذا أرادوا المبالغة فيها ، فقولك : صلى الله على محمد ، هو أرق
وأبلغ من قولك : رحم الله محمدًا في الخنو والعطف ^(١) . والصلاة أصلها

(١) ذكر القاموس للصلاة هذه التعريفات : وسط الظهر منا ، ومن كل ذي أربع ،
أو ما انحدر من الركبتين ، أو الفرجة بين الجاعرة والدبر ، والذنب ، أو ما عن يمين
الذنب وشماله . وهما صلوان . ويقول المبرد : أصل الصلاة : الرحمة . والمشهور عند كثير
من المتأخرين أن صلاة الله على الرسول وعلينا هي رحمته ، وهو رأى ضعيف ، لأن الله يقول
عن عباده الصابرين : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) البقرة :
١٥٧ فعطف الرحمة على الصلوات يقتضى المغايرة بينهما . كما أن صلاة الله سبحانه خاصة =

في المحسوسات عُبِّرَ بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيداً كما قال الشاعر :

فما زلت في إينى [له] وتعطّئي عليه ، كما تحنو على الولد الأم

ومنه قيل : صَلَّيتُ على الميت أى : دعوت له دعاء مَنْ يحنو عليه ويتمطف عليه ، ولذلك لا تسكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق : لا تقول : صَلَّيتُ على العدو ، أى : دعوت عليه . إنما يقال : صَلَّيتُ عليه فى معنى الحَنُوِّ والرحمة والمطف ؛ لأنها فى الأصل انمطاف ، ومن أجل ذلك عُدِّيت فى اللفظ بعلى ، فتقول : صليت عليه ، أى : حَنَوْتُ عليه ، ولا تقول فى الدعاء إلا : دعوتُ له ، فتُعَدِّى الفعل باللام ، إلا أن تريد الشرَّ والدعاء على العدو ، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء ، وأهل اللغة لم يفرقوا ، ولكن قالوا : الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقاً ، ولم يفرقوا بين حالٍ وحالٍ ، ولاذكروا التعمد باللام ، ولا بعلى ، ولا بد من تقييد العبارة ، لما ذكرناه ، وقد يكون الخدبُ أيضاً مستعملاً فى معنى المخالفة إذا قُرِنَ بالقَعَسِ كقول الشاعر :

= بالأنبياء والرسل والمؤمنين ، أما رحمته فقد وسعت كل شئ . ولو أننا تتبعنا آيات القرآن لوجدنا أن المراضع التى تذكر فيها الرحمة لا يحسن فيها وضع الصلاة مكانها ، ولهذا يقول ابن القيم عن معنى صلاتنا نحن على الرسول ، ص ، إنها الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته . وصلاة ملائكته . وهى ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكميمه وتقريبه فهى تتضمن الخبر والطلب . وإرادة من الله أن يعلى ذكره ويزيده تعظيماً وتشريفاً ، ص ٩٩ جلاء الأفهام ، وقد ذكر البخارى فى صحيحه أن صلاة الله على نبيه هى ثناؤه عليه عند الملائكة

وإن حَدَبُوا ، فاقْعَسْ ، وإن هم تقاعسوا
لينتزعوا ما خلفَ ظهرك فاحْدَبْ (١)

وكقول الآخر :

ولن يُنْهِنَهُ (٢) قوما أنت خائِفُهُم كمثل وَتِكَ جُهَلًا بِجُهَالٍ
فاقْعَسْ إذا حَدَبُوا ، واحْدَب إذا قَعَسُوا
ووازن الشرَّ مِثْقَالًا يَنْتَقِلُ
أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان له .

أبو البخترى :

فصل : وذكر مجيء النفر من قریش إلى أبي طالب في أمر النبي صلى الله
عليه وسلم ، وذكر أنسابهم ، وذكر فيهم أبا البَخْتَرِيِّ بن هشام ، قال : واسمه :
العاصي بن هشام ، وقال ابن هشام : هو العاصي بن هاشم ، والذي قاله ابن
إسحاق هو قول ابن الكلبي ، والذي قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبي بكر
وقول مُصَنَّبٍ (٣) وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر : سفيان
ابن العاصي .

(١) القعس بفتح القاف والعين ، ضد الحدب : دخول المظهر وخروج الصدور ،
والماضي : قعس كفرج - والبيت من قصيدة منسوبة إلى أبي الاسود الدؤلي ،
وهو في الحيوان هكذا : فإن حَدَبُوا فاقْعَسْ .. ليستمسكوا بما وراءك فاحْدَبْ
ص ١٧٤ ج ٥ الحيوان للجاحظ ط ساسي

(٢) نهذه فلانا عن الشيء : زجره وكفه عنه ، ووقم الرجل يقمه وقا ، أكرهه
وأذله وقهره وقسره ، ووقه عنه : رده أقبح الرد .

(٣) هو كما قال في كتاب المصعب نسب قریش ص ٢٠٩ وكذلك في جمهرة

ابن حزم ص ١٠٨

لو وضعوا الشمس في يميني :

فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي على أن أدعَ هذا الذي جئت به ما تركته ، أو كما قال ^(١) . خَصَّ الشمسَ باليمين ؛ لأنها الآية المُبَصِّرَةُ ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية المَمْحُوتَةُ ، وقد قال عمر - رحمه الله - لرجل ، قال له : إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ، ومع كل واحد منهما نُجُومٌ ، فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية المَمْحُوتَةِ ، اذهب ، فلا تعمل لي عملاً ، وكان عاملاً له ، فمَزَلَهُ ، فقتل الرجل في صِفِّينَ مع معاوية ، واسمه : حابس بن سعد ، وخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النَّبِيِّينَ حين ضَرَبَ المثل بهما ؛ لأن نورهما محسوسٌ ، والنورُ الذي جاء به من عند الله - وهو الذي أرادوه على تركه - هو لا مَحَالَةَ أَشْرَفُ من النور المخلوق ، قال الله سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ التوبة : ٣٣ . فاقتضت بلاغة النبوة - لما أرادوه على ترك النور الأعلى - أن يقابله بالنور الأدنى ، وأن يخص أعلى النيرين ، وهي الآية المبصرة بأشرف الديدن ، وهي النبي بلاغةً لامثلها ، وحكمة لا يجهل اللبيب فضلها .

البداء :

وقول ابن إسحاق : ظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قد بدا لعمه بداء ، أي : ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شئ يبدو بعد ما خفى ، والمصدر

(١) لم يروه أحد من أصحاب الصحاح .

الْبَدَأَ^(١) وَالْبُدُؤُ ، والاسم: الْبَدَاءُ ، ولا يقال في المصدر: بداله بُدُوٌ ، كما لا يقال: ظهر له ظهورٌ بالرفع ؛ لأن الذي يظهر ، ويبدو هاهنا هو الاسم: نحو الْبَدَاءُ وأنشد أبو علي :

لعلك والموعودُ حَقٌّ وَفَاؤُهُ بدالك في تالك القُلُوصِ بَدَاءُ^(٢)

ومن أجل أن الْبُدُو هو الظهور ، كان الْبَدَاءُ^(٣) في وصف الباري - سبحانه - محالا ؛ لأنه لا يبدو له شيء كان غائبا عنه ، والنسخُ للحكم ليس بَبَدَاءٍ كما توهمت الجملة من الرافضة واليهود ، إنما هو تبديل حكم بحكم بقدر قدره ، وعلم علمه ، وقد يجوز أن يقال : بداله أن يفعل كذا ، ويكون معناه : أراد . وهذا من المجاز الذي لا سبيل إلى إطلاقه إلا بإذن من صاحب للشرع ، وقد صح في ذلك ماخرجه البخاري في حديث الثلاثة : الأعمى والأفروع

(١) ليس لما قيل من قبل عن وضع الشمس والقمر سند صحيح ، فكيف يقيم عليه كل هذا ؟

(٢) القلوص من الإبل : الشابة ، والبيت من أبيات ذكرها أبو علي القالي في أماليه ص ٧١ ط ٢ غير منسوبة إلى أحد ، وهي قول رجل وعد رجلا قلوصا فأخلفه . ونقل البكري في السمط ص ٧٠ عن أبي عمرو الشيباني أنها لرجل من مزينة ، وذكر الأستاذ الميمنى في تحقيقه للسمط أنها لمحمد بن بشير الخارجي كما ورد في الأغاني

(٣) الشيعة هم القائلون بالبداء ، وله معان - كما يقول الشهرستاني - (البداء في العلم ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبداء في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك) وهذا محال على الله سبحانه أن يرى شيئا ، ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما رأى ، فانه بكل شيء عليم .

والأبرص ، وأنه عليه السلام قال : بدا لله أن يبتليهم ، فبدا هنا بمعنى : أراد ، وذكرنا الرافضة ، لأن ابن أعين ، ومن اتبعه منهم ، يجوزون البداء على الله تعالى ، ويجعلونه والنسخ شيئاً واحداً ، واليهود لا تجيز النسخ يحسبونه بداءً ، ومنهم من أجاز البداء كالرافضة ، ويروى أن علياً - رحمه الله - صلى يوماً ، ثم ضحك فسئل عن ضحكته فقال : تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ، ورآني أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم بنخلة^(١) فقال : ما هذا الفعل الذي أرى ، فلما أخبرناه ، قال : هذا حسن ، ولكن لا أفعله أبداً ، لا أحب أن تعلموني أنني فتذكرت الآن قوله ، فضحكت .

عرصة قريش على أبي طالب :

فصل : وذكر قول المملأ من قريش لأبي طالب : هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش ، وأجله ، نخذه مكان ابن أخيك . أنهد . أى : أقوى وأجلد ، ويقال : فرس أنهد للذى يتقدم الخيل ، وأصل هذه الكلمة : التقدم ، ومنه يقال : أنهد ثدى الجارية ، أى : برز قدماً . وعمارة بن الوليد هذا المذكور هو : الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة فسُجِرَ هناك ، وجن ، وسنزيد في خبره شيئاً بعد هذا إن شاء الله .

(١) نخلة : أما كن متعددة منها : نخلة محمود ، وهو موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخيل وكروم ، ونخلة الشامية ، وهى ذات عرق وأعلى نخلة ذات عرق ، وهى لبنى سعد الذين أرضعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ونخلة اليمانية واد يصب فيه يدعان به مسجد للنبي .

وذكروا أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ غمارة بدلا من محمد صلى الله عليه وسلم : أرايتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأى^(١) لا أعطيكم ابني تقتلونه أبداً ، وأخذ ابنكم أ كفله ، وأغذوه ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق قال ابن إسحاق فحَقَّب الأمرُ عند ذلك ، يريد : اشتد ، وهو من قولك : حَقَّب البعير إذا راغ عنه الحَقَب من شدة الجهد والنصب ، وإذا عسر عليه البول أيضا لشد الحَقَب^(٢) على ذلك الموضع ، فيقال منه : حَقَّب البعير ، ثم يستعمل في الأمر إذا عَسِرَ ، وكذلك قوله : فَشَرَى الأمر عند ذلك ، أى : انتشر الشر ، ومنه الشَّرَى ، وهى قُروح تنتشر على^(٣) البدن ، يقال منه : شَرَى جلدُ الرجل ، يَشْرَى شَرَى .

(١) رثم الجرح بكسر الهمزة انضم والتأم ، رثمت الاني ولد ما رأما ورأمانا .
ورثمانا أحبته وعظفت عليه .

وينسب إلى أبي طالب أنه قال للنبي هذا الشعر :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيننا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذلك وقر منه عيمونا
ودعوتنى وزعت أنك ناصحى ولقد صدقت ، وكنت ثم أميننا
وعرضت ديننا لا بحالة أنه من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة ، أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذلك مييننا

انظر المواهب ص ٢٤٨ .

(٢) الحزام يلى حقو البعير ، أو حبل يشد به الرجل في بطنه

(٣) عرفها القاموس بقوله : بشور صفار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة

غالبا . وتشتد ليلا .

شعر أبي طالب :

فصل : وذكر شعر أبي طالب :

أَلَا قُلْ لِعَمْرٍو وَالْوَلِيدِ . إِلَى آخِرِ الشَّعْرِ

وفيه :

أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ حَيَاتِكُمْ ^(١) بَكَرٍ

أى : إن بكرا من الإبل أنفع لى منكم ، فليت لى بدلا من حياطتكم
كما قال طرفة فى عمرو بن هند :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغُوتًا ^(٢) حَوْلَ قُبْتِنَا تَمُحُورٍ

وقوله : من الْخُورُ حَبَابُ . الْخُور ^(٣) الضَّعَافُ ، وَالْحَبَابُ بِالْحَاءِ ::

الضعيف . وفى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر : حَبَابٌ ^(٤) بِالْجِيمِ ، وَفُسِرَ فَقَالَ : هُوَ
السَّكِينُ الْهَذَرُ ، وَفَى الشَّعْرِ :

إِذَا مَا عَلَا الْفَيْفَاءُ قِيلَ لَهُ : وَبُرُ

أى يُشَبَّهُ بِالْوَبْرِ لضعفه ، ويحتمل أن يكون أراد : يَضْفَرُ فى العين لملوح
للسكان وبعده ، وَالْفَيْفَاءُ قَمَلَاءُ ، وَلَوْلَا قَوْلُهُم : الْفَيْفُ ، لَكَانَ حَمْلُهُ عَلَى بَابِ

(١) فى رواية ، وحفاظتكم ، والحفاظ الغضب ص ٨٢ الحشنى

(٢) الرغوث هى كل مرضعة وفى الاصل : ليت

(٣) جمع أخور

(٤) وتروى بالحاء . الضعيف

القَضَمَاصِ والجَرْجَارِ أُولَى (١) ، ولكن سُمِعَ النَّفِيفُ ، فلم أن الألفين .
زائدتان (٢) ، وأنه من باب قَيَاقٍ وَسَلَسٍ الذي ضوعفت فيه فاء الفعل دون
عَيْنِهِ ، وهى ألفاظ يسيرة نحو قَلَقٍ وَسَلَسٍ وَثُلُثٍ وَسُدُسٍ (٣) ، وقد اذعنينا بجمعها
من الكلام ، ولعل لها موضعا تذكر فيه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ،
ولا تكون ألف فَيْفَاءٍ للإلحاق فيصرف ؛ لأنه ليس فى الكلام : فَعْلَالٌ ، فإن
قيل : يكون ماحقاً بَقَضَمَاصٍ وبابه ، قلنا : قَضَمَاصٌ ثنائى مضاعف ، فلا يلحق
به الثلاثى ، كما يلحق الرباعى بالثلاثى ، ولا الأكثر بالأقل (٤) ، وقد حكى

(١) القَضَمَاصُ : أشنان الشام ، أو شجر من الحمض ، والأسد ، ويضم
وليس فعلا - يضم الفاء - سواه ، والجَرْجَارُ كالقرقار : نبت ، ومن الإبل :
الكثير الصوت .

(٢) فى اللسان ، بالثيف استدل سيبويه على أن ألف فيفاء زائدة ، وفيه عن
المبرد : « ألف فيفاء زائدة لانهم يقولون : فيف ، وفى شرح الشافى للرضى
والألف فى النيفاء زائدة لقولهم : فيف بمعناه وكذلك الزبوا والصيصاء إذ ليس
فى الكلام فعلا . بكسر الفاء وسكون العين إلا مصدرا كزوال ، ص ٣٧٢ ج ٢
مطبعة حجازى والزبوا بالفتح والكسر ما غلظ من الارص ، والصيصاء :
الحشف من التمر ، أو حب الحنظل ليس فى جوفه اب .

(٣) إذا ضبط ثلث وسدس على أنها فعلا كانا بفتح الفاء والعين ، ومن
الاسماء بما هو كذلك : دعد واور وطوط ، الحبة وغير ذلك ،

(٤) معنى الإلحاق فى الاسم والفعل أن تزيد حرفا أو حرفين على تركيبه
زيادة غير مطردة فى إفادة معنى : ليصير ذلك التركيب بثلث الزيادة مثل كلمة
أخرى فى عدد الحروف وحركاتها المعينة والسكنات ، كل واحد فى مثل مكانه
فى الملحق بها ، وفى تصاريفها : من الماضى والمضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل
واسم المفعول إن كان الملحق به فعلا رباعيا ، ومن التصغير والتكسير إن كان

فيغاة بالقصر وليست ألنهما للتأنيث ، إذ لا يجمع بين علامتي تأنيث ، فهي إذاً من باب أرطاة ونحوها (١) ، كأنها ملحقة بسلمية (٢) . وفي الشعر :

كَلَّا جَرَّ بَحْتٍ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقٍ صَخْرُ . وَتَرَكَ صَرْفَ عَلَقٍ ، إِمَّا لِأَنَّهُ جَعَلَهُ
اسم بقعة ، وإمَّا لِأَنَّهُ اسْمٌ عِلْمٌ ، وَتَرَكَ صَرْفَ الْاسْمِ الْعِلْمِ سَائِغٌ فِي الشَّعْرِ ، وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ مُؤَنَّثًا وَلَا عَجَمِيًّا نَحْوَ قَوْلِ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ :

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْجَمْعِ
وَنَحْوُ قَوْلِ الْآخَرِ :

يَا مَنْ جَفَّانِي وَمَلَأَ نَسِيتَ أَهْلًا وَسَهْلًا
وَمَاتَ مَرْحَبُ لِمَا رَأَيْتَ مَالِي قَلًّا

= الملحق به اسماء رباعيا لاختصاصها ، وفائدة الإلحاق أنه ربما يحتاج في تلك الكلمة إلى مثل ذلك التركيب في شعر أو سجع ص ٥٢ ج ١ شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاسترأبادي . م حجازي ، وانظر ص ١٢ المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني .

(١) شجرة ثمرها مر تأكلها الإبل ، وألفها للإلحاق ، فتنون نكرة لامعرفة أو ألفها أصلية ، فتنون دائم ، أو ووزنها أفعل وموضعها المعتل . والقاموس ، وفي اللسان مادة رطا : . الأرطى شجر من شجر الرمل ، وهو أفعل من وجه ، وفعل من وجه ، لأنهم يقولون : أديم مأروط إذا دبغ بورقه ، ويقولون : أديم مرطى ، والواحدة : أرطاة ، ولحق تاء التأنيث فيه يدل على أن الالف فيه ليست للتأنيث ، وإنما هي للإلحاق ، أو بنى الاسم عليها

(٢) السلمية : الجسيمة من الفساء

فلم يصرف مَرَّحَبَا ، وسيأتى فى هذا الكتاب شواهد كثيرة على هذا ،
ونشرح العلة فيه إن شاء الله تعالى ^(١) ، ولوروى : من رأس ذى علقى الصخر

(١) يقول ابن مالك فى الالفة :

ولا اضطرار أو تناسب صرف ذو المنع والمصرف قد لا ينصرف
وبقول الاشموفى فى شرحه لها إن الكوفيين أجازوا منع المصرف
من الصرف للضرورة ، وأباه سائر البصريين ، والصحيح : الجواز ،
واختاره الناظم - يعنى ابن مالك اثبتوا سماعه ، وقد فصل بعض المتأخرين بين ما فيه
علية ، فأجاز منعه لوجود إحدى علتين ، وبين ما ليس كذلك ، فصرفه ويؤيده أن
ذلك لم يسمع إلا فى العلم ، وأجاز قوم منهم : ثعلب ، وأحمد بن يحيى منع صرف
المنصرف اختياراً ص ٢٢٤ ج ٣ ط الأزهرية . وقد ذكر ابن هشام أن من
البصريين من أجاز ذلك ، وهما الاخفش والنارسى وأن من الكوفيين من منع ذلك
وهو أبو موسى الحامض من شيوخ الكوفيين وقد حكى الفخر الرازى عن أكثر
الكوفيين والاختش أن السبب الواحد يمنع من الصرف ، ولم يفرق بين العلية
وغيرها انظر ص ٢٢٨ ج ٢ من كتاب شرح التصريح على التوضيح ط
التجارية ، وقد رد الدنوشرى المذهب الذى حكاه الفخر ؛ لأن الاصل فى الاسماء أن
تكون منصرفة . المصدر السابق الحاشية بهامشه للعليمى الحمصى . ومن الابيات
التي ورد فيها منع المصرف :

طلب الازارق بالكتائب إذهوت بشيب غائلة النفوس غدور
فنع صرف شيب وهو علم مصرف وهو شيب بن يزيد رأس الخوارج
الازارقة ، وفاعل طلب ضمير يعود على سفيان نائب الحجاج ومثله :
وقائلة ما بال دوسر بعدنا صحا قايه عن آل ليلى وعن هند
من معانى قصيدة أنى طالب : حجاب : من معانيها : قصير ، أو الجبل
الضئيل . وتروى بالخاء أيضاً : الضعيف . هما أغمرنا للقوم : أى سبيلهم الطعن فيهم
تجرىم : سقط وانحدر . ذو علق : جبل فى ديار بنى أسد . والصفى : الخالى
من الآنية وغيره . إلا أن يرس له ذكر : أن يذكر ذكر اخنيا . من نسلنا =

بحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، لكان حسناً ، كما قرئ : قل : هو الله أحد ،
الله الصمد » بحذف التنوين من أحد ، وهي رواية عن أبي عمرو بن العلاء ،
وقال الشاعر :

حميد الذي أوج داره

وقال آخر :

ولا ذا كرُّ الله إلا قليلا

وأنشد قول أبي طالب :

إذا اجتمعت يوما قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرُّهَا وَصِيْمُهَا

قوله : سرها أى : وَسَطُهَا ، وسر الوادى وَبَرَارَتُهُ : وَسَطُهُ ، وقد تقدم .
متى يكون الوسط مدحا ، وأن ذلك فى موضعين : فى وصف الشهود ، وفى
النسب ، وبَيَّنَّا السر فى ذلك .

وقال فى القصيدة : ونضرب عن أحجارها مَنْ يرومها . أى ندفع عن
حصونها ومعاقلها ، وإن كانت الرواية : أحجارها بتقديم الجيم ، فهو جمع جُحْرٍ
والجُحْر هنا مُسْتَعَار ، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها (١) .

= شفر : أى : أحد ، يقال : ما بالدار أحد ، وما بها شفر ، وما بها كتيع ، وما بها
عريب ، وما بها ذبيح ؛ وما بها نافخ صرمة كلها بمعنى واحد . أى ما بها أحد .

(١) من معانى القصيدة غث : يعنى ليس له نسبة هنالك . وأصل الغث :
اللحم الضعيف . طاشت حلومها : ذهبت عقولها . انتعش العود الذواء : حيى .
وظهرت فيه الحضرة ، وأصل نعش : رفع . والعود الذواء الذى جفت رطوبته .
الاكتاف : النواحي . وأرومها : جمع أرومه : الأصل . انظر ص ٨٣ .
وما بعدها لأنى ذر الحشنى فى شرح السيرة

موقف الوليد بن المغيرة من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش - وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا ، قالوا : فانت يا أبا عبد شمس ، فقل ، وأقم لنا رأيا نقول به ، قال : بل أنتم ، فقولوا أنتم ، قالوا : نقول : كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمنة الكاهن ولا سجنه ، قالوا : فنقول : مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنفة ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كاه : رجزه وهزجه وقريضه وقبوضة ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدم ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن إقوله لحلاوة ، وإن أصله كعذق ، وإن قرعته لجناة - قال ابن هشام : ويقال : لعذق - وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرفت أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون يسبل الناس حين قدموا للموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

مانزل في حق الوليد من القرآن :

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ، وفي ذلك من قوله : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا ، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا » المذثر : ١١-١٦ أي خصيما .

قال ابن هشام : عنيدا : معاند مخالف . قال رؤبة بن العجاج :

ونحن ضَرَّابُونَ رَأْسَ الْعُنْدِ

وهذا البيت في أرجوزة له :

« سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا ، إِنَّهُ فَسَكَرَ وَقَدَّرَ ، فُقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ .
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ » المذثر : ١٧ : ٢٢ .

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه . قال العجاج :

مُضَبَّرَ اللَّاحِظِينَ بَسْرًا مِنْهُمْ سَا

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت في أرجوزة له :

« ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ : إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ » . المذثر : ٢٣ - ٢٥ .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى : في رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفيما جاء به من الله تعالى ، وفي النفر الذين كانوا معه يُسْتَفَنون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كما أنزلنا على الْمُقَدِّسِينَ .

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ . فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلَنَّهٗمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا
كَانُوا يَعْمَلُونَ « الحجر : ٩٠ — ٩٣

قال ابن هشام : واحدة العِضِينَ : عِضَّة ، يقول : عَضَّوه : فرقوه . قال
رؤبة بن العجاج :

وليس دينُ اللهِ بالمُعَضَّى

وهذا البيت في أرجوزه له .

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفرُ يقولون ذلك في رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - لِمَنْ أَقْوَامٌ مِنَ النَّاسِ ، وصدرت العربُ من ذلك المَوْسِمِ بأمر
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

أبو طالب يفخر بنفسه وابن أخيه

فلما خَشِيَ أبو طالب دَهَاءَ العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي
تَعَوَّدَ فِيهَا بِحُرْمِ مَكَّةَ وبِمَكَانَتِهَا مِنْهَا ، وتَوَدَّدَ فِيهَا أَشْرَافَ قَوْمِهِ ، وهو على ذلك
يُخَبِّرُهُمْ وَغَيْرَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ شَعْرِهِ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -
ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه ، فقال :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَاوُدَ فِيهِمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعَرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَابِلِ
وَقَدْ حَانَقُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظْنَّةً يَعْصُونَ غَيْظًا خَلَفْنَا بِالْأَمَلِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمْعِ سَمْعَةٍ
وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
قِيَامًا مَعَ مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ
وَحَيْثُ يُنْبِخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ
مَوْسِمُ الْأَعْضَادِ ، أَوْ قَصَرَاتِهَا
تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا ، وَالرُّخَامَ وَزِينَةَ
أَعْوَدُ بَرَبِ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِينَةٍ
وَقَنُوزٍ ، وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
وَبِالْبَيْتِ ، حَقَّ الْبَيْتِ ، مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ
وَبِالْحَجَرِ الْمُسَوَّدِ إِذْ يَمْسَحُونَهُ
وَمَوْطِيءِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً
وَأَشْوَاطٍ بَيْنَ الْمَرُوتَيْنِ إِلَى الصَّفَا
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
وَبِالْمَشْرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ
وَتَوَقَّافِهِمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةَ
وَلَيْلَةٍ يَجْمَعُ وَالْمَنَازِلَ مِنْ مِثْلِي
وَيَجْمَعُ إِذَا مَا الْمُقَرَّبَاتِ أَجْزَنَهُ

وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ
وَأَمْسَكَتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
لَدَى حَيْثُ يَقْضَى حَلْمُهُ كُلُّ نَافِلٍ
بِمُقْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلٍ
مُخَيَّسَةً بَيْنَ السَّادِسِ وَبَازِلِ
بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةً كَأَنَّمَا كُلُّ
عَلَيْنَا يَسُوءُ ، أَوْ مُلِحَّ بِيَاطِلِ
وَمَنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يُحَاوِلِ
وَرَاقٍ لِيَرْزُقَ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ
وَبِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ
إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالصُّحَى وَالْأَصَائِلِ
عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيَا غَيْرَ نَاعِلِ
وَمَا فِيهِمَا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَائِلِ
وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ
إِلَّالِ إِلَى مُقْضَى الشَّرَاجِ الْقَوَائِلِ
يُقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرِّوَا حِلِ
وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
سِرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعٍ وَابِلِ

وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها
وكفدة إذ هم بالحصاب عشيّة
حليفان شداً عقد ما اختلعا له
وحطّهم سمر الرّماح وسرحه
فهل بعد هذا من معاذٍ لعاذلٍ
يطاع بنا أمرُ العدا ودّ أنّا
كذبتم. وبيت الله نترك مكة
كذبتم. وبيت الله. بُزى محمداً
ونسامه حتى نصرع حوله
وينهض قوم في الحديد إليكم
وحق ترى ذا الضغن يركب ردعه
وإنّا. لعمر الله. إن جدّ ما أرى
بكفى فتى مثل الشهاب سميدع
شهوراً وأياماً وحولاً مجرّماً
وماترك قوم. لا أبالك. سيّداً
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
لعمرى لقد أجرى أسيد وبكره
يؤمنون نذفا رأسها بالجناد
تُجيزهم خجاج بكر بن وائل
وردّا عليه عاطفات الوسائل
وشبرقه وخدّ النعام الحوامل
وهل من مُعِيز يتقى الله عاذل
تسدّ بنا أبواب ترك وكابل
ونظعن إلا أمركم في بلابل
ولمّا مُطاعن دونه ونماضل
ونذهل عن أبنائنا والخلائل
نهوض الرّوايات تحت ذات الصّلاصل
من الطعن فعل الأنكب المتحامل
لتمتدّسن أسيفنا بالأماثل
أخى ثقة حامى الحقيقة باسل
علينا وتأتى حجة بعد قابل
يحوط الذمار غير ذرب مواكل
نمال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده في رّحة وفواضل
إلى بُغضنا وجزّنا لا كل

وعثمانُ لم يَرَبِّع علينا وفُفِّدُ
أطاعا أُنبياءَ، وابنَ عَبدِ يَغُوثِهِم
كما قد لَقِينَا مِنْ سُبَيْعٍ وَنَوَافِلِ
فإن يُلَفِّيا، أو يُمَكِّنِ اللهُ مِنْهُمَا
وذاك أبو عمرو أبى غيرُ بُغضنا
يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُنْمَسَى وَمُضَبَّحِ
ويُؤَلِّي لَنَا بِاللَّهِ مَا إِنْ يُغَشُّنَا
أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْضُنَا كُلَّ تَلَمَّةِ
وسائلُ أبا الوليدِ ماذا حَبَوْنَنَا
وَكُنْتَ امْرَأً مِمَّنْ يُعَاشِ بِرَأْيِهِ
فَعُتِبَتْهُ لَا تَسْمَعُ بِنَا قَوْلَ كَاشِحِ
وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضاً
يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَبَرْدٍ مِيَاهِهِ
ويُخْبِرُنَا فَعَلَ الْمُنَاصِحَ أَنَّهُ
أُمُطِّعُ لَمْ أَخْذُلْكَ فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ
وَلَا يَوْمَ خُصَمِ إِذْ أَتَوْتُكَ أَلِدَّةَ
أُمُطِّعٍ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةَ
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوَافِلًا
ولكن أطاعا أَمَرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ
وَلَمْ يَرَوْبَا فِينَا مَقَالَةً قَائِلِ
وَكُلُّ نَوَلَى مُعْرِضاً لَمْ يُجَامِلِ
نَكَلٍ لَهَا صَاعاً بِصَاعِ الْمُسْكَابِلِ
لِيُظْعِنُنَا فِي أَهْلِ شَاءَ وَجَامِلِ
فَنَاجِ أبا عَمْرٍ بِنَا ثُمَّ خَائِلِ
بَلَى قَدْ تَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَائِلِ
مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبٍ قَمَحَادِلِ
بَسْعِيكَ فِينَا مُعْرِضاً كَالْمُخَائِلِ
وَرَحْمَتِهِ فِينَا وَلَسْتَ بِجَاهِلِ
حَسُودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضِ ذِي دَغَائِلِ
كَامراً قَيْلٍ مِنْ عِظَامِ الْمَقَاوِلِ
ويزعمُ أَنى لستُ عَنْكُمْ بِغَافِلِ
شَفِيقٌ، وَيُخْفِي عَارِمَاتِ الدَّوَائِلِ
وَلَا مُعْظِمَ عِنْدَ الْأُمُورِ الْجَلَائِلِ
أُولَى جَدَلٍ مِنَ الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ
وإِنى مَتَى أَوْكَلْتُ قَدَاسْتُ بَوَائِلِ
عُقُوبَةٍ شَرِّ عَاجِلَا غَيْرَ آجِلِ

بميزان قِسط لا يُخسُّ شعيرةً له شاهدٌ من نفسه غير عائل
 لقد سَفَهَتْ أحلامُ قومٍ تبدَّلوا بنى خَلْفَ قَيْضًا بنا والغياطل
 ونحنُ الصَّميمُ من ذُؤابة هاشمٍ وآلِ قُصَيٍّ في الخُطوب الأوائل
 وسَنهمُ ونخزومُ تَمَلَّأوا وألبوا علينا العِدا من كلِّ طَمَلٍ وخامِلٍ
 فَعَبَدَ مَنافُ أنتمُ خيرُ قومٍكم فلا تُشركوا في أمركم كلَّ واغلٍ
 لعمري لقد وهنتُمُ وعجزتُمُ وجنتُمُ بأمرٍ مُخْطِئٍ للمفاصلِ
 وكنتمُ حديثنا حَظَبَ قَدَرٍ وأنتمُ أَلانَ حِطابُ أَقْدَرٍ ومَراجِلِ
 لَيْهَيْهِ: بنى عَبدَ مَنافٍ عَفوقنا وخِذْلانُنا، وترَكُنَّا في المَعاقِلِ
 فَإِنَّ نَكَّ قوماً نَتَّبِعُ ما صَنَعْتُمُ وَتَحْتَلِبُوهَا لِقَحةً غَيْرَ باهِلِ
 وسائطُ كانت في لَوئى بنِ غالبٍ نَقاهمُ إلينا كُلُّ صَقَرٍ حُلَاجِلِ
 ورهطُ نَقِيلٍ شَرُّ مَنْ وطىء الحَصَى وألأَمُ حافٍ مِنْ مَعَدٍّ وناعِلِ
 فأبْلَغَ قُصَيًّا أن سَيُنْشِرُ أمرُنا وبَشَّرَ قُصَيًّا بَعْدَنا بالْتِخاذِلِ
 ولو طَرَفَتْ لَيْلاً قُصَيًّا عَظِيمَةً إِذا ما لَجَّنا دونهمُ في المَداخِلِ
 ولو صَدَقوا ضَرْباً خِلالَ بُيوتهم لَكُنَّا أَسَى عِندَ النِّساءِ المَطاوِلِ
 فَكُلُّ صَدِيقٍ وابِنِ أُختٍ نَعُدُّه لَعَمْرِي - وَجَدَنا غِيبَهُ غَيْرَ طائِلِ
 سوى أن رَهطاً من كِلابِ بنِ مُرَّةٍ بَرَّاءَ إلينا من مَعَقَّةٍ خاذِلِ
 وَهَنا لَهمُ حَتَّى تَبَدَّدَ جَمْعُهُمُ وَيَحْشُرَ عَنَّا كُلُّ باغٍ وَجاهِلِ
 وَكانَ لَنا حَوْضُ السَّقايةِ فيهِمُ وَنَحْنُ الكُدى مِنَ غالِبِ والكُواهِلِ

شَبَابٍ مِنَ الْمُطَيَّبِينَ وَهَاشِمٍ
 مَا أَدْرَكُوا ذَخْلًا وَلَا سَفْكَوَادِمًا
 بِضَرْبِ تَرَى الْفَتَيَانِ فِيهِ ، كَانَهُمْ
 بَنِي أُمَّةٍ مَحْبُوبَةٍ هِنْدِ كَيَّةٍ
 وَلَسَكَنَّا نَسْلَ كِرَامٍ لِسَادَةٍ
 وَنَعَمِ ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرُ مُكَذَّبٍ
 أَشْمٌ مِنَ الشَّيْءِ الْبَهَائِلِ يَنْتَمِي
 لَعَمْرِي لَقَدْ كَلَنْتُ وَجَدًا بِأَحَدٍ
 فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا
 فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيْ مُؤَمِّلٍ
 حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ
 غَوَالِيهِ لَوْلَا أَنْ أَجِءَ بِسَبَّةٍ
 لَكُنَّا انْبَغَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 لَقَدْ عَلِمُوا أَنْ أَبْنَانَا لَا مُكَذَّبُ
 فَاصْبَحْ فِينَا أَحَدٌ فِي أَرْوَمَةِ
 حَدَبٍ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتِهِ
 فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ
 رَجَالٌ كِرَامٌ غَيْرُ مِيلٍ نَمَاهُمُ

كَبِيضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصَّيَاقِلِ
 وَلَا حَالَفُوا إِلَّا شِرَارَ الْقَبَائِلِ
 ضَوَارِي أُسُودَ فَوْقَ لَحْمٍ خَرَادِلِ
 بَنِي جُحَجٍ عُيَيْدٍ قَيْسِ بْنِ عَاقِلِ
 بِهِمْ نَمَى الْأَقْوَامِ عِنْدَ الْبَوَاطِلِ
 زَهِيرٌ حُسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ
 إِلَى حَسْبٍ فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ
 وَإِخْوَتُهُ دَابَّ الْمَحِبِّ الْمَوَاضِلِ
 وَزَيْنًا لِمَنْ وَالَاهُ رَبُّ الْمَشَاكِلِ
 إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ
 يُوَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
 تُجَرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ
 مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرُ قَوْلِ التَّهَازِلِ
 لَدَيْنَا ، وَلَا يُغْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
 تُقْصِرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُعْتَاطِلِ
 وَدَافَعَتْ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالْكَلاكِ
 وَأَظْهَرَ دِينَنَا حَقُّهُ غَيْرُ بَاطِلِ
 إِلَى الْخَيْرِ آبَاءُ كِرَامِ الْمَحَاصِلِ

فإن تك كعب من لؤى صقيبة فلا بد يوما مرة من ترايل
قال ابن هشام : هذا ما صح لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم
بالشعر ينسكروا كثرتها .

قال ابن هشام : وحدتني من أئق به ، قال : أقحط أهل المدينة ، فاتوا
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فشكروا ذلك إليه ، فصعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم المنبر فاستسقى ، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي
يشكون منه الغرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالينا
ولا علينا ، فأنجى السحاب عن المدينة ، فصار حوالينا كالإكليل ؛ فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره ، فقال له بعض
أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
قال : أجل

قال ابن هشام : وقوله « وشبرقه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والغياطل : من بني سهم بن عمرو بن هصيص ،
وأبو سفيان بن حرب بن أمية . ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف .
وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأمه : عاتكة
بنت عبد المطلب . قال ابن إسحاق : وأسيد ، وبكره : عتاب بن أسيد بن أبي

للإيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وعثمان بن عبيد الله :
أخو طلحة بن عبيد الله التيمي . وقنفذ بن عُمير بن جُدعان بن عمرو بن
كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأبو الوليد : عتبة بن ربيعة . وأبي :
الأخنس بن شريق الثقفي ، حليف بني زهرة بن كلاب .

قال ابن هشام : وإنما سمي الأخنس ؛ لأنه خنس بالقوم يوم بدر ، وإنما
اسمه : أبي ، وهو من بني علاج ، وهو علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عتبة .
والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . وسبيع
ابن خالد ، أخو بلحارث بن فهر . ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى
ابن قصي ، وهو ابن العدوية . وكان من شياطين قريش ، وهو الذي قرن
بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما في حبل حين أسلما ،
فبذلك كانا يُسميان : القرينيين ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر .
وأبو عمرو : قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . «وقوم علينا أظنة» :
بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فهؤلاء الذين عَدَّد أبو طالب في شعره
من العرب .

ذكر الرسول «ص» ينتشر

فلما انتشر أمرُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - في العرب ، وبلغ البلدان ،
ذُكر بالمدينة ، ولم يكن حتى من العرب أعلم بأمر رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم -
حين ذُكر ، وقبل أن يُذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج ،

بذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم في بلادهم . فلما وقع ذكره بالمدينة ، وتحدثوا بما بين قريش فيمن الاختلاف . قال أبو قيس بن الأسلت . أخو بني واقف .

أبو قيس بن الأسلت ونسبه وشعره في الرسول «ص»

قال ابن هشام : نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بني واقف ، ونسبه في حديث الفيل إلى خَطْمَةٍ ؛ لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخى جده الذى هو أشهر منه .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن الحكم بن عمرو الغفارى من ولد نُعَيْلَةَ أخت غفار ، وهو غفار بن مُلَيْل ، ونُعَيْلَةُ بن مُلَيْل بن ضَمْرَةَ بن بَكْر ابن عبد مناة ، وقد قالوا : عُثْبَةُ بنُ غَزْوَانَ السَّامِيُّ ، وهو من ولد مازن ابن منصور وسليم : ابن منصور .

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بني وائل ، ووائل ، وواقف وَخَطْمَةُ إخوة من الأوس .

قال ابن إسحاق : فقال أبو قيس بن الأسلت — وكان يحب قريشا ، وكان لهم صهرا ، كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى ، وكان

يقيم عندهم السنينَ بأسرته — قصيدةً يعظم فيها الحرمة ، وينهى قريشاً فيها
عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ،
ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرهم بلاء الله
عندهم ، ودفعه عنهم الفيل وكيدته عنهم ، فقال :

يا راكبا إما عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي	مُغْلَقَةً عَنِّي لَوْيَّ بْنَ غَالِبِ
رسول امرى قد راعه ذاتُ بَيْنِكُم	على النَّأْيِ مَحْزُونٍ بِذَلِكَ نَاصِبِ
وقد كانَ عِنْدِي لِلْهُمُومِ مُعَرَّسٌ	فَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَتِي وَمَآرِبِ
نُبَيْتِكُمْ شَرَجِينَ كُلِّ قَبِيلَةٍ	لَهَا أَزْمَلٌ مِنْ بَيْنِ مُذْكَرٍ وَحَاطِبِ
أَعِزُّكُمْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ صُنُومِكُمْ	وَشَرِّ تَبَاغِيكُمْ وَدَسِّ الْعَقَارِبِ
وإظهار أخلاقٍ ، وَنَجْوَى سَقِيمَةٍ	كَوْخِزِ الْأَسَافِ وَقُعْمَا حَقِّ صَائِبِ
فَذَكَّرْتُهُمُ بِاللَّهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ	وإِحْلَالِ أَحْرَامِ الطَّيِّبَاءِ الشَّوَابِ
وَقُلْتُ لَهُمْ وَاللَّهِ يَحْكُمُ حُكْمَهُ	ذَرُّوا الْخَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمْ مِنَ الْمَرَابِ
مَتَى تَبْعْتُوهَا ، تَبْعْتُوهَا ذَمِيمَةً	هِيَ الْفُؤَالُ الْأَقْصَيْنِ أَوْ لِلْأَقَارِبِ
تُقَطَّعُ أَرْحَامَا ، وَتُهْلِكُ أُمَّةٌ	وَتَنْبَرِي السَّيْفُ مِنْ سَنَامٍ وَغَارِبِ
وَتَسْتَبْدِلُوا بِالْأَتْحَمِيَّةِ بَعْدَهَا	شَايِلًا وَأَصْدَاءَ ثِيَابِ الْمُحَارِبِ
وَبِالْمَسْكِ وَالْكَافُورِ غَيْرِ سَوَابِغَا	كَأَنَّ قَتِيرَيْهَا عَيُونُ الْجَنَادِ
فَأَيَّاكُمْ وَالْحَرْبَ لَا تَعْلَقَنَّكُمْ	وَحَوْضًا وَخَيْمَ الْمَاءِ مُرًّا لِلشَّارِبِ
تَزِينُ لِلْأَقْوَامِ ، ثُمَّ يَرَوْنَهَا	بِعَاقِبَةٍ إِذْ بَيَّنْتَ ، أَمْ صَاحِبِ

تُحَرِّقُ، لَا تُشَوِّى ضَعِيفًا، وَتَلْتَحِى ذَوَى الْعِزِّ مِنْكُمْ بِالْحُتُوفِ الصَّوَائِبِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاخِسٍ فَتَعْتَبِرُوا أَوْ كَانَ فِي حَرْبِ حَاطِبٍ
وَكَمْ قَدْ أَصَابَتْ مِنْ شَرِيفِ مُسَوِّدٍ طَوِيلِ الْعِمَادِ، ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبٍ
عَظِيمٍ رَمَادِ النَّارِ يُخَمِّدُ أَمْرُهُ وَذَى شَيْمَةٍ مَحْضٍ كَرِيمِ الْمَضَارِبِ
وَمَاءُ هُرَيْقٍ فِي الضَّلَالِ كَأَنَّمَا أَذَاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
يَجْتَبِرُكُمْ عَنْهَا أَمْرٌ حَقٌّ عَالِمٍ بَأَيَّامِهَا وَالْعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ
فَيَبِيعُوا الْحِرَابَ مِنْهُ جَارِبَ، وَاذْكُرُوا
حِسَابَكُمْ، وَاللَّهُ خَيْرُ مُحَاسِبٍ
وَلِيَّ أَمْرِي، فَاخْتَارْ دِينَا، فَلَا يَكُنْ

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا غَيْرَ رَبِّ التَّوَائِبِ
أَقِيمُوا لَنَا دِينًا حَنِيفًا، فَأَنْتُمْ لَنَا غَايَةٌ قَدْ يُهْتَدَى بِالدَّوَائِبِ
وَأَنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ نُورٌ وَعِصْمَةٌ تَوَكَّلُونَ، وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ
وَأَنْتُمْ إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ - جَوْهَرٌ لَكُمْ سُرَّةُ الْبَطِيحَاءِ شُمُّ الْأَرَانِبِ
تَصُونُونَ أَجْسَادًا كَرَامًا عَتِيقَةً مُهَذَّبَةً الْأَنْسَابِ غَيْرَ أَشْنَابِ
يَرَى طَالِبُ الْحَاجَاتِ نَحْوِيُوتَكُمْ عَصَائِبَ هَذِكِي تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ سَرَائِكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرٌ أَهْلُ الْجَبَابِغِ
وَأَفْضَلُهُ رَأْيَا، وَأَعْلَاهُ سُنَّةٌ وَأَقْوَلُهُ لَاحِقٌ وَسَطُ الْمَوَاقِبِ
فَقُومُوا، فَصَلُّوا رَبَّكُمْ، وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ

فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ يَبَلَّغُ وَصَدَقَ
غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ
كَتَيْبَتُهُ بِالسَّهْلِ تُمْنِي ، وَرَجُلُهُ عَلَى الْقَازِفَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ
فَلَمَّا أَنَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ ، رَدَّاهُمْ جُنُودُ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ
فَوَلَّوْا سِرَاعًا هَارِبِينَ ، وَلَمْ يَوْتِبْ إِلَى أَهْلِهِمِ الْخُبْشِ غَيْرُ عَصَائِبِ
فَإِنْ تَهَلَّكَوْا ، تَهَلَّكَ وَتَهَلَّكَ مَوَاسِمُ
يُعَاشُ بِهَا ، قَوْلُ امْرِئٍ غَيْرِ كَاذِبِ

قال ابن هشام : أنشدني بيته : « وماء هريق » ، وبيته : « فبيعوا
الحراب » ، وقوله : « ولي امرئ فاختر » ، وقوله :

على القاذفات في رؤوس المناقب

أبو زيد الأنصاري وغيره .

حرب داحس :

قال ابن هشام : وأما قوله :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس

فحدثني أبو عبيدة النحوي : أن داحسا قَرَسَ كان لقيس بن زهير بن جذيمة
بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قُطَيْبَةَ بن عَبْسٍ بن بَغِيضٍ بن رَيْثِ
ابن غطفان ، أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جُوَيْبَةَ بن

لَوْذَانِ بْنِ تَمْلَبَةَ بْنِ عَدَى بْنِ قَزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَثَّانِ ،
يَقَالُ لَهَا : الْغَبْرَاءُ . فَدَسَّ حُذَيْفَةُ قَوْمًا وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَضْرِبُوا وَجْهَ دَاحِسٍ ، إِنْ
رَأَوْهُ قَدْ جَاءَ سَابِقًا ، فَجَاءَ دَاحِسٌ سَابِقًا ، فَضَرَبُوا وَجْهَهُ ، وَجَاءَتِ الْغَبْرَاءُ . فَلَمَّا
جَاءَ فَارِسُ دَاحِسٍ أَخْبَرَ قَيْسًا الْخَبَرَ ، فَوَثَبَ أَخُوهُ مَالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ ، فَلَطَمَ وَجْهَ
الْغَبْرَاءِ ، فَقَامَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ ، فَلَطَمَ مَالِكًا . ثُمَّ إِنْ أَبَا الْجُنَيْدِ الْعَبْسِيِّ لَقِيَ
عَوْفَ بْنَ حُذَيْفَةَ فَمَتَّلَهُ ، ثُمَّ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ بَنِي قَزَارَةَ مَالِكًا فَمَتَّلَهُ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ
بَدْرِ أَخُو حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ :

فَعَمَلْنَا بِعَوْفٍ مَالِكًا وَهُوَ تَارُّنًا فَإِنْ تَطَلَّبُوا مَنَاسُوِي الْحَقِّ تَنَدَمُوا

وهذا البيت في أبيات له . وقال الربيع بن زياد العبسي :

أَفْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو الذَّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

وهذا البيت في قصيدة له .

فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَبْسٍ وَقَزَارَةَ ، فَقَتَلَ حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ وَأَخُوهُ حَمَلُ
ابْنَ بَدْرِ ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ بِنَ جَدِّمَةِ يَرْتِي حُذَيْفَةَ ، وَجَزَعَ عَلَيْهِ :

كَمْ فَارِسٍ يُدْعَى وَلَيْسَ بِفَارِسٍ وَعَلَى الْهَمَاءَةِ فَارِسٌ ذُو مَصْدَقٍ
فَابْكُوا حُذَيْفَةَ لَنْ تُرَثَوْا مِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قِبَائِلٌ لَمْ تُخْلَقْ

وهذان البيتان في أبيات له . وقال قيس بن زهير :

عَلَى أَنْ أَلَهِيَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ وَبَنَى ، وَالظُّمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

وهذا البيت في أبيات له : وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير :

تركتُ على الهباءِ غيرَ فخرٍ حذيفةً عنده قصْدُ العوالي

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قيسٌ داحساً والغبراء ، وأرسل حذيفةً الخطارَ والحنفاءَ ، والأول أصحُّ الحديثين . وهو حديث طويل مَنعنى من استقصائه قطعُه حديثَ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرب حاطب

قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب حاطب » . فيعنى حاطب بن الحارث ابن قيس بن هَيْشَةَ بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ، فخرج إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج — وهو الذى يقال له : ابن فُسْحَم ، وفُسْحَم : أمه ، وهى امرأة من القَين بن جَسْر — ليلاً فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج فقتلوه ، ف وقعت الحرب بين الأوس والخزرج فانفتلوا قتالاً شديداً ، فكان الظفر للخزرج على الأوس ، وقتل يومئذٍ سُويد بن صامت بن خالد بن عطية ابن حَوْط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قتله المُجَذَّر بن ذِيَاد البلوى ، واسمه عبد الله ، حايف بنى عَوْف بن الخزرج . فلما كان يوم أحد

خرج المجذّر بن ذِيَّاد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخرج معه الحارث بن سُوَيْد بن صامت ، فوجد الحارثُ بن سُوَيْد غِرَّةً من المَجذّر فقتله بأبيه .
وسأذكر حديثه في موضعه - إن شاء الله تعالى - ثم كانت بينهم حروب منغى من ذكرها واستتماء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس .

حكيم بن أمية ينهى قومه عن عداوة الرسول

قال ابن إسحاق : وقال حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي ،
حايف بنى أمية وقد أسلم ، يورّع قومه عمّا أجمعوا عليه من عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفاً مطاعاً :

هل قائلٌ قولاً من الحقّ قاعدٌ	عليه، وهل غضبانٌ للرُّشد سامعٌ
وهل سيّدٌ ترجو العشيّة نفعه	لأقصى الموالى والأقارب جامعٌ
تبرأتُ إلا وجهه من يملك الصّبا	وأهجركم مادام مُدليّ ونازعٌ
وأُسلمٌ وخيبيّ الإله ومنطيقٌ	ولو راعني من الصّدّيق روائعٌ

موقف الوليد بن المغيرة من القرآنة :

وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله : فيما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - من الوحي والقرآن : قد سمعنا الشعر فما هو بهرّجِه ، ولا رَجَزَه .
والهَرَجُ من أعارِض الشعر معروفٌ عند العروضيين ، ولا أعْرِفُ له اشتقاقاً

إلا أن يكون من قولهم في وصف الذباب : هَزَجٌ ، أى : مُتَرَنِّمٌ ^(١) ، وأما الرَّجَزُ فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرجازة ، وهو شيء يعدل به الحمل ، وكذلك الرَّجَزُ في الشعر أشطار مُعَدَّلَةٌ ، ويجوز أن يكون من رَجَزَتِ الناقةُ إذا أصابتها رَعْدَةٌ عند قيامها ، كما قال الشاعر : حتى تقومَ تَكْلِفُ الرَّجْزَاءُ ^(٢) فالْمُرْتَجِزُ كأنه مُرْتَمِدٌّ عند إنشاده لِقَصْرِ الأبيات ^(٣) .

(١) في المعجم الوسيط : هزج يهزج فكهز هزجا يهزج أوله وثانيه : تغنى والهزج كل صوت فيه ترنم خفيف مطرب وصوت فيه بحج ، وصوت الرعد وصوت الذباب ، ونوع من بحور الشعر العربي والفارسي ، سمى بذلك لاقتراب أجزائه ، وهى : مغايعين ست مرات ، مجزوء وجوبا ، أى بأربع تنميلات ، كل اثنتين في شطرة

(٢) الممطرة في اللسان وفيه والرجزاء ، وفي الروض كانت الرجزاء بلا همزة .

وفي أمالي القالى ج ٢ ص ٢٨٠ والرجز أن يعد عجز البعير إذا أراد النهوض ، وأنشد :

تجد القيام كأنما هو نجدة حتى تقوم تكلف الرجزاء
وفي سمط اللالى شرح أمالى القالى للبكرى : وهو لآلى النجم ارتجله عند عبد الملك حين قال له : إنك لا تحسن القصيد ، فقال : إني لأحسنه ، فقال : فقل في هذه الجارية ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : شهشاء ، وكانت أدماء ، فقال :

علق الهوى بجبال الشعشاء والموت بعض جبال الأهواء
والنجدة الشجاعة والشدة ص ٩٢٤ .

(٣) الرجز : بحر من بحور الشعر ، وقد قال الحرثي لم يبلغنى أنه جرى على

وقوله : قد سمعنا الكهان ، فما هو بَزْمَزْمَةِ السكاهنِ ولا سَجْمَه : الزَمْزَمَةُ صوت ضعيف كنعنو ما كانت الفُرسُ تفعله عند شربها الماء ، ويقال أيضا : زَمْزَمَ الرَّغْدُ ، وهو صوت له قبل التَّهْدِيرِ ، وكذلك السكَّهَانُ ، كانت لهم زَمْزَمَةُ الله أعلم بكَيْفِيَّتَيْهَا ، وأما زَمْزَمَةُ الفُرسِ ، فكانت من أنوفهم .

وقول الوليد : إن أصله لَعْدَقٌ ، وإن قرَّعَه لَجَنَاءٌ . استعارة من النَّخْلَةِ التي ثَبَتَ أَصْلُهَا ، وقوى وطاب فرعها إذا جنى ^(١) ، والنخلة هي : الْعَدَقُ بفتح

== لسان النبي صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز لإلضربان : المنهوك والمشطور ولم يعدما الخليل شعرا ، فالمنهوك كقوله : في حديث رواه البخارى وأحمد ومسلم والنسائي ، :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
والمشطور كقوله ، في رواية جندب ، هو في البخارى ، .

هل أنت إلا لصبيح دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وقوله : أنا ابن عبد المطلب ليس افتخارا ، فقد كان يكره الانتساب إلى الآباء الكفار . ولكنه أشار إلى رؤيا رآها عبد المطلب كانت مشهورة عندهم ، رأى تصديقها ، فذكرهم إياها بهذا القول وانظر النهاية لابن الأثير ، والرجز مركب من مستغفلن ، ست مرات . والمشطور منه ما كان على ثلاث تفعليلات ، ويعتبر البيت في الوقت . نفسه شطرة فلا يحزأ به ذاك مثل :

رب أخ لي لم تلده أمي
والمنهوك ما بقى على تفعليلتين
مثل :

إلهنا ما أعد لك

ولم تكن العرب تعزف لهذه البحور هذه الأسماء .

(١) كل ما يحنى فهو جنى وجناة ، وفي حواشي أبي ذر : أى : فيه تمريجنى ، وفي ==

العين ، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ؛ لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ، ورواية ابن هشام : إن أصله لَغَدَقَ ، وهو الماء الكثير ، ومنه يقال : غَيَّدَقَ الرجلُ إذا كثر بصاقه ، وأحدُ أعمام النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يُسَمَّى : الْغَيَّدَاقَ لكثرة عطائه ، وَالْغَيَّدَقُ أيضا ولدُ الضَّبِّ ، وهو أكبر من الْحِجْلِ قاله قُطْرُبٌ في كتاب الأفعال والأسماء له (١) .

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَهَيْبًا :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول الله تعالى : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَهَيْدًا » الآيات التي نزلت في الوليد ، وفيها له تهديد ووعيد شديد ، لأن معنى : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ » أي دَعْنِي وإياه ، فسترى ما أصنع به ، كما قال : « فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بهذا الحديث » القلم : ٤٤ وهي كلمة بقولها المغتاض إذا اشتد غيظه وغيضه ، وكرهه أن يُشْفَعَ لمن اغتاض عليه ، فعنى الكلام : أي : لاشفاعة تنفع لهذا الكافر ، ولا استغفار يا محمد منك ، ولا من غيرك وقوله : « وبينين شهوداً » أي : مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه ، لأن ماله كان ممدوداً والمال الممدود عندهم : اثنا عشر ألف دينار ، فصاعداً « وَمَهَّدْتُ له تمهيداً »

==رواية البيهقي : « وإنه لمشر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، وما يعلى ، وإنه ليحطم ماتحته ، وفي رواية الحاكم : « وإنه لمنير أعلاه مشرق أسفله » وقد أخرج الحديث الحاكم وصححه عن ابن عباس ، وقريب منه ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى .

(١) انظر ص ٩٢ نوادر أبي زيد .

أى : هَيَّاتُ لَهُ ، وقدمت له مقدمات استندراجاً له ، وقوله تعالى : « سَأَرْهُقُهُ صَعُوداً » هى عَقَبَةٌ فى جهنم ، يقال لها : الصَّعُودُ مسيرُها سبعين سنةً ، يكلفُ الكافر أن يصمَّعَها ، فإذا صمَّعها بعد عذاب طويل صُبَّ من أعلاها ، ولا يتنفس ، ثم لا يزال كذلك أبداً ، كذلك جاء فى التفسير (١) .

وقوله سبحانه : « قَتَلْتُ كَيْفَ قَدَّرَ » أى : لئن كيفا كان تقديره فكيف ها هنا من حروف الشرط ، وقيل معنى قتل : أى هو : أهل أن يدعى عليه بالقتل ، وقد فسر ابن هشام : بَسَرُ وَالْبَسَرُ أيضاً : القهر ، والبسرُ حمل الفصل على الناقة قبل وقت الضراب . وفسر عِضِينَ ، وجعله من عَضَّيتِ أى فَرَّقَتْ ، وفى الحديث : « لَا تَمُضِيَّةٌ فى ميراث إلا ما احتمله الْقَسَمُ » ومعنى هذا الحديث موافقٌ لمذهب ابن القاسم ورأيه فى كل ما لا ينتفع به إذا قسم (٢) أو كان فيه ضرر على الشريكين ألا يقسم ، وهو خلاف رأى مالك ، وحجة مالك قول الله تعالى : « نِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا » النساء : ٧ . وقد قيل فى عِضِينَ إنه جمع عِضَّة ، وهى السَّحَرُ وأنشدوا :

(١) رواه أحمد والترمذى ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج ، وابن لهيعة ضعيف ، وأحسن ما قيل : هو تفسير مجاهد ، فقد قال فى تفسير : سأرهقه صعوداً : أى : مشقة من العذاب ، وقال قتادة : عذاب لراحة فيه واختاره ابن جرير . أو قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان .

(٢) مثل لهذا الذى يضار به الورثة : قسم الجوهرة أو الطيلسان وما أشبه . ولهذا يباع ويقسم ثمنه بين الورثة ، لأن التقسيم فيه ضرر كبير على كل الورثة . (م - ٦ الروض الانف ج ٣)

أعوذ بربي من اللافسات في عهد الماضي المضي

ومنه قولهم :

يا لاهضة (١) وبيا لأفيسكة [وبيا للبهيمة]

شرح لامية أبي طالميد ::

فصل :: وقد ذكر قصيدة أبنى طالميد إلى آخرها ، وفيها :: وبأبيض عَضِيد
من تراث المقلول .. قد شرحنا الأفيال والمقلول ، ، فيما تقدم ، ، وتراث أصله ::
وتراث من وراثت ، ، ولكن لا تبديل هذه الواو تاء ، إلا في مواضع محفوظة ، ،
وعلمها كثرة وجود التاء في تصريف الكلمة ، ، فالتراث مال قد نوو وراثت ، ،
ودوارثة قوم عن قوم ، ، فلتاء مستقلة في التورث والتوارث ، ، وكذلك تجاه
البيت ، التاء مستقلة في التوجه والتوجيه ، ، فلما ألغوها في تصريف الكلمة
لم ينسكروا قلب الواو إليها ، ، كما فعلوا في ريحان وهو من الرّوح لكثرة الياء

(١) كسرت اللام في ثلاث الكلمات على معنى : اعجب لهذا العضية الخ ، فإذا
فتحت فعناه الاستعانة ، ويقال ذلك عند التعجب من الإفك العظيم والريادة من
الاسان . وعنه بفتح الضاد وكـرها . وأعضه جاء بالعضية ، وعضه يعضه
بفتح الضاد . قال فيه ما لم يكن وفي البخاري عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال :
هم أهل الكتاب جزأه أجزاء ، آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ونسب إلى ابن عباس
أيضاً في غير البخاري أنه قال عن عضين : السحر . قال عكرمة : العض : السحر
بلسان قريش . ورأى ابن عباس الذي ذكره البخاري هو الأوفى

في تصاريف الكلمة ، كما قدمنا قبل ، وهي في تراث وبابه أبعد ؛ لأن الياء
المألوفة في مادة السكامة زائدة ، وياء ريمان ليست كذلك ، وكذلك التَّكَاءُ
من توكأت وتترى من التواتر ، والتَّوَلَّجَ من التَّوَلَّجَ والمُتَلَّج ، لأنهم
يقولون : اتَّلَجَ بالتشديد ، فتصير الواو تاء للإدغام ، حتى يقولوا : مُتَلَّج
فيجعلونها تاء دون الإدغام ، وهذا أشبه بقياس ريمان وبابه ؛ فإن التاء الأولى
من مُتَلَّج أصلية وهي في مُتَلَّج إذا ضُعِّت أصلية أيضاً ، فهي هي ، فقف على هذا
الأصل ؛ فإنه سر الباب (١) . وأراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا
ملوكا ، ولا كان فيهم من ملكٍ بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل :
هل كان في آباءه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي
ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابنُ ذي يزن لعبد المطلب
هباتٍ جَزَلَةً حين وفد عليه مع قریش ، يهنئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد
مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعامين .

وقوله : مُوسَمَةُ الأَعْضَادِ أو قَصْرَاتُهَا : يعنى [مُعَلَّمة] بِسَمَةِ فِي أَعْضَادِهَا^(٢) ،

(١) جاء في شرح الشافية للرضي : واعلم أن التاء قريبة من الواو في المخرج لكون
التاء من أصول الثنايا ، والواو من الشفتين ، ويجمعهما الهمس ، فتقع التاء بدلا منها
كثيرا ، لكنه مع ذلك غير مطرد إلا في باب افتعل نحو تراث وتولج وتترى
من الموازنة والتلج بضم التاء وفتح اللام وفرخ العقاب ، والتكأة وتقوى . وتوراة
عند البصريين فوعلة من وري الزند كتبوا تلج ، فإن كتاب الله نور ، وعند الكوفيين
هما تفعل وتفعّل ، والاول أولى لكون فوعل أكثر من تفعل ، ص ٨٠ > ٣ ومنه
تجاه ، وتكلان وتلاد ، وتيقور ، وتهمة وتوأم ، وتخمة وتلاد فأصلها : وجه ،
وكل وولاد ، ووقر ووهم ووأم ووخم وولاد وأصل توراة : ووراة .

(٢) موسمة الأعضاء : معلمة ، والسمة العلامة ، القصرات : أصول الاعناق
وزيادة معلمة التي وضعها بين قوسين يقتضيها السياق .

ويقال لذلك الوسم السَّطَاع والخِبَاط في الفخذ والرقمة أيضاً في العضد ، ويقال للوسم في الكشح : الكشاح ولما في قصرة العنق : العياط ، والعلطان والشعب أيضاً في العنق ، وهو كالمحجن ، وفي العنق وسم آخر أيضاً يقال له : قيد الفرس . قال الراجز :

كُومٌ على أعناقها قيدُ الفرسِ تنجو إذا الليل تدانى ، والتبس

ولوسوم الإبل أسماء كثيرة وباب طويل ، ذكر أبو عبيد أكثره في كتاب الإبل ، منها المشيطة والمفعاة والقرمة وهي في الأنف ، وكذلك الجرف والخطاف وهي في العنق ، والدلو والمشط والفرتاج والثؤنور والدَّمَاع في موضع الدمع ، والصداع في موضع الصدغ واللجام من الخلد إلى العين ، يقال منه : بعير ملجوم ، والهلال والحراش وهو من الصدغ إلى الذقن .

وقوله : أو قصراتها جمع قصرة ، وهي أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاء ، ولا يجوز أن تكون في موضع نصب كما تقول : هو ضارب الرجل وزيداً في باب اسم الفاعل ؛ لأن قوله : موصمة الأعضاء من باب الصفة المشبهة ، وهي لا تعمل إلا مضمرة ، واسم الفاعل يضم إذا عطف على المخفوض ، وذلك أن الصفة لا تعمل بالمعنى ، وإنما تعمل بشبه لفظي بينها ، وبين اسم الفاعل ، فإذا زال اللفظ ، ورجع إلى الإخمار لم تعمل ، وتخالف اسم الفاعل أيضاً ؛ لأن معمولها لا يتقدم عليها ، كما يتقدم المفعول على اسم الفاعل ، وذلك أن منصوبها فاعل في المعنى ، والفاعل لا يتقدم ، والصفة

لا يُفصل بينها وبين منصوبها بالظرف ، ويجوز ذلك في اسم الفاعل ، والصفة لا تعمل إلا بمعنى الحال ، واسمُ الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال ، نعم ويعمل بمعنى الماضي إذا دخلت عليه الألف واللام ، ولوروى : موسمة الأعضاء بنصب الدال على معنى : موسمة الأعضاء بالتثنية ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، لجاز كما روى في شعر حُندج^(١) :

كَبِكْرٍ مُقَانَاةٍ الْبِيَاضُ

(١) في الأصل : جتدح ، ومقناة التي ستأتي في الشطرة ، وهما خطأ ، والصواب ما أثبتته ، وجاء صواب مقناة في موضع آخر من الروض . وحندج هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلي ، والشعر من معلقته المشهورة ، والرواية في المعلقة ، وفي اللسان هكذا .

كَبِكْرٍ الْمُقَانَاةِ الْبِيَاضُ بِصَفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرَ الْمَاءِ غَيْرَ مَحْلٍ

البكر من كل صنف مالم يسبقه مثله . والمقناة : الخلط ، والمقناة — كما يقول الزوزني — مصوغة للفعل دون المصدر ، وفي اللسان : في شرح كبكر الخ . . . أى : كالبيضه التي هي أول بيضة باضتها النعامة التي قوت بياضها بصفرة ، أى : خلط بياضها بصفرة . . . فترك الألف واللام من البكر ، وأضاف البكر إلى نعمتها . وفي اللسان له معنى آخر : . . . أراد : كبكر الصدفة المقناة البياض بصفرة ؛ لأن في الصدفة لونين من بياض وصفرة أضاف الدرة إليها ، وبكر الصدفة درتها التي لم ير مثلها . شبهها في صفاء اللون ونقاؤه بدرة فريدة تضمنتها صدفة بياض شابت بياضها صفرة ، ويقول الزوزني : يروى البيت بنصب البياض وخفضه ، وهما جيدان بمنزلة قولهم زيد الحسن الوجه ، والحسن الوجه خفض على الإضافة والنصب على التشبيه كقولهم : زيد الضارب الرجل ، ص ١٥ وما بعدهما لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ط ١٢٨٨ واللسان مادة قنا . هذا ورواية مقناة مقترنة بالألف واللام لاتأني بالتثنية . وقد جاء تصويب مقناة في مكان آخر بمقناة .

بالنصب وبالرفع أيضاً ، أى : البياض منها على نية التنوين فى مقاناة ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، وأما الخفض فلا خفاء به ، وإذا كانت القصصات مخفوضةً بالمطف على الأعضاد ، ففيه شاهد لمن قال : هو حسن وجهه كما روى سيبويه حين أنشد :

كَمَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا (١)

(١) أنشده سيبويه فى الكتاب ص ١٠٢ ط ١٣١٦ فى بيتين للشماخ ابن ضرار من قصيدة تبلغ أكثر من عشرين بيتا ، والبيتان اللذان أنشدهما سيبويه

أَمِنْ دَمْنَتَيْنِ عَرَسَ الرُّكْبَ فِيهِمَا بِحَقْلِ الرِّخَامَى قَدْ عَنَّا طَلَاهُمَا
أَقَامَتْ عَلَى رُبْعِيهِمَا جَارَتَا صَفَا كَمَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا

وتروى الشطرة الثانية من البيت الاول : « قد أنى لبلاهما » وفى الشعر شاهد على أن الصفة المشبهة قد تضاف إلى ظاهر مضاف إلى ضمير صاحبها . والدمنة : الموضع الذى أثر الناس فيه بنزولهم وإقامتهم ، وعرس : نزل آخر الليل قليلا للاستراحة ، والركب : جمع راكب والطلل : ما بقى من آثار الدار ، والرخامى : شجر مثل الضال ، وهو السدر البرى . والبلى : الفناء ، وأنى : حان . والرابع : الدار والمنزل ، والضمير فى رباعيها للدمنتين خلافا للمرتضى الذى يزعم فى أماليه أنه لامرأتين سيأتى ذكرهما ، ولم يتقدم . والصفاء : الجبل . وجاراتاه : اثنتان . أى حيران للقدر — مقطوعتان من الجبل ، وتقربان منه ، فيكون هو ثالثة الاثلاث . وكميتا الاعالى : صفة جارتا صفا ، وكميتا مثن : كميت بالتصغير من الكمئة ، وهى الحجرة الشديدة المائلة إلى السواد ، الاعالى : اعلى الجارتين شبه أعلاهما بلون الكميت ؛ لأن النار لم تصل إليه ففسوده ، وجونتا مصطلاهما —

وفي حديث أم زرع : صَفَرُ رَدَائِهَا ، وَمِلءُ كَسَائِهَا (١) مثل حَسَنَةُ وَجْهِهَا ،

== صفة أخرى لجارتنا صفا ، والجونة : السوداء ، وهو صفة مشبهة ، والمصطلى اسم مكان الصلاة ، أى : الاحتراق بالنار ، فيكون المصطلى موضع إحراق النار . يريد إن أسافل الأثافي ، الأثافي هي أرجل القدر الذى يطبخ عليه ، قد اسودت من إبقاد النار بينها . . . كل هذا فى وصف القدر الذى كان للأحبة بجوار الجبل يوقدون فيه النار . ومحل الشاهد فى قوله : جَوْنَتَا مَصْطَلَاهَا . فإنه أضاف جَوْنَتَا إلى مَصْطَلَاهَا ، فجَوْنَتَا بمنزلة : حَسَنَتَا ، ومَصْطَلَاهَا بمنزلة . وَجْهَهُمَا ، والضمير الذى فى مَصْطَلَاهَا يعود على قوله : جارتنا صفا ، وفى خزانة الأدب للبغدادى تفصيل لما دار حول هذا البيت الذى استشهد به سيبويه ، أقامت على ربيعهما ، الخ فى قرابة عشر صفحات من ٢١٩ إلى ٢٢٨ > ٤ ط السلفية ، وانظر كتاب سيبويه ص ١٠٢ > ١ ، والامالى للبرأتى > ٣ ص ١١٨ والأشمونى مع حاشية الصبان > ٣ ص ١٠ ط ١٣٠٥ .

(١) حديث أم زرع أخرجه البخارى ومسلم والزمذى فى الشئائل والطبرانى وأبو يعلى وغيرهم ، وفيه تتحدث عائشة - رضى الله عنها - عن إحدى عشرة امرأة من أهل اليمن تعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ، ثم مضت تقص عائشة ما قالته كل زوجة حتى الحادية عشرة التى قالت : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ . . . ثم مضت هذه فى ثنائها العظيم على زوجها وأهله حتى بلغت ذكر ابنة أبى زرع ، فقالت عنها : طوع أبيها ، وطوع أمها ، وزين أهلها ونسائها ، وملء كسائها ، وصفر رداؤها ، وغيظ جارتها ، ثم تحم عائشة رضى الله عنها قصة أم زرع بأن زوجها طلقها ، فنسكت بعده رجلا سرا تقول عنه أم زرع : لو جمعت كل شئ أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع ، قالت عائشة : فقال لى رسول الله ص ، كنت لك كَأَنى زرع لأم زرع ، إلا أنه طلقها ، وإنى لا أطلقك ، فقالت عائشة : . . . بآى أنت وأمى ، لانت خير لى من أبى زرع لأم زرع والمقصود من صفر رداؤها أنها ضامرة البطن ، فكان رداؤها صفرا أى خاليا لشدة ضمور بطنها ، والرداء يفتى إلى البطن ، فيقع عليه .

وفي الأمل من صفة النبي صلى الله عليه وسلم : شَتْنُ الكَفَيْنِ (١) طَوِيلُ
أَصَابِعِهِ ، أَعْنَى : مثل صِفَرِ رَدَائِهَا .

وقوله : ترى الودع فيه . الودع ، والودع بالسكون والفتح : خروا
تنظم ، ويتحلى بها النساء والصبيان كما قال :

[السُّنُّ مِنْ جَلَنَزِيرٍ عَوَزَمَ خَلْقِي]
وَالْحِلْمُ حِلْمُ صَبِي يَمْرُوسَ (٢) الودع

وقال الشاعر :

إن الرِّوَاةَ بلا فَنَهِمٍ لما حفظوا مثل الجمال عليها يُحْمَلُ الودعُ
لا الودعُ ينفعه حملُ الجمال له ولا الجمالُ بحمل الودع تنفع

ويقال : إن هذه الخرزات يقذفها البحر ، وأنها حيوان في جوف البحر ،
فإذا قذفها ماتت ، ولها بريق ولون حسن ، وتصلب صلابة الحجر ، فتنقب ،
ويتخذ منها القلائد ، واسمها مشتق من ودعته أى : تركته ، لأن البحر يفضب

(١) ورد أنه شتن الكفين والقدمين في أحاديث بعضها رواه البخاري
والترمذي ، والمعنى أن كفيه وقدميه يميلان إلى الغلط والقصر ، وقيل : هو الذي
في أنامله غلط بلا قصر . وهذا في الرجل لأنه أشد لقبضته ، ويذم في النساء
وفي حديث المغيرة : شتنة الكف . أى غليظته ،

(٢) يلوكة ويمصه والبیت فی الاصمعیات لرجل من تمیم

عنها ويدعها ، فهي ودع مثل قبض ونفض ^(١) ، وإذا قلت الودع بالسكون فهي من باب ما سى بالمصدر .

وقوله : والرُخام أى : ما قطع من الرُخام ، فنظم وهو حجر أبيض ناصع : والمناكل : أراد المناكيل ^(٢) ، لحذف الياء ضرورة كما قال ابن مضاض : وفيها العصافر ، أراد : العصافير ، وفي أول القصيدة : وقد حالفوا قوماً علينا أظنّة [جمع ظنّين ^(٣)] أى مُتهم ، ولو كان بالضاد مع قوله : علينا ، لمادر معناه مدحاً لهم ، كأنه قال : أشجّة علينا ، كما أنشد عمرو بن بحر [الجاحظ] :

لو كنت فى قوم عليك أشجّة عليك ألا إن من طاح طائح
يودون لو خاطوا عليك جلودهم

وهل يدفع الموت النفوس الشجائح ^(٤) .

(١) القبض بمعنى : مقبوض . النفض بفتح وسكون : مصدر نفضت الثوب والشجرة وبالتحريك ما تساقط من الورق والثر والنفض بقاء ساكنة مع كسر النون : خرم النحل فى العسالة أو مامات منه فيها . أو هو بالقاف وبالتحريك : ما سقط من الورق والثر وحب العنب حين يوجد بعضه فى بعض .

(٢) المناكل : جمع عسكال ، وعشكول : الأغصان التى ينبت عليها الثمر الخشنى .

(٣) زيادة ليست فى الأصل والسابق يقتضيها .

(٤) البيتان فى البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص ٥٠ هـ ط ١٩٤٨ والبيت الأول يروى هكذا . .

لقد كنت فى قوم عليك أشجّة بنفسك لولا أن من طاح طائح
وما للأغر ، والأغر لقب لشاعرين من بنى يشكر بن وائل .

وفيها :

وَنُورٍ وَمِنْ أَرْسَى ثَمِيرًا مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِبَرْقٍ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

نور : جبل بمكة ، وثمير : جبل من جبالها ذكروا أن ثميرا كان رجلا من هذيل مات في ذلك الجبل ، فعرف الجبل به ، كما عرف أبو قبيس بقبيس بن شالح رجل من جُرهم ، كان قد وشى بين عمرو بن مُضاض ، وبين ابنة عمه مَيَّة ، فنذرت ألا تسلمه ، وكان شديد الكلف بها ، خلف ليقتلن قبيسا ، فهرب منه في الجبل المعروف به ، وانقطع خبره فإمّات ، وإما تردى منه ، فسمى الجبل : أبا قبيس^(١) وهو خبر طويل ذكره ابن هشام في غير هذا الكتاب .

وقوله : وراق لبرق قد تقدم القول فيه ، وأصح الروايتين فيه : وراق لبرق في حراء ونازل^(٢) . قال البرقي : هكذا رواه ابن إسحاق وغيره ، وهو الصواب . قال المؤلف : فالوهم فيه إذا من ابن هشام ، أو من البكائي . والله أعلم .

وقوله : وبالحجر الأسود ، فيه زحاف^(٣) يسمى : الكف ، وهو حذف

(١) في القاموس : سمى برجل من مذحج حداد لأنه أول من بنى فيه :

(٢) وفي رواية : وعير وراق في حراء ونازل .. وعير : اسم جبل .

(٣) في السيرة : المسود . فلا يكون زحاف الكف

النون من مفاعيلين^(١) وهو بعد الواو من الأسود ونحوه قول خُنْدُج :

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُمْ صَالِحٌ^(٢)

وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك .

وقوله : إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل . الأصائل : جمع أصيلة ، والأصل جمع أصيل ، وذلك أن فعائل جمع فعيلة ، والأصيلة : لغة معروفة في الأصيل ، وظن بعضهم أن أصائل : جمع آصال على وزن أفعال ، وآصال : جمع أصل ونحو أطناب وطمنب ، وأصل : جمع أصيل مثل رُغْفٍ : جمع رغيف ، فأصائل على قولهم : بَجَعُ بَجَعِ الْجَمْعِ ، وهذا خطأ بين من وجوه ، منها : أن جمع جمع الجمع لم يوجد قط في الكلام ، فيكون هذا نظيره ، وعن جهة القياس إذ كانوا لا يجمعون الجمع الذي ليس لأدنى العدد ، فأخرى ألا يجمعوا جمع الجمع ، وأبين خطأ في هذا القول غفلتهم عن المهمة التي هي فاء الفعل التي في أصيل وأصل ، وكذلك هي فاء الفعل في أصائل ، لأنها فعائل ، وتوهوها زائدة كالتى في أقاويل ، ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعل ، وإنما هي عينه ، كما هي في أصيل وأصل ، فلو كانت أصائل جمع آصال ، مثل أفوال

(١) من تفعيلات البحر الطويل وهي : فعولن مفاعيلن . أربع درجات للبيت الواحد .

(٢) هو من معلقته ، وشطرته الأخرى : ولاسيما يوم بدارة جملج . وللشطرة الأولى رواية لم يدخلها زحاف الكف ، وهي : ألا رب يوم كان منهم صالح . ودارة جملج : غدبر بعينه .

وأقاول لا جتمعت همزة الجمع مع همزة الأصل ولقالوا فيه : أواصيل بتسهيل
الهمزة الثانية ، ووجه آخر من الخطأ بين أيضاً ، وهو أن أقاعيل جمع أفعال ،
لا بُدَّ من ياءٍ قبل آخره ، كما قالوا في أقاول ، فكان يكون أواصيل ،
وليس في أصائل حرف مدٍّ ولينٍ قبل آخره إنما هي همزة فعائل ، ومن الخطأ
في قولهم أيضاً : أن جعلوا أصلاً جمعاً كثيراً مثل رُغف ، ثم زعموا أن أصالا
جمعٌ له ، فهم بمنزلة من قال في رُغف جمع أرغاف ، فإن قيل : لجمع أى شيء
هي أصال ؟ قلنا : جمع أصل الذى هو اسم مُفرد فى معنى الأصائل لا جمع
أصل الذى هو جمع ، فإن قيل : فهل يقال أصلٌ واحد ، كما يقال أصيلٌ واحد ؟
قلنا : قد قال بعض أرباب اللغة ذلك ، واستشهدوا بقول الأعشى :

يوماً بأطيب منها نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذدنا الأصل^(١)

أى : دنا الأصيل ، فإن صح أن الأصل بمعنى الأصيل ، وإلا فأصل جمع
أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طوى^(٢) وأطواء ، ولا أعرف أحداً
قال هذا القول ، أعنى : بجمع الجمع غير الزجاجي وابن عزيز .

(١) قصيدة أولها : ودع هريرة إن الركب مرتعل ، ومنها قبل هذا البيت ،

ماروضة من رياض الحزية معشبة خضراء جاد عليها مسبل مطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم الثبت مكتمل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذدنا الأصل

(٢) الطوى كغنى : البئر .

وقوله : وموطى* إبراهيم في الصخر رطبة . يعنى موضع قدميه حين غسلت كَنَّتُهُ (١) رأسه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليُغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها في أن يطالع رَزَّ كَنَّتِهِ (٢) بمكة ، خلف لها أنه لا ينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحال غَيْرَةٌ من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آية . قال الله سبحانه : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ آل عمران : ٩٧ أى : منها مقام إبراهيم ، ومن جعل مقاماً بدلاً من آيات ، قال : المَقَامُ جمع مقامة ، وقيل : بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه (٣) .

وقوله : بين المَرَوَتَيْنِ : هو كنجو ما تقدم في بطن المسكتين والحَمَتَيْنِ

(١) الكنيت بفتح فكسر : سقاء مسيك - بكسر فسین مشددة مكسورة - كثير الأخذ للماء والكنة : امرأة الابن يعنى امرأة إسماعيل

(٢) بسكون الراء وفتح التاء بيض النعام يريد به ولده إسماعيل وأمه هاجر ولو روى بكسر الراء لكان من التركة ، وهى الشئ المتروك .

(٣) روى عن ابن عباس أن المقام هو الحرم كله . أو الحج كله ، وعن سعيد بن جبیر : الحجر مقام إبراهيم ، فسكان يقوم عليه ، ويتناوله إسماعيل الحجاره ، ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلفت رجلاه ، واختار ابن كثير أنه الحجر الذى كان لإبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ، ويتناوله الحجاره ، فيضعها بيده لرفع الجدار . وكلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التى تليها ، وكان هذا المقام ملصقاً بجدار الكعبة قديماً ، ومكانه اليوم معروف .

وَعُنْزَيْنِ ، مما ورد مُثْنًى من أسماء المواضع ، وهو واحد في الحقيقة ، وذكرنا
العلة في مجيئه مثنى ومجموعاً في الشعر . وفيها قوله :

وَبِالشَّعْرِ الْأَقْصَى إِذَا قَصَدُوا لَهُ إِلَّا لَأَ

البيت . فالشعر الأقصى : عَرَفَةُ ، وألأ : جبل عَرَفَةُ . قال النابغة :
يَرْزُنَ إِلَّا لَأَ سَيْرُهُنَّ التَّدَاغُ (١)

وسمى : إِلَّا لَأَ لأن الجميع إذا رأوه ألأوا في السير أى : اجتهدوا فيه ؛
ليدركوا الموقف قال الراجز :

مُهَرَّ أَبَى الْخُبْحَابِ لَا تَشَلَّى بَارَكَ فَيْكَ اللَّهُ مِنْ ذَى أَلْ (٢)

والشَّراج : جمع شَرْج ، وهو مسيل الماء ، والقوابِلُ : المتقابلة . وفيها
قوله : وَحَطَمِهِمْ سُمُرُ الصَّفَاحِ : جمع صَفْح ، وهو سَطْحُ الجبل ، والسُّمُرُ
يجوز أن يكون أراد به السُّمُرُ ، يقال فيه : سُمُرٌ وَسُمُرٌ بسكون الميم ، ويجوز نقل
ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين ، كما قالوا فى حَسَنَ : حُسْنٌ ، وكذا وقع
فى الأصل بضم السين ، غير أن هذا النَّقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح أو الذم

(١) شطرة البيت الأولى : « بمصطحبات من لصاص وثيرة ، وفى المراسد :
إلال : جبل بعرفات . قيل جبل رمل بعرفات عليه يقوم الإمام ، وقيل عن يمين
الإمام ، وقيل : هو جبل عرفة نفسه . وفى البكرى قريب مما ذكر المراسد .
وقد يقال عنه الإلال ، وإلال كسحاب أو كبلال .

(٢) البيت لآبى الخضر اليربوعى يمدح عبد الملك بن مروان ، وكان أجرى
مهرا ، فسبق . وانظر ص ٢٣ لإصلاح المنطق لابن السكيت .

نحو حَسَنَ وَيُفْنِحَ ، كما قال : وَحُسْنٌ ذَا أَدْبَا . أَيْ حَسُنَ ذَا أَدْبَا (١١) ، وجائز أن يراد بالشمس ههنا جمع : أَسْمَرٌ وَسَمْرَاءٌ وَيَكُونُ وصفاً للنبات ، والشجر كما يوصف بالذخيرة إذا كان مُخَضَّرًا ، وفي المنزول : (مُذْهِمًا لِمَنْ فِي الرِّحْلِ) : ٢٤٤ .
أَيْ :: خضراوان إلى السوراد ..

وقوله : وَشَبْرَقَةٌ .. وهو نبات يقال لنباتاته : الشَّوْبَقُ ، وبالطبعة : الشَّبْرَقُ ..

(١١) يقول الجوهري : نقول : قد حسن الشيء .. وإن شئت خففت الضمة ، فقلت : حسن الشيء يسكون السين ، ولا يجوز أن تنقل الضمة إلى الحاء .. لأنه خبر . وإنما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح والذم لأنه يشبه في جواز النقل بنعم وبئس ، وذلك أن الأصل فيها : نعم وبئس .. قل سهم يربى حظلة الغنوى :

لم يمنع اللسان منى ما أردت ، وما أعطيهم ما أرادوا حسن ذَا أَدْبَا
أَيْ حسن هذا أَدْبَا ، فضعف ، ونقله اللسان ، في مادة حسن وقال ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ٤١ : ويقال عظم بضم - الظاء - البطن بطنك - وعظم يسكون الظاء - البطن بطنك بتخفيف الضمة ، ويقال عظم - بضم العين وسكون الظاء - البطن بطنك ، يخففون ضمة الظاء ، وينقلونها إلى العين ، وإنما يكون النقل فيما يكون مدحا أو ذما ، فإذا لم يكن مدحا ولا ذما ، كان الضم والتخفيف ، ولم يكن النقل ، تقول : حسن الوجه - بضم السين - وجهك ، وحسن بفتح الحاء يسكون السين الوجه وجهك : وحسن بضم الحاء وسكون السين الوجه وجهك وقد حسن يسكون السين وجهك وفتح الحاء ، وحسن بضم السين وجهك قال : حسن على أن يكون على مذهب نعم وبئس ، نقل وسطه إلى أوله ، وما لم يحسن لم ينقل ، وقد حسن وجهك لا تنقل ضمة السين إلى الحاء وقد فصل هذا أيضا التبريري في تهذيب إصلاح المنطق ص ٥٤ ط أولى ، ثم قال =

وقوله : نبذى محمداً^(١) أى نسلبه ونُغلب عليه .

وقوله : نهوض الرّوايا . هى الإبل تحمل الماء واحداً منها : راوية ، والأسقية أيضاً يقال لها : روايا ، وأصل هذا الجمع : رَوَاوى ثم يصير فى القياس : رَوَاوى مثل حوائل جمع : حول ، ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ما قدموا الياء قبلها ، وصار وزنه : فوالع ، وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين ، واو فوالع ، الواو التى هى عين الفعل ، ووجه آخر ، وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة فى الجمع لوقوع الألف بين واوين ، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء ، كما فعلوا فى خطايا وبابه ، مما الهمزة فيه معترضة فى الجمع ، والصّلاصل . المزايدات لها صلة بالماء^(٢) ،

وفى قولها : غير ذَرَبٍ مواكل . وهو مخفف من ذَرَبٍ والذَرَبُ : اللسان الفاحش المنطقى ، والمواكل الذى لا يجد عنده فهو بكل أموره إلى غيره .

— فى شرح هذا البيت : « يريد أنه يقهر الناس ، فيمنعهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه ما يريد منهم لعزه ، وجعله أدبا حسنا ، وقال أبو العلاء فى معنى هذا البيت : كان ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ، ولا يعطيهم ، وهو صواب ، وذو فاعل حسن ، وأدبا منصوب على التمييز ، وأراد حسن ، فخفف ، ونقل ، لأن هذا مذهب التعجب

(١) فى السيرة والروض يبنى بالذال وهو خطأ والصواب نبزى أى نسلب ونُغلب عليه — كما شرح الحشنى وصاحب الروض — وقد رواه اللسان فى مادة : يبزى على البناء للفعول ورفع محمد . ونقل عن شمر أن معناه : يقهر ويستذل ، وأنه من باب ضررته وأضررت به . . وأراد : لا يبزى ، فحذف لام من جواب القسم ، وهى مرادة ، أى لا يقهر ، ولم نقاتل عنه وندافع

(٢) فى شرح السيرة للحشنى : الصلاصل : جمع صلة . وهى بقية الماء .

وفيها قوله : ثَمَالُ الْيَتَامَى ، أَى : يَتَمُّهُمْ ، ويقوم بهم ، يقال : هو ثَمَالُ مَالِ أَى يَقُومُ بِهِ .

وفيها : قوله لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلٍ . الشَّاءُ وَالشَّوَى : اسم للجمع مثل الْبَاقِرِ وَالْبَقِيرِ ، وَلَا وَاحِدَ لَشَاءٍ ، وَالشَّوَى مِنْ لَفْظِهِ ، وَإِذَا قَالُوا فِي الْوَاحِدِ : شَاءَ ، فَلَيْسَ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنَّ لَامَ النِّعْلِ فِي شَاءَ هَاءٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ فِي التَّصْغِيرِ : شَوِيهَةٌ ، وَفِي الْجَمْعِ شِيَاهٌ ، وَالْجَامِلُ ^(١) اسم جمع بمنزلة الْبَاقِرِ .

وقوله : وَكُنْتُمْ زَمَانًا ^(٢) حَطَبَ قِدْرِ : حَطَبَ اسم للجمع مثل رَكَبَ ، وَلَيْسَ بِجَمْعٍ ، لِأَنَّكَ تَقُولُ فِي تَصْغِيرِهِ : حُطِيبٌ وَرُكَيْبٌ .

وقوله : حِطَابُ أَقْدَرٍ : هُوَ جَمْعُ حَاطَبٍ فَلَا يُصَغَّرُ ، إِلَّا أَنْ تَرُدَّهُ إِلَى الْوَاحِدِ ، فَتَقُولُ : حَوِيطَبُونَ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَى : كُنْتُمْ مُتَّفَقِينَ لَا تَحْطَبُونَ إِلَّا لِقَدْرِ وَاحِدَةٍ ، فَأَنْتُمْ الْآنَ بِخِلَافِ ذَلِكَ .

وفيها قوله : مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبٍ ، فَمَجَادِلٍ . أَرَادَ الْأَخْشَبَ ، وَهِيَ جِبَالُ مَكَّةَ ^(٣) ، وَجَاءَ بِهِ عَلَى أَخْشَبَ ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى أَجْبَلٍ ، مَعَ أَنَّ الْأَسْمَ

(١) فِي الْقَامُوسِ أَنَّ جَامِلَ جَمْعٍ جَمْلٌ .

(٢) فِي السَّيْرَةِ : وَكُنْتُمْ حَدِيثًا

(٣) هِيَ أَرْبَعَةُ أَخْشَبٍ ، فَأَخْشَبَا مَكَّةَ : جِبَلَاهَا ، وَأَخْشَبَا الْمَدِينَةَ : حَرَّتَاهَا الْمُسَكَّنَتَانِ لَهَا ، وَهِيَ لَا بَتَاهَا ، وَأَخْشَبُ الصَّانِ فِي مَحَلَّةِ بَنِي تَيْمٍ ، وَيُرْوَى : أَخْشَبُ عَلَى أَنَّهَا مُفْرَدٌ

قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك ، والمَجَادِل : جمع مجادل وهو : القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة ، فقصور الشام أو العراق ، والفاء من قوله : فمجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو ، كقوله بين الدَّخُولِ فَحَوَّمل ، وتقول : مُطِرْنَا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا إلى هذه ، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى .

وقوله : أُولِي جَدَلٍ من الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ يُروى بالجيم وبالحاء . فمن رواه بالجيم فهو من الْمُسَاجِلَةِ في القول ، وأصله في استقاء الماء بالسَّجَل ، وصَبَّه فسكَّانه جمع مَسَاجِلِ على تقدير حذف الألف الزائدة . من مفاعل ، أو جمع مَسْجَلٍ بكسر الميم ، وهو من نعت الخصوم ، ومن رواه المساحِلِ بالحاء ، فهو جمع مَسْجَلٍ وهو اللسان ، وليس بصفة للخصوم ، إنما هو مخفوض بالإضافة ، أى : خصماء الألسنة ، وقال ابن أحرر : مَنْ خَطِيبٌ إِذَا مَا انْحَلَّ مَسْجَلُهُ ^(١)

أى : لسانه وهو أيضاً من السَّجَلِ وهو الصَّبُّ ، ومنه حديث أيوب حين فرج عنه ، فجاءت سحابة فسَحَلَتْ في بَيْدَرِهِ ذهباً ، وجاءت أخرى فسَحَلَتْ في البيدرِ الآخرِ فضة ^(٢) .

(١) روايته في اللسان :

ومن خطيب إذا ما انساح مسجله مفرج القول ميسورا ومعسورا .
ومن معانى مسجل أيضاً : الخطيب الماضي وغير هذا .

(٢) البيدر : الجرن أو القمع ونحوه بعد دياسه . ويقول الحافظ في الفتح =

فصل : وفيها :

لَقَدْ سَفَّهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَالَوْا بَنِي خَلْفٍ قَيْضًا بَنًا وَالْغِيَا طِل

قَيْضًا أَى : معاوضة ، ومنه قول النبي عليه السلام لذي الجوشن (١) :
إِنْ شِئْتُ قَايَضْتُكَ بِهِ الْخِتَارَ مِنْ دُرُوعٍ بَدْرٍ ، فقال : مَا كُنْتُ لِأَقِيضَهُ

== ولم يثبت عند البخارى فى قصة أيوب شىء سوى : «وبنا أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل يحثى فى ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لاغنى لى عن بركتك ، . ومساءله السحابة عند ابن أبى حاتم وابن جريج وابن حبان والحاكم ، ولكنها لا تخلو من غرابة ونكارة ، أقول : ويجب أن نقف عند الذى ذكره القرآن ، وما صح صحة قوية عن رسول الله «ص» ، حتى لا نرجم بالغيب فى قصص النبيين التى وصلت زياداتها إلينا عن طريق أسفار اليهود ، وأسنة اليهود التى نافقت بكلمة الوحيد ، وخدع بها الكثير من ذوى القلوب الصافية

(١) أصل الجوشن : الصدر والدرع ، قال أبو السعادات ابن الأثير : يقال لأنه لقب ذا الجوشن ، لأنه دخل على كسرى ، فأعطاه جوشنا ، فلبسه فكان أول عربى لبسه ، وقال غيره : لأن صدره كان نائثا ، وفى القاموس مثله ، واختلف فى اسمه فقيل اسمه : أوس بن الأعور ، وقيل : شرحبيل - وهو الأشهر - بن الأعور بن عمرو ابن معاوية ، وينتهى إلى عامر بن صعصعة . وقيل : عثمان بن نوفل . وفى القاموس : شرحبيل بن قرط الأعور . ويقول ابن حجر فى الإصابة له حديث عند أبى داود من طريق أبى إسحاق عنه ، ويقال : إنه لم يسمع منه ، وإنما سمعه من ولده شمر . وفى ذخائر المواريث أن حديثه هذا هو الذى ذكره السهيلي : «وأيتت النبى «ص» بعد أن فرغ من أهل بدر بأبن فرس لى يقال لها الترحاء ، وذكر أن أبا دارن رواه فى الجهاد عن مسدد .

اليوم بشيء يعنى : قرَسًا له ، يقال له : ابن القرَحَاء . وقال أبو الشَّيْص (١) :

لا تنكرى صدًى ولا إعراضى ليس المَقِيلُ عن الزمان براض
بدلت من بُردِ الشباب مُلاءةً خلَقًا ، وبئس مَثُوبَةُ الْمُتَمَتَّاضِ

والغياطل : بنو سهم ، لأن أهمهم الغَيْطَلَةُ ، وقد تقدم نسبها ، وقيل :
إن بنى سهم سُموا بالغياطل ، لأن رجلا منهم قتل جانا طاف بالبيت سَبْعًا ، ثم
خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكة ، حتى فزعوا من شدة الظلمة التي
أصابتهم (٢) ، والغَيْطَلَةُ : الظلمة الشديدة ، والغَيْطَلَةُ أيضا : الشجر الملتف ،
والغَيْطَلَةُ : اختلاط الأصوات ، والغيطلة : البقرة الوحشية ، والغيطلة : غلبة
النعاس ، وقوله : يُخَسُّ شعيرةً ، أى : ينقص ، والخُسَيْسُ : الناقص من كل
شئ ، ويروى في غير السيرة : يُخَصُّ بالصاد والحاء مهملةً من حصَّ الشَّهر :

(١) هو محمد بن رزين ، أو ابن عبد الله بن رزين ، وأبو الشَّيْص : لقب غلب
عليه ، والشَّيْص : ردى التمر ، وكان من شعراء الرشيد ، فأخمل أبو نواس ومسلم
ابن الوليد ذكره ، ومن قصيدته هذه :

ولقد أقول لشيبة أبصرتها فى مفرقى ، فنحنها إعراضى
عنى إليك ، فلدست منتها ، ولو عممت منك مفارقى بياض
هل لى سوى عشرين عاما قد مضت مع ستة فى إثرهن مواضى
ولقلما أرتاع منك . ولأنى فيما هويت وإن وزعت لماض
فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى وعلى أن ألقاك بالمقراض
انظر ص ٣٢٧ سمط الآلى ، ونكت الهميان : « كان أبو الشَّيْص أعمى ،
وص ١٢٣ - ٣ الأيان للجاحظ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون
(٢) أسطورة

إذا أذهب^(١) . وقوله : من كل طِمْلٍ وخاملٍ : الطِّمْلُ : اللص ، كذا وجدته في كتاب أبي بحر ، وفي العين : الطِّمْلُ الرجل الفاحش ، والطِّمْل والطِّمْلَالُ : الفقير ، والطِّمْلُ : الذئب^(٢) . وقوله : لِمَحَّةٍ غَيْرِ بَاهِلٍ : الباهل : الناقة التي لا صِرَارَ على أخلافها ، فهي مباحة الخلب يقال : ناقة مَصْرُورَة ، إذا كان على خلفها صِرار يمنع الفصيل من أن يرضع ، وليست المَصْرَأة من هذا المعنى ، إنما هي التي تُجمع لبنها في صَرْعِهَا ، فهو من الماء الصَّرَى^(٣) ، وقد غلط أبو علي في البارع ، فجعل المَصْرَأة بمعنى المَصْرُورَة ، وله وجه بعيد ، وذلك أن يُحتَجَّجَ له بقلب إحدى الرائيين ياءً مثل : قَصَّيْتُ أَطْفَارِي ، غير أنه بعيد في المعنى ، وقالت امرأة الغيرة تعاتب زوجها ، وتذكر أنها جاءت به كالناقة الباهلة التي لا صِرار على أخلافها : أَطْعَمْتُكَ مَأْدُومِي وَأَبْنَيْتُكَ مَسْكُومِي ، وَجِئْتُكَ بَاهِلًا غَيْرَ ذَاتِ صِرَارٍ ، وفي الحديث : لا تورد الإبل بُهْلًا [أَوْ بُهْلًا] ، فإن الشياطين تَرْضَعُهَا ، أى : لا أَصِرَّةَ عليها .

وفيها قوله : بُرَاءٌ إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةٍ خَاذِلٍ . يقال قومٌ بُرَاءٌ [بِالضَّمِّ]^(٤)

(١) ويروى : لا يخيئ : من قولهم : خاس بالعهد : إذا نقضه وأفسده .
والعائل هنا : الحائر ، الخشنى ص ٩١ .

(٢) وكذلك الطمل ، بكسر الطاء والميم وتشديد اللام ، والطملال بكسر الطاء أما الفقير : فالطمل ، والطملال والطمليل بكسر الطاء في الجميع ، والطملول بضمها ، اللسان .

(٣) الذي طال مكثه .

(٤) الزيادة يقتضيها السياق وزيادة بهل من اللسان

وَبَرَّاءٌ بِالْفَتْحِ ، وَبَرَاءٌ بِالسَّكْرِ ، فَأَمَّا بَرَاءٌ بِالسَّكْرِ ، فَمَجْمَعٌ بَرِيءٌ ، مِثْلُ
كَرِيمٍ وَكَرَامٍ ، وَأَمَّا بَرَاءٌ فَصَدْرٌ ، مِثْلُ سَلَامٍ وَالْهَمْزَةُ فِيهِ ، وَفِي الَّذِي قَبْلَهُ
لَامُ الْفَعْلِ ، وَيُقَالُ : رَجُلٌ بَرَاءٌ وَرَجُلَانِ بَرَاءٌ ، وَإِذَا كَسَرْتَهَا أَوْ ضَمَّمْتَهَا
لَمْ يَجْزِ إِلَّا فِي الْجَمْعِ ، وَأَمَّا بُرَاءٌ بِضَمِّ الْبَاءِ ، فَلْأَصْلُ فِيهِ بُرَاءٌ مِثْلُ كُرْمَاءٍ
فَاسْتَقْبَلُوا اجْتِمَاعَ الْهَمْزَتَيْنِ ، فَحَذَفُوا الْأَوَّلَى ، وَكَانَ وَزْنُهُ فُعَلَاءً ، فَلَمَّا حَذَفُوا
الَّتِي هِيَ لَامُ الْفَعْلِ صَارَ وَزْنُهُ فُعَاءً ، وَانْصَرَفَ لِأَنَّهُ أَشْبَهَ فُعَالًا ، وَالنَّسَبُ (١)
إِلَيْهِ إِذَا سُمِّيَتْ بِهِ : بُرَاوَى ، وَالنَّسَبُ إِلَى الْآخِرِينَ بَرَائِيٌّ وَبِرَائِيٌّ ، وَزَعَمَ
بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ بَرَاءً بِضَمِّ أَوَّلِهِ مِنَ الْجَمْعِ الَّذِي جَاءَ عَلَى فُعَالٍ ، وَهِيَ ثَمَانِيَةُ أَلْفَاظٍ : فَرِيرٌ
وَفَرَارٌ وَعَرْنٌ وَعُرْنٌ (٢) ، وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، وَقَالَ النُّجَاسُ : بُرَاءٌ بِضَمِّ الْبَاءِ .

(١) حَكَى الْفَرَاءُ فِي بَرَاءٍ أَنَّهُ غَيْرُ مَصْرُوفٍ عَلَى حَذْفِ أَحَدَى الْهَمْزَتَيْنِ .
وَنَصَّ ابْنُ جَنَى عَلَى أَنَّ لِبَرِيءٍ أَرْبَعَةَ جُمُوعٍ : بَرَاءٌ مِثْلُ ظَرِيفٍ وَظَرَافٍ ، وَبَرَاءٌ
مِثْلُ : شَرِيفٍ وَشَرْفَاءٍ ، وَأَبْرِيَاءٌ مِثْلُ أَصْدِقَاءٍ ، وَبَرَاءٌ مِثْلُ تَوَامٍ وَرَبَاءٍ بِضَمِّ الْأَوَّلِ
فِيهِمَا جَمْعُ تَوَامٍ ، وَرَبِيٌّ .

(٢) فِي أَدَبِ السَّكَاتِبِ ص ٥٥٨ لابن قتيبة : قَالَ الْفَرَاءُ : الْفَرَارُ بِضَمِّ الْفَاءِ
وَلَدُ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ قَالَ : وَيُقَالُ : فَرِيرٌ وَفَرَارٌ مِثْلُ طَوِيلٍ وَطَوَالٍ وَكَانَ غَيْرُهُ
يُزَعَمُ أَنَّ فَرَارًا : جَمْعُ فَرِيرٍ ، وَفِي الْقَامُوسِ : فَرِيرٌ بِنَفْثِ الْفَاءِ وَفَرَارٌ بِضَمِّ الْفَاءِ وَفَرُورٌ
بِفَتْحِ الْفَاءِ الْخُ وَلَدُ النَّعْجَةِ وَالْمَاعِزِ وَالْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ ، أَوْ هِيَ الْخُرْفَانُ وَالْحِلَّانُ ،
وَجَمْعُهَا فَرَارٌ نَادِرٌ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، لَمْ يَأْتِ شَيْءٌ مِنَ الْجَمْعِ عَلَى فُعَالٍ إِلَّا أَحْرَفَ :
هَذَا أَحَدُهَا . وَأَمَّا عَرَقٌ فَالْعَظَمُ أَكَلَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ ، وَمِثْلُهُ عَرَاكٌ بِضَمِّ الْعَيْنِ .
وَيَقُولُ الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ : لَمْ يَأْتِ مِنْ فُعَالٍ بِضَمِّ الْفَاءِ جَمْعًا إِلَّا أَحْرَفٌ قَلِيلَةٌ
جَدًّا مِثْلُ رَبَابٍ جَمْعُ رَبِيٍّ بِضَمِّ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ مَعَ فَتْحِ وَهِيَ الْحَدِيثَةُ
النَّتَاجُ وَنَعَمٌ جَفَالٌ : السَّكْثِيرَةُ الشَّعْرُ ، وَنَعَمٌ كِبَابٌ كَثِيرَةٌ ، وَفَرَارٌ جَمْعُ فَرِيرٍ وَهُوَ
وَلَدُ الْبَقَرَةِ ، وَبَرَاءٌ : جَمْعُ بَرِيءٍ . وَعِنْدَ ابْنِ السَّكَيْتِ وَالسَّيْرَاءِ فِي أَنَّهَا تَوَامٌ جَمْعٌ =

الاستسقاء :

فصل : وذكر حديث استسقاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
بالمدينة ، وهو حديث مَرَوِي من طرق كثيرة ، وبألفاظ مختلفة .

وقوله : حتى أتاه أهل الضواحي يشكون الفرق. الضواحي : جمع ضاحية ،
وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يُسَكَنُ من المطر ، ولا مُنْجاة من
السيول ، وقيل : ضاحية كل بلد : خارجه . وقوله عليه السلام : اللهم حَوِّا لَنَا ،
ولا علينا ، كقوله في حديث آخر : اللهم مَنَابِتَ الشجر ، وبطن الأودية ،
وظهور الآكام ، فلم يقل : اللهم ارفعه عنا — هو من حسن الأدب في الدعاء ؛
لأنها رحمة الله ، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف
رحمته ، وإنما يُسْتَل سبجانه كشف البلاء ، والمزيد من النعماء ، ففيه تعليم
كيفية الاستسقاء . وقال : اللهم مَنَابِتَ الشجر ، ولم يقل : أضرفها إلى منابت
الشجر ؛ لأن الرب تعالى أعلم بوجه اللطف ، وطريق المصاحبة كان ذلك بمطرٍ

= توأم ، وشاة ربي وغنم رباب ، وظئر وظوار وعرق بنتح العين وعراق ورخل بكسر
الراء ورخال يفرير وفرار وكل الجمع بنعم الأول ، وقال الزجاجي مثل قول لسيرافي . وقال
ابن خالويه في كتاب ليس : عرق وعراق ، ورخل من أولاد الضأن ورخال وشاة ربي
ورباب ، وتوأم وتوأم ، وفرير وفرار ولد الظبية ونذل ونذال ورذال وثني
وثناء ، وهو الولد الذي بعد البكر ، وناقاة بسطأر بسط بنعم الباء أو كسرهما إذا
كانت غزيرة والجمع : بساط ، فتسكون ثلاث عشرة كلمة . وزاد الزمخشري : عرام بمعنى
عراق . ونظمها في أبيات وزاد السيوطي عنه : نذال ه ص ٧٢ ، المزهر للسيوطي ج ٢

أو بِنْدَى أو طَلَّ ، أو كيف شاء ، وكذلك بطون الأودية ، والتقدر الذى يحتاج إليه من مائها .

فصل : فإن قيل : كيف قال أبو طالب :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

ولم يَرَهُ قط استسقى ، وإنما كانت استسقاءاته عليه السلام بالمدينة . في سفر وحضر ، وفيها شوهدها ما كان من سرعة إجابة الله له .

فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضاً في حياة عبد المطلب مادله على ما قال ، روى أبو سلمان محمد بن محمد بن إبراهيم [بن الخطاب الخطابي] البُسْتِي النيسابوري (١) ، أن رُقَيْقَةَ (٢) بنت أبي صَيْفِي بن هاشم قالت : تنابعت على قريش سُنُو جَدِّ قَدْ أَفْجَلَتْ الظَّلْفَ ، وَأَرْقَّتْ الْعِظْمَ ، فَبَدَأْنَا أَنَا رَاقِدَةُ اللَّهِ ، أَوْ مُهْدَمَةٌ ، وَمَعَى صِنْوَى إِذْ أَنَا بِهَاتِفٍ صَيِّتٍ يَصْرُخُ بِصَوْتٍ حَجَلٍ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْمَبْعُوثَ مِنْكُمْ ، هَذَا إِبْرَاهُ .

(١) هو صاحب معالم السنن توفي ببست سنة ٣٨٨ هـ كما في معجم الأدباء ، وفي وفيات الأعيان . وفي اللباب لابن الأثير أنه توفي سنة ٣٥٤ . وبست مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة وقد سمع في اسمه : أحمد ، والأصح حد كما ذكر والزيادة الموضوعية بين قوسين من اللباب لابن الأثير .

(٢) اسمها في نسب قريش : رقية ، ونص قوله عن أبي صَيْفِي . وانقرض إلا من بنته رقية ، ص ١٦ ولكنها رقيقة في كثير من الكتب . وفي الاشتقاق أن أبا صَيْفِي أحد من حضر من بنى هاشم حلف عبد المطلب وخزاعة . ص ٦٩ .

نَجُومِهِ ، فَحَيَّ هَالًا بِالْحَيَا وَالْخُصْب ، أَلَا فَانْظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا طَوَّالًا عَظَامًا
أَبْيَضَ فِظًا ، أَشَمَّ الْعَرْنَيْنِ ، لَهُ نَخْرٌ يَسْكُنُهُ (١) عَلَيْهِ . أَلَا فَلْيَخُصَّصْهُ هُوَ وَوَلَدُهُ ،
وَلْيُدْخِلْهُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلًا ، أَلَا فَلْيَشْتَبُوا مِنَ الْمَاءِ ، وَلْيَمْسُوا مِنْ
الطَّيْبِ ، وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، أَلَا وَفِيهِمُ الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ لَذَاتُهُ ، أَلَا فَلْيَدْعُ
الرَّجُلُ ، وَلْيُؤَمِّنِ الْقَوْمُ ، أَلَا فَخُشِّمُوا أَبَدًا مَا عَشْتُمْ . قَالَتْ : فَأَصْبَحْتُ مَذْعُورَةٌ
قَدْ قَفَّ جِلْدِي ، وَوَلِيَ عَمَلِي ، فَأَقْتَصَصْتُ رُؤْيَايَ ، فَوَالْحَرَمَةِ وَالْحَرَمِ إِنْ بَقِيَ
أَبْطَحِي (٢) إِلَّا قَالَ : هَذَا شَيْبَةُ أَحْمَدٍ ، وَتَمَامَتْ عِنْدَهُ قَرِيشٌ ، وَافْضُ إِلَيْهِ
النَّاسُ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلًا ، فَشَتُّوا وَمَسَّوْا وَاسْتَلَمُوا وَاطُوفُوا ، ثُمَّ ارْتَقَوْا
أَبَا قُبَيْسٍ ، وَطَفِقَ الْقَوْمُ يَدْفُونَ حَوْلَهُ ، مَا إِنْ يَدْرِكُ سَمْعُهُمْ مُهَلَّةً ، حَتَّى قَرُّوا
بِذُرَّةِ الْجَبَلِ ، وَاسْتَسْكَنُوا جَنَابِيهِ ، فَقَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ ، فَأَعْتَصَدَ ابْنَ ابْنِهِ
مُحَمَّدًا — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَرَفَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ غُلَامٌ قَدْ أَبْقَعَ ،
أَوْ قَدْ كَرَبَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ سَادَّ الْخَلَّةَ ، وَكَاشَفَ الْكُرْبَةَ أَنْتَ عَالِمُ غَيْرِ
مُعَلِّمٍ ، وَمَسْئُولُ غَيْرِ مُبْخَلٍّ ، وَهَذِهِ عِبْدَاؤُكَ ، وَإِذَاؤُكَ بِعَذِرَاتِ حَرَمِكَ
يَشْكُونَ إِلَيْكَ سَدَّتَهُمْ ، فَانْتَمَعَنَّ اللَّهُمَّ ، وَأَمِطْرَنَّ عَلَيْنَا غَيْثًا مَرِيحًا مُغْدِقًا ،
فَمَارَامُوا وَالْبَيْتَ ، حَتَّى انْفَجَرَتِ السَّمَاءُ بِمَائِهَا ، وَكَظَّ الْوَادِي بِشَجِيحِهِ . رَوَاهُ
أَبُو سَلِيمَانَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ . قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْبُخْتَرِيِّ ، نَا
يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَمِيدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَسُوفَ ،

(١) لَا يَبْدُ بِهِ وَلَا يَظْهَرُ .

(٢) فِي رِوَايَةٍ دَفَعْتُ فِي شَعَابِ مَكَّةَ فَبَقِيَ بِهَا أَبْطَحِي الْخَ ،

نا عبد العزيز بن عمران ، عن ابن حوَيَّصَة ، قال يحدث مُحَمَّدُ بْنُ نَفِيلٍ عَنْ
أُمِّهِ رُقَيْيَّةَ بِنْتِ أَبِي صَافِيٍّ .

وذكر الحديث ، ورواه بإسناد آخر إلى رُقَيْيَّةَ ، وفيه : أَلَا فَانظُرُوا
مَنْكُمْ رَجُلًا وَسَيْطًا عَظَامًا جُسَامًا أَوْطَفَ الْأَهْدَابَ ، وَأَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَامَ
وَمَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَدْ أَيْفَعَ أَوْ كَرَبَ ، وَذَكَرَ
الْقِصَّةَ ^(١) .

(١) دلت الأحاديث الصحيحة على مشروعية صلاة الاستسقاء ، وبذلك قال
جمهور العلماء من السلف والخلف ، ولم يخالف في ذلك إلا أبو حنيفة مستدلاً
بأحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة ، وقد وقع الإجماع من المثبتين للصلاة
على أنها ركعتان ، ووقع الاتفاق على أنها سنة غير واجبة . وفي كيفية خلاف
فارجع إليها في كتب السنة والفقهاء . أقول : إذا كان المعتمد هنا هو الحديث ، فلم
لا نقول إنها تجوز بصلاة فيها دعاء ، وتجوز بالدعاء من غير صلاة ؟

هذا وليس في البخاري ما رواه ابن هشام إنما فيه ما رواه بسنده عن
عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يمثّل بشعر
أبي طالب ، وأبيض الخ ، وروى أيضاً من حديث سالم عن أبيه : ربما ذكرت
قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي يستسقى . فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب :
« وأبيض الخ ، أما القول المنسوب إلى الرسول ، وفي السيرة : لو كان أبو طالب الخ
فلم يروه أحد من أصحاب الصحيح كالحديث الذي ذكر في الروض . وأحب أن
أذكر هنا بما رواه الخمسة عن أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ، وهو يخطب يوم الجمعة ، فقال : يا رسول الله هلكت المواشي ،
وانقطعت السبل ، فادع الله ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية :
« فرفع يديه — ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، فطروا من جمعة —

ابن الأُسَلْت وقصته :

فصل : وذكر ابنُ هشام^(١) كل من سماه أبو طالب في قصيدته ،

== إلى جمعة ، فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله تهدمت البيوت ، وتقطعت السبل ، وهلكت المواشي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم على رؤوس الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر ، وفي رواية : اللهم حوالينا ، ولا علينا ، فأنجابت عن المدينة أنجياب الثوب ، فجعلت تنطر حولها ، لا تنظر بها قطرة ، فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل رواه الخمسة إلا الترمذى . وفي الحديث المتفق عليه أنه «ص» خرج بالناس إلى المصلى يستسقى ، فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة ، واستقبل القبلة يدعو ، ورفع يديه ، فما حول رداءه حين استقبل القبلة ، وكان إذا رأى المطر يقول : اللهم صيبا نافعا ، وروى عنه أنه كان يخرج متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا ، الترمذى والنسائي وأبو داود وابن ماجه .

ومن الأحاديث الصحيحة ، تؤمن أن الاستسقاء النبوى إنما هو إلى الله - ضراعة وإبتال في صلاة أو في غير صلاة ، وأن التوسل بذات فلان أو وجهه أو جاهه ليس من هدى الرسول «ص» ، ولا سنته ، فلنحذر نغمة الشرك ، ولم يخرج قصة عبد المطلب أحد من أصحاب الصحيح ، وإنما هي عند ابن عساكر وابن أبي الدنيا وابن سعد والبيهقى والطبرانى . ورواية الحديث بهذه الصورة لا توحى بالافتداء فإنه عمل عبد المطلب ، وهى لا تثبت جواز الاستسقاء بالوجوه أو بالذوات ، فالرواية تستند إلى عبد المطلب أنه دعا الله ، ولم يدعه بوجه أحد أو ذات أحد .

ولم تستند إليه الرواية أنه حمل حمله معه ليستسقى بوجهه أو بذاته . وحمل عبد المطلب ابن ابنه في مثل هذا أمر تفرضه عاطفة رجل شيوخ ، فقد أبنه ، فهو يحبه مرتين في هذا الحفيد العظيم .

(١) ذكر ابن هشام حديث الأخنس ، وهو صحابى من مسلبة الفتح شهد - حينئذ ومات أول خلافة عمر -

أو أشار إليه ، وعرف بهم تعريفاً مُستغنياً عن المزيد . وذكر قصيدة أبي قيس
صَيْفِي بن الْأَسَلْتِ ، واسمُ الْأَسَلْتِ : عامرٌ ، والأَسَلْتُ : هو الشديد الفطسِ
يقال : سَلَتَ اللهُ أَنْفَهُ ، ومن أسلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن
يستعمله ، فلما كتب له عهده أبي أن يقبله ، وقال : لا حاجة لي به . إني سمعت
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : إن الولاة يُجاء بهم يوم القيامة ،
فيقفون على جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فمن كان مُطاوِعاً لله تناوله بيمينه حتى ينجيه ، ومن
كان عاصياً لله انخرق به الجسر إلى وادٍ من نارٍ تنهب التهايا ، قال : فأرسل
عمرُ إلى أبي ذرٍّ ، وإلى سلمان ، فقال لأبي ذرٍّ : أنت سمعت هذا من رسول
الله -- صلى الله عليه وسلم -- قال : نعم والله ، وبعد الوادي وادٍ آخر من نارٍ .
قال : وسأل سلمان ، فسكره أن يخبره بشيء ، فقال عمر : من يأخذها بما
فيها (١) ؟ فقال أبو ذر . من سَلَتَ اللهُ أَنْفَهُ وعينيه ، وأَضْرَعَ خَدَّهُ إلى الأرض
ذكره ابن أبي شيبة .

وأول القصيدة : يارا كبا إماماً عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي . البيت . الْمُغْلَغَلَةُ :
الداخلة إلى أقصى ما يراد ببلوغه منها (٢) ، ومنه تغلغل في البلاد : إذا
بالغ في الدخول فيها ، وأصله : تَغَلَّلَ وَتَغَلَّلَ ، وَلَكِنْ قَلَبُوا إِحْدَى اللَّامَيْنِ
غينا ، كما فعلوا في كثير من المضاعف ، وأصله من الْغَلَلِ وَالْغِلَالَةِ ، فأما
الْغَلْلُ فَمَا يَسْتَرَهُ النَّبَاتُ وَالشَّجَرُ ، وَأَمَّا الْغِلَالَةُ فَسَاتِرَةٌ لِمَا تَحْتَهَا
وفيها . نُبَيْتُكُمْ شَرَّ جَيْنٍ . أي : فريقيْن مُخْتَلَفَيْنِ ، وَنُبَيْتُكُمْ لَفْظٌ مُشْكِلٌ

(١) يعني الخلافة .

(٢) المغلغلة : الرسالة .

وفى حاشية الشيخ : نبيتكم شرّ جن^(١) ، وهو بين فى المعنى ، وفيه زحاف خرم ،
ولكن لا يعاب المعنى بذلك ، وأما لفظ التَّبَيُّت فى هذا البيت ، فبعيد من
معناه ، وَالْأَزْمَلُ : الصوت ، وَالْمَذْكُ : الذى يوقد النار ، وَالْحَاطِبُ :
الذى يَحْطِبُ لها ، ضُرِبَ هذا مثلاً لنار الحرب ، كما قال الآخر :

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ جَحْرِ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِينَ تُذْكَى وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ^(٢)

وقوله : هى الغول للأدنى^(٣) ، أى : هى الهلاك ، يقال : الغضبُ : غول
الحلم ، أى يهلكه ، وَالْعَوْلُ بفتح الغين : وَجَعُ البطن ، قاله البخارى فى تفسير
قوله : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ . وقوله : وإِحْلَالُ إِحْرَامِ الظُّبَاءِ الشَّوَارِبِ^(٤) .
أى : إن بلدكم بلدٌ حَرَامٌ تَأْمَنُ فيه الظُّبَاءُ الشَّوَارِبُ التى تأتیه من بُعدٍ ، لتَأْمَنَ

(١) والذى فى السيرة : نبيتكم .

(٢) من أبيات ضمنها نصر بن سيار والى خراسان فى آخر أيام بنى أمية - كتابه
الى مروان بن محمد حينما وجد أمر أبى مسلم الخراسانى يشتد فى الدعوة
الى آل العباس . ومنها :

أقول من التعجب : ليت شعرى أيقاظ أمية أم نيام
فإن يك قومنا أضحووا نياما فقل : قوموا . عند حان القيام
فقرى عن رحالك ، ثم فولى على الإسلام والعرب السلام
ص ٢٥٦ - ٣ مروح الذهب .

(٣) فى السيرة : الأفضين .

(٤) التى يحرم صيدها فى الحرم . الحشنى ،

فيه ، فهي شازبة أى : ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تَحِلُّوا بالظباء فيه ،
فَأَحْرَى أَلَا تَحِلُّوا بدمائكم ، وإحرامُ الظباء : كونها في الحرم ، يقال لمن
دخل في الشهر الحرام ، أو في البلد الحرام : مُحْرِمٌ . وَالْأَنْحَمِيَّةُ : ثياب رِقَاقٌ
تصنع بالين ، والشليل : دِرْعٌ قصيرة^(١) ، والأصداء : جمع صَدَأَ الحديد ،
والقتير : حَلَقُ الدَّرْعِ^(٢) شبهها بعيون الجراد ، وأخذ هذا المعنى التَّنَوُّحِيُّ .
فقال :

كأَنوابِ الأراقِمِ مَزَقَّتْهَا نَخَاطَتُهَا بِأَعْيُنِهَا الْجَرَادُ
وقوله في وصف الحرب :

تَزَيَّنَ الْأَفْوَامُ ، ثُمَّ يَرَوْنَهَا بِعَاقِبَةٍ إِذْ بَيَّتَتْ أُمُّ صَاحِبِ
هو كقول عمرو بن معدى كرب :

الْعَرَبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةٌ تَسْمَى بِبَزْمَتِهَا لِكُلِّ جَهْلٍ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خَلِيلِ
تَمْطَاءُ جَزَّتْ رَأْسَهَا ، فَتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْيِيلِ

(١) أو هي ثياب تلبس تحت الدروع .

(٢) في اللسان : الصدا مهموز مقصور : الطبع والدنس يركب الحديد ،
وصدا الحديد : وسخه . وفي شرح الخشني : أصداء : يعني دروعا متغيرة .
بالصدا . وفي الخشني أيضاً : أن القتير : مسامير حلق الدروع

فقوله : أم صاحب ، أى : عجوزاً كأم صاحب لك ، إذ لا يصحب الرجل إلا رجلاً في سنه ، وفي جامع البخارى : كانوا إذا وقعت الحرب يأمرهم بحفظ هذه الأبيات ، يعنى : أبيات عمرو المتقدمة . وقوله : ألم تعلموا ما كان في حرب داحس . يُذكر معنى داحس إذا ذكره ابن إسحاق بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى .

وقوله فيها : وَلِيَّ امْرِئٍ فَاخْتَارَ دِينًا فَإِنَّمَا (١) . أى : هو ولي امرئ اختار ديناً ، والفاء زائدة على أصل أبي الحسن ، قال في قولهم : زيدا فاضرب : الفاء مُعَلِّقَةٌ أى : زائدة ، ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر ، كأنه قال : ولي امرئ تدبّر ، فاختار ديناً ، أو نحو هذا ، وقد تقدم شرح باقى القصيدة فى آخر قصة الحبشة .

وقال فيها : كريم المضارب ، وفي حاشية كتاب الشيخ : لعله الضرائب ، يريد : جمع ضريبة ، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال : المضارب . يريد أن مضارب سيوفه غير مذبذومة ، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمسكارم .

وفى قولها : وماء هُرَيْقٍ فى الضلال . ويروى : فى الصَّالِلِ جمع صَلَّة ، وهى الأرض التى لا تمسك الماء . أى رُبَّ ماء هُرَيْقٍ فى الضلال من أجل السراب ، لأنه لا يُهْرِيقُ ماءً من أجل التمراب إلا ضال غير مميز بمواضع

(١) فى السيرة : فلا يكن بـ « لا من » وإنما ،

الماء ، وأذاعت به ، أى : بددته ، فلم ينتفع به ، وهذا مثل ضربه للنظر فى عواقب الأمور ، ويروى : وما أهريق فى أسر ، ومعناه : والذي أهريق فى أسر الضلال ، فوصل ألف القطع ضرورة ، ويقال : أريق الماء ، وأهريق بالجمع بين الهمزة والهاء ، وهى أقلها ، ولتعليها موضع غير هذا .

وقوله فيها : بين سافٍ وحاصب : السافى : الذى يرمى بالتراب ، والحاصب الذى يقذف بالحصى .

وفى ذكر الجبابج ، وهى منازل منى . كذا قال ابن إسحاق ، وقال البرقي : هى حفر بمنى ، يجمع فيها دم البدن ، والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها ، وقيل : الجبابج : السكروش . يقال للسكروش : جَبَجَبَة بفتح الجيم ، والذي تقدم واحده : جُبَجَبَة بالضم (١) .

حرب داحس :

فصل : وذكر حديث حرب داحس مختصراً ، وداحس : اسم فارس كان لقيس بن أبى زهير ، ومعنى داحس : مدحوس كما قيل : ماء دافق ، أى : مدفوق ، والدَّحْسُ : إدخال اليد بقوة فى ضيق ، كما روى ن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بغلام يسلم شاة ، فأمره أن يتنحى ليريه ، ثم دَحَسَ (٢)

(١) المراد : الجبجبة بالضم : ماء معروف بنواحي اليمامة . والجبا جب والاشاب : جبال مكة .

(٢) أدخلها بين جلدها ولحمها ليسلمها ، وفى الاصل عن الإبط التى ستأتى : الاربط : والتنصويب من اللسان والنهاية لابن الأثير

عليه السلام بيده بين الجلد واللحم ، حتى بلغ الإبط ثم صلى ، ولم يتوضأ .
فَدَا حَسَّ سَمَى بهذا الاسم ؛ لأن أمه كانت لرجل من بني تَمِيمٍ ، ثم من بني
يَرْبُوعٍ اسمه : قِرَواش بن عَوْف ، وكان اسم الفرس : جَلَوَى ، وكان ذو الْعُقَالِ
فرساً عتيقاً لِحَوْطِ بن جابر ، فخرجت به فتانان له ، لتسقياه ، فبصر بجَلَوَى ،
فَأَذَلَّى حين (١) رآها ، فَضَحِكَ غِلْمَةً كانوا هنالك ، فاستحيت الفتانان ،
ونسكستا رأسيهما ، فأفلت ذو الْعُقَالِ حتى نَزَّ أَعْلَى جَلَوَى ، وقيل ذلك لِحَوْطِ
فَأَقْبَلَ مَغْضَباً ، وهو يسعى حتى ضرب بيده في التراب ، ثم دَحَسَهَا فِي رَحْمِ
الفرس ، فسطأعليها ، فأخرج ماء الفحل منها ، واشتملت الرحمُ على بقية
الماء ، وحملت بمهر فَسَمَّوْهُ : دَا حِيساً ، وأظهر ما فيه أن يكون مِثْلَ : لَابِنِ
وتامِرٍ ، وأن لا يكون فاعِلاً بمعنى مفعول ، فهو داحس بن ذى الْعُقَالِ بن
أَعْوَجَ الذى تُنسَبُ إليه الخليل الْأَعْوَجِيَّةُ (٢) فى قول بعضهم ، وقد تقدم غير
هذا القول - ابن سَبَلٍ (٣) ، وكان لغنى بن يَعْصَرَ ، وفيه يقال :

- (١) أدلى الفرس وغيره أخرج جردانه ليول ، أو يضرب .
(٢) أعوج : فرس لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات كان لسكندة ، فأخذته
سليم ، ثم صار إلى بني هلال ، أو صار إليهم من بني آكل المرار ، وفرس لغنى
ابن أعصر أو يعصر كما فى الروض
(٣) فى اللسان عن الأصمعى أن سبل هى أم أعوج وكانت لغنى ، وأعوج
لبني آكل المرار ، ثم صار لبني هلال بن عامر
(م ٨ - الروض الألف ٣٠)

إن الجواد بن الجواد بن سبيل إن ديمُوا جاد ، وإن جادَ وبَلْ (١)
وفي ذى العقَّال يقول جرير :

تمسى جياذُ الخليل حول بيوتنا من آل أعوج ، أو لذي العقَّال (٢)
وأشُد :

أَقْبَعْدُ مَقْتَلِ مالِكِ بن زُهَيْرٍ ترجو النساءِ عواقِبَ الاطِّمارِ (٣)
وفيه إقواء ، وهو حذف نصف سبب من القسم الأول ، وقد تكلمنا
على معنى الإقواء قبل ، وأما اختلاف القوافي فيسمى : اكتفاء ، وإقواء أيضاً
لأنه من الكُفء ، فكأنه جعل الرفع كفناً للخفض ، فسوى بينهما ،
وفيهما قوله :

(١) قال ابن بري : الشعر لجهم بن شبل ، وقال أبو زياد السكَّابي : وهو
من بني كعب بن بكر . . قال وقد أدركته يرعد رأسه ، وهو يقول :

أنا الجواد بن الجواد بن سبيل إن ديمُوا جاد ، وإن جادوا وبَلْ
قال ابن بري : فثبت بهذا أن سبيل اسم رجل وليس باسم فرس . هذا ما ذكره
اللسان في مادة سبيل ، وفي مادة : دوم رواه : وهو الجواد الخ .

(٢) وفي النقااض : إن الجياد بيتن حول قباينا

(٣) القصيدة للربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن قارب العبدي .
وقد ذكر ابن هشام نسبه مختصراً وأول قصيدته :

نام الخلى ، وما أغمض حار من ميم النبا الجليل الساري
ص ٨١ وما بعدها : النقااض بين جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر
ابن المنثري ط ١٢٥٣ هـ - ص ١٥١ : أمالى المراضى

ترجو النساء عواقب الاطهار . كقول الاخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال : إن حرب داحس دامت أربعين سنة ، لم تحمل فيها أنثى ، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين ، وذكر الأصبهاني أن حرب داحس كانت بعد يوم جبلة بأربعين سنة ، وقد تقدم يوم جبلة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد في تلك الأيام ، وقال لبيد :

وَعَنَيْتُ حَرْسًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ
لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ

وكان لبيد في حرب جبلة ابن عشر سنين ، وقوله : حرساً أي : وقتاً من الدهر ، ويروى سبتاً والمعنى واحد ، وكان إجراء داحس والغبراء على ذات الإصاذ موضع في بلاد فزارة ، وكان آخر أيام حرب داحس بقله من أرض قيس ، وهناك اصطاحت عبس ومنولة : وهى أم بنى فزارة : شمع وعدي ومازن ، فيقال لهذا الموضع : قلله ، وأما قلله فموضع بالحجاز ، وفيه اعتزل سعد بن أبي وقاص حين قتل عثمان ، وأمر ألا يحدث بشيء من أخبار

(١) في اللسان في مادة سبت وجرى رواء :

وعنيت سبتاً قبل مجرى داحس . وفي الأصل : مجراء

(٢) في المراد : الإصاذ : اسم الماء الذى لطم عليه داحس ، وكانت الحرب المشهورة بسببها ، وذات الإصاذ . ردهة في ديار بنى عبس وسط هضبة القليب

ذكرى مآلقيه رسول الله صلى عليه وسلم من قومه

مفتريات قريش وإبداؤهم للرسول (ص):

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم : سفهاءهم ، فكذبوه ، وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مبأد لهم بما يكرهون من غيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .

الناس ، وألا يسمع منها شيئاً ، حتى يصطلحوا ، ويقال : إن الحنفاء كانت فرس حذيفة^(١) ، وأنها أجريت مع الغبراء ذلك اليوم ، قال الشاعر :

إذا كان غيرُ الله للمرء عُدَّةً أته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرَّت الحنفاء حَتَفَ حَذِيفَةَ وكان يراها عُدَّةً للشدائد^(٢)
وأما حرب حاطب الذي ذكرها ، فهي حرب كانت على يد حاطب بن الحارث بن قيس بن هنيشة بن الأوس ، فَنُسِبَتْ إليه ، وكانت بين الأوس والخزرج .

(١) في اللسان أن الحنفاء أخت داحس لآبيه من ولد العقال ، والغبراء : خالة داحس ، وأخته لآبيه ١١ والحنفاء : فرس حبر بن معاوية .

(٢) فصل القول في حرب داحس كتاب النقائض بين جرير والفرزدق
لابي عبدة ص ٧٦ > ١

قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة
ابن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر
ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما كانوا يظهرون من
عداوته ؟ قال : حضرتهم ، وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر ، فذكروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا
الرجل قط : سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعابد بنينا ، وفرق جماعتنا ، وسب
آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا ، فبيناهم في ذلك إذ طلع
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم
طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ، ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه
بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم مر بهم
الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : أسمعون يا معشر قريش ! أما والذي
نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح . قال : فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم
رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقف ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك
ليزفوه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ،
فوالله ما كنت جهولا . قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى
إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم
ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه .
فبيناهم في ذلك طلع عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوثبوا إليه وثبة

رجل واحد، وأحاطوا به، يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم؟! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذى أقول ذلك ، قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه . قال : فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه ، وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أمّ كلثوم ابنة أبي بكر ، أنها قالت : رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه ، مما جَبَذُوهُ بِإِخِيَّتِهِ ، وكان رجلاً كثير الشعر .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حرّاً ولا عبداً ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عاياه : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ » المدثر : ٢، ١

إسلام حمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : حدثني رجل من أسلم ، كان واعيةً : أن أبا جهل مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله - صلى الله

عليه وسلم ، ومَوْلَاةٌ لعبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ابن مُرّة في مَسْكَن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فَعَمَدَ إلى ناد من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم ، فلم يلبث حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أَقْبَلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ ، راجعًا من قَنَصٍ له ، وكان صاحبَ قَنَصٍ يَرْمِيهِ ، ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصِهِ لم يصل إلى أهله ، حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف ، وسلم ، وتحدث معهم ، وكان أعز فتى في قريش ، وأشدَّ شَكِيمَةً ، فلما مرَّ بالمَوْلَاةِ ، وقد رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيت ما اتى ابنُ أخيك محمدٌ آفًا من أبي الحَكَم بن هشام : وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا ، فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزةُ الغضبُ لِمَا أَرَادَ اللهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، فخرج يسعى ، ولم يَقِفْ على أحد ، مُعِدًّا لِأَبِي جَهْلٍ إِذَا لَقِيَهِ أَنْ يُوقِعَ بِهِ ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القومِ فَأَقْبَلَ نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس ، فضربه بها ، فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً ، ثم قال : أَتَشْتُمُهُ ، فَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَفُولُ مَا يَبُولُ ؟! فَرَدَّ ذَلِكَ عَلَى إِنْ اسْتَطَعْتَ . فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة ، لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَبَّيْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا ، وَتَمَّ حِمَزُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى إِسْلَامِهِ ، وَعَلَى مَا تَابَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْمِهِ . فلما أسلم حمزةُ عرفت قريش

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ وأمتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عتبة بن ربيعة يذهب إلى الرسول (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيّداً - قال يوما وهو جالس في نادى قريش . ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه ، وأعرضَ عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها ، فنعطيه أيّها شاء ، ويكفّ عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزيدون ويكثرون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه ، فكلّمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا بن أخي ، إنك منّا حيث قد علمت من السّطة في العشيرة ، والمساكن في النّسب ، وإنك قد أنيت قومك بأمر عظيم ، فرقتَ به جماعتهم ، وسفّيتَ به أحلامهم ، وعيّبتَ به آلهتهم ودينهم ، وكفّرتَ به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمع ، قال : يا بن أخي . إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً كنّاك علينا ، وإن كان

هذا الذى يأتىك رَئياً تراه لا تَسْتَطِيع رَدَّه عن نفسك ، طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ ،
وبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَابَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى
يُدَاوِي مِنْهُ ، أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ عَتَبَةُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - يَسْتَمِعُ مِنْهُ ، قَالَ : أَقْدَ فَرَّغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَاسْمَعْ
مِنْى ، قَالَ : أَفْعَلْ ، فَقَالَ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْدٌ . تَنْزِيلٌ مِنَ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا
وَنَذِيرًا ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ، فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، وَقَالُوا : قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ . فَصَلَتْ : ١ - ٥ . ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عَتَبَةُ أَنْصَتَ لَهَا ، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ
ظَهْرِهِ مَعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا ، يَسْمَعُ مِنْهُ ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا ، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ : قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ ،
فَأَنْتَ وَذَلِكَ .

فَقَامَ عَتَبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : نَحَافَ بِاللَّهِ : أَقْدَ جَاءَكَ أَبُو
الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِى ذَهَبَ بِهِ . فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا : مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا
الْوَلِيدِ ؟ قَالَ : وَرَأَيْتُنِى قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَاللَّهِ مَا هُوَ
بِالشَّعْرِ ، وَلَا بِالسَّحَرِ ، وَلَا بِالسَّكْهَانَةِ . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! أَطِيعُونِى وَاجْمَعُوا لِى
بِى ، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ ، وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ ، فَأَعْتَزِّلُوهُ ، فَوَاللَّهِ لَيْسَ كُونُ لِقَوْلِهِ
الَّذِى سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأًا عَظِيمًا ، فَإِنْ تُصِيبَهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِّتُمْوهُ بِغَيْرِكُمْ ، وَإِنْ يَظْهَرُ
عَلَى الْعَرَبِ ، فَمُذَكُّهُ مُنْكَسِكُمْ ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ ، وَكَنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ ، قَالُوا :
سَحَرَكُ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ ، قَالَ : هَذَا رَأْيِى فِيهِ ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ .

بين النبي (ص) وبين قريش

قال ابن إسحاق : ثم إن الإسلام جعل يَفْشُو بِمَكَّةَ في قبائل قريش في الرجال والنساء ، وقُرِيشَ تَحِيْسَ مَنْ قَدَّرَتْ عَلَى خُبْسِهِ ، وَتَفَتَّنَ مِنْ اسْتَطَاعَتْ فِتْنَتَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ إِنَّ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ - كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، وَعَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :

اجتمع عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ النَّظْلِ بْنِ أَسَدٍ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، وَأَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ ، وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ ، وَنُبَيْهَةُ وَمُنَبِّهَةُ ابْنَتَا الْحِجَّاجِ السَّهْمِيِّانِ ، وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، أَوْ مِنْ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ . قَالَ : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ابْعَثُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذِرُوا فِيهِ ، فَبْعَثُوا إِلَيْهِ : إِنَّ أَشْرَافَ قَوْمِكَ قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيَكَلِّمُوكَ ، فَاتَّهَمُوا ، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَرِيعًا ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ فِيهِمْ كَلِمَةٌ فِيهِ بَدَاءً ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصًا يَحِبُّ رَشْدَهُمْ ، وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَنَّتُهُمْ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ ؛ لِنَكَلِّمَكَ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مِثْلَ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ ، لَقَدْ شَتَمْتَ الْآبَاءَ ، وَغِيْبْتَ

الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفّتهم الأحلام ، وفরقت الجماعة ، فباقي أمره
قبيحٌ إلا قد جنته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جنت بهذا
الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن
كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد
به مملكة كما ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيًّا تراه قد غلب عليك
- وكانوا يسمون التابع من الجن رثيًّا - فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا
في طلب الطب لك حتى نُبرئك منه ، أو نُعذر فيك ، فقال لهم رسولُ الله
- صلى الله عليه وسلم : ما بي ما تقولون ، ما جئتُ بما جئتمكم به أطلبُ
أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثنى إليكم
رسولا ، وأنزل علي كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبأعنتكم
رسالات ربي ، ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به ، فهو حظكم في
الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أُصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ،
أو كما قال - صلى الله عليه وسلم - قالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شيئا
مما عرَضناه عليك ، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلدًا ، ولا
أقلَّ ماء ، ولا أشدَّ عيشًا منا ، فسَلْ لنا ربك الذي بعثك بمابعثك به ، فليُسرَّ
عنا هذه الجبال التي قد ضيّقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها
أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث
لنا منهم : قُصَيّ بن كلاب ، فإنه كان شيخَ صدق ، ففعلهم عما تقول : أحق
هو أم باطل ، فإن صدقوك ، وصنعت ما سألتك ، صدقناك ، وعرفنا به منزلتك

من الله ، وأنه بعثك رسولا — كما تقول — فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه :
 ما بهذا بُعِثْتُ إليكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم
 ما أُرْسِلْتُ به إليكم ، فإن تقبلوه ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه
 على أصبر لأمر الله تعالى ، حتى يحكم الله بيني وبينكم ، قالوا : فإذا لم تفعل
 هذا لنا ، نخذ لنفسك ، سَلَّ رَبُّكَ أَنْ يبعث معك ما كما يصدقك بما تقول ،
 ويراجعنا عنك وسله ، فليجعل لك جنانا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة
 يُعْطِيكَ بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم ، وتلمس المعاش
 كما تلمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إِنْ كُنتَ رسولا
 كما تزعم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، وما أنا
 بالذي يسأل ربّه هذا ، وما بُعِثْتُ إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً
 ونذيراً — أو كما قال — فإن تقبلوا ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا
 والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم ، قالوا :
 فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت أن ربك لو شاء فعل ، فإننا لا نؤمن لك إلا أن
 تفعل ، قال : فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن
 شاء أن يفعله بكم فعل ، قالوا : يا محمد ، أفأعلم ربك أننا سنجاس معك ،
 ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك فيعلمك
 ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا ، إذا لم نقبل منك ما جئتنا به !
 إنه قد بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجلٌ باليَمَامَةِ يقال له : الرحمن ، وإنّا والله
 لا نؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أغدرنا إليك يا محمد ، وإنّا والله لا نتركك

وما بلغت منّا حتى نهلكك ، أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة
وهي بنات الله . وقال : قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة
قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، قام عنهم ، وقام معه
عبدُ الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمته
فهو لعائكة بنت عبد المطلب — فقال له : يا محمد ، عَرَضَ عليك قومك
ما عَرَضُوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ، ليعرفوا بها منزلتك من
الله كما تقول ، ويصدّقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذَ لنفسك
ما يعرفون به فضلَكَ عليهم ، ومنزلتَكَ من الله ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن
تعجلَ لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل — أو كما قال له — فوالله
لا أومن بك أبداً حتى تتخذَ إلى السماء سُلماً ، ثم ترى فيه ، وأنا أنظر إليك
حتى تأتينا ، ثم تأتي معك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول .
وانيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننتُ أني أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — وانصرف رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إلى أهله
حزيناً أسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْه ، ولما رأى من
مُباعدتهم إياه .

فلما قام عنهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — قال أبو جهل : يا معشرَ
قريش ، إن محمداً قد أبى إلّا ما رَوَى من عيبِ ديننا ، وشتمِ آبائنا ، وتسفيهِ
أحلامنا ، وشتمِ آلهتنا ، وإنّي أعاهد الله لأجاسنَّ له غداً بجحرٍ ما أطيق تحمله

- أو كما قال - فإذا سجد في صلاته ، فَضَخْتُ به رأسه ، فأسلموني عند ذلك ،
أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدأ لهم ، قالوا : والله
لا نُسلمك لشيء أبداً ، فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل ، أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله - صلى
الله عليه وسلم - ينتظره ، وغدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما كان يفتدو ،
وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمسكته وقبائله إلى الشام ، فكان إذا صلى
صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام .
فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي وقد غدت قُرَيْش ، فجلسوا في أنديةهم
يَنْتَظِرُونَ ما أبو جهل فاعل . فلما سجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً . مُتَتَقِعاً
لونه مرعوباً . قد دبست يده على خَجره . حتى قذف الحجر من يده . وقامت
إليه رجال قُرَيْش . فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمتُ إليه لأنعل به
ما قلتُ لكم البارحة ، فلما دنوتُ منه عَرَضَ لى دونه فخلَّ من الإبل ، لا
والله ما رأيت مثل هامتِه ، ولا مثل قَصَرنه ، ولا أنيابَه لَفَخِلٍ قط . فهمَّ بي
أن يأكلني .

قال بن إسحاق : فدُكر لي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
ذلك جبريل عليه السلام : لو دنا لأخذه .

فلما قال لهم ذلك أبو جهل . قام النَّضْرُ بن الحارث بن كَلَدَةَ بن عَنَقَمَةَ
ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ .

قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدانة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال : يا معشر قريش . إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، أرضاكم فيكم . وأصدقكم حديثا . وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به . قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر . لقد رأينا السجرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم : كاهن . لا والله ما هو بكاهن ؛ قد رأينا الكهنة ، وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ؛ قد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ، ولا وسوسسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، ومن كان يؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجلسا فذكر فيه الله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثا منه ، فلهم إلى ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار . ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا مني ؟

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأُنزل مثْلَ ما أُنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول - فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ . القلم : ١٥ وكلَّ ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لها : سلامٌ عن محمد ، وصفا لهم صِفَتَهُ ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهلُ الكتاب الأول ، وعندهم عِلْمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووصفا لهم أمره . وأخبراهم ببعض قوله . وقالوا لهم : إنكم أهلُ التَّوراة . وقد جئناكم لتُخْبِرُونَا عن صاحبنا هذا . فقالت لها أحبار يهود : سألوه عن ثلاث نأمُرُكم بهنَّ . فإن أخبركم بهنَّ ، فهونى مُرْسَلٌ . وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّلٌ . فَرَوَا فيه رأيكم . سألوه عن فِئَةٍ ذَهَبُوا فى الدَّهْرِ الأوَّل ما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديثٌ عجب ، وسألوه عن رجل طَوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤُهُ ، وسألوه عن الرُّوح ما هى ؟ فإن أخبركم بذلك فاتَّبِعُوهُ ، فإنه نبيٌّ . وإن لم يفعل ، فهو رجلٌ مُتَقَوِّلٌ . فاصنعوا فى أمره ما بدا لَكُمْ . فأقبل النَّضر بن الحارث ، وعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيٍّ حتى قدما مَكَّةَ على قُرَيْشٍ . فقالا : يامعشر قريش ، قد جئناكم بفِضْل ما بينكم وبين محمدٍ . قد أخبرنا أحبار يهود أن

نَسَّأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَمَرُونَا بِهَا ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ عَنْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالْجُلُّ مُتَقَوِّلٌ . فَرَوَا فِيهِ رَأْيَكُمْ .

فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبَرْنَا عَنْ فِتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ قِصَّةٌ عَجَبٌ ، وَعَنْ رَجُلٍ كَانَ طَوَافًا قَدْ بَلَغَ مِشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا . وَأَخْبَرْنَا عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَخْبَرَكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا ، وَلَمْ يَسْتَنْ ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ ، فَكَثَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَخَيَا ، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ ، حَتَّى أَزْجِفَ أَهْلُ مَكَّةَ وَقَالُوا : وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا ، وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً . قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يَخْبُرُنَا بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ ، وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُكْثُ الْوَحْيِ عَنْهُ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، فِيهَا مَعَاتِبُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ ، وَخَبَرُ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفِتْنَةِ ، وَالرَّجُلِ الطَّوَّافِ ، وَالرُّوحِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَجِبْرِيلَ حِينَ جَاءَهُ : لَقَدْ احْتَبَسْتَ عَنِّي يَا جِبْرِيلُ حَتَّى سَوْتُ ظَنًّا ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : « وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » مَرِيَمَ : ٦٤ فَانْتَفَحَتِ السُّورَةُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِحَمْدِهِ وَذَكَرَ نُبُوَّةَ رَسُولِهِ ، لِمَا أَنْشَرُوهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ الْكَهْفِ : ١ : ٢٦ . يَعْنِي : مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

إِنَّكَ رَسُولُ مَنِي : أَيْ تَحْقِيقُ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ نَبِيِّتِكَ . ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا ﴾ : أَيْ : مُعْتَدِلًا ، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ . ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ ﴾ : أَيْ عَاجِلَ عَقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَعَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ الَّذِي بَعَثَكَ رَسُولًا . ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ، مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَرْبَابٌ ﴾ : أَيْ دَارُ الْخَالِدِ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِمَا جِئْتُ بِهِ مِمَّا كَذَبَكَ بِهِ غَيْرُهُمْ ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ . ﴿ وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ يَعْنِي : قَرِيشًا فِي قَوْلِهِمْ : إِنَّا نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ ، وَهِيَ بَنَاتُ اللَّهِ . ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾ الَّذِينَ أَعْظَمُوا فِرَاقَهُمْ وَعَظِيبَ دِينِهِمْ . ﴿ كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أَيْ : لِقَوْلِهِمْ : إِنِ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ . ﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ، فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ ﴾ بِأَمْحَدٍ ﴿ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ أَيْ : لِحُزْنِهِ عَلَيْهِمْ حِينَ فَاتَهُ مَا كَانَ يَرْجُو مِنْهُمْ ، أَيْ : لَا تَفْعَلْ .

قال ابن هشام : باخِعٌ نَفْسَكَ ، أَيْ : مُهْلِكٌ نَفْسَكَ ، فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ .
قال ذو الرُّمَّة :

أَلَا أَيُّهَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لَشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

وجمعه : باخعون وبخعة . وهذا البيت في قصيدة له . وتقول العرب :
قد بخعت له نَفْسِي وَنَفْسِي ، أَيْ جَهَدْتُ لَهُ . ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ .

قال ابن إسحاق : أى : أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتي . ﴿وإننا
لجاعلون ما علمينا صعيداً جزوا﴾ : أى : الأرض ، وإن ما عليها لقان وزائل ،
وإن المرجع إلى ، فأجزى كلاً بعمله ، فلا تأس ، ولا يحزنك ما نسمع
وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صُعد . قال ذو الرِّثمة : يصف
ظبياً صغيراً :

كَأَنَّهُ بِالضُّحَى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ دَبَّابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومُ

وهذا البيت في قصيدة له . والصعيد أيضاً : الطريق . وقد جاء في الحديث :
« إياكم والقعود على الصُّعَدَاتِ » يريد الطرق . وأجزاء : الأرض التي لا تنبت
شيئاً ، وجمعها : أجزاء . ويقال : سنة جز ، وسنن أجزاء ، وهى التي
لا يكون فيها مطر ، وتسكون فيها جدوبة ويابس وشدة . قال ذو الرِّثمة
يصف إبلاً :

ضوى النَّحْزُ والأجزاء ما في بطنونها فما بقيت إلا الضَّلُوعُ الجراشعُ

وهذا البيت في قصيدة له :

حول سورة الكهف

قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سأله عنه من شأن الغفية .
فقال : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ .

أى : قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حُجَجِي ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب الذى رُقِمَ فيه بخبرهم ، وجمعه : رُقُم .
قال العجاج :

وَمُسْتَقَرُّ الْمُصْحَفِ الْمُرْقَمِ

وهذا البيت فى أرجوة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا : رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، فَضَرْبَنَا عَلَى أَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ : لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ : أى : بصدق الخبر عنهم : ﴿ إِنَّهُمْ فَتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ، فَقَالُوا : رَبَّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴾ : أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لىكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلو ومجاورة الحق . قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة :

لَا يَنْتَهَوْنَ ، وَلَا يَنْتَهَى ذَوَى شَطَطِ كَالطَّمَنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَيْتُ وَالْفُتُلُ
وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَوْلَا يُنْفِتُونَ عَابَتِهِمْ سُلْطَانٍ
بَيِّنٌ﴾ .

قول ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَإِذَا اُعْتَزِلْتُمْهُمْ ،
وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، فَأَوُوا إِلَى السَّكَنِ ، يَنْشُرُ أَسْكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ
رَحْمَتِهِ ، وَيُحْيِي لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقَنَا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ
تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ،
وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزَّوَر : وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

وَإِنِّي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُعَمَّا كَا بِسَيْرٍ تَرَى مِنْهُ الْفُرَاقَ أَزُورَا

وهذا البيت في قصيدة له . وقال أبو الزَّحَف الكَلْبِيُّ يصف بلدًا :

جَابُ الْمُنْدَى عَنْ هَوَانَا أَزُورُ يُنْفِضِي الْمَطَايَا خِمْسَهُ الْعَشْرُ

وهذان البيتان في أرجوزة له . و « تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ » :

تجاوزهم وتتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إِلَى طَعْنٍ يَقْرِضُنْ أَفْوَازَ مُشْرِفٍ شِمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ

وهذا البيت في قصيدة له . والفجوة : السَّعة ، وجمعها : الفجاء

قال الشاعر :

الْبَسْتَ قَوْمَكَ نَحْزَاءَ وَمَنْقَصَةً حَتَّى أُيْحُوا ، وَخَاؤُوا فَجُورَةَ الدَّارِ

« ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ » أى فى الحجة على مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ
 مِنْ أَهْلِ السِّكِّتِ ، مِمَّنْ أَمْرُهُمْ بِمَسْأَلَتِكَ عَنْهُمْ فِى صِدْقِ نَبَوَّتِكَ بِتَحْقِيقِ
 الْخَبَرِ عَنْهُمْ . ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
 وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ ، وَنَقَلَّيْهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَذَاتَ
 الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ » .

قال ابن هشام : الوصيد : الباب . قال القسسى ، واسمه : عُبَيْدُ بْنُ وَهْبٍ :

بَارِضٍ فَلَاةٍ لَا يَسُدُّ وَصِيدُهَا عَلَى ، وَمَعْرُوفٍ بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ

وهذا البيت فى أبيات له . والوصيد أيضا : الفداء ، وجمعه : وصائد ،
 بَوُوصِدٌ ، وَوُصْدَانٌ ، وَأُصْدٌ ، وَأُصْدَانٌ .

﴿ لَوِ اطَاعَتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا ، وَلَمَلَمْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾
 . . . إلى قوله : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ ﴾ أهل السلطان والملك
 منهم : ﴿ لَفَتَخِذْنَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا سَيَقُولُونَ ﴾ يعنى : أحرار يهود الذين أمروهم
 بالمسألة عنهم : ﴿ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
 رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ أى : لاعلم لهم (وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ
 بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَائِلٌ ، فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءَ ظَاهِرٍ ﴾ :
 أى : لا تسكبرهم ، ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ فإيهم لاعلم لهم بهم .
 ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ : إِنِّى فَعَلْتُ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَاذْكُرْ

رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِاقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿١٠﴾
 أَيْ : وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ سَأَلْتُكَ عَنْهُ كَمَا قُلْتَ فِي هَذَا : إِنِّي أَخْبَرْتُكَ غَدًا . وَاسْتَشِيرْ
 مَشِيئَةَ اللَّهِ ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ : عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِخَيْرِ مَا
 سَأَلْتُكَ عَنْهُ رَشَدًا ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَنَا صَانِعٌ فِي ذَلِكَ . ﴿١١﴾ وَلَيَسْئَلُوكَ
 فِي كَثَرَتِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسَعًا ﴿١٢﴾ : أَيْ : سَيَقُولُونَ ذَلِكَ .
 ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ بِكُمْ ، لَهُ الْغَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ
 وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿١٤﴾ أَيْ
 لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا سَأَلُوكَ عَنْهُ .

وَقَالَ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الرَّجُلِ الطَّوَّافِ : ﴿١٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي
 الْقَرْنَيْنِ قُلْ : سَأَلْتُكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ
 وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَاتَّبَعِ سَبِيلَ السَّكْفِ : ٨٣ حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِ
 قِصَّةِ خَبْرِهِ .

وَكَانَ مِنْ خَبَرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّهُ أُوتِيَ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدٌ غَيْرُهُ فَهَدَتْ لَهُ
 الْأَسْبَابُ ، حَتَّى انْتَهَى مِنَ الْبِلَادِ إِلَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، لَا يَطَأُ أَرْضًا إِلَّا
 سَاطَ عَلَى أَهْلِهَا ، حَتَّى انْتَهَى مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَى مَا لَيْسَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ
 مِنَ الْخَلْقِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي مِنْ يَسُوقِ الْأَحَادِيثِ عَنِ الْأَعَاجِمِ ، فِيمَا تَوَارَثُوا
 مِنْ عِلْمِهِ : أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، اسْمُهُ : مَرْزُبَانُ بْنُ مَرْزُوبَةَ .
 الْيُونَانِيُّ ، مِنْ وَلَدِ يُونَانَ بْنِ يَافَثَ بْنِ نُوحَ .

قال ابن هشام : واسمه : الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية ،
فنسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان السكلاعي
وكان رجلاً قد أدرك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سُئِلَ عن ذى
القرنين ، فقال : مَلِكٌ مَسَحَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا بِالْأَسْبَابِ .

وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يقول : يا ذا القرنين ،
فقال عمر : اللَّهُمَّ غَنِّرَا ، أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ تَسْمَوْا بِالْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَسْمِيَهُمَ بِالْمَلَأُكَةِ؟!
قال ابن إسحاق : والله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسولُ الله - صلى
الله عليه وسلم - ، أم لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أسباب نزول بعض الآيات وعن الروح :

وقال تعالى فيما سأله عنه من أمر الروح : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ،
قُلِ : الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء : ٨٥ .

قال ابن إسحاق : وحدثت عن ابن عباس ، أنه قال : لما قدم رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - المدينة ، قالت أخبارُ يهود : يا محمد ، أرايتَ قولَكَ :
﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إيانا تريد ، أم قومك ؟ قال : كلا ، قالوا :
فإنك تملو فيما جاءك : أنا قد أوتينا التَّورَةَ فيها بيان كُلِّ شَيْءٍ . فقال رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - : إنها في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم

لو أَقْمَتُمُوهُ . قال : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ : ﴿ وَلَوْ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان : ٢٧ : أى : إن التوراة في هذا من علم الله قايلاً .

عن تسيير الجبال وبعث الموتى :

قال : وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا سَأَلَهُ قَوْمُهُ لَأَنْفُسِهِمْ مِنْ تَسْيِيرِ الْجِبَالِ ، وَتَقْطِيعِ الْأَرْضِ ، وَبَعَثَ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ : ﴿ وَلَوْ أَنْ قُرْآنَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلُّنَا بِأَلَمٍ مَوْتٍ ، بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ أى : لا أصنع من ذلك إلا ما شئت .

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِمْ : خُذْ أَنْفُسَكَ ، مَا سَأَلُوهُ أَنْ يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُ جَنَانًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا ، وَيَبْعَثَ مَعَهُ مَلَكَ يَصْدَقُهُ بِمَا يَقُولُ ، وَيُرَدُّ عَنْهُ : ﴿ وَقَالُوا : مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ؟ لَوْ أَنْ أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ، أَوْ يُبَلِّغُنَا إِلَيْنَا كِتَابًا ، أَوْ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَاءً غَافِقًا ، أَوْ كُلُّ مِّنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ : إِنَّ تَنْذِيرَهُنَّ إِلَّا رَجُلًا مَّسْجُورًا انْظُرْ : كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ، فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ، تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾ : أى من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴾ الفرقان ٧ : ١٠ .

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ، أَنْ تَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ الفرقان : ٢٠ أى جعلت بعضكم لبعض بلاء ، لتصبروا ، ولوشئت أن أجعل الدنيا مع رُسلى فلا يخالفوا لفعلت .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا : أَوْ تَكُونَ لَكَ جِدَّةٌ مِنْ نَحِيلِ وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا ، أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ . حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ . قُلْ : سُبْحَانَ رَبِّي . هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ . الإسراء : ٩٠ - ٩٥ .

قال ابن هشام : ينبوع : مانع من الماء من الأرض وغيرها . وجمعه ينابيع . قال ابن هرمة . واسمه : إبراهيم بن عبد الله الفهرى .

وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَبْرَةً تُزِفُ الشُّمُونَ . وَدَمْعُكَ الْيَنْبُوعُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وَالْكِسْفُ الْقِطْعُ مِنَ الْعَذَابِ . وواحدته : كِسْفَةٌ . مثل سِدْرَةٍ وَسِدْرٍ . وهى أيضا : واحدة الكِسْفِ . والقَبِيلُ : يكون مقابلة ومعاينة . وهو كقوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ : أى : عيانا . وأشدنى أبو عبيدة لأعشى بنى قيس بنى ثعلبة :

أصالحكم ، حتى تبوءوا بمثلها كصخرة حُبلى يسرتها قبيلها

يعنى : القابلة ؛ لأنها تُقابلها ، وتقبل ولدها . وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال : القَبِيل : جمعه قُبُل ، وهى الجماعات ، وفى كتاب الله تعالى : ﴿ وَحَسَّرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ . الأنعام : ١١١ قُبُل : جمع قَبِيل ، مثل سُبُل : جمع سَبِيل . وسُرُر : جمع سرير ، وقُمص : جمع قميص . والقَبِيل أيضا : فى مَثَل من الأمثال . وهو قولهم : ما يعرف قَبِيلًا من دَبِير : أى : لا يعرف ما أقبل ممَّا أدبر ، قال : السكيت بن زيد :

تَفَرَّقَتِ الْأُمُورُ بِوُجْهِتِهِمْ فَمَا عَرَفُوا الدَّيْرَ مِنَ الْقَبِيلِ

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا : القتل ، فما قُتِل إلى الذراع فهو القَبِيل ، وما قُتِل إلى أطراف الأصابع فهو الدَّيْر ، وهو من الإقبال . والإدبار الذى ذكرت . ويقال : قَتْلُ الْمَغْزَل . فإذا قُتِل إلى الركبة فهو القَبِيل ، وإذا قُتِل إلى الْوَرِك فهو الدَّيْر . والقَبِيل أيضا : قومُ الرجل . والزخرف : الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

مِنْ طَلَلِ أُمْسَى تَخَالِ الْمُصْحَفَا رُسُومَهُ وَالْمُذْهَبَ الْمُزْخَرَفَا

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، ويقال أيضا لكلِّ مُزَيَّنٍ : مُزْخَرَف .

قال ابن إسحاق : وأنزل عليه فى قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما تعلمك رجل باليامة . يقال له : الرحمن . ولئن نؤمن به أبداً : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . وَهُمْ

يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ . قُلْ : هُوَ رَبِّي . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ .
وإِلَيْهِ مَتَاب ﴿٣٠﴾ . الرعد : ٣٠ .

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام - لعنه الله - وما هم به : ﴿أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ ، أَرَأَيْتَ
إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ
لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ،
كَلَّا لَا تَطْفَعُ وَلَا نَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿سورة العلق﴾ .

قال ابن هشام : لنسفعاً : لنجذب ، ولماخذن . قال الشاعر :

قومٌ إذا سَمِعُوا الصُّرَاخَ رَأَيْتَهُمْ من بين مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ

والنادى : المجلس الذى يجتمع فيه القوم ، ويقصّون فيه أمورهم ،
وفى كتاب الله تعالى : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرُ﴾ العنكبوت : ٢٩
وهو الندى . قال عبيد بن الأبرص :

اذهب إليك فإني من بنى أسد أهل الندى ، وأهل الجرد والنادى

وفى كتاب الله تعالى : ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مريم . ٧٣ . وجمعه : أندية . يقول :
فلْيَدْعُ أَهْلَ نَادِيهِ . كما قال تعالى : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف : ٨٢ يريد
أهل القرية . قال سلامة بن جندل ، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم :

يَوْمَانِ : يَوْمُ مَقَامَاتٍ ، وَأَنْدِيَةٍ ويَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيلِ

وهذا البيت في قصيدة له . وقال السكيت بن زيد :

لا مَهَازِيرَ فِي النَّدَى مَكَائِيرَ وَلَا مُصْمِتِينَ بِالْإِفْحَامِ

وهذا البيت في قصيدة له . ويقال : النادی : الجمساء . والزبانية : الغلاظ
الشَّدَاد، وهم في هذا الموضع : خَزَنَةُ النَّارِ . والزَّبَانِيَةُ أَيْضًا فِي الدُّنْيَا : أَعْوَانُ
الرَّجُلِ الَّذِينَ يَخْدُمُونَهُ وَيُعِينُونَهُ ، وَالوَاحِدُ : زَبْدِيَّةٌ . قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ
فِي ذَلِكَ :

مَطَاعِيمُ فِي الْمَقَرَى ، مَطَاعِينُ فِي الْوَعَى

زَبَانِيَّةٌ غُيْبٌ ، عِظَامٌ حُلُومُهَا

يقول : شِدَادٌ . وهذا البيت في أبيات له . وقال صَخْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْمُذَلِّي ، وَهُوَ صَخْرُ الْغَيِّ :

وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرٌ زَبَانِيَّةٌ

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن إسحاق : وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا عَرَّضُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ :
﴿ قُلْ : مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . سَبَأُ : ٤٧ ﴾ .

فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ، وَعَرَفُوا
صِدْقَهُ فِيمَا حَدَّثَ ، وَمَوْقِعَ نُبُوَّتِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ حِينَ سَأَلُوهُ عَمَّا

سألو عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين أتباعه وتصدقته فمَتَّوْا على الله وتركوا أمره عيانا ، وِجَلَّوْا فيما هم عليه من الكُفْر ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ : لَا تَسْمَعُوا لهذا القرآن والْعَوَا فيه لعلكم تَغْلِبُونَ ، أَيْ : اجعلوه لغواً وباطلاً ، واتخذوه هُزُوءاً لعلكم تَغْلِبُونَهُ بذلك ، فَإِنَّكُمْ إِنْ نَظَرْتُمُوهُ أَوْ خَاصَمْتُمُوهُ يَوْمًا غَلَبَكُمْ .

فَقَالَ أَبُو جَهْل يَوْمًا — وَهُوَ يَهْزَأُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّ جُنُودَ اللَّهِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَكُمْ فِي النَّارِ ، وَيَحْبِسُونَكُمْ فِيهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ عِدْداً ، وَكَثْرَةً ، أَقِيَمِجِزُ كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . المذثر : ٣١ . إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، جَعَلُوا إِذَا جَهِرَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِالْقُرْآنِ وَهُوَ يُصَلِّي ، يَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ ، وَيَأْبُونَ أَنْ يَسْتَمِعُوا لَهُ ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَمَعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَعْضٍ مَا يَتْلُو مِنَ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ يُصَلِّي ، اسْتَرَقَ السَّمْعَ دُونَهُمْ فَزَكَا مِنْهُمْ ، فَإِنْ رَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ ذَهَبَ خَشْيَةُ أَذَاهُمْ ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ ، وَإِنْ خَفِضَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — صَوْتَهُ ، فَظَنَّ الَّذِي يَسْتَمِعُ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَمِعُونَ شَيْئاً مِنْ قِرَائَتِهِ ، وَسَمِعَ هُوَ شَيْئاً دُونَهُمْ أَصَاحَ لَهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ الْحَصَيْنِ ، مَوْلَى عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ ، أَنَّ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَدَّثَهُمْ :

إِنَّمَا أَنْزَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء : ١١٠ . من أجل أولئك النفر . يقول : لا تجهر بصلواتك فيتفرقوا عنك ، ولا تخافت بها ، فلا يسمعونها من يحب أن يسمعونها ممن يشترق ذلك دونهم ، لعلهم يرعوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به .

أول صحابي جهر بالقرآن :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : اجتمع يوما أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : والله ما سمعت قریش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعه موه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قلوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعوني فإن الله سيمنعني . قال : ففدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقریش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ رافعا بها صوته ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ قال : ثم استقبلها يقرأها . قال : فتأملوه فجعلوا يقولون . ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خشنا عليك فقال : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً ، قالوا : لا ، حسبك ، قد أسمعتمهم ما يكرهون .

والقى رسول الله (ص) من قومه :

فصل : فيما لقي رسول الله صلى عليه وسلم من قومه ، ذكر ابن إسحاق والواقدي والتيمي ، وابن عتبة وغيرهم في هذا الباب أموراً كثيرة تتقارب ألفاظها ومعانيها ، وبعضهم يزيد على بعض ، فمنها حَتُّو سفهاءهم التراب على رأسه ، ومنها أنهم كانوا يَنْضِدُون^(١) الْفَرثَ والأَفْعَاثَ والدماء على بابه ، ويطرحون رحم الشاة في بُرْمَتِهِ ، ومنها : بَصَقُ أُمَيَّةَ بن خلف في وجهه ، ومنها : وطء عقبة بن أبي مُعَيْط^(٢) على رقبته ، وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان ، ومنها أخذُهُ بِمُخْتَقِهِ حين اجتمعوا له عند الحِجْر ، وقد ذكره ابن إسحاق ، وزاد غيره الخبر أنهم خنقوه خنقاً شديداً وقام أبو بكر دونه فَجَبَذُوا

(١) يَنْضِدُونَ : يضعون بعضه فوق بعض ، والألفاظ جمع الفتح — بسكون الحاء وكسرهما — شيء متصل بالكرش ذو أطباق وأجواف ، والفَرث ما في داخل الكرش

(٢) قتل بعد بدر ، وقيل : قتل صبراً مع النصر في بدر وقد روى البخاري في كتاب خلق أفعال العباد . وأبو يعلى وابن حبان عن عمرو بن العاصي : ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا يوم أغروا به وعم في ظل الكعبة جلوس ، وهو يصلي عند المقام ، فقام إليه عقبة ، فجعل رداه في عنقه ، ثم جذبه ، حتى وجب لركبته ، وتصايح الناس ، وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ورائه ، وهو يقول : أقتلوا رجلاً أن يقول : ربى الله ، ثم انصرفوا عنه ، فلما قضى صلاته ، مر بهم ، فقال : والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح ، فقال له أبو جهل : يا محمد ما كنت جهولاً ، فقال : أنت منهم .

رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره ، وأما السبُّ والهجو والتأنيب وتعذيب أصحابه وأحبائه ، وهو ينظر ، فند ذكر من ذلك ابن إسحاق ما في الكتاب ، وقد قال أبو جهم السُمَيْيَّةُ أمَّ عَمَّار بن ياسر : ما آمنت بهمد إلا لأنك عَشِيقَتُهُ لِحَالِهِ ، ثم طعنهم بالحرية في قبلكم حتى قتلها ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة .

السبب في تلقيب بالمدثر والنذر العريانه :

وذكر ابن إسحاق قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « دَثِرُونِي دَثِرُونِي »
فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ ^(١) قال بعض أهل العلم : في تسميته إياه

(١) ذكر في أسباب نزول هذه الآيات — روايتان . أما الاولى : فعن يحيى قال : سألت أبا سلة رضى الله عنه : أى القرآن أنزل أول ؟ فقال : يا أيها المدثر . قلت : أنبئت : أنه اقرأ باسم ربك ، فقال : لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : جاورت في حراء ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فاستبطنت الوادى ، فنوديت ، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى ، وعن شمالى فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض ، فأنتيت خديجة ، فقلت : دَثِرُونِي ، وصبوا على ماء باردا ، ففعلوا ، وأنزل على : يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

أما الرواية الاخرى فعن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو يحدث عن فترة الوحى ، فقال فى حديثه : « فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فجلست منه رجبا ، فرجعت ، فقلت : زملونى ، فدَثِرُونِي ، فأنزل الله تعالى : يا أيها المدثر — إلى — والرجز فاهجر قبل أن تفرض الصلاة . البخارى ومسلم والإمام أحمد . والروايتان عن جابر بن عبد الله .

وذكر الطبرانى رواية ثالثة يسند ضعيف عن ابن عباس قال : إن الوليد ابن المغيرة صنع لقريش طعاما ، فلما أكلوا منه قال : ما تقولون فى هذا الرجل ؟

بالمُدَّثِّرِ في هذا المقام مُلَاطَفَةٌ وتأنيسٌ ، ومن عادة العرب إذا قصدت المِلاطفة أن تسمى المخاطب باسم مُشْتَقٍّ من الحالة التي هو فيها ، كقوله عليه السلام لخديجة: قم يا نَوَّمان ، وقوله لعلي بن أبي طالب - وقد تَرَبَّجَنِيهُ: قم أبا تُرَّابٍ (١) فلو ناداه سبحانه، وهو في تلك الحال من السكر باسمه، أو بالأمر المجرد من هذه المِلاطفة لَهَلَّ ذلك ، ولكن لما بدى، بيأياها المدثر أنيس ، وعلم أن ربه راض عنه ، ألا تراه كيف قال عندما لقي من أهل الطائف من شدة البلاء والسكر ما لقي : رَبِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي (٢) إلى آخر الدعاء ، فكان مطلوبه رضا ربه ، وبه كانت تهون عليه الشدائد. فإن قيل : كيف ينتظم بآياها المدثر مع قوله: قم فأنذر ، وما الرابط بين المعنيين ، حتى يلتئم في قانون البلاغة ، ويتشاكل في حكم الفصاحة ؟ قلنا: من صفته عليه السلام ما وصَّفَ به نفسه حين قال : أنا النذير العُزَيَّان ، وهو مَثَلٌ معروف عند العرب ، يقال لمن أُنْذِرَ بقرب

== فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم: ليس بساحر ، وقال بعضهم : كاهن ، وقال بعضهم : ليس بكاهن ، وقال بعضهم : شاعر ، وقال بعضهم : ليس بشاعر ، وقال بعضهم : بل سحر يؤثر ، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر ، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فخرن ، وقنع رأسه ، وتدثر ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر) وأخرجه البزار بنحوه عن جابر .

(١) كان على رضى الله عنه قد غاضب فاطمة ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل فاطمة ، وعلم بهذا ، أرسل من يبحث عنه ، فجاء ، فأخبره أنه في المسجد ، فجاءه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب . فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمسحه عنه ، ويقول : قم أبا التراب ، قم أبا التراب .. مختصر من حديث رواه الشيخان .

(٢) من حديث رواه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن جعفر .

العدو ، وبالغ في الإنذار ، وهو النذير العُريان^(١) ، وذلك أن النذير الجادَّ يُجرّد ثوبه ، ويُشير به إذا خاف أن يسبق العدوَّ صوته ، وقد قيل : إن أصل المثل لرجل من خُفَم سلبه العدوُّ ثوبه ، وقطعوا يده ، فانطلق إلى قومه نذيراً على تلك الحال ، فقوله عليه السلام : أنا النذير العريان أى : مثلى مثل ذلك ، والتندر بالثياب مُضادٌّ للتعرّى ، فسكان في قوله : (يا أيها المدثر) مع قوله : (قم فأنذر) والنذيرُ الجادُّ يسمى : العُريان : تشاكلاً بين ، والثام بدیع وسماعة في المعنى ، وجزّالة في اللفظ .

تقديم المفعول على الفعل :

وقوله بعد هذا : (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أى : ربك كبير ، لا غيره لا يكبر عليك شيء من أمر الخلق ، وفي تقديم المفعول على فعل الأمر إخلاص ، ومثله قوله : إِيَّاكَ نَعْبُدُ [وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] أى : لا نعبد غيرك [ولا نستعين إلا بك]^(٢) ، ولم يقل : نعبدك ونستعينك ، وفي الحديث : إذا قال العبد : إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، يقول الله تعالى : أخلص لي عبدى العبادَة ، واستعانني عليهما ، فهذه بينى وبين عبدى^(٣) .

(١) روى الصحيحان قول النبي « ص » : « إنما مثلى ، ومثل ما بعثنى الله كمثلى رجل أتى قومه ، فقال : يا قوم : إني رأيت الجيش بعينى ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة من قومه ، فأدلجوا ، وانطلقوا على مهلمهم ، فنجوا ، وكذبت طائفة منهم ، فأصبحوا مكاثرهم ، فصباحهم الجيش ، فأهلكهم ، واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى ، واتبع ما جئت به ، ومثل من عصانى ، وكذب ما جئت به من الحق ، وانظر بجمع الامثال

(٢) الزيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) في رواية مسلم : « وإذا قال : إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، قال : هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل ،

عتبة بن ربيعة والرئي :

فصل : وذكر قول عتبة : إن كان هذا رئيًا تراه . وافتة بنى تميم : رئيًا بكسر الراء ، وكذلك يقولون في كل فاعيل عين الفعل منه همزة ، أو غيرها من حروف الخلق ، يكسرون أوله ، مثل : رحيم وشهيد والرئي : فاعيل بمعنى مفعول ^(١) ، ولا يكون إلا من الجن ، ولا يكون فاعيل بمعنى مفعول في غير الجن . إلا أن يؤثر فيه الفعل نحو : جريح وقتيل وذبيح وطحين ، ولا يقال من الشكر : شكير ، ولا ذكرته فهو ذكير ، ولا فيمن لطم : لطم إلا أن تغير منه اللطمة ، كما قالوا : لطم الشيطان . قال ابن الزبير حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق [ابن العاص] ^(٢) : ألا إن أباذيان قتل لطم الشيطان : كذلك نولى بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون الأنعام : ٢٩ . وقالوا من الحمد : حميد . ذهبوا به مذهب كريم ، وكذلك قالوا في الجن : رئي ، وإن كانت الرؤيا لا تؤثر في المرئي : لأنهم ذهبوا به مذهب قرين ونجى .

(١) وعن اللحياني : رنى بكسر الراء — إذا كان يحبه ويؤلفه ، وفي اللسان كذلك : هو فاعيل أو مفعول سمي به لأنه يترأى لمتبوعه ، أو هو من الرأى من قولهم : فلان رنى قومه بنتج الراى وكسر الهمزة وتضعيف الياء ، إذا كان صاحب رأي . وحروف الخلق هي حروف الهجاء التي تخرج من الخلق عند النطق . وهي الهمزة والحاء والخاء والعين والغين والهاء .

(٢) الذي قتله عبد الملك بن مروان ، وكان الأشدق يلقب بلطم الشيطان فلما بلغ ابن الزبير مقتله ، وهو بمكة صعد المنبر وقال ما ذكره السهلي ، وأبو ذبيان يكسر الدال وتشديد الباء مع فتح كنية لعبد الملك بن مروان . وقد كنى بها لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه (ص ٧٩ الاشتقاق لابن دريد وتعليقاته للأستاذ عبد السلام هارون ،

(٣) عن قصة عتبة روى عبد ابن حميد في مسنده عن ابن أبي شيبة بسنده عن

جابر وأبو يعلى أيضا بسنده عن جابر : (اجتمعت قريش يوما . فقالوا : انظروا
أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليات هذا الرجل الذى قد فرق جماعتنا ،
وشئت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكنه ولننظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما نعلم
أحدا غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة . فقال : يا محمد
أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله . وص . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟
فسكت رسول الله . وص . فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا
الآلهة التى عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم حتى نسمع قولك ،
وإنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشئت
أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم أن فى قريش
ساحرا وأن فى قريش كاهنا ، والله ما تنتظر إلا مثل عبيحة الحبلى أن يقوم
بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى . أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة
جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وأخذا ، وإن كان إنما بك من الباءة ،
فاختر أى نساء قريش شئت ، فلنزوجك عشرا ، فقال رسول الله . وص . فرغت ؟
قال : نعم ، فقرأ رسول الله . وص . من أول سورة فصلت إلى قوله سبحانه :
(فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة :
حسبك حسبك ما عندك غير هذا ؟ فقال رسول الله . وص . لا . فرجع إلى قريش ،
قالوا : ما وراءك . قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تسلكون به إلا كلمته
قالوا : فهل أجابك ؟ قال : نعم والذى نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قاله ، غير أنه
أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويملك بكلمك الرجل بالعربية
لا تدرى ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة ، وقد
سأقه البغوى بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندى
السكرانى ، وقد ضعف بعض الشيء عن الزبال بن حردلة عن جابر ، فذكر الحديث
إلى قوله . فإن أعرضوا ، فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم ، ورجع إلى
أهله ، ولم يخرج إلى قريش ، واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش
والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد ، وأعجبه طامحه ، وما ذاك إلا من حاجة =

إسلام حمزة :

فصل : وذكر إسلام حمزة ، وأمه : هالة بنت أَهْيَب بن عبد مناف بن زهرة ، وأَهْيَب : عم آمنه بنت وهب زوجها عبد المطلب ، وتزوج ابنه عبد الله آمنه في ساعة واحدة ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة . وولدت آمنه لعبد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أرضعتها ثؤيبه كما تقدم ، وزاد غير

أصابته ، فانطلقوا بنا إليه ، فانطلقوا إليه ، فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبات إلى محمد ، وأعجبك طعامه ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة ، وأقسم ألا يكلم محمدا أبداً . وقال : والله لقد علمتم أني من أكثر قریش مالا ، ولكني أتيت ، وقصصت عليه القصة ، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ، ولا كهانة ، ولا سحر . وقرأ السورة إلى قوله تعالى : (فإن أعرضوا . .) فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب ، خشيت أن ينزل بكم العذاب ، وسياق ابن إسحاق أشبه .

(١) حمزة هو أخو النبي «ص» من الرضاعة أرضعتها - كما سيذكر السهيلي - ثؤيبه مولاة أبي لهب ، وقد ثبت هذا في الصحيحين . وقد أسلم حمزة في الثانية أو الثالثة - كما في الإصابة والاستيعاب - أو في السادسة كما ذكر ابن الجوزي .

(١) في الإصابة أنه ولد قبل النبي بأربع ، ولا يشك هذا مع حديث الأخوة من الرضاعة إذ يمكن القول بأنها أرضعتهما في زمنين مختلفين . وكنيته : أبو عماره بابن له من امرأة من بني النجار ، وقيل : هي بنت له ، وقيل : كنيته أبو يعلى الذي قيل إنه لم يعيش له ولد سواه . وفي ابن هشام أن التي كلبته هي مولاة عبد الله بن جدعان . وعند غيره أن صفية أخته هي التي كلمته . ولا منافاة فهند ابن أبي حاتم : أخبرته امرأتان .

ابن إسحاق في إسلام حمزة أنه قال : لما احتملني الغضب ، وقلت : أنا على قوله ، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي ، وبت من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم ، ثم أتيت السكبة ، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدري للحق ، ويذهب غي الريب (١) فما استتممت دعائي حتى زاح غي الباطل ، وامتلأ قلبي يقينا — أوكما قال — فغدوت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمري ، فدعاني بأن يُثبِّتني الله ، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم :

حَدَّثَ اللَّهُ حِينَ هَدَى فُؤَادِي	إِلَى الْإِسْلَامِ وَالِدِينَ الْخَنِيفِ
لِدِينٍ جَاءَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ	خَيْرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفٍ
إِذَا تُبْدِيتُ رِسَالَهُ عَلَيْنَا	تَحْدَرُ دَمْعُ ذِي اللَّبِّ الْخَصِيفِ
رِسَائِلُ جَاءَ أَحَدٌ مِنْ هَدَاها	بِآيَاتٍ مُبَيِّنَةٍ الْحُرُوفِ
وَأَحَدٌ مُصْطَفَى فِينَا (٢) مَطَاعٍ	فَلَا تَغْشَوْهُ بِالْقَوْلِ الْعَنِيفِ
فَلَا وَاللَّهِ نُسَلِّهِ لِقَوْمٍ	وَلَمَّا نَقُضَ فِيهِمُ بِالسُّيُوفِ
وَنَتْرِكُ مِنْهُمْ قَتْلَى بِقَاعٍ	عَلَيْهَا الطَّيْرُ كَالْوَرْدِ الْعَكُوفِ

(١) وعند يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه قال لنفسه بعد رجوعه من شج أبي جهل : أنت سيد قریش اتبعت هذا الصابي ، وتركت دين آبائك . الموت خير لك مما صنعت . ثم قال : اللهم إن كان هذا رشدا ، فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي بما وقعت فيه مخرجا . ثم غدا إلى رسول الله يطلب نصيحته ، فوعظه حتى ثبت إيمانه .

(٢) في الاصل : فينا مصطفي وهو خطأ يكسر البيت .

وقد خُبرت ما صنعت ثقيف به ، فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس شرَّ جزاء قومٍ ولا أسقامهم صوب الخريف

طلب الآيات :

فصل : وذكر مأسأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم ، وإنزال
الملائكة عليه ، وغير ذلك ، جهلا منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلق ، وتعيدهم
بتصديق الرسل ، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة ، فيقع الثواب
على حسب ذلك ، ولو كشف الغطاء ، وحصل لهم العلم الضروري ، بطأت
الحكمة التي من أجابها يكون الثواب والعقاب ، إذ لا يؤجر الإنسان على ما ليس
من كسبه ، كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم
من الدلائل ما يقتضى النظر فيه العلم الكسبي ، وذلك لا يحصل إلا بفعل من
أفعال القلب ، وهو النظر في الدليل ، وفي وجه دلالة المعجزة على صدق
الرسول ، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعون ، ويفقهون عن
إرسال الرسل إليهم ، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين ، فجعل الأمر
يُعلم في الدنيا بنظر واستدلال وتفكير واعتبار ؛ لأنها دار تعب واختبار ،
وجعل الأمر يُعلم في الآخرة بمعينة واضطرار ، لا يستحق به ثواب ولا جزاء ،
وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى ، حكمة دبرها ، وقضية
أحكامها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا
الْأَوَّلُونَ ﴾ الإسراء : ٥٩ . يريد - فيما قال أهل التأويل - إن التكذيب
بالآيات ، نحو مأسأله من إزالة الجبال عنهم وإنزال الملائكة يوجب في حكم

الله ، أَلَّا يُدَبِّثَ الْكَافِرِينَ بِهَا ، وَأَنْ يَمَاجِلَهُمْ بِالنَّقْمَةِ ، كَمَا فَعَلَ بِقَوْمِ صَالِحٍ
وَبِأَلِ فِرْعَوْنَ ، فَلَوْ أُعْطِيَ قَرِيشٌ مَسْأَلُوهُ مِنَ الْآيَاتِ ، وَجَاءَهُمْ بِمَا اقْتَرَحُوا
نَحْمُ كَذِبُوا لَمْ يَلْبِثُوا ، وَلَسَكُنَ اللَّهُ أَكْرَمَ مُحَمَّدًا فِي الْأُمَّةِ الَّتِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ ؛
إِذْ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنْ يَكْذَّبَ بِهِ مَنْ يَكْذِبُ ، وَيَصْدُقَ بِهِ مَنْ يَصْدُقُ ، وَابْتَعَثَهُ
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ بَرَّ (١) وَفَاجِرٍ ، أَمَّا الْبَرُّ فَرَحْمَتُهُ إِيَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَمَّا
الْفَاجِرُ ، فَإِنَّهُمْ أَمْنُوا مِنَ الْخُصْفِ وَالْفِرَاقِ وَإِرْسَالِ حَاصِبٍ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ .
كَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
الْأَنْبِيَاءُ : ١٠٧ مع أَنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوا مَسْأَلُوا مِنَ الْآيَاتِ إِلَّا تَعَفُّتًا وَاسْتِهْزَاءً ، لِأَعْلَى
جَهَةِ الْاسْتِرْشَادِ ، وَدَفْعِ الشَّكِّ ، فَقَدْ كَانُوا رَأَوْا مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ مَا فِيهِ شِفَاءٌ لِمَنْ
أَنْصَفَ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ الْعَنْكَبُوتِ
٥١ آيَةً . وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قِيلَ :

لَوْلَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُّبِينَةٌ كَانَتْ بِدَاهِنَةٍ مُنْتَبِهٍ بِالْخَبَرِ

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّهُمْ سَأَلُوا أَنْ يُجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا

(١) يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ مَجْلِسِ الْمُشْرِكِينَ وَسُؤَالِهِمْ مَا سَأَلُوا : « وَهَذَا الْمَجْلِسُ
الَّذِي اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ لَهُ ، لَوْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لِنَمَّا يَسْأَلُونَ ذَلِكَ اسْتِرْشَادًا لِأَجْبِيُوا
إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ عَلِمَ أَنَّهُمْ لِنَمَّا يَطْلُبُونَ ذَلِكَ كُفْرًا وَعِنَادًا فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :
إِنْ شِئْتَ أُعْطِينَاهُمْ مَسْأَلُوا ، فَإِنْ كَفَرُوا عَذَبْتَهُمْ عَذَابًا لَا أَعْذِبُهُ أَحَدًا مِنْ
الْعَالَمِينَ ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ عَلَيْهِمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ . فَقَالَ : بَلْ تَفْتَحُ عَلَيْهِمْ
بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَخَتَامُ كَلَامِ ابْنِ كَثِيرٍ وَرَدَّ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ .

ذهبا ، قَمَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَدْعُو اللَّهَ لَهُمْ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا شَقِمْتُمْ إِنْ شَقِمْتُمْ فَعَلْتُمْ مَا سَأَلْتُمْ ، ثُمَّ لَا تُنْبِئُهُكُمْ إِنْ كَذَبْتُمْ بَعْدَ مَعَايِنَةِ الْآيَةِ ، فَقَالُوا : لَاحَاجَةٌ لَنَا بِهَا ^(١) .

عبد الله بن أبي أمية :

فصل : وذكر قول عبد الله بن أبي أمية له ، واسم أبي أمية : حُذَيْفَةُ : وَاللَّهُ لَا أَوْ مِنْ بَكَ حَتَّى تَتَخَذَ سَأَمًا ^(٢) إِلَى آخِرِ السَّكَّامِ ، وَقَدْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَسَيَّاتِي ذِكْرَ إِسْلَامِهِ .

هم أبي جهل بإلقاء الحجر :

وذكر خبر أبي جهل ، وما هم به من إلقاء الحجر على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو ساجد ، وقد رواه النَّسَوِيُّ بِإِسْنَادٍ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ : فَذَكَصَ أَبُو جَهْلٍ عَلَى عَقْبَيْهِ ، فَقَالُوا : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : إِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ تَحْنُطًا مِنْ نَارٍ ، وَهُوَ لَا وَأُجْنَحَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْ دَنَا لَخْتَطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا ، وَخَرَّجَهُ أَيْضًا مُسْلِمًا ^(٣) وَذَكَرَ النَّسَوِيُّ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لَهُ :

(١) روى أحمد قريباً منه

(٢) في ابن كثير بعد حديثه في السيرة : حتى تأتيا : وتأتى معك بصحيفة منشورة ، ومعك أربعة : الخ ،

(٣) وابن حنبل والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم ، وسياق نص الأحاديث التي ذكرت حول هذا في الصفحة الآتية .

أَلَمْ أَتَهُنَّكَ؟ فَوَاللَّهِ مَا بِمَكَّةَ نَادٍ أَعَزَّ مِنْ نَادِيٍّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالْحَقِّ سُبُطًا يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١) العلق .

(١) روى البخاري عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : لئن فعل ، لأخذه الملائكة ، وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما ، وهكذا رواه ابن جرير .

وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير — وهذا لفظه من طريق داود ابن أبي هند — عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام ، فر به أبو جهل بن هشام ، فقال : يا محمد ! ألم أتَهُنَّكَ عَنْ هَذَا؟ وتوعده ، فأغظ له رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وانتهره ، فقال : يا محمد بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (فليدع ناديه ، سندع الزبانية) وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذه ملائكة العذاب من ساعته ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وعن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا : نعم ، قال : فقال : واللآلئ والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي ليظا على رقبته ، قال : فما جأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي يديه ، قال : فتميل له : مالك؟ فقال إن بيني وبينه خندقا من نار وهو لا وأجنحة . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا مني لأخطفته الملائكة عضوا عضوا ، قال : وأنزل الله لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا : (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة ، رواه مسلم وابن حنبل والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم ، وهكذا تؤكد هذه الأحاديث فرضية الصلاة قبل الإسراء .

تفسير رأيت:

قال محمد بن يزيد: في الكلام حذف، تقديره: رأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى، أمصيب هو أو مخطئ؟ وكذلك في قوله: ﴿رَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُهْدَى الْعَاقُ كَأَنَّهُ قَالَ: أَلَيْسَ مَنْ يَنْهَاهُ بَضَالٌ؟﴾ وقوله ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ العاق أى لناخذن بها إلى النار، وقيل معنى السفع ههنا: إزالته وقهره، والنادى والندي والمُنْتَدَى بمعنى واحد، وهو: مجلسُ القوم الذين يَنَادُونَ إليه، وقال أهل التفسير فيه أقوالاً متقاربة، قال بعضهم: فَلْيَدْعُ حَيَّهْ، وقال بعضهم: عشيرته، وقال بعضهم: مجلسه، وفي رأيت معنى: أخبرني، ولذلك قال سيديويه: لم يَجْزِ إلغاؤها، كما تُلغى: علمت إذا قلت: علمت أريد عندك أم عمرتو، ولا يجوز هذا في: رأيت، ولا بد من النصب إذا قلت: رأيت زيدا، أبومن هو؟ قال سيديويه: لأن دخول معنى أخبرني فيها لا يجعلها بمنزلة: أخبرني في جميع أحوالها، قال المؤلف: وظاهر القرآن يقضى بخلاف ما قال سيديويه إلا بعد البيان، وذلك أنها في القرآن مُلغاة؛ لأن الاستفهام هو مطلوبها، وعليه وقعت في قوله: ﴿رَأَيْتَ، إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى، أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق: فقوله: أَلَمْ يَعْلَمْ: استفهام، وعليه وقعت: رأيت، وكذلك: أَرَأَيْتُمْ، وأَرَأَيْتُكُمْ في الأنعام، فإن الاستفهام واقع بعدها نحو: ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام: ٤٧. وهذا هو الذي منع سيديويه في: رأيت وأَرَأَيْتُكَ أبومن أنت؟ وأما البيان فالذي قاله سيديويه صحيح، ولكن إذا ولي الاستفهام: رأيت، ولم يكن لها مَنُؤَلٌ سوى الجملة، وأما في هذه المواضع التي في التنزيل، فليست الجملة السُتفهم عنها هي مفعول: رأيت، إنما مفعولها محذوف يدل عليه

الشرط ، ولا بد من الشرط بعدها في هذه الصور ؛ لأن المعنى : أرأيتم صنيعكم إن كان كذا ، وكذا ، كما يقول القائل : أرأيت إن لقيت العدو أتقاتله أم لا ؟ تقدير الكلام : أرأيت رأيك أو صنيعك إن لقيت العدو فحرف الشرط ، وهو : إن ، دأب على ذلك المحذوف ، ومُرْتَبِط به ، والجملة المستفهم عنها كلامٌ مُسْتَتَافٍ منقطع ، إلا أن فيه زيادةً بيان لما يستفهم عنه ، ولو زال الشرط ، وولها الاستفهامُ تَقَبُّحٌ كما قال سيديويه ، ويحسن في : علمت ، وهل علمت وهل رأيت ، وإنما قُبِّحَ مع رأيت خاصة ، وهي التي دخلها معنى : أخبرني فتدبره .

الأساطير ومسمى عن الفرس :

فصل : وذكر حديث النضر بن الحارث ، وما نزل فيه من قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ واحد الأساطير : أسطورة كالأخْذَوَّة وأحاديث ، وهو ما سطره الأولون ، وقيل : أساطير : جمع أسطار ، وأسطار جمع سطر بفتح الطاء ، وأما سطر بسكون الطاء ، فجمعه : أسطر ، وجمع الجمع : أساطر بغير ياء ، وذكر أن النضر بن الحارث كان يحدث قريشا بأحاديث رُسِّمَ وأستندياذ ، وما تعلم في بلاد الفرس من أخبارهم ، وذكر ما أنزل الله في ذلك من قوله ، وقد قيل فيه نزلت : ﴿ وَمَنْ قَالَ : سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ الأنعام : ٩٣ . وأما أحاديث رسم ، ففي تاريخ الطبري أن رُسِّمَ بن ريسان ^(١) كان يحارب كي يستاسب بن كي لهراسب ، بعد ما قتل أباه لهراسب ابن كي اجو . وكى

(١) في الطبري ص ٥٠٤ ج ١ د رستم الشديد بن دستان بن بريمان ،

في أوائل هذه الأسماء عبارة عن البهاء ، ويقال : عبارة عن إدراك الثأر ،
ويقال لهؤلاء الملوك : السكينية من أجل هذا ، وكان رُسْتَمُ الذي يقال له : رُسْتَمُ
سَيِّدُ بنى ريسان من ملوك الترك ، وكان كى يستاسب قد غضب على ابنه ،
فسجنه حسداً له على مآظير من وقائمه فى الترك ، حتى صار الذكر له ، فعندها
ظهرت الترك على بلاد فارس ، وسبوا بنين : ليستاسب ، اسم إحداهما : خيانة ،
أو نحو هذا ، فلما رأى يستاسب الأيديين له يقتلهم أطلق ابنه من السجن ،
وهو اسفندياز ، ورضى عنه وولاه أمر الجيوش ، فهد إلى رستم ، وكانت بينهما
ملاحم يطول ذكرها ، لكنه قتل رستم ، واستباح عساكره ، ودوخ فى بلاد
الترك ، واستخرج أختيه من أيديهم ، ثم مات اسفندياز قبل أبيه ، وكان ملك
أبيه نحواً من مائة عام ، ثم عهد إلى بهمن بن اسفندياز ، فولاه الأمر بعد موته
وبهمن بلغتهم : الحسن النية ، ودام ملكه نيفاً على مائة عام ، وكان له ابنان :
ساسان ودارا ، وقد أملينا فى أول الكتاب طرفاً من حديث ساسان وبنيه ،
وهم الساسانية الذين قام عليهم الإسلام ، ورُسْتَمُ آخرُ مذكور أيضاً قبل هذا
فى أحاديث كى قباز ، وكان قبل عهد سليمان ، ثم كان رستم وزيراً بعد كى قباز
لابنه كى قاووس ، وكانت الجن قد سُخِّرَتْ له . يقال إن سليمان أمرهم بذلك ،
فبلغ ملكه من العجائب ما لا يكاد أن يصدق ذوو العقول لخروجها عن المعتاد
لكن محمد بن جرير الطبرى ذكر منها أخباراً عجيبة (١) .

(١) إنما سخر الجن بأمر الله لسليمان ، لا بأمر سليمان . وانظر ماقصه
السهيل فى الطبرى ج ١ من ص ٥٠٤ ط المعارف ، وفيه : سياوخش بدلا من
شيوخش ، وفيه بعض ما يخالف ما هنا ، ففى ص ٥٦٤ ج ١ يذكر الطبرى أن —

وذكر أنه هم بما هم به عمروذ من الصعود إلى السماء ، فطرحت الریح ،
وضَعَضَتْ أركانہ ، وهدمت بنيانہ^(۱) ، ثم تاب إليه بعض جنوده ، فصار كسائر
الملوك يفلب تارة ، ويُفلب بخلاف ما كان قبل ذلك ، وسار بجنوده إلى اليمن
فنهَدَ إليه عمرو ذو الأذعار ، فنهزمه عمرو ، وأخذہ أسيرا ، وحبسہ فی محبس حتى
جاء رُستَم ، وكان صاحب أمره ، فاستنقذه من عمرو ، إِمَّا بَطْوَج ، وإِمَّا بِإِكرَاه ،
ورده إلى بلاد فارس . ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب ،
وكان رستم هو القيم على شاوخش والكافل له في صفره ، وكان آخر أمر
شاوخش بعد عجب أن قتله قراسيات ، وقام ابنه كي خسرو يطلب بثأره ،
فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمثلها ، وكان الظفر له ، فلما ظفروا رأى
أمله في أعدائه ماملأ عينه قُرَّة ، وقلبه سرورا زهد في الدنيا ، وأراد السباحة
في الأرض ، فَتَعَاتَ به أبناء فارس ، وحذرتہ من شَتَات السَّحْلِ بعده ، وشماتة
العدو ، فاستخاف عليهم : كي لهراسب ، بن كي اجو ، بن كي كينة ، بن كي
قاووس المتقدم ذكره^(۲) ، ولا أدري : هل رستم الذي قتله أسفندياذ هو رُستَم

مقتل اسفنديار كان على يد رستم ، وأما الذي قتل رستم وأباه دستان فهو أزدشير
بهن ابن بشتاسب ص ۵۶۸ .

(۱) في الطبری ص ۵۰۷ ج ۱ ويذكر الطبری عن كي قاوسي : وأن الله أعطاه قوة
ارتفع بها ، ومن معه في الهواء ، حتى انتهوا إلى السحاب ، ثم إن الله سلبهم تلك ،
القوة ، فسقطوا ، فهلكوا ، وأفلت كي قاوس بنفسه ، أكانت لديهم معرفة
بغزو الفضاء ؟ وقد ظهر الترك على بلاد فارس في عهد ملك الترك خراسف . واسم
ابنة ليستنسب الاخرى : باذفراه

(۲) نسبه في الطبری هكذا : كيلهراسب بن كيوجي بن كيمنوش بن كيافوشين
ابن كيبيه بن كيغباذ الاكبر ص ۵۱۵ ، وتستطيع فصل كي عن كل اسم مما سبق .

صاحب كى قاووس ، أم غيره ، والظاهر أنه ليس به ، لأن مدة ماين كى قاووس وكى يستاسب بعيدة جدا ، وأحسبه كما قدمنا أنه كان من الترك ، وهذا كله كان فى مدة السكينية ، وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بُخْتَ نَصْرَ البابلى على العراق ، فسكان من أموره مع بنى إسرائيل وإيخاناه فيهم ، وعلمه لميت المقدس وإحراقه للتوراة وقتله لأولاد الأنبياء ، واسترقاقه للنساء منوكرهم ولدراريهم مع عيشه فى بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم ، ماهو مشهور فى كتب التفاسير ، ومعلوم عند أصحاب التواريخ (١) .

فهذه جملة مختصرة تشرح لك ماوقع فى كتاب ابن إسحاق من ذكر رسمهم واسفندياذ ، وكانت السكينية قبل مدة عيسى بن مريم ، أولهم فى عهد أفريديون قبل موسى عليه السلام بمئتين من السنين ، وآخرهم فى مدة الاسكندر

(١) أخبار بختنصر فى الجزء الاول من تاريخ الطبرى ص ٥٢٨ . وكان فى أيام لهراسب أحد ملوك الفرس ، ويذكر الطبرى أن بختنصر وجد فى سجن بنى إسرائيل إرميا النبى ، فسأله : ما خطبك : فأخبره أن الله بعثه إلى قومه — بنى إسرائيل ؛ ليحذرهم الذى حل بهم — يعنى : من بختنصر — فكذبوه ، وحبسوه ، فقال بختنصر : يئس القوم قوم عصوا رسول ربهم . ثم أطلق سراحه ، وأحسن إليه ص ٥٢٨ ج ١ وفى سفر أرميا لأصحاح ٢٦ أن بنى إسرائيل هموا بقتل أرميا لأنه قال لهم : د ارجعوا كل واحد عن طريقه الردى وعن شر أعمالكم .. ولا تسلكوا وراء آلهة أخرى لتعبدوها وتسجدوا لها ، لأصحاح ٢٥ ، وفيه أيضاً أنه حذرهم من د نبوخذ راصر ، أى : بختنصر فإن الله سيدسلطه عليهم إن لم يرجعوا . ويوقع سفر أرميا هذا فى أكثر من ستين صفحة ، وكله حول هذا . وبعده سفر آخر اسمه : مراثى أرميا ، وهى منسوبة إليه فى رثاء أو رشليم بعد تخريب بختنصر لها .

ابن قليس^(١) والإسكندر هو الذى سلب ملكهم ، وقتل دارا بن دارا ، وهو آخرهم ، ثم كانت الأشغانية مع ملوك الطوائف أربعمائة وثمانين عاما ، وقيل : أقل من ذلك فى قول الطبرى ، وقول المسعودى : خمسمائة وعشر سنين فى خلال أمرهم بعث عيسى بن مريم ، ثم كانت الساسانية نحو من ثلاثين ملكا حتى قام الإسلام ، ففُضَ خَدَمَتُهُمْ . وَخَصَّدَ شَوْكَتَهُمْ ، وَهَدَمَ هَيْكَلَهُمْ ، وَأَطْفَأَ نِيرَانَهُم التى كانوا يعبدون ، وذلك كله فى خلافة عمر .

عن سورى الكهف والفرقان - سبب نزول الكهف :

فصل : وذكر ابن إسحاق إرسال قُرَيْشٍ النَّضَرَ بن الحارث وعُقْبَةَ بن أبى معيط إلى يهود ، وما رجعا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألوه عن الأمور الثلاثة التى قالت اليهود : إن أخبركم بها فهو نبي وإلا فهو مُتَقَوِّلٌ ، فقال لهم : سأخبركم غدا ، ولم يقل : إن شاء الله ، فأبطأ عنه الوحى فى قول ابن إسحاق خمسة عشر يوما^(٢) ، وفى سير التميمي وموسى بن عُقْبَةَ

(١) يعنى إسكندر المقدونى بن فليبس .

(٢) جاء فى حديث روى بعضه فى كتب الصحاح ما يخالف ما ذهب إليه ابن إسحاق فى شأن إرسال النضر وعقبة ، وإليك ما روى فى هذا الشأن .

روى البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وقال : إنه صحيح . عن ابن مسعود : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرت المدينة ، وهو متوكئ على عسيب ، فر يقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، قال : فسألوه عن الروح ، فقالوا : يا محمد : ما الروح ؟ فما زال متوكئا على العسيب ، قال : فظننت أنه —

أن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف .
لم قدم الحمد على الكتاب ؟ !

وذكر افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه ، وذكر نبوة نبيه . حمده لنفسه تعالى .
خبره باطنه الأمر والتعليم لعبده كيف يحمده ، إذ لولا ذلك لاقتضت الحال .
الوقوف عن تسميته ، والعبارات عن جلاله ، لقصور كل عبارة عما هنالك من .
الجلال ، وأوصاف الكمال ، ولما كان الحمد واجباً على العبد قدّم في هذه الآية ليقترن .
في اللفظ بالحمد الذي هو واجب عليه ، وليستشعر العبد وجوب الحمد عليه ،
وفي سورة الفرقان قال : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده » وبدأ بذكر
الفرقان الذي هو الكتاب المبارك . قال الله سبحانه : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه ﴾ (١)

== يوحى إليه ، فقال : (ويسألونك عن الروح . قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم
من العلم إلا قليلاً) قال : فقال بعضهم لبعض : قد قلنا لكم : لا تسألوه ،
وفي رواية البخاري : فلم يرد عليهم شيئاً ، فعلت أنه يوحى إليه ، فقامت مقامى .
فلما نزل الوحي ، قال : (ويسألونك عن الروح قل : الروح من أمر ربي) ،
والمشكل هنا أن سورة الإسراء : مكية وظاهر القصة يوحى بأن الآية مدنية .
ولو كان الأمر قاصراً على الرواية الأولى : فظننت أنه يوحى إليه ، لقلنا إن
الرسول إنما سكت ليتذكر الآية التي يرد بها عليهم ، فظن ابن مسعود أنه يوحى
إليه ، إما ابن كثير فيقول : وقد يحجب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه
بالمدينة مرة ثانية ، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه
يجيبهم عما سألوهم بالآية المقدم لإنزالها عليه . والذي يدل على نزول هذه الآية
بمكة ما رواه أحمد أن قريشاً قالت لليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ،
فقالوا : سلوه عن الروح ، فنزلت الآية ، وإجابة ابن كثير غير مقنعة والعيب :
عصن من جريد النخلة .

(١) هذا جزء من آية رقم ٩٢ و ١٥٥ من سورة الانعام . والذي ذكره ==

مُبَارَكٌ ۞ فلما افتتح السورة بتبارك الذى ، بدأ بذكر الفرقان ، وهو الكتاب المبارك ، ثم قال : على عبده ، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب ، وتقديم ذكر الكتاب عليه فى سورة الفرقان ، وما فى ذلك من تشاكل اللفظ والتثام الكلام نرى الإعجازَ ظاهراً ، والحكمة باهرةً ، والبرهان واضحاً ، وأنشد لذى الرثمة .

شرح شواهد شعرية :

كانه بالضحى ترمى الصميد به دَبَابَةٌ فى عظام الرأس خرطومُ
يصف ولده الظبية : وأخرطومُ : من أسماء الخمر ، أى : كانه من نشاطه
دَبَّتِ الخمرُ فى رأسه . وأنشد له أيضاً :
طوى الفخز والأجزاء البيت . والنخزُ : النخسُ ، والنخازُ : داء يأخذ الإبل
والنخيزةُ : الفريزةُ ، والنخيزة (١) : نسيجة كالخزام : والضلوعُ الجراسعُ . هو
جمع جرسع . قال صاحب العين . الجرسعُ : العظيم الصدر ، فعناه إذاً فى البيت
على هذا : الضلوعُ من الهزال قد نثأت ، وبرزت كالصدر البارز .

== ابن إسحاق فى أسباب نزوله وما تنزل إلا بأمر ربك ، روى فيه الإمام أحمد بسنده
عن ابن عباس قال : قال رسول الله ص ، لجبرائيل : ما يملكك أن تزورنا أكثر
ما تزورنا ١٩ قل : فنزلت هذه الآية ، انفرد بإخراجه البخارى فرواه عند تفسير
هذه الآية عن أبى نعيم عن عمر بن ذر

(١) فى اللسان أيضاً : النخز : الضرب والدفع والسعال عامة ، والنخاز : داء
يأخذ الإبل والدواب ، والنخيزة : الطريق بعينه . وشيء يسج أعرض من
الخزام يخاط على طرف شقة البيت ، وفى القاموس : تكون على الفساطيط
والبيوت ، والأجزاء : جميع جرز : السنة أو الأرض المجردة .

الرقيم وأهل الكهف :

فصل : وذكر الرقيم وفيه سوى ما قاله أقوال . روى عن أنس أنه قال : الرقيم : الكلب ، وعن كعب أنه قال : هو اسم القرية التي خرجوا منها ، وقيل : هو اسم الوادي وقيل : هو صخرة ، ويقال : لوح كتب فيه أسماءهم ودينهم وقصتهم ، وقال ابن عباس : كل القرآن أعلم إلا الرقيم والغسلين وحناناً والأواه (١) ، وقد ذكرت أسماءهم على الاختلاف في بعض الفاظها وهي : مليخا ، كسليما ، سرطوش ابن أنس ، اريطانس ، أبونس ، شاطيطوش (٢) . وقيل في اسم مدينتهم : أفوس ، واختلف في بقائهم إلى الآن ، فروى عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقي شيء منهم ، بل صاروا تراباً قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا ، وأن الأرض لم تأكلهم ، ولم تغيرهم ، وأنهم على مقربة من القسطنطينية ، فلهذا أعلم . روى أنهم سيحجون البيت إذا نزل عيسى بن مريم . ألفت هذا الخبر في كتاب البدء لابن أبي خيثمة (٣) .

إعراب أمهي :

وذكر قول الله تعالى : ﴿ لَنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۖ ﴾ الكهف : ٢٠ قد أملينا في إعراب هذه الآية نحواً من كراسة . وذكرنا ما وهم فيه الزجاج من إعرابها ؛ حيث جعل أحصى اسماً في موضع رفع على خبر المبتدأ ، وأندأ : تمييز وهذا لا يصح ؛ لأن التمييز هو الفاعل في المعنى ، فإذا قلت : أيهم أعلم أباً ، فالأب هو العالم ، وكذلك إذا قلت أيهم أقره عبداً ، فالعبد هو الفاره ،

(١) لاشك في أنه نقل غير صحيح عن ابن عباس يراد به غرض خبيث .

(٢) رجم بالغيث فالسند في معرفتها ضعيف جداً

(٣) الحق فيما نقل عن ابن عباس ، وما قيل بعده فأساطير .

فيلزم على قوله إذا أن يكون الأمدُ فاعلا بالإحصاء ، وهذا محال ، بل هو
مفعول ، وأحصى : فعل ماضٍ ، وهو الناصب له ، وذكرنا في ذلك الإملاء
أنَّ أيهم ، قد يجوز فيه النصبُ بما قبله إذا جعلته خبرا ، وذلك على شروط
بينها هنالك لمن أراد الوقوف على حقيقتها ، أى : ومواضعها ، وكشفنا
أسرارها .

عن الضرب ورازور الشمس وفائدة الفضة :

وقوله سبحانه : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أى : أعمناهم ، وإنما قيل في النائم :
ضرب على أذنه ؛ لأن النائم ينتبه من جهة السَّمْع ، والضربُ هنا مُستعار من
ضربت القفل على الباب ، وذكر قوله تعالى : ﴿ تَرَأَوْهُم كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾
الآية . وقيل في تَقْرِضُهُمْ : تحاذيهم ، وقيل : تتجاوزهم شيئا شيئا من القرض ،
وهو القطع ، أى : تقطع ما هنالك من الأرض ، وهذا كله شرح اللفظ ،
وأما فائدة المعنى ، فإنه يبين أنهم في مَقْنُوقَةٍ من الأرض ، لا تدخل عليهم الشمس ،
فتحرقهم ، وتبلى ثيابهم ، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال .
لئلا تأكلهم الأرض ، والفائدة العظمى في هذه الصفة بيان كيفية حالهم
في الكهف ، وحال كلهم ، وأين هو من الكهف ، وأنه بالوَصِيدِ منه ، وأن
باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت ، وأن هذا البيان لا يكاد يعرفه
من رآهم ، فإن المطلع عليهم يملأ منهم رُعبا ، فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق
من أحوالهم ، والنبي عليه السلام لم يرم قط ، ولا سمع بهم ، ولا قرأ كتابا فيه
صفتهم ؛ لأنه أُمِّيٌّ في أمة أمية ، وقد جاءكم ببيان لا يأتي به من وصل إليهم
حتى إن كلهم قد ذكر ، وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوَصِيدِ ، وهم في

الفجوة، وفي هذا كله برهانٌ عظيم على نبوته، ودليلٌ واضح على صدقه، وأنه غير مُتَقَوِّلٍ، كما زعموا، فقفْ بقاياك على مضمون هذه الأوصاف، والمراد بها تَعَصُّمٌ إن شاء الله مما وقعت فيه المُلْحِدَةُ من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله، وقولهم: أى فائدة في أن تكون الشمسُ تَزَاوَرُ عن كنههم، وهكذا هو كل بيت يكون في مَقْنُوَةٍ، أى: بابه لجهة الشمال، فنبه أهل المعاني على الفائدة الأولى المنبثقة عن لطف الله بهم، حيث جعلهم في مَقْنُوَةٍ تزاور عنهم الشمسُ فلا تؤذيهم، فيقال: لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا: فما في ذكر السكب وبسط ذراعيه من الفائدة، وما فيه من معنى اللطف بهم؟ فالجواب: ما قدمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً، حتى ذكر حال كلهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب، فكيف من لم يرههم، ولا سمع بهم، لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي، والبرهان السكافي، والرعب الذي كان يلحق المُطَّلِعَ عليهم، قيل: كان مما طالت شعورهم وأظفارهم. ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه: ﴿فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أى: في فضاء، ومع أنهم في فضاء منه، فلا تصيبهم الشمس. قال ابن سلام: فهذه آية. قال: وكانوا يَقْبَأُونَ في السنة مرتين ^(١)، ومن فوائد الآية: أنه أخرج السكب عن التقلب، فقال: باسط ذراعيه، ومع أنه كان لا يَقْلَبُ لم تأكله الأرض؛ لأن التقلب كان من فعل الملائكة بهم، والملائكة أولياء المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والسكب خارجٌ من هذه الآية. ألا تراه

(١) قوله: مرتين رجم بالغيب أيضاً، واللفظ يفيد أكثر من مرتين.

كيف قال : بالوصيد ، أى : بقاء الغار لادخالهم ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب (١) فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليها هذا الكلام . قال ابن سلام : وإنما كانوا يقبلون فى الرقدة الأولى قبل أن يبعثوا .

التنازعون فى أمرهم :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : (قال الذين غلبوا على أمرهم لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً) الكهف : ٢١ وقال : يعنى أصحاب السلطان ، فاستدل بعض أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله : لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً (٢) . وذكر الطبري أن أهل

(١) البخارى ومسلم والترمذى وأحمد والنسائى وابن ماجه . ولكن الله لم يذكر كلب أهل الكهف بما يفيد لعنه ، وقد أباح الله فى القرآن لنا تربية الجوارح ، وأكل ماصداته ، يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : (وما علمتم من الجوارح) : « وأحل لكم ما صدتموه بالجوارح وهى من السكالب والفهود والصقور وأشباهاها ، كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة . وقد ثبت فى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله إني أرسل السكالب المعلبة ، وأذكر اسم الله ، فقال : إذا أرسلت كلبك المعلم ، وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك قلت : وإن قتلن ؟ قال : وإن قتلن ، ما لم يشركها كلب ليس منها ، فبذلك إنما سميت على كلبك ، ولم تسم على غيره فأصيب . قلت له : فإني أرمى بالمعراض الصيد ، فقال : إذا رميت بالمعراض فخرق فسكه ، وإن أصابه بعرض ، فإنه وقيد ، فلا تأكله ، خرق السهم وخسق : إذا أصاب الرمية ونفذ فيها . والمعراض بالكسر : سهم بلا ريش ولا نصل ، وإنما يصيب بعرضه دون حده ، وشاة وقيد : قتلت بالخشب . فلعل المراد : كلب الزينة لا كلب الصيد والحرب .

(٢) ذكرت مراراً أن دين رسل الله جميعاً من لدن نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم - هو دين الإسلام . ويقال عن أتباعهم إنهم مسلمون ، والدين =

تلك المدينة تنازعوا قبل مبعثهم في الأجساد والأرواح: كيف تتكون إعادتها يوم القيامة ، فقال قوم : تعاد الأجساد كما كانت بأرواحها ، كما يقوله أهل الإسلام ، وخالفهم آخرون ، وقالوا : تبعث الأرواح دون الأجساد ، كما يقوله النصارى ، وشرى بينهم الشر ، واشتد الخلاف ، واشتد على ملىكم ما نزل بقومه من ذلك ، فلبس المسوح ، وافترش الرماد ، وأقبل على البكاء والتضرع إلى الله أن يريه الفصل فيما اختلفوا فيه ، فأحيا الله أصحاب الكهف عند ذلك ، فكان من حديثهم ما عرف وشهر ، فقال الملك لقومه : هذه آية أظهرها الله لكم لتتفقوا ، وتعلموا أن الله عز وجل كما أحياهؤلاء ، وأعاد أرواحهم إلى أجسادهم ، فكذلك يعيد الخلق يوم القيامة كما بدأهم ، فرجع الكل إلى ما قاله الملك ، وعلموا أنه الحق .

== تنازعوا في أمر الفتية طائفتان . إحداهما قالت ما يقوله المسلم الذي بكل الأمر إلى الله ، ولا يعدو على الغيب . إذ قالت : « ابنوا عليهم بنياناً ، وعلمت الأمر بكلمة مؤمنة ، لا تصدر إلا عن مؤمن ، وهى قولهم : « ربهم أعلم بهم . وفى كل لفظة هنا إشراف من نور الإيمان القوى بالله . أما الآخرون ، فقد وصفوا بغير ما يوصف به المؤمن التقي الخاشع ، إذ وصفوا بأنهم : « غلبوا على أمرهم ، فهم إذا أخذوا الأمر بالقهر والغلبة دون ترو أو نزوع إلى معرفة أمر الله ، أو انعطاف إلى خشوع . ثم اقترحوا مصممين على ما اقترحوا : « لنتخذن عليهم مسجداً ، هكذا بالتوكيد والقهر المستعلى . ووازن بين اقتراح الأولين وهو بناء بنيان عليهم ، أى : سد باب الكهف تجده عملاً إسلامياً ، وبين اقتراح الآخرين ، وهو اتخاذ مسجد ، واتخاذ المساجد على العبور أمر لعنه الله ورسوله ، وهو أشمل من إقامة مسجد

عن واو الثمانية :

فصل : وذكر قول الله سبحانه ﴿ ويقولون : سَبْعَةٌ وَثَمَانُهُمْ كُلُّهُمْ ﴾ قد
أفردنا للكلام على هذه الواو التي يسميها بعض الناس : واو الثمانية (١) باباً

(١) أى الواو التي تأتي بعد استيفاء سبعة أشياء ، ثم تذكر قبل الثامن ،
وقد استشهد أصحابها بقوله سبحانه : « التائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » التوبة : ١١٢ .
فقالوا : إن الواو جاءت بعد استيفاء الأوصاف السبعة . واستدلوا أيضاً بقوله
سبحانه : (عسى ربّه إن طلقك أن يبدله أزواجاً خيراً منك من مسلمات مؤمنات
فانتات تائبات ، عابدات ، سائحات ثيبات وأبكاراً) التحريم : ٥ فجاءت بعد
استيفاء الأوصاف السبعة . واستشهدوا أيضاً بقوله سبحانه : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة
زمرًا ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، الزمر : ٣ - ٧ . فأتى بالواو لما كانت
أبواب الجنة ثمانية . وقال في النار : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، لما كانت
سبعة . وقد رد الإمام ابن القيم على هذا رداً طيباً . فقال عن آية التوبة باختصار :
إن كل صفة لم تعطف على ما قبلها فيها كان فيه تنبيه على أنهما في اجتماعهما كالوصف
الواحد لموصوف واحد ، فلم يحتج إلى عطف . فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، وهما متلازمان مستمدان من مادة واحدة ، حسن العطف ليمتين أن
كل وصف منهما قائم على حدته . مطلوب تعيينه ، لا يكتفى فيه حصول الوصف الآخر ،
بل لابد أن يظهر أمره بالمعروف بصريحه ، ونهيه عن المنكر بصريحه ، وأيضاً لحسن
العطف ههنا ما تقدم من التضاد ، فلما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
ضدين أحدهما : طلب الإيجاد ، والآخر : طلب الإعدام ، كانا كالنوعين المتغايرين
المتضادين . وقال : عن آية التحريم : إن دخول الواو قبل أبكار متعين ؛ لأن
الأوصاف التي قبلها المراد اجتماعها في النساء . وأما وصفا البكارة والثبوبة ،
فلا يمكن اجتماعهما ، فتعين العطف ؛ لأن المقصود أنه يزوجه بالنوعين : اللثيبات
والأبكار ، وسيأتى الكلام عن آية الكهف . أما آية الزمر عن الجنة والنار ، فقال :
لادلالة في اللفظ على الثمانية حتى تدخل الواو لاجلها ، بل هذا من باب حذف

طويلا ، والذي يليق بهذا الموضع أن تعلم : أن هذا الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مُضَمَّر ، تقديره : نعم ، وثامنهم كلهم ، وذلك أن قائلا لو قال : إن زيدا شاعرٌ ، فقلت له : وفاقه ، كنت قد صدقته ، كأنك قلت : نعم هو كذلك ، وفاقه أيضا ، وفي الحديث : سُمِّلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيتوضأ بما أفضلت الخمر ، فقال : وبما أفضلت السباع . يريد : نعم ، وبما أفضلت السباع . خرجه الدارقطني . وفي التنزيل : (وارزق أهله من الثمرات مَنْ آمَنَ منهم بالله واليوم الآخر ، قال : وَمَنْ كَفَرَ) البقرة : ١٢٦ هو من هذا الباب . فكذلك ما أخبره عنهم من قولهم : ويقولون : سبعة ، فقال سبحانه : « وثامنهم كلهم » وإيس كذلك : سادسهم كلهم ، ورابعهم كلهم ؛ لأنه في موضع النعت لما

== الجواب انكنته بديعة ، وهي أن تفتيح أبواب النار كان حال موافاة أهلها ، ففتحت في وجوههم ؛ لأنه أبلغ في مفاجأة المكروه ، وأما الجنة فلما كانت ذات الكرامة ، وهي مائدة الله ، وكان الكريم إذا دعا أضيافه إلى داره ، شرع لهم أبوابها ، ثم استدعاهم إليها مفتحة الأبواب ، أتى بالواو العاطفة هكذا ، الدالة على أنهم جاءوها بعد ما فتحت أبوابها ، وحذف الجواب تفخيما لشأنه ، وتعظيما لقدره كعادتهم في حذف الأجوبة ، ويقول عن دعوى واو الثمانية في مسألة أبواب الجنة في مكان آخر : « إن هذا لو صح ، فإنما يكون إذا كانت الثمانية منسوقة في اللفظ واحدا بعد واحد ، فينتهون إلى السبعة ، ثم يستأنفون العدد من الثمانية بالواو ، وهنا لا ذكر للفظ الثمانية في الآية ولا عددها ، انظر ص ٥٢ وما بعدها ج ٣ بدائع الفوائد ص ١٧٤ ج ٢ من نفس الكتاب وفيه قال : « على أن في كون الوار تيمم للثمانية كلاما آخر قد ذكرناه في الفتح المبكى ، وبيننا المواضع التي ادعى فيها أن الوار للثمانية ، وأين يمكن دعوى ذلك ، وأين يستحيل . »

قبله ، فهو داخل تحت قوله سبحانه : (رَجَاءً بِالْغَيْبِ) ولم يقل ذلك في آخر القصة (١) .

آية الاستثناء :

فصل : وذكر قول الله تعالى (وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ) وفسره ، فقال : أى استثنى شيئة الله . الشيئة : مصدر شاء يشاء ، كما أن الخليفة مصدر خاف يخاف ، ولكن هذا التفسير ، وإن كان صحيح المعنى ، فلفظ الآية مُشْكِلٌ جداً ؛ لأن قوله : (لَا تَقُولَنَّ لشيءٍ) إلى فاعل ذلك غداً) الكهف : ٢٣ نهى عن أن يقول هذا الكلام ، ولم ينه عن أن يصله بالأن يشاء الله ، فيكون العبد المنهى عن هذا القول منهياً أيضاً عن أن يصله بقوله إلا أن يشاء الله . هذا محال : فقوله إذاً : إلا أن يشاء الله استثناء من الله ، راجعٌ إلى أول الكلام ، وهذا أيضاً إذا تأملته نقضٌ لعزيمة النهى ، وإبطالٌ لحكمه ، فإن السيد إذا قال لعبده : لا تقم إلا أن يشاء الله أن تقوم ، فقد حل عقدة النهى ؛ لأن مشيئة الله للفعل لا تعلم إلا بالفعل ، فلا عبد إذاً أن يقوم ، ويقول : قد شاء الله أن تقوم ، فلا يكون للنهى معنى على هذا ، فإذا لم يكن رد حرف الاستثناء إلى النهى ، ولا هو من

(١) يقول الإمام ابن القيم عن كلام السهيلي هذا « واستنباطه حسن ، غير أنه لما يفيد . يعني أن الواو تقتضى تقرير الجملة الأولى ، إذا كان المعطوف بالواو ليس داخلًا في جملة قولهم : بل يكون قد حكى سبحانه أنهم قالوا : سبعة ، ثم أخبر تعالى أن ثامنهم الكلب ، فحينئذ يكون ذلك تقريرًا لما قالوه ، وإخبارًا بكون الكلب ثامنًا ، وأما إذا كان الإخبار عن الكلب من جملة قولهم ، وأنهم قالوا هذا ، وهذا ، لم يظهر ما قاله ، ولا تقتضى الواو في ذلك تقريرًا ولا تصديقًا فتأمل » ص ١٧٦ ج ٢ بدائع الفوائد وانظر أيضاً ج ٣ ص ٥٤ .

الكلام الذى نهى العبد عنه ، فقد تبين إشكاله ، والجواب : أن فى الكلام حذفاً وإضماراً تقديره : ولا تقولن : إني فاعل ذلك غداً إلا إذا كراً إلا أن يشاء الله ، أو ناطقاً بأن يشاء الله ، ومعناه : إلا إذا كراً شيئاً الله ، كما قال ابن إسحاق : لأن الشيئمة مصدر ، وأن مع الفعل ، فى تأويل المصدر ، وإعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر ، والعرب تحذف القول ، وتكتفى بالمقول. ففى التنزيل : (فأما الذين اسودَّتْ وجوههمُ أَكْفَرْتُمْ) آل عمران : ١٠٦ أى : يقال لهم : أَكْفَرْتُمْ ، فحذف القول ، وبقى الكلام المقول ، وكذلك قوله تعالى : ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ الرعد : ٢٤ أى يقولون : سلام عليكم ، وهو كثير ، وكذلك إذا قوله ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ هى من كلام الناهى له سبحانه ، ثم أضمر اقول ، وهو الذكر الذى قدمناه ، وبقى المقول ، وهو : أن يشاء الله ، وهذا القدر يكفى فى هذا المقام ، وإن كان فى الآية من البسط والتفتيش ما هو أكثر من هذا .

ولبثوا فى كفرهم :

فصل : وقد فسر قوله تعالى : ﴿ولبثوا فى كفرهم﴾ فقال : معناه أى : سيقولون ذلك ، وهو أحد التأويلات فيها . وعلى هذا القول قرأه ابن مسعود : وقالوا : لبثوا ، بزيادة قالوا . ثم قال ابن إسحاق : قل : ربى أعلم بما لبثوا ، وهو وهم من المؤلف أو غيره ، وإنما التلاوة : ﴿قُلْ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ (١)

(١) فى النسخة التى معى : كما فى المصحف . وتأويل ابن هشام قوله تعالى : ولبثوا فى كفرهم ، تأويل رائع ، إذ يجعل هذا القول من قول أهل الكتاب ، وبهذا يستقيم فهمنا للآية . ويتفق هذا مع ما بعده ، وهو قوله سبحانه : (قل الله أعلم بما لبثوا) =

وقد قيل : إنه إخبار من الله تعالى عن مقدار كُتُبِهِمْ ، ولكن لما علم استبعاد قریش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار ، وعُلم أن فيه تنازعا بين الناس ، فمن ثَمَّ قال : ﴿ قل : الله أعلم بما لبثوا ﴾ وقوله : ﴿ ثلاثمائة سنين ، وازدادوا تسعا ﴾ أى : إنها ثلاثمائة بحساب المعجم ، وإن حسبت الأهلة ، فقد زاد العدد تسعا ، لأن ثلاثمائة سنة بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر ^(١) فإن قيل : فكيف قال ثلاثمائة سنين ، ولم يقل : سنة ، وهو قياس العدد في العربية ^(٢) ، لأن المائة تضاف إلى لفظ الواحد ، فالجواب أن سنين في الآية بدل مما قبله ، ليس على حد الإضافة ولا التمييز ، والحكمة عظيمة عُدل باللفظ عن الإضافة إلى البديل ، وذلك أنه لو قال : ثلاثمائة سنة ، لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس ، والناس فيهم طائفتان : طائفة عرفوا طول لُبِّهِمْ ، ولم يعلموا كمية السنين ، فعرفهم أنها ثلاثمائة ، وطائفة لم يعرفوا طول لبهم ، ولا شيئا من خبرهم ، فلما قال : ثلاثمائة معروفا للأولين بالكمية التي شكَّوا فيها ، مبينا للآخرين أن هذه الثلاثمائة سنون ، وليست أياما ولا شهورا ، فانتظم البيان للطائفتين

== اذ لو كان : د ولبثوا ، من كلام الله نفسه ما كان لقوله : قل الله أعلم معنى . وقراءة ابن مسعود قراءة شاذة ورواية قتادة لها منقطعة .

(١) بل يزيد عن هذا . وهذا تأويل لا يليق بكتاب الله ، ولا بكلام الله إنما يضطرون إليه ، لأنهم يرون أن قوله تعالى : د ولبثوا في كمهم ثلاثمائة سنين ، هو من قول الله نفسه ، وليس قولاً يقصه الله عن غيره ، وليس في الآية ما يشير مطلقاً إلى هذا الأربيل ، وقد أعرب سنين بدلا ؛ لأن تمييز العدد ، وما بعدها يكون مفردا مجرورا بإضافة كقوله تعالى . فأما الله مائة عام ثم بعثه ، وكقوله : وكألف سنه مما تعدون .

من ذكر العدد، وجمع العدود، وتبين أنه بدل؛ إذ البدل يراد به: تبين ما قبله.
 ألا ترى أن اليهود قد كانوا عرفوا أن لأصحاب الكهف نبأ عجيباً، ولم يكن
 العجب إلا من طول ثبثهم غير أنهم لم يكونوا على يقين من أنها ثلاثمائة أو أقل.
 فآخبر أن تلك السنين ثلاثمائة، ثم لو وقف الكلام ههنا لقاتل العرب، ومن
 لم يسمع بخبرهم: ما هذه الثلاثمائة؟ فقال كالمبين لهم: سنين، وقد روى معنى هذا
 التفسير عن الضحاك، ذكره النحاس.

السنة والعام:

فصل: وقال: سنين، ولم يقل أعواماً، والسنة والعام، وإن اتسعت العرب
 فيهما، واستعملت كل واحد منهما مكان الآخر اتساعاً، ولكن بينهما في حكم
 البلاغة لم يتزيل الكلام فرقاً، فخذ أولاً من الاشتقاق، فإن السنة من سنا
 يستو إذا دار حول الثير، والداية: هي الثانية، فكذلك السنة دورة من
 دورات الشمس، وقد تسمى السنة: داراً، ففي الخبر: إن بين آدم ونوح
 ألف دار، أي: ألف سنة، هذا أصل الاسم، ومن ثم قالوا: أكلتهم السنة،
 قسّموا عدة القسط سنة، قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾
 الأعراف: ١٣ ومن ثم قيل: أسنت القوم إذا أخطوا، وكان وزنه أفتتوا،
 لا أفلتوا، كذلك قال بعضهم، وجعل سبويه التاء بدلاً من الواو، فهي عنده:
 أفلوا، لأن الجلولية والخصب معتبر بالشتاء والصيف، وحساب العجم إنما هو
 بالسنين الشمسية بها يؤرّخون، وأصحاب الكهف من أمة عجمية، والنصارى
 يعرفون حديثهم، ويؤرّخون به، فجاء اللفظ في القرآن بذكر السنين الموافقة
 لحسابهم، وعم القائلة بقوله: وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب، فإن

حسابهم بالشهور القمرية كالحرم وصفر ونحوهما^(١) وانظر بعد هذا إلى قوله :
﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا ﴾ يوسف : ٧٥ الآية ، ولم يقل أعواما ، نفيه شاهد
لما تقدم ، غير أنه قال : (ثم يأتي من بعد ذلك عام) ، ولم يقل : سنة عدولا عن اللفظ
المشترك ، فإن السنة قد يعبر بها عن الشدة والأزمة^(٢) كما تقدم ، فلو قال : سنة
لذهب الوهم إليها ؛ لأن العام أقل أياما من السنة ، وإتمامات الرؤيا على سبع
سنين شداد ، وإذا انقضى العدد ، فليس بعد الشدة إلا رخاء ، وليس في الرؤيا
ما يدل على مدة ذلك الرخاء ، ولا يمكن أن يكون أقل من عام ، والزيادة على
العام مشكوك فيها ، لا تقتضيها الرؤيا ، فحكم بالأقل ، وترك ما يقع فيه الشك من
الزيادة على العام ، فهاتان فائدتان في اللفظ بالعام في هذا الموطن ، وأما قوله :
(وبلغ أربعين سنة) فإما ذكر السنين ، وهي أطول من الأعوام ، لأنه مخبر
عن اكتمال الإنسان ، وتتمام قوته واستوائه ، فلفظ السنين أولى بهذا الموطن ؛
لأنها أكل من الأعوام ، وفائدة أخرى : أنه خبر عن السن ، والسن معتبر
بالسنين ، لأن أصل السن في الحيوان لا يعتبر إلا بالسنة الشمسية ، لأن
النتاج ، والحل يكون بالربيع والصيف ، حتى قيل ربعى للكبيرة وصيفى^(٣) المؤخر ،
قال الراجز :

(١) رأى يحتاج إلى دليل أقوى بما ذكر .

(٢) في الراغب : أكثر ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الحرب .

(٣) في القاموس : . وجمع الربيع : ربع بضمين ، وكسر د : الفصيل ينتج في
الربيع ، وهو أول النتاج . . فإذا نتج في آخر النتاج فبيع ، وهي هبة .

إِنْ بَنَى صَبِيَّةً صَبِيْفِيُونُ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونٌ^(١)

فاستعمله في الآدميين ، فلما قيل في الفصيل ونحوه : ابن سنة وابن سنتين ، قيل ذلك في الآدميين ، وإن كان أصله في الماشية لما قدمنا ، وأما قوله : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ فلأنه قال سبحانه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِةِ ، قُلْ : هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ البقرة : ١٨٩ فالرضاع من الأحكام الشرعية ، وقد قصرنا فيها على الحساب بالأهلة ، وكذلك قوله : ﴿ يُحِلُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يُحِلُّونَ لَكُمْ وَمَا يُحِلُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يُحِلُّونَ لَكُمْ ﴾ ولم يقل : سنة ؛ لأنه يعني شهر الحرم وربيع إلى آخر العام ، ولم يكونوا يحسبون بأيلول ولا بدشرين ولا بينير^(٢) ، وهي الشهور الشمسية وقوله سبحانه : ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ إخباراً منه لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته وحسابهم بالأعوام والأهلة كما وقت لهم سبحانه ، وقوله سبحانه في قصة نوح : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ العنكبوت : ١٤٠ قيل : إنما ذكر أول السنين ؛ لأنه كان في شدائد

(١) البيت اسم بن مالك بن ضبيعة ، وقيل : هي لأكثم بن صيفي ، اللسان مادة ربع ، وصيف ، ونسبه أبو زيد الأنصاري في نوادره إلى أكثم بن صيفي . وقال : « يقال : أضاف الرجل فهو مصيف إذا ترك النساء شباباً لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن ، ويقال لولده : صيفيون ، ثم استشهد بهذا البيت ثم قال : « الربيعيون الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال ، ص ٨٧ طبع لبنان .

وفي إصلاح المنطق ص ٤٧٠ : « يقال للرجل إذا ولد له في فتاء السن : قد أربع ، وهو مربع وولده : ربعيون ، وإذا تأخر ولده إلى آخر عمره قيل : أضاف فلان ، وهو مصيف ، وولده : صيفيون ، ثم استشهد بهذا البيت ٢٠ ، يعني بينير .

مدته كلها إلا خمسين عاما منذ جاءه الفرج ، وأتاه الغوث ، ويجوز أن يكون
الله - سبحانه - علم أن عمره كان ألفا ، إلا أن الخمسين منها ، كانت أعواما ،
فيكون عمره ألف سنة ، تنقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين
خاصة ؛ لأن خمسين عاما بحسب الأهلة أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف ،
فإن كان الله سبحانه قد علم هذا من عمره ، فاللفظ موافق لهذا المعنى ، وإلا ففي
القول الأول مقنع ، والله أعلم بما أراد ، فتأمل هذا ، فإن العلم بتنزيل الكلام ،
ووضع الألفاظ في مواضعها الثلاثة بها يفتح لك بابا من العلم بإعجاز القرآن ،
وابن هذا الأصل تعرف المعنى في قوله تعالى : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين
ألف سنة ﴾ للمعارج : ٤ . وقوله تعالى : ﴿ وإن يوما عند ربك [كـ] ألف سنة مما
تعدون ﴾ الحجر : ٤٧ وأنه كلام ورد في معرض التكثير والتفخيم ، لطول ذلك
اليوم والسنة أطول من العام ، كما تقدم ، فلفظها أليق بهذا المقام .

ذكر قصة الرجل الطواف ذي القرنين :

فصل : وذكر قصة الرجل الطواف ، والحديث الذي جاء فيه عن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - أنه كان ملكا مسح الأرض بالأسباب ، ولم يشرح معنى
الأسباب . ولأهل التفسير فيه أقوال متقاربة ، قالوا في قوله تعالى : ﴿ فأتيناه
من كل شئ سبباً ﴾ الكهف : ٨٤ : أى : علماً يتبعه ، وفي قوله تعالى : ﴿ فأتبع
سبباً ﴾ الكهف : ٨٥ : أى : طريقاً موصلة ، وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب
السبب : حبل من نور ، كان ملك يمشى به بين يديه ، فيتبعه ، وقد قيل في اسم
ذلك الملك : زباقيل ، وهذا يقرب من قول من قال : سبباً أى : طريقاً ، ويقرب
(م — ١٢ الروض الأتم ج ٣)

أن يكون تفسيراً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : مسح الأرض بالأسباب^(١) ، واختاف في تسميته بذى القرنين ، كما اختاف في اسمه ، واسم أبيه ، فأصبح ماجاء في ذلك ما روى عن أبي الطُّفَيْلِ عامر بن وائلة قال : سأل ابن السَّكَوَاءِ على بن أبي طالب ، فقال : أرأيت ذا القرنين ، أنبيأ كان أم ملكاً ؟ فقال : لا نبيأ كان ، ولا ملكاً ، ولكن كان عبداً صالحاً دعاه قومه إلى عبادة الله ، فضربوه على قَرْنَيْ رأسه ضربتين ، وفيكم مثله . يعنى : نفسه ، وقيل : كانت له صغيرتان من شعر ، والعربُ تسمى الخُصْلَةَ من الشعر : قرناً ، وقيل : إنه رأى في المنام رؤيا طويلة أنه أخذ بِقَرْنَيْ الشمس ، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب ، وذكر هذا الخبر على بن أبي طالب أقيمروانى العابد في كتاب البسنان له ، قال : وبهذا سمي ذا القرنين ، وأما اسمه ، فقال ابن هشام في هذا الكتاب : اسمه مَرْزَبَى بن مَرْذَبَةَ بذال مفتوحة في اسم أبيه ، وزاى في اسمه ، وقيل فيه :

(١) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدى وقنادة والضحاك وغيرهم عن السبب : العلم . وقال قنادة أيضاً : منازل الأرض وأعلامها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : تعليم الألسنة . أما كعب الاحبار ، فيروى عنه ابن لهيعة أنه قال : كان يربط خيله بالثرى . وقد أنكر معاوية على كعب قوله هذا وكان يقول عن كعب : وإن كما لتبلو عليه الكذب . وما أحسن ما يقول ابن كثير : قال الله في حق بلقيس : وأوتيت من كل شيء ، أى : بما يؤتى مثلها من الملوك ، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب ، أى : الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الأعداء . وكبت ملوك الأرض . وإذلال أهل الشرك قد أوتى من كل شيء بما يحتاج اليه مثله سديا ، والله أعلم . خلاصة هذا أن الله من عليه . فعلمه أسباب ما سخره له ، ومسألة الملاك يهودية صارخة .

(٢) في السيرة : مرزبان .

هرمس^(١) ، وقيل : هرديس . وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب^(٢) اسمه الصَّعْبُ بن ذى مَرَاثِدَ ، وهو أول التَّبَابَةِ ، وهو الذى حكم لإبراهيم عليه السلام فى بئر السبع حين حاكم إليه فيها ، وقيل : إنه أفريدون بن أنفیان الذى قتل الضحاك^(٣) ، ويروى فى خطبة قيس بن ساعدة التى خطبها بسوق عكاظ ، أنه قال فيها : يامعشر إباد ! أين الصعب ذو القرنين ، مَلَكُ الْخَافِقِينَ ، وأذلَّ الثَّقَلَيْنِ ، وعَمَّرَ أَلْفَيْنِ ، ثم كان ذلك كالْحِظَّةِ عَيْنِ ، وأنشد ابن هشام للأعشى :

والصعبُ ذو القرنين أصبح ثاويًا بِالْحَنُوفِ جَدَثِ أُمِّمٍ مُقِيمٍ^(٤)

- (١) هو رأى ابن ما كولا والدار نقى .
 (٢) ذكره فى كتاب « التيجان » فى ملوك حمير وروايته عن وهب بن منبه .
 (٣) تقرأ أخبار الضحاك وأفريدون فى الطبرى ص ١٩٤ > ١ المعارف .
 (٤) هو فى اللسان والمحرر : للبيد . ورواه ابن كثير فى البداية وتقلا عن السهيلي فى الروض الأنف . أشم مقيما ، بدلا من « أميم مقيم » كما فى نسخة الروض التى بين أيدينا انظر ص ١٠٥ ج ٢ البداية . وفى فتح البارى : والذى يتولى أن ذا القرنين من العرب أنهم ذكروه كثيرا فى أشعارهم . قال أعشى بن ثعلبة .
 والصعب ذو القرنين أمسى ثاويًا بِالْحَنُوفِ جَدَثِ هُنَاكَ مَقِيمِ
 والحنو بكسر المهملة وسكون التون فى ناحية المشرق ، وقال الربيع بن ضبيع :
 والصعب ذو القرنين عمر ملسكه أَلْفَيْنِ أَمْسَى بَعْدَ ذَلِكَ رَمِيمًا
 وقال قيس بن ساعدة .
 والصعب ذو القرنين أصبح ثاويًا بِاللَّحْدِ بَيْنَ مَلَاعِبِ الْأَرْيَاحِ
 وقال النعمان بن بشير الأنصارى الصحابى ابن الصحابى :
 ومن ذا يعاديننا من الناس معشر كرام ، وذو القرنين منا وحاتم
 ووقع ذكر ذى القرنين فى شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة وغيرهم
 ص ٢٦١ ج ٦ فتح البارى للمحافظ بن حجر ط ١٣٣٨

وقوله بالحنو يريد : حنو قَرَّاقِر الذي مات فيه ذو القرنين بالعراق، وقول ابن هشام في السيرة : إنه من أهل مِصرَ، وإنه الإسكندر الذي بنى الإسكندرية، فعرفت به : قولٌ بعيد مما تقدم ، ويحتمل أن يكون الإسكندر سمي ذا القرنين أيضاً تشبيهاً له بالأول، لأنه ملك ما بين المشرق والمغرب فيما ذكروا أيضاً، وأذل ملوك فارس، وقتل دارا بن دارا، وأذل ملوك الروم وغيرهم، وقال الطبري في الإسكندر : وهو اسكندروس بن قليقوس، ويقال فيه : ابن قليس، وكانت أمه زنجية، وكانت أهديت لدارا الأكبر أو سبأها، فوجد منها نكبة استقلها، فعولجت ببقرة، يقل لها : اندروس، فحملت منه بدارا الأصغر، فلما وضعته ردها، فتزوجها والد الإسكندر، فحملت منه بالإسكندروس، فاسمه عندهم مُشتق من تلك البقرة التي ظهرت أمه بها فيما ذكروا، وذكر عن الزبير : أنه قال : ذو القرنين هو : عبد الله بن الضحاك بن معد [وقال ابن حبيب في] المُحَبَّر في ذكر ملوك الحيرة، قال : الصَّعْبُ بن قرين [بن الهمال] (٢) : هو ذو القرنين، ويحتمل أن يكونوا ملوكا في أوقاتٍ شتى، يسمى كل واحد منهم : ذا القرنين والله أعلم . والأول كان على عهد إبراهيم عليه السلام، وهو صاحب الخضر حين طلب عين الحياة فوجدها الخضر، ولم يجدها ذو القرنين، حالت بينه وبينها الظلمات التي وقع فيها هو وأجناده في خبر طويل مذكور في بعض التفاسير مشهور عند الأخباريين (١).

(١) وهي أخبار ترضى عشاق الأساطير . وأسارى العبودية الوثنية للمجهول، وقد اخترع المفترعون عين الحياة؛ لكي ينسبوا إلى الخضر الخلود والبقاء حتى الآن . وهي فرية لا يصدقها مسلم؛ لأنها أسطورة .
(٢) الزيادة من المحبر .

حكم التسمي بأسماء النبيين

وأما قول عمر لرجل سمعه يقول : ياذا القرنين : لم يكفكم أن تتسموا بالأنبياء حتى تسميتهم بالملائكة ، إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام ، فهو ملك ، لا يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا الحق ، وإن كان قاله بتأويل تأوله [فقد] خالفه على في الخبر المتقدم ، والله أعلم أي الخبرين أصح نقلاً ، غير أن الرواية المتقدمة عن عليّ يقويها ما نقله أهل الأخبار عن ذى القرنين ، والله أعلم ^(١) . وكان من مذهب عمر رحمه الله كراهية التسمي بأسماء الأنبياء ، فقد أنكر على المغيرة تكنيته بأبي عيسى ، وأنكر على ضبيب تكنيته بأبي يحيى ، فأخبر كل واحد منهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كناه بذلك ، فسكت ، وكان عمر إنما كره من ذلك الإكثار ، وأن يظن أن المسلمين شرفاً في الاسم إذا سمي باسم نبي ، أو أنه ينفعه ذلك في الآخرة ، فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرض أو نحوه ، هو أعلم بما كره من ذلك ^(٢) . وإلا فقد سمي بمحمد طائفة من الصحابة منهم : أبو بكر وعليّ وطائفة وأبو حذيفة وأبو جهم ابن حذيفة ، وخاطب وخطاب ابنا الحارث ، كل هؤلاء المحمدين كانوا يُكنون بأبي القاسم إلا محمد بن خطاب ، وسمي أبو موسى ابناً له بموسى ، فكان يُكنى به ، وأسيد بن حضير سمي ابنه بيحيى ، وعلم به النبي عليه السلام فلم يُنكر عليه ، وكان لطلحة عشرة من الولد ، كلهم يُسمى باسم نبي ، منهم : موسى بن طلحة عيسى ، وإسحاق ويعقوب وإبراهيم ، ومحمد ، وكان للزبير

(١) نستطيع الجزم بأن الخبر المنسوب إلى عمر خبر غير صحيح ، لأنه يخالف هدى القرآن ، ويخالف المعروف من سيرة عمر وعلمه وفقهه .

(٢) هذا تعليل طيب من السبيل .

عشرة ، كلُّهم يسمي باسم شهيد ، فقال له طلحة : أنا أسميهم بأسماء الأنبياء ، وأنت تسميهم بأسماء الشهداء ، فقال له الزبير : فإني أطعم أن يكون بنى شهداء ، ولا نطعم أنت أن يكون بنوك أنبياء ، ذكره بن أبي خيثمة ، وسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابنه إبراهيم ، والآثار في هذا المعنى كثيرة ، وفي السنن لأبي داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : سمّوا بأسماء الأنبياء ، وهذا محمول على الإباحة ، لا على الوجوب ، وأما التسمي بحمد ، ففي مُسنَد الحارث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من كان له ثلاثة من الولد ، ولم يُسم أحدَهم بحمد ، فقد جهل^(٤) ، وفي المعطي عن مالك أنه سُئل عمَّن اسمه محمد ، ويكنى أبا القاسم ، فلم يرَ به بأساً ، فقليل له : أكنيت ابنك أبا القاسم ، واسمه محمد ؟ فقال : ما كنيتُ بها واسكن أهله يُكثرون بها ، ولم أسمع في ذلك نهياً ، ولا أرى بذلك بأساً ، وهذا يدل على أن ما سلكا لم يبلغه ، أو لم يصح عنده حديث النهي عن ذلك ، وقد رواه أهل الصحيح^(١)

(١) عن جابر رضي الله عنه ، قال : ولد لرجل منا غلام . فسماه القاسم ، فقالوا لا نسكنيه حتى نسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : سموا باسمي ، ولا تسكنوا بكنيتي ، رواه الأربعة ، ولعل المقصود - والله أعلم - العمل بمقتضاء طول مدة حياته - صلى الله عليه وسلم - فقط . وسيأتي رأى ابن سيرين . وعن الاسماء ورد حديث رواه ابن عمر رضي الله عنهما : « إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، مسلم وأبو داود والترمذي . وعن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أخرج الاسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، رواه الأربعة ، وزاد مسلم : لا مالك إلا الله تعالى ، وعن ابن عمر قال : « إن أبة للمركبات تسمى عاصية ، فسماعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو داود والترمذي ونسبة طبع بتدبر هذه الأحاديث تبين الهدى في الاسماء . وأخرج = أوضع

فإن الله أعلم - وإعلمه بلغه حديث عائشة أنه عليه السلام - قال : ما الذي أحلَّ اسمي وحرَّم كُنْيَتِي ، وهذا هو الناسخ لحديث النهي ، والله أعلم ، وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يتكفَّى بأبي القاسم ، كان اسمه محمداً ، أو لم يكن . وطائفة إنما يكرهونه لمن اسمه محمد ، وفي الْمُعْطَى أيضاً أنه سُئِلَ عن التسمية بمَهْدَى فكرهه ، وقال : وما علمه بأنه مَهْدَى ، وأباح التسمية بالهادى ، وقال : لأن الهادى هو الذى يهْدَى إلى الطريق ، وقد قدمنا كراهية مالك للتسمي بجبريل . وقد ذكر ابن إسحاق كراهية عُمرَ للتسمي بأسماء الملائكة ، وكره مالك التسمي بياسين ^(١) .

الروح والنفس :

فصل : وذكر سؤالهم عن الروح ، وما أنزل الله فيه من قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ ^(٢) الآية ورُوى عن ابن إسحاق من غير طريق البَـكَّاىُّ أنه قال فى هذا الخبر : فناداهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم : هو جبريلُ ، وهذه الرواية عن ابن إسحاق تدل على خلاف ما روى غيره أن يهوداً قالت لقريش : اسأَلُوهُ عن الروح ، فإن أخبركم به فليس بنبي ، وإن لم يخبركم فهو نبي ، وقال ابن إسحاق فيما تقدم من الحديث : اسأَلُوهُ عن الرجل

(١) ليس ياسين اسماً للرسول ص ، كما يظن بعض المفسرين ، إنما هى مثل : حم ، وطس و طه ونون فهى مركبة من حرفين : الياء والسين .

(٢) سبق ذكر الأحاديث حول هذا

الطَّوَّافِ ، وعن الفِثْيَةِ ، وعن الروح ، فإن أخبركم وإلا فالرجل مُتَقَوِّلٌ فسوَّى في الخبر بين الروح وغيره ، واختلف أهل التأويل في الروح المستوليه عنه ، فقال بعضهم : هو جبريل ؛ لأنه الروح الأمين ، وروح القدس ، وعلى هذا رواية ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لعريش حين سأله : هو جبريل ، وقالت طائفة : الروح خَلَقَ من الملائكة على صُورِ بنى آدم ، وقالت طائفة : الروح خَلَقَ يرون الملائكة ، ولا تراهم ، فهم للملائكة كاللائكة لبنى آدم ، وروى عن علي أنه قال : الرُّوحُ مَلَكٌ له مائة ألف رأسٍ ، لكل رأسٍ مائة ألف وجه ، في كل وجه مائة ألف فم ، في كل فم مائة ألف لسان ، يُسَبِّحُ الله بلغاتٍ مختلفة^(١) ، وقالت طائفة : الروح الذى سألت عنه يهود هو : روح الإنسان ، ثم اختلف أصحاب هذا القول ، فمنهم من قال : لم يجبههم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — عن سؤالهم ، لأنهم سأله تَعَمُّقًا واستهزاءً ، فقال الله له : قُلْ : الروحُ من أمرِ ربِّ ، ولم يأمره أن يُبَيِّنَ لهم ، وقالت طائفة : بل قد أخبرهم الله به ، وأجابهم عما سألوا ؛ لأنه قال لنبيه : قُلِ الرُّوحُ من أمرِ ربِّ ، وأمرُ الرّبِّ هو الشرع ، والكتاب الذى جاء به ، فمن دخل فى الشرع وتفقه فى الكتاب والسنة عَرَفَ الرُّوحَ ، فكأن معنى الكلام : ادخلوا فى الدين تعرفوا ما سألتهم عنه ، فإنه من أمر ربِّ ، أى : من الأمر الذى جنت به مُبَاطَئًا عن ربِّ ، وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفته من جهة الطبيعة ، ولا من جهة الفلسفة ، ولا من جهة الرأى ،

(١) إنما هى مفتريات على منها برى .

والقياس ، وإنما يُعرف من جهة الشرع ، فإذا نظرت إلى ما في الكتاب والسنة من ذكره نحو قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ السجدة : ٩ . أى من روح الحياة ، والحياة من صفات الله سبحانه ، والنفخ في الحقيقة مضاف إلى مَلَكٍ ينفخ فيه بأمر رَبِّهِ ، وتنظر إلى ما أخبر به الرسول عليه السلام أن الأرواحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، وأنها تتعارف ^(١) وَتَتَشَامُ في الهواء ، وأنها تُقْبِضُ من الأجساد بعد الموت ، وأنها تُشَمَلُ في القبر ، فتفهم السؤال وتسمع وترى ، وَتُنْعَمُ وَتُعَذَّبُ وَتَلَذُّ وَتَأَلُمُ ، وهذه كلها من صفات الأجسام ، فتعرف أنها أجسام بهذه الدلائل ، لكنها ليست كالأجساد في كثافتها وثقلها وإظلامها ، إذ الأجساد خلقت من ماء وطين وحماء مَسْنُونٍ ، فهو أصْلُهَا ، والأرواحُ خُلِقَتْ مما قال الله تعالى ، وهو النفخ المتقدم المضاف إلى الملك . والملائكة خلقت من نور كما جاء في الصحيح ^(٢) ، وإن كان قد أضاف النفخ إلى نفسه ، فكذلك أضاف قَبْضَ الأرواح إلى نفسه فقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر : ٤٢ وأضاف ذلك إلى الملك أيضاً فقال : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾ السجدة : ١١ والفعل مضاف إلى الملك مجازاً ، وإلى الرب حقيقة ، فهو أيضاً جِسْمٌ ، واسكنه من جنس الريح ، ولذلك سُمِّيَ رُوحاً من لفظ الريح ، ونفخُ الملك في معنى الريح غير أنه ضَمَّ أوله ؛ لأنه نُورَانِيٌّ .

(١) والأرواح جنود مجندة فا تعارف منها اختلف . وماتناكر منها اختلف . مسلم والبخارى في الأدب وغيرهما .

(٢) في مسلم عن عائشة : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من نار ، وخرج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

والريح هواء متحرك ، وإذا كان الشرع قد عرّفنا من معاني الروح وصفاته بهذا القدر ، فقد عُرِف من جهة أمره كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ : الروحُ من أمرِ ربِّي ﴾ وقوله : من أمرِ ربِّي أيضاً ، ولم يقل من أمرِ الله ، ولا من أمرِ ربِّكم يدل على خصوص ، وعلى ما قدمناه من أنه لا يعلمه إلا من أخذ معناه من قول الله سبحانه ، وقول رسوله بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقه في الدين ، فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوه عنه ، فقد أحالهم على موضع العلم به ^(١) .

الفروق بين الروح والنفس :

فصل : وما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف : هل هي النفس أو غيرها ، وقد كثرت في ذلك الأقوال ، واضطربت المذاهب ، فتعاقب قوم

(١) وأحسن ما قيل : إن المفصود بالروح هو القرآن نفسه ، وقد كان الكلام قبل هذا في شأنه ، وقد وصف كلام الله بأنه روح في القرآن : (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) النحل : ٢ (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) غافر : ١٥ (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الشورى : ٥٢ وهذا الرأي قريب مما ذكره السهيلي حول أمر الله . وليت السهيلي سكوت عند الصحيح المنقول ١١ فتد بلغات الأقوال في حقيقة النفس والروح بلغت المائة أو الألف كما نقل الزرقاني في شرح المواهب عن ابن جماعة : ويقول ابن بطال شارح البخاري ومن شيوخ ابن عبد البر عن الروح الإنساني : معرفة حقيقتها مما استأثر الله بعلمه ، وقال القرطبي عن الحكمة في إلهام حقيقة الروح : لإظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق ، أي الله ، من باب أولى ،

بظواهر من الأحاديث لا توجب القطع ، لأنها نقل آحاد^(١) ، وأيضاً فإن ألفاظها محتملة للتأويل ، ومجازات العرف واتساعاتها في الكلام كثيرة ، فما تعلقوا به في أن الروح هي النفس قول بلال : « أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ »^(٢) مع قول النبي عليه السلام : إن الله قبض أرواحنا ، وقوله — عز وجل — ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ والمقبوضة هي الأرواح ، ولم يفرقوا بين القبض والتوفي ، ولا بين الأخذ في قول بلال : « أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ » وبين قول النبي عليه السلام : « قبض أرواحنا » ، وتنقيح الأقوال وترجيحها يطول .

وقد روى أبو عمر في التمهيد حديثاً يدل على خلاف مذهبهم في أن النفس هي الروح ، لكن الله فيه أن الله خلق آدم ، وجعل فيه نفساً وروحاً ، فمن الروح : عفافه ، وفهمه وحلمه وسخاؤه ، ووقاؤه ، ومن النفس : شهوته وطيشه وسفاهه وغضبه ، ونحو هذا ، وهذا الحديث معناه صحيح إذا توكل صحيح نقله أو لم يصح ، وسبيلك أن تنظر في كتاب الله أولاً ، لا إلى الأحاديث التي تنقل مرة على اللفظ ، ومرة على المعنى ، وتختلف فيها ألفاظ الحديثين^(٣) ، فنقول قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾^(٤) ولم يقل : من نفسي وكذلك قال : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ السجدة : ٩ ولم يقل من

(١) لماذا إذا يأخذ بأضعف الأحاديث ؟

(٢) من حديث في البخاري ومسلم وغيرهما

(٣) هذا مبدأ عظيم ، غير أن السهيلي لم يأخذ به في كثير من الأحيان ، فاعتمد على أضعف الأحاديث .

(٤) ذكرت مرة في سورة الحجر رقم ٢٩ وفي ص رقم ٧٢ .

نفسه ، ولا يجوز أيضاً أن يقال هذا ، ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام ، وذلك يدل على أن بينهما فرقاً في المعنى ، وبعبكس هذا قوله سبحانه : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ولم يقل : تعلم ما في روحي ، ولا أعلم ما في روحك ، ولا يحسن هذا القول أيضاً أن يقوله غير عيسى (١) ، ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد ، كاللث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ولا يحسن في الكلام : يقولون في أرواحهم ، وقال تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ ولم يقل : أن تقول روحٌ ، ولا يقوله أعرابي ، فأين إذاً كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى ؟! واسكن ببيت دقيقة يعرف منها السر والحقيقة ، ولا يكون بين القوانين اختلاف متباين إن شاء الله ، فنقول وبالله التوفيق : الروح مشتق من الريح ، وهو جسم هوائى لطيف ، به تكون حياة الجسد عادة ، أجراها الله تعالى ؛ لأن العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة ، حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذى هو فى تجاوىف الجسد ، كما قال ابن فورك وأبو المعالى وأبو بكر المرادى ، وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعرى ، ومعنى كلامهم واحد أو متقارب .

الروح سبب الحياة :

فصل : فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة ، أجراها الله تعالى ، فهو

(١) قول النبوة أزكى الأقوال وأهداها . فلم لا يقولها غير عيسى ؟

كالماء الجارى فى عروق الشجرة صُعدا ، حتى تحيا به عادة ، فنسميه ماء باعتبار
أَوَّلِيَّتِهِ ، ونسمى أيضاً هذا روحاً باعتبار أوليته ، واعتبار النفخة التى هى ربح ،
فمادام الجنين فى بطن أمه حياً ، فهو ذو روح ، فإذا نشأوا اكتسب ذلك الروحُ
أخلاقاً وأوصافاً لم تكن فيه ، وأقبل على مصالح الجسم كلها به ، وعشق مصالح
الجسد ولذاته ، ودفع المضار عنه سمي : نفساً ، كما يكتسب الماء الصاعد
فى الشجرة من الشجرة أوصافاً لم تكن فيه ، فالماء فى العنبة مثلاً هو : ماء
باعتبار الأصل والبدأة ، ففيه من الماء الميوعة والرطوبة ، وفيه من العنبة
الحلاوة ، وأوصاف آخر ، فنسميه مضطاراً إن شئت ، أو خيراً إن شئت ، أو غير
ذلك مما أوجبه الاكتساب لهذه الأوصاف ، فمن قال : إن النفس هى الروحُ
على الإطلاق من غير تقييد ، فلم يحسن العبارة ، وإتما فيها من الروح الأوصاف
التي تقتضيها نفخة الملك ، وَالْمَلَكُ موصوف بكلِّ خالقٍ كريم ؛ ولذلك قال
فى الحديث : فمن الروح عفافه وحلمه ووقاؤه وفهمه ، ومن النفس شهوته وغضبه
وطيشه ، وذلك أن الروح كما قدمنا مازج الجسد الذى فيه الدم ، ويسمى الدم :
نفساً ، وهو مجرى الشيطان ، وقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسرِّ لعله أن
يفهم مما نحن بسبيله ، فمن يعرف جوهر الكلام ، ويُنزل الألفاظ منازلها ،
لا يُسمى روحاً إلا ما وقع به الفرق بين الجماد والحى ، والذي كان سبباً للحياة ،
كما فى الكتاب العزيز عند ذكر إحياء النطفة ، ونفخ الروح فيها ، ولا يُقال :
نفخ النفس فيها إلا عند الاتساع فى الكلام ، وتسمية الشيء بما يؤول إليه ،

(١) مضطار بضم الميم : الخمر ، ومضطار بكسر الميم وبالسین : الخمرة الصارغة
لداربها أو الخامضة أو الحديثة .

ومن ههنا سمي جبريل عليه السلام : روحا ، والوحي : روحا ، لأن به تكون حياة القلوب ، قال الله سبحانه : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَمِيَّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَذَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] وقال في الكفار : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ النحل : ٢١ وقال في النفس ما تقدم ، وقال : ﴿ إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالسُّوءِ ﴾ يوسف : ٥٣ ولم يقل إن الروح لأتامة ؛ لأن الروح الذى هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ، ولا يسقى أيضاً نفسا ، كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة ، وما كان نحوها ، والماء النازل من السماء جنس واحد ، فإذا مازج أجساد الشجر كالفتح والفرسك^(١) والخضال والعُشْر ، وغير ذلك اختلفت أنواعه ، كذلك الروح الباطنة التى هى من عند الله ، هى جنس واحد ، وقد أضافها إلى نفسه تشريفاً لها حين قال : وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، ثم يخالط الأجساد التى خلقت من طين ، وقد كان فى ذلك الطين طيب وخبيث ، فينزع كل فرع إلى أصله ، وينزع ذلك الأصل إلى ما سبق فى أم الكتاب ، وإلى ما دبره وأحكمه الحكيم الخبير ، فعند ذلك تنافر النفوس ، أو تتقارب ، وتتحاب أو تتباغض على حسب التشاكل فى أصل الخلقة ، وهى معنى قول النبي — صلى الله عليه وسلم : فما تعارف منها ائتاف ، وما تناكر منها اختلف . وقد كتب بعض الحكماء إلى صديق له : « إن نفسى غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام ؛ فإنها صادفت عندك بعض جواهرها ، والشئ يتبع بعضه بعضا » .

(١) الفرسك ، الخوخ أو ضرب منه أجرد أحمر ، أو ما يتفلق عن نواه والعشر شجر يخرج من زهره وشعبه سكر .

الإنسان روح وجسد :

فصل : وقد يُعبرّ بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده ، فتقول : عندي ثلاثة أنفس ، ولا تقول : عندي ثلاثة أرواح ، لا يعبر بالروح إلا عن المعنى المتقدّم ذكره ، وإنما اتسع في النفس ، وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح ، حتى صار يسمى نفساً ، وطراً هذا الاسم بسبب الجسد ، كما يطرأ على الماء في الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومُرّ وحريّ ، وغير ذلك فتحصل من مضمون ما ذكرنا ألا يقال في النفس : هي الروح على الإطلاق ، حتى تُقيد بما تقدم ، ولا يقال في الروح : هو النفس إلا كما يقال في المعنى هو الإنسان ، أو كما يقال للماء المغدّي للكرمّة هو : الخمر ، أو الخل ، على معنى أنه ستمضاف إليه أوصاف يسمى بها خمراً أو خلا ، فتقييد الألفاظ هو : معنى الكلام ، وتنزيل كل لفظ في موضعه ، هو معنى البلاغة . فافهمه .

النفس

فصل : وإذا ثبت هذا فلم يبق إلا قول بلال : أَخَذَ بِنَفْسِي الّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ ، فذكر النفس ؛ لأنه معتذر من ترك عمل أمر به ، والأعمال مضافة إلى النفس : لأن الأعمال جسدانيّة ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم : إن الله قبض أرواحنا ، فذكر الروح الذي هو الأصل ، لأنه أنسهم من فزعهم ، فأعلمهم أن خالق الأرواح يقبضها إذا شاء ، فلا تنبسط انبساطها في اليقظة وروح النائم وإن وُصف بالقبض ، فلا يدل لفظ القَبْض على انتزاعه بالكلية .

كما لا يدل قوله سبحانه في الظل : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ الفرقان : ٤٦ . على إعدام الظل بالكلية ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ فلم يقل : الأرواح ، لأنه وعظ العباد الغافلين عنه ، فأخبر أنه يتوفى أنفسهم ، ثم يعيدها حتى يتوفاها ، فلا يعيدها إلى الحشر لِتَزْدَجِرَ النفوسُ بهذه العظة عن سوء أعمالها ؛ إذ الآية مكية ، والخطابُ للكفار ، وقد تنزلت الألفاظ منازلها في الحديث والقرآن ، وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة .

ابن هرمة :

فصل : واستشهد ابن هشام بقول ابن هرمة ونسبه فقال : فهرى ، وإنا
هو خلجى ، والخلج اسمه : قيس ابن الحارث بن فهر ، واختلف في تسمية بنى

(١) في الاشتقاق : والخلج بطن يزعمون أنهم من قریش منهم ابن هرمة الشاعر ، وفيه أيضاً : الخلج يفتح فكسر الشاعر ، واسمه : عبد الله ، وسمى الخلج لقوله :

كأن تخالج الأشطان فيها شأيب تجود من الغوادي

وفي حاشية الاشتقاق الأستاذ عبد السلام هارون : وأما خلج بكسر الخاء وتخفيف اللام وسكونها فهو عبد الله بن الحارث بن عمرو بن وهب ابن الحارث ، بن سعد الجعفى ، وقيل : الخلج يفتح الخاء وكسر اللام . وفي الطبقات لابن قتيبة عنه : « هو من الخلج من قيس عيلان ، ويقال : لأنهم من قریش ، وفي الأغاني أن نسبه ينتهى إلى قيس بن الحارث ، وقيس : هم الخلج .. فلما تولى عثمان أثبتهم فى بنى الحارث بن فهر ، وجعل لهم ديوانا ، فسموا الخلج ، لأنهم اختلفوا عما كانوا عليه من عدوان ، وورد عن ابن هرمة فى سمط اللآلى للبكرى ما نصه : « إبراهيم بن على بن سلمة من هرمة من خلج

قيس بن الحارث الخُلج ، ف قيل : لأنهم اختلجوا من قريش وسكان مكة ،
وقيل : لأنهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء ، ونسبوا إليه ، وابن هرمة واسمه :
إبراهيم بن علي بن هرمة ، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية ، وبيته :
وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَبْرَةً تُزِفَ الشُّثُونُ وَدَمْعُكَ الْيَنْبُوعُ

والشُّثُونُ : مجارى الدمع ، وهى أطباق الرأس ، وهى أربعة للرجل ،
وثلاثة للمرأة ، كذلك ذكروا عن أهل التشريح ، وكذلك ذكر قاسم بن ثابت
في الدلائل ، والله أعلم .

من شرح الآيات :

وكل ما شرح ابن هشام من الآيات التى تلاها ابن إسحاق ، فقد تقدم
ما يحتاج بيان منه ، وفي قوله سبحانه : ﴿ بَنِيَتْ مِنْ زُخْرُفٍ ﴾ دليل على أن البيت
يراد به : القصر والمنزل ، وإن كان عظيما ، فإنه يسمى بيتا كما قدمنا فى شرح
بيت القصب فى حديث خديجة .

== قريش - بزيادة : ابن سلمة قبل ابن هرمة - والخُلج هو : قيس بن الحارث بن
فهر ، سموا بذلك لأنهم كانوا فى عدوان ، ثم فى هوازن ، فلما استخلف عمر
أتوه ليفرض لهم ، فأنكر نسبهم ، فلما استخلف عثمان أتوه ، فأثبتهم فى بنى الحارث
ابن فهر ، فسموا بذلك : الخُلج ، لأنهم اختلجوا من كانوا معه ، ثم ذكر أن
الموضع الذى نزلوا فيه كان على خاج بالمدينة . وأن ابن هرمة من متقدمى الشعراء
ومن أدرك الدولتين الأموية والهاشمية يكنى أبا إسحاق . . وفى السيرة : إبراهيم بن
عبد الله ، وعند مصعب الزبيرى عن السكبي ورد نسبه : سلمة بن عامر بن هرمة بن
الهديل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن كنانة بن عدى بن قيس بن الحارث بن فهر
انظر ٢٩٨ سطر اللآلى ، والذهبي يضبط الخُلج بضم فسكون

محنة جبرائيل وأبو الأشرين :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول أبي جهل مستهزئاً : يزعم محمد أن جنود ربه التي يخوفكم بها تسعة عشر ، وأنتم الناس ، إلى آخر القصة . وأهل النفسير يعززون هذه المقالة إلى أبي الأشد بن الجُمجى^(١) ، واسمه : كلدة بن أسيد بن خاف ، وأبو دَهيل الشاعر هو ابن أخيه ، واسمه : وهب بن زَمعة بن أسيد بن خلف ابن وهب بن حذافة بن مجح ، وكانت عند أبي دَهيل التَّوْأمة التي يعرف بها صالح مولى التَّوْأمة ، وهى أخت عبد الله بن صفوان بن أمية ، ولدت له عبد الرحمن قبل يوم الجمل ، وأنه قال : ا كفونى منهم اثنين ، وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه ، وكان باغ من شدته - فيما زعموا - أنه كان يقف على

(١) وقيل كما ذكر ابن أبي حاتم : إن ردها من اليهود سألوها رجلاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن خزنة جهنم ، فقال : الله ورسوله أعلم ، فجاء رجل ، فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ : (عليها تسعة عشر) الخ .

وهناك رواية أخرى للترمذى وأحمد والبخاري أن رجلاً جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له : غلب أصحابك اليوم ، فقال : بأى شيء ، قال : سألتهم يهود : هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار - ؟ قالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفغلب قوم يسألون عما لا يعلمون ، فقالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم - على بأعداد الله ، لكنهم قد سألوها نبيهم أن يريهم الله جهره . فأرسل إليهم محمد فدعاهم . قالوا : يا أبا القاسم : كم عدة خزنة أهل النار : قال : هكذا ، وطبق كهين ثم طبق كفيه مرتين ، وعقد واحدة الخ

جلد البقرة ، ويجاذبه عشرة ، لينتزعه من تحت قدمه ، فيتمزق الجلد ، ولا يتزحزح عنه ، وقد دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المصارعة ، وقال : إن صرعتني آمنت بك ، فصرعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم مراراً ، فلم يؤمن ، وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى رُكَّانة بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب ، وسيأتي في الكتاب والله أعلم ، وأما ما قال أهل التأويل في خزنة جهنم التسعة عشر ، فروى عن كعب أنه قال : بيد كل واحد منهم عمود له شُعْبَتَان ، وإنه ليدفع بالشعبة تسعين ألفاً إلى النار ، وقد أملينا في معنى أبواب الجنة وأبواب النار فائدة عددها وتسميتها ، وذكر الزبانية ، والحكمة في كونهم عدداً قليلاً مسألةً في قريب من جزء ، فلتنظر هناك .

بهت الرسول «ص» أنه بشر يعلم :

فصل : وذكر قول قريش : إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا لا نؤمن بالرحمن ، فأنزل الله سبحانه : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ كان مُسَيِّمَةُ بن حبيب الحنفي ، ثم أحمد بن الدُّوَل قد تسمى : بالرحمن في الجاهلية ، وكان من المتمرين ، ذكر وَثِيمة بن موسى أن مسيلمة تسمى بِالرَّحْمَنِ قبل أن يولد عبدهُ لله أو رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم .

كبير :

وأنشد في تفسير الزبانية :

الذين استمعوا إلى قراءة النبي (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث : أن سفيان بن حرب ، وأباجيل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، خرجوا ليلة ؛ ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجلٍ منهم مجلساً يستمع فيه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا . فجمعهم الطريقُ ، فتلاّوا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رأيكم بعضُ سفهاءكم لأوقعتم في أنفسه شيئاً ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجلٍ منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا ، فجمعهم الطريقُ ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أوّل مرة ، ثم انصرفوا . حتى

ومن كبيرٍ نَفَرُ زَبَانِيهِ^(١)

وجدت في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت : كبير : حتى من هذيل قال المؤلف : وفي أسد أيضاً : كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، ومن ذريته : بنو جحش بن ريان بن يعمر بن صَبَوَة بن مُرّة بن كبير^(٢) وأهل الراجز أن يكون أراد هؤلاء ، فإنهم أشهر ، والله أعلم ، وبنو كبير أيضاً : بطن من بني غامد ، وهم من الأزد ، والذي تقدم ذكره من هذيل هو : كبير بن طابخة بن إلياس ابن سعد بن هذيل .

(١) سبق ذكر الأحاديث التي وردت في هذا الشأن ، والذي نقله السهيلي عن كعب الأحبار في أمر خزنة جهنم لاسند له
(٢) من شعراء هذيل من كنيته أبو كبير ، وفي اللسان : كبير بن هند : حتى من هذيل .

إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرحُ حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرّقوا .

فلما أصبح الأحنسُ بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أباسفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أباحنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أبانعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف ما يُراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها ، قال الأحنسُ : وأنا والذي حلفت به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تخاذلنا على الرُّكَب ، وكُنَّا كَفَرَسَى رِهان ، قالوا : منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء ، فتي نُذرك مثل هذه ، والله لا نُؤمن به أبداً ، ولا نصدّقه . قال : فقام عنه الأحنسُ وتركه .

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله ، قالوا يهزمون به : (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) لأنفقهم ما نقول : (وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) لأنسمع ما نقول : (وَمَنْ يَبْنِئْنا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ) قد حال بيننا وبينك (فاعمل) بما أنت عليه (إِنَّا نَعْمَلُونَ) بما نحن عليه ، إِنَّا لأنفقهم عنك شيئاً ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ﴾

الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾
إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أذْبَانِهِمْ
هُمُورًا ﴾ الإسراء : ٤٥ ، ٤٦ أى : كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جعلت
على قلوبهم أكنة ، وفي آذانهم وقراً ، وبينك وبينهم حجاباً بزعمهم ؛ أى :
إني لم أفعل ذلك . ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ، إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ :
وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ، إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ : إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَّا رَجُلًا مَسْخُورًا ﴾
الإسراء : ٤٧ أى : ذلك ماتوا صوا به من ترك ما بعثتك به إليهم . ﴿ انْظُرْ :
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء : ٤٨
أى : أخضعوا المثل الذي ضربوا لك ، فلا يُصيبون به هدى ، ولا يَعْتَدِل
لهم فيه قول ﴿ وَقَالُوا : أءَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أُنْفَا لَتَتَّبِعُونَنَا خَلْقًا
جَدِيدًا ﴾ أى : قد جئتُ مُخْبِرًا : أَنَا سَنُذَبِّعُ بَعْدَ مَوْتِنَا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ،
وذلك مالا يكون . ﴿ قُلْ : كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ
فِي صُدُورِكُمْ ، فَسَيَقُولُونَ : مَنْ يُعِيدُنَا ، قُلْ : الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
الإسراء : ٤٩ - ٥١ : الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب
بأعز من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس
رضي الله عنهما ، قال : سأله عن قول الله تعالى : ﴿ أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي
صُدُورِكُمْ ﴾ ما الذى أراد الله به ؟ فقال : الموت .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين من أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدّوا على من أسلم ، وأتبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يخذلُونهم ويعدّونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرَمضاء مكة إذا اشتدّ الحرّ ، مَنْ استضعفوا منهم ، يَمْتَنُونهم عن دينهم ، فمنهم من يُفتن من شدّة البلاء الذي يُصيبه ، ومنهم من يصُلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

تعذيب بلال وعتقه

وكان بلال مولى أبي بكر رضى الله عنهما ، لبعض بنى جُحج ، مؤلداً من مولديهم ، وهو بلال بن رباح ، وكان اسماً أمّه : حَمَامَة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أميّة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُحج يُخرجه إذا حيت الظّهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد وتعبد الآلات والعزى ؛ فيقول وهو في ذلك البلاء : أَحَدٌ أَحَدٌ .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان ورقة بن نوفل يمرّ به وهو يمدّ بذلك ، وهو يقول : أَحَدٌ أَحَدٌ ، فيقول : أَحَدٌ ، أَحَدٌ ، والله يا بلال ، ثم يُقِيل على أميّة بن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بنى جُحج ، فيقول : أحلف بالله لننقتلنموه على هذا لا نخذنه حَفَانَا ، حتى مرّ به أبو بكر

الصدِّيق بن أبي جُحافة - رضى الله عنه - يوماً ، وهُم يصنعون ذلك به ، وكانت دارُ أبي بكرٍ في بني جُحج ، فقال لأمية بن خَاف : ألا تتقى الله في هذا المسكين؟! حتى متى ؟ قال : أنت الذى أفسدته ، فأنقذه مما ترى ، فقال أبو بكرٍ : أفعُلْ عندى غلام أسودٌ أجَلَدُ منه وأقوى ، على دينك ، أعطيكه به ، قال : قد قبلتُ فقال : هوالك . فأعطاه أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضى الله عنه غلامه ذلك وأخذَه فأعتقه .

من عتقاء أبي بكر

ثم أغنق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب ، بلال سابعهم : عامر بن فهيرة ، شهد بدرًا وأُحُدًا ، وقُتِل يوم بُئر معونة شهيداً ، وأمّ ثُمَيْس وزَينِيرة ، وأصيب بصرُها حين أعتقها ، فقالت قُريش : ما أذهب بصرَها إلا اللات والعُزَّى ؛ فقالت : كذبُوا - وبيت الله - ما تضر اللات والعُزَّى ، وما تنفعان ، فردَّ الله بصرَها .

وأعتق النّهديّة وبنّتُها ، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار ، فمر بهما وقد بعثتهما سيّدتهما بطّحين لهما ، وهى تقول : والله لا أعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : حِلاً يا أمّ فلان ، فقالت : حلٌّ ، أنت أفسدتهما فأعتقتهما ؛ قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : قد أخذتهما وهما حُرَتان ، أرجعاهما إليهما طّحينها ، قالتا : أو تفرِّغ منه يا أبا بكر ، ثم نردّه إليهما؟! قال : وذلك إن شئتما .

ومرّ بجارية بني مُوَمِّل ، حى من بني عدى بن كعب ، وكانت مسلمة

وعمرُ بن الخطاب يُعذِّبُها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشركٌ وهو بضربها ،
حتى إذا ملَّ قال : إني أعْتَذرُ إليك ، إني لم أتركك إلا مَلَالَةً ، فتقول :
كذلك فعل الله بك ، فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

بين أبي بكر وأبيه

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عَتِيق ، عن عامر
ابن عبد الله بن الزُّبَيْر ، عن بعض أهله ، قال :

قال أبو قحافة لأبي بكر : يَا بُنَيَّ ، إني أراك تُعْتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا ، فلو أنك
إذ فعلت ما فعلتَ أَعْتَقْتَ رجالًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ ، ويقومون دونك ؟ قال :
فقال أبو بكر رضي الله عنه : يَا أَبَتِ ، إني إنما أريد ما أريد ، لله عز وجل ، قال :
فِيَتَحَدَّثُ أَنَّهُ مَانِزِلٌ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إِلَّا فِيهِ ، وفيما قال له أبوه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ ،
وَأَنفَقَ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ الليل : ٥ ، ٦ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَاحِدٍ عِنْدَهُ
مِنْ نِعْمَةٍ يُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ الليل : ١٩ ، ٢١ .

تعذيب عمار بن ياسر

قال ابن إسحاق : وكانت بنو نَحْزُومٍ يَخْرُجُونَ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وبأبيه -
وأُمِّه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حَمِيتِ الظَّهِيرَةُ ، يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمَضَاءِ مَكَّةَ ،
فيمرّ بهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول ، فيما بلغني : صبراً آل ياسر ،
موعِدُكم الجَنَّةَ . فَأَمَّا أُمُّهُ فقتلوا ، وهي تَأْبَى إِلَّا الإسلام .

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغَرِّى بهم في رجال من قريش ، إذا سَمِعَ

بالرجل قد أسلم ، له شرف ومنعة أنبه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك : لَنُصَفِّهَنَّ حِلْمَكَ وَلَنُفَيِّئَنَّ رَأْيَكَ ، ولنضعنَّ شرفك ، وإن كان تاجراً ، قال : والله لنُكَسِّدَنَّ تجارتك ، ولنُهْلِكَنَّ مالك ، وإن كان ضعيفاً ضر به وأغرى به .

فتنة المعذبين

قال ابن إسحاق : وحدثني حَكِيم بن جُبَيْر عن سَعِيد بن جُبَيْر ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يُبَاغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعذَّرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ، ويُجمِعونه ، ويُعْطِّشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يُعْطِطهم ما سألوه من الفِتنَةِ ، حتى يقولوا له ، آَلَلاتُ وَالْعَزَّى إِلْهُك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الجُعَل ليمر بهم ، فيقولون له : أهذا الجُعَل إِلْهُك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتدأ منهم ممَّا يبلغون من جهده .

رفض تسليم الوليد لتقتله قريش

قال ابن إسحاق : وحدثني الزبير بن عَكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد أنه - دَثَّ أن رجلاً من بني نخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد ، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد ، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا ، منهم : سلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة . قال : فتالوا له — وخشوا شرهم : إنا قد أردنا أن نُمَاتِب هؤلاء الفِتية على هذا الدين الذي أحدثوا ، فإنَّا نأمن بذلك في غيرهم . قال : هذا ، فعاليكم به . فماتبوه وإياكم ونفسه . وأنشأ يقول :

أَلَا لَا يُقَتَّلَنَّ أَخِي عُمَيْشٌ فَيَبْقَى بَيْنَنَا أَبَدًا تَلَا حِي

أحذروا على نفسه ، فأقسم بالله أن تقتلوه ، لأقتلن أشرفكم رجلاً . قال :
فقالوا : اللهم العنه . من يُفرّر بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل
أشرفنا رجلاً . قال : فتركوه وبرزوا عنه . قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم .

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية . بمكانه من الله ، ومن عمه أبي
طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمتنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لو خرجتم
إلى أرض الحبشة ، فإن بها ماسكاً لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق ، حتى
يحمل الله إكم فرجاً مما أنتم فيه ، تخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله
بدينهم . فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

أصحاب الهجرة الأولى إلى الحبشة

وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس
ابن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته : رقية بنت
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة

ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، معه امرأته : سهلة بنت سهيل بن عمرو ، أحد
بنى عامر بن لؤي ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حذيفة . ومن بنى أسد
ابن عبد العزى بن قصي : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد . ومن بنى
عبد الدار بن قصي : مضعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن
بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث
ابن زهرة . ومن بنى مخزوم ابن يقظة بن مرة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن
هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومن بنى جهم بن عمرو بن هصيص
بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جهم . ومن
بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف آل الخطأب ، من عنز بن وائل معه
امرأته : ليلى بنت أبي حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف
بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . ومن بنى عامر بن لؤي أبو سبرة
ابن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك
ابن حسل بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود
ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر .

ويقال : هو أول من قدمها . ومن بنى الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء ،
وهو : سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث .
فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغني .
قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر لي بعض
أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ،
وتتابع المسلمون ، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج
بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه .

المهاجرون من بنى هاشم وبنى أمية

ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب
ابن لؤي بن غالب بن فهر : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطالب بن هاشم ،
معه امرأته : أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ،
ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبي العاص
ابن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعمر بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : فاطمة بنت صَعْوَان
ابن أمية ابن مُحَرَّر بن حَمَل بن شِقِّ بن رَقَبَةَ بن مُخَدِّج الكنانى ، وأخوه
خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : أُمَيَّة بنت خلف بن أسعد
ابن عامر بن بياضة بن سُبَيْع بن جُعْثَمَة بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة
قال ابن هشام : ويقال : هُمَيَّة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سَعِيد بن خالد ، وأمة بنت
خالد ، فتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير ،
وخالد بن الزبير .

المهاجرون من بنى أسد وبنى عبد شمس

ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمه : عبد الله بن جحش بن رثاب
بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وأخوه
عبيد الله بن جحش ، معه امرأته : أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ،
وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمه ، معه امرأته بركة بنت
يسار ، مولاة أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ، وهؤلاء
آل سَعِيد بن العاص ، سبعة نفر .

قال ابن هشام : مُعَيْقِب من دُوس .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف ، أبو حذيفة
ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وأبو موسى الأشعري ، واسمه : عبد الله
ابن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلان .

المهاجرون من بنى نوفل وبنى أسد

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عُتْبَةُ بن غزوان بن جابر بن وهب
ابن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة
ابن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، رجل .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد
ابن أسد ، والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد ، ويزيد بن زمة بن الأسود
ابن المطلب بن أسد . وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد ، أربعة نفر .

المهاجرون من بنى عبد وعبد الدار ولدى قصى

ومن بنى عبد بن قُصَيّ : طُليّب بن عُمر بن وهب بن أبي كثير بن عبد
[ابن قُصَيّ] رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قُصَيّ : مُضْعَب بن عُمر بن هاشم بن عبد مناف
ابن عبد الدار ، وسُوَيْط بن سَعْد بن حَرْمَلَة بن مالك بن عُثَيْلَة بن السَّبَّاق
ابن عبد الدار ، وَجْهَم بن قَيْس بن عبد شَرْحِبِيل بن هاشم بن عبد مناف
ابن عبد الدار ، معه امرأته أم حَرْمَلَة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أَقَيْش بن عامر
ابن بِيَاضَة بن سُبَيْع بن جُثُمَة بن سَعْد بن مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة ، وابناه :
عَمْرُو بن جَهم وخَزِيمَة بن جَهم ، وأبو الرّوم بن عُمر بن هاشم بن عبد مناف
ابن عبد الدار ، وفِرَاس بن النُّضَر بن الحارث بن كَلَدَة بن عُلْقَمَة بن عبد مناف
ابن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بنى زهرة وبنى هذيل وبهراء

ومن بنى زهرة بن كِلَاب : عبد الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف بن عبد
ابن الحارث بن زهرة ، وعامر بن أبي وقاص ، وأبو وقاص : مالك بن أهيب
ابن عبد مناف ابن زهرة ، والمطلّب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث
ابن زهرة ، معه امرأته : رَمْلَة بنت أبي عَوْف بن ضُبَيْرَة بن سُمَيْد بن سَعْد
ابن سَهْم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلّب .

ومن حلفائهم من هُذَيْل : عبد الله بن مَسْعُود بن الحارث بن تَمِيم

ابن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، وأخوه:
عُتْبَةُ بن مَسْعُود .

ومن بهراء : المِقْدَادُ بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة
ابن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن لؤى بن ثعلبة بن مالك بن الشريد
ابن أبي أهوز بن أبي فائش بن دُرَيْم بن القَيْن بن أهود بن بهراء بن عمرو
ابن الحاف بن قُضاعة .

قال ابن هشام : ويقال هَزَل بن فاس بن ذرّ ، ودَهِير بن ثور .
قال ابن إسحاق : وكان يقال له : المِقْدَاد بن الأسود بن عَبْدِ يَعُوثَ
ابن وهب بن عبد مناف بن زُهره ، وذلك أنه تَبَنّاه في الجاهلية ، وحالقه ،
- ستة نفر -

المهاجرون من بنى تميم وبنى مخزوم

ومن بنى تميم بن مرة : الحارثُ بن خالد بن صَخْر بن عامر بن عمرو
ابن كَعْب بن سَعْد بن تميم ، معه امرأته رَيْطَة بنت الحارث بن جَبَلَة بن عامر
ابن كَعْب بن سَعْد بن تميم ، وَلَدَتْ له بأرض الحبشة موسى بن الحارث ،
وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وعمرو
ابن عثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تميم ، رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يَقْظَة بن مُرّة : أبو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ومعه امرأته : أُمّ سَلَمَة بنت أبي أُمَيّة بن المُغيرة

ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ،
واسم أبي سلمة : عبد الله ، واسم أم سلمة : هند . وشمامس بن عثمان بن الشريد
ابن سويد بن هرم بن عامر بن مخزوم .

من سيرة الشماس

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمي شماساً ؛ لأن شماسا من
الشماسة ، قدم مكة في الجاهلية ، وكان جميلاً فوجب الناس من جماله ، فقال
عتبة بن ربيعة - وكان خال شماس : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاءه ابن أخته
عثمان بن عثمان ، فسمي : شماساً . فيما ذكر ابن شهاب وغيره .

قال ابن إسحاق : وهبّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبي حذيفة
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم .

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم ومن بني جمح

ومن حلفائهم : مُعَتَّب بن عَوْف بن عامر بن الفضل بن عَنيف بن كُليب
ابن حَبْشِيَّة بن سُلُول بن كَعْب بن عمرو ، من خُزاعة ، وهو الذي يُقال له :
عِيَّامة ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : حَبْشِيَّة بن سلول ، وهو الذي يُقال له مُعَتَّب
ابن حمراء .

ومن بنى مُجَمِّح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب : عثمان بن مَظْعُون .
 ابن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وأخواه :
 قُدَامة بن مَظْعُون ، وعبدُ الله بن مَظْعُون ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر .
 ابن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ، معه امرأته : فاطمة بنت الْمُجَلَّل .
 ابن عبد الله بن أبي قَيْس بن عبدود بن نَصْر بن مالك بن حِثْل بن عامر ،
 وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما ابنت الْمُجَلَّل ، وأخوه : حطَّاب .
 ابن الحارث ، معه امرأته فُكَيْهة بنت يسار ، وسفيان بن مَعْمَر بن حَبِيب .
 ابن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ، معه ابنه جابر بن سفيان ، وجُنَادة بن سفيان ،
 ومعه امرأته حَسَنَة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما : شُرَحْبِيل بن حَسَنَة ،
 أحد الغوث .

قال ابن هشام : شرحبيل بن عبد الله أحدُ الغوث بن مُرَّة ، أخى تميم
 ابن مُرَّة .

الْمُهَاجِرُونَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ وَبَنِي عَدَى وَبَنِي عَامِرٍ

قال ابن إسحاق : وعثمان بن ربيعة بن أَهْبَان بن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ،
 أحدَ عشرَ رجلاً .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعْب : خُنَيْس بن حُذَافَة بن
 قَيْس بن عَدَى بن سعد بن سَهْم ، وعبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عَدَى .
 ابن سعد بن سهل ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سَهْم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق : وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، ومَعْمَر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وإِشْر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعُمَيْر بن رِثَاب بن حذيفة بن مُهْشَم بن سعد بن سهم ، وَتَحْمِيْمَة بن الجزاء ، حليف لهم ، من بنى زُبَيْد ، أربعة عشر رجلاً .

ومن بنى عدى بن كعب : مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلَة بن عبد العزى بن حُرْثَان بن عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى ، وعروة بن عبد العزى بن حُرْثَان بن عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى ، وعدى بن نَضْلَة بن عبد العزى بن حُرْثَان بن عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى ، وابنه النعمان بن عدى ، وعامر بن ربيعة ، حليف لآل الخَطَّاب ، من عَزْر بن وائل ، معه امرأته : ليلي بنت أبي حَثمَة بن غانم . خمسة نفر .

ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سَبْرَة بن أبي رُهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حِثْل بن عامر ، معه امرأته :

أُمُّ كُثُومُ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ حِثْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَحْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنِ
عَبْدُوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِثْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِثْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَسَلِيطُ بْنُ
عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِثْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَأَخُوهُ :
السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرِو ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ : سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ
ابْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِثْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَمَالِكُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِثْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ :
عَمْرَةَ بِنْتُ السَّعْدِيِّ بْنِ وَقْدَانَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ
حِثْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَحَاطِبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ حِثْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَسَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ ، حَلِيفُ لَهُمْ . ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ .

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمين .

المهاجرون من بنى الحارث

قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ،
وهو : عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث
ابن فهر ، وسُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ ، وهو : سُهَيْلُ بْنُ وَهْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ هَلَالِ بْنِ
أَهْيَبِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَلَسَكُنَ أُمُّهُ غَلَبَتْ عَلَى نَسَبِهِ ، فَهُوَ يَنْسَبُ إِلَيْهَا ،
وَهِيَ : دَعْدُ بِنْتُ جَعْدَمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ ظَرْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فِهْرِ ، وَكَانَتْ

تدعى : بَيْضَاء ، وعمر بن أَبِي سَرْح بن رِبِيعَة بن هَالَل بن أَهْيَب بن ضَبَّة
ابن الحارث ، وعِيَاض بن زُهَيْر بن أَبِي شَدَّاد بن رِبِيعَة بن هَالَل بن أَهْيَب
ابن ضَبَّة بن الحارث ، ويقال : بل رِبِيعَة بن هَالَل بن مَالِك بن ضَبَّة
ابن الحارث ، وعمر بن الحارث بن زُهَيْر بن أَبِي شَدَّاد بن رِبِيعَة بن هَالَل بن مَالِك
ابن ضَبَّة بن الحارث ، وعُثْمَان بن عَبْدِ غَنَم بن زُهَيْر بن أَبِي شَدَّاد بن رِبِيعَة
ابن هَالَل بن مَالِك بن ضَبَّة بن الحارث ، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيْط بن عامر
ابن أُمَيَّة بن ظَرَب بن الحارث بن فُهر ، والحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيْط
ابن عامر بن أُمَيَّة بن ظَرَب بن الحارث بن فُهر . ثمانية نفر .

عدد الذين هاجروا إلى الحبشة

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى
أبنائهم الذين أخرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن
كان عُمَار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه .

من شعر الهجرة الحبشية

وكان مما قيل من الشعر في الحبشة ، أن عبد الله بن الحارث بن قيس
ابن عدى بن سعد بن سهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جوار
النجاشي ، وعبدوا الله ، لا يخافون على ذلك أحداً ، وقد أحسن النجاشي
جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يَا رَاكِبًا بَلَّغْنِي عَنِّي مُغْلَمَةً مَنْ كَانَ يَرْجُو بِلَاغَ اللَّهِ وَالِدَيْنِ
كُلُّ أَمْرٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مُضْطَهَدٌ بَيِّظُنْ مَكَّةَ مَقْمُورٍ وَمَقْمُوتُونَ

أَنَا وَجَدْنَا بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةً نُنَجِّي مِنَ الذَّلِّ وَالْمَخْزَاةِ وَالْمَوْنِ
فَلَا تَقِيمُوا عَلَى ذَلِّ الْحَيَاةِ ، وَخِزْ يِ فِي الْعَمَاتِ ، وَعَيْبِ غَيْرِ مَأْمُونِ
إِنَّا تَبِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاطَّرَحُوا قَوْلَ النَّبِيِّ ، وَعَالُوا فِي الْعَوَازِينِ
فَاجْعَلْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ بَغَوْا وَعَانَدَا بِكَ أَنْ يَعْلُوا فَيُظْفِقُونِي

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نفى قُريشٍ إياهم من بلادهم ، ويعتاب
بعض قومه في ذلك :

أَبْتَ كَبْدِي لِأَكْذِبْنِكَ قَنَاهُمْ عَلَى ، وَتَأْبَاهُ عَلَى أَنَا مِلِي
وَكَيْفَ قِتَالِي مَغْشَرًا أَدْبُوكُمُ عَلَى الْحَقِّ أَنْ لَا تَأْشِبُوهُ بِبَاطِلِ
نَفْتَهُمْ عِبَادُ الْجَنِّ مِنْ حَرِّ أَرْضِهِمْ فَاضْحَوْا عَلَى أُمْرِ شَدِيدِ الْبَلَابِلِ
فَإِنْ تَكُ كَانَتْ فِي عَدِي أَمَانَةً

عدي بن سعد عن مُتَقِي ، أو تواصل
فَمَنْدَ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ ذَلِكَ فِيكُمْ بِحَمْدِ الَّذِي لَا يُطَيَّبِي بِالْجَمَائِلِ
وَبَدَّلْتُ شِبْلًا شَبِلَ كُلَّ خَبِيئَةٍ بِذِي فَجَرٍ مَأْوَى الضَّمَاةِ الْأَرَامِلِ
وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وَتِلْكَ قُورَيْشٌ تَجْعَدُ اللَّهُ حَمَمَهُ كَمَا جَعَدَتْ عَادٌ وَمَدْيَنُ وَالْحِجْرُ
فَإِنَّا لَمْ أَزِقْ فَلَا يَسَعُنِي مِنَ الْأَرْضِ بَرٌّ ذُو قَضَاءٍ وَلَا بَحْرُ
بَارِضٍ بِهَا عَبْدُ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ أُبَيِّنُ مَا فِي النَّفْسِ إِذْ بَلَغَ النِّفَرُ

فسمي عبد الله بن الحارث — رحمه الله — لبيته الذي قال: المبرق .

وقال عثمان بن مظعون يُعَانِبُ أُمَيَّةَ بن خَلَفِ بن وَهَبِ بن حُذَافَةَ بن جُمَحٍ ،
وهو ابن عمِّه ، وكان يُؤْذِيهِ في إسلامه ، وكان أُمَيَّةَ شَرِيفًا في قومه في زمانه
ذلك :

أَتَيْمَ بن عمرو لِلَّذِي جَاءَ بِفَضَّةٍ
وَمِنْ دُونِهِ الشَّرْمَانِ وَالْبَرْكُ أَكْتُمُ
أَخْرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ آمِنًا وَأَسْكَنْتَنِي فِي صَرْحٍ بِيضَاءَ تَقْدَعُ
تَرِيشَ نِبَالًا لَا يُوَاتِيكَ رِيْشُهَا وَتَبْرَى نِبَالًا رِيْشُهَا لَكَ أَجْمَعُ
وَحَارَبْتَ أَقْوَامًا كِرَامًا أَعِزَّةً
وَأَهْلَكَ أَقْوَامًا بِهِمْ كُنْتَ تَفْرَعُ
سَتَعْلَمُ إِنْ نَابَتْكَ يَوْمًا مُلِمَّةٌ وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشُ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ
وتيم بن عمرو ، الذي يدعو عثمان ، جمح ، كان اسمه : تَيْمًا .

حول آيات من القرآن :

فصل : وذكر استماع أبي جهل وأبي سفيان والأخنس إلى قول أبي جهل :
فعلما تجاذبنا على الرُّكْب . وقع في الجمهرة : الجاذي : المُنْعَى على قدميه ^(١) قال : وربما
جعلوا الجاذي والجاني سواء .

(١) في القاموس : جذا جذوا وجذوا كسمو ثبت قائما ، كأجذى ، أو جثا ،
أو قام على أطراف أصابعه : وتجادى : نسل ، وهى في النسخة التى معى
لا بن هشام : تجاذبنا

وذكر قول الله سبحانه خبراً عنهم : ﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ ، وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ، بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً ﴾ الإسراء : ٤٥ قال بعضهم : مستور بمعنى : سائر كما قال : «وكان وعدُهُ مَأْتِيًّا» أى : آتياً ، والصحيح أن مستوراً هنا على بابه ؛ لأنه حِجَابٌ على القلب ، فهو لا يُرى .

وذكر حديث ابن عباس حين سئل عن قوله : ﴿ أَوْ خَافًا مِمَّا يَكْبُرُ

== هذا وقد ذكر ابن هشام سبب نزول قوله سبحانه : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ، وإليك هنا ماورد عن هذا في الصحيحين وأحد عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — متوار بمكة : (ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها) قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، وسبوا من أنزله ، ومن جاء به ، قال : فقال الله لنبيه — صلى الله عليه وسلم — (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك ، فيسمع المشركون ، فيسبون القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه منك : (وابتغ بين ذلك سبيلاً) ولكن قصر الآية على هذا السبب يجعلها معطلة الآن ، إذ ما هم بيننا مثل هؤلاء المشركين الذين نخشاهم . ومن زعم أنها للدعاء فقد أخطأ ، فالدعاء يقول الله فيه : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) وقد روى عن ابن عباس : « لا تصل مراعاة الناس ، ولا تدعها مخافة الناس » ، وعن الحسن البصري : لا تحسن تلاوتها ، وتسمى سريرتها .

وقد روى ابن جرير عن ابن سيرين قوله : ثبت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، ف قيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أنا جئ ربي عز وجل — وقد علم حاجتي . فقيل : أحسنت ، وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال أطرده الشيطان ، وأوقفه الوسنان ، قيل : أحسنت ، فلما نزلت : (ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً) قيل لأبي بكر : ارفع شيئاً ، وقيل لعمر : اخفض شيئاً . هذا هدى القرآن في القراءة في الصلاة

في صدوركم ﴿ فقال : الموت ، وهو تفسير يحتاج إلى تفسير ، ورأيت لبعض المتأخرين فيه ، قال : أراد ابن عباس أن الموت سيفني كما يفنى كل شيء ، كما جاء أنه يُذبح على الصُّراط ، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديداً لأدرككم الفناء والموت ، ولو كنتم الموت الذي هو كبير في صدوركم ، فلا بُدَّ لكم من الفناء - والله أعلم - بتأويل ذلك ، وقد بقي في نفسى من تأويل هذه الآية شيء ^(١) ، حتى يكمل الله نعمته بفهمها إن شاء الله تعالى - وقوله سبحانه : ﴿ وَأَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾ يجوز أن يكون : نفوراً : جمع نافر ، فيكون نصباً على الحال ، ويجوز أن يكون مصدرأً مؤكداً لؤلؤا . وما أنزل الله في استماعهم : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ، أفأنت تسمع الضم ﴾ يونس : ٤٢ ألا ترى كيف جمع يستمعون ، والحمل على اللفظ إذا قرُب منه أحسن ، ألا ترى إلى قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ فأفرد ، حملاً على لفظ مَنْ ، وقال في آخر الآية : ولا خوفٌ عليهم ، فجمع حملاً على المعنى ، لما بعد عن اللفظ ، وهكذا كان القياس في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ ﴾ ، ولكن لما كانوا جماعة ، ونزلت الآية فيهم بأعيانهم ، صار المعنى : ومنهم نفر يستمعون ، يعنى أولئك النفر ، وهم أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق ، ألا ترى كيف قال بعد : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ فأفرد حملاً على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم ، والله أعلم .

(١) الآية واضحة بمعنى : أى خلق يكبر في صدور هؤلاء ومنهم على شاكلتهم ، ولهذا قال مجاهد : السماء والأرض والجبال ، وفي رواية : ما شئتم فكونوا . فسيعيدكم الله بعد موتكم .

المكره على الكفر والمعصية :

فصل : وذكر تعذيب من أسلم وطرحهم في الرمضاء ، وكانوا يُلبسونهم أدرع الحديد ، حتى أعطوهم بالسنتهم ما سألوا من كلمة الكفر إلا بلالا - رحمه الله - وأنزل الله فيهم : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ ونزل في عمار وأبيه : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾^(١) ولما كان الإيمان أصله في القلب ، رخص للمؤمن في حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه حتى يأمن . قال ابن مسعود : ما من كلمة تدفع عن سوطين إلا قلنتها هذا في القول ، فأما الفعل ، فتتقسم فيه الحال : فمنه ما لا خلاف في جوازه كشرب الخمر ، إذا خاف على نفسه القتل ، وإن لم يخف إلا مادون القتل ، فالصبر له أفضل ، وإن لم يخف في ذلك إلا كسجن يوم ، أو طرف من الهوان خفيف ، فلا تحل له المعصية من أجل ذلك ، وأما الإكراه على القتل ، فلا خلاف في حظره ؛ لأنه إنما رخص له فيما دون القتل ، ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة ،

(١) روى العوفي عن ابن عباس أن الآية : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ ﴾ ، نزلت في حق عمار ابن ياسر ، وهكذا قال الشعبي وقتادة وأبو مالك وابن جرير ، ورواه البيهقي ، وفيه أنه سب النبي ﷺ ، وذكر آهتهم بخير ، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال : يا رسول الله ما تركت حتى سببتك ، وذكرت آهتهم بخير ، قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئنا بالإيمان ، فقال : إن عادوا فعد . أما الأخرى فلم يذكر لها سبب . وروى قصة تعذيب بلال أحمد في مسنده ، وروى ابن أبي شيبة أن أبا بكر اشتراه بخمس أواق وهو مدفون ، كما روى الطبراني أن عامر بن فهيرة كان ممن يعذب في الله ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه .

وهي نفسه ، فأما إذا دَفَعَ عن نفسه بنفسه أخرى ، فلا رُخْصَة ، واختلف في الإكراه على الزَّنى ، فذكر عن ابن الماجشون أنه قال : لا رُخْصَة فيه ؛ لأنه لا ينتشر له إلا عن إرادة في القلب أو شهوة ، وأفعال القلب لا تباح مع الإكراه ، وقال غيره : بل يرخص في ذلك لمن خاف القتل ، لأن انبعاث الشهوة عند المُمَاسَّة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مَضْغ الطعام ، وقد يجوز أكل الحرام إذا أكره عليه .

فصل : واختلف الأصوليون في مسألة من الإكراه ، وهي : هل المُكْرَه على الفعل مخاطَّب بالفعل ، أم لا ؟ فقالت المعتزلة : لا يصح الأمر بالفعل مع الإكراه عليه ، وقالت الأشعرية : ذلك جائز ؛ لأن العزم إما هو فعل القلب ، وقد يتصور منه في ذلك الحين العزم والنية ، وهي القصد إلى امتثال أمر الله تعالى ، وإن كان ظاهره أنه يفعله خوفاً من الناس ، وذلك إذا أكرهه على فرض كالصلاة مثلاً ، إذا قيل : صَلِّ وإلا قُتِلْتَ ، وأما إذا قيل له : إن صليت قُتِلْتَ ، فظن القاضى أن الخلاف بيننا ، وبين المعتزلة في ذلك ، وغلطه بعض أصحابه ، وقالوا : لا خلاف في هذه المسألة أنه مخاطَّب بالصلاة مأمور بها ، وإن رخص له في تركها ، فليس الترخيص مما يخرج به عن حكم الخطاب ، وإما يرفع عنه الإكراه المائم ، ولا يخرج به عن أن يكون مخاطباً بها ، وهذا الغلط المنسوب إلى القاضى في هذه المسألة ليس بقول له ، وإما حكاه في كتاب التقریب والإرشاد عن طائفة من الفقهاء . قالوا : لا يتصور القصد والإرادة للفعل مع الإكراه عليه . قال القاضى : وهذا باطل ؛ لأنه يتصور انكشافه عنه مع الإكراه ، فكذلك يتصور منه القصد إلى الامتثال له ، وبه يتعلق التكليف ، فإنما غلط من نسب إليه من الأصوليين

هذا القول الذى أبطله ، وبين بطلانه ، وإنما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه فى المسألة ، وأقوت على حقيقة مذهبه ، وهو برىء من الغلط فيها .

آل ياسر :

فصل : وذكر فيمن عُدَّ فى الله : سُمَيَّةَ أُمِّ عَمَار ، وقد ذكرنا قتل أبى جهل لها ، وهى أول شهيد فى الإسلام ، وروى أن عماراً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد بلغ منا العذابُ كل مبلغ ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : صبراً أبا اليقظان ^(١) ، ثم قال : المأمم لا تعذب أحداً من آل عمار بالغار ، وسُمَيَّةُ أُمُّهُ ، وهى بنت خيَّاط ^(٢) ، كانت مَوْلَاةً لأبى حذيفة بن المغيرة ، واسمه مُهْشَمٌ ، وهو عم أبى جهل ، وغلط ابن قُتَيْبَةَ فيها ، فزعم أن الأزرق مولى الحارث بن كَلْدَةَ خلف عايمها بعد ياسر ، فولدت له سلمة بن الأزرق ، وقال أهل العلم بالنساء : إنما سُمَيَّةُ أُمُّ سلمة بن الأزرق سُمَيَّةُ أُخْرَى ، وهى أم زياد ابن أبى سفيان ، لا أم عمار ، وعمارٌ والحويرث وعبود بنو ياسر بن عامر بن مالك ابن كِنانة بن قيس بن الحُصَيْن بن لُوْذَيْن ، ويقال الوُذَيْم بن نَعْلَبَةَ بن عوف بن عامر بن حارثة بن زيام بن عَنَس ^(٣) بن مالك بن أَدَدَ بن زَيْد العَنَسِيَّ المَذْحِجِيَّ .

(١) ذكره ابن عبد البر .

(٢) وقيل خباط بضم الحاء وتشديد الباء ، وعند الفاكهى : خبط بفتح الخاء وسكون الباء . وقد ابن سعد أنها بنت سليم

(٣) فى الاشتقاق : عمار والحريث وعبد الله بنو ياسر . وفيه الوذيم . ويام بدلا من زيام وهذه أيضاً فى الإصابة . وقد روى أحمد فى مسنده أن الرسول ص ، مر على عمار وأبيه وأمه ، وهم يعذبون . فقال أبو عمار : يا رسول الله الدهر هكذا ؟ فقال له : —

حليف لبني مخزوم ، ومن ولد عمار : عبدُ الله بن سعد بن الحسن بن عثمان
ابن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ، وهو المقتول بالأندلس ، قتله
عبد الرحمن بن معاوية .

زنبرة وغيرها :

فصل : وذكر زنبرة^(١) التي أعتقها أبو بكر ، وأول اسمها : زاي مكسورة
بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فَعِيلَة ، هكذا سمحت الرواية في الكتاب ،
والزنبرة : واحدة الزناير ، وهي الحصا الصفار^(٢) ، قاله أبو عبيدة ، وبعضهم يقول
فيها : زنبرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها ، ولا تُعرف زنبرة في النساء ،
وأما في الرجال فزنبرة بن زبير بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث
ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، وابنه : خالد بن
زنبرة ، وهو الفرق قاله الدارقطني .

أم عبيس :

فصل : وذكر أم عبيس^(٣) ، وكانت ابنة تميم بن مرة أعتقها أبو بكر ،

= النبي «ص» اصبر ثم قال : اللهم غفرا لآل ياسر ، وقد فعلت . وعند الطبراني
في الأوسط : اصبروا آل ياسر موعدهم الجنة . أو أبشروا آل ياسر موعدهم الجنة
(١) كان أبو جهل يتحكم بها وبمن آمن ، فيقول : « ألا تعجبون إلى هؤلاء
وأتباعهم . لو كان ما أتى محمد خيرا وحقا ما سبقونا إليه ، أفلسبنا زنبرة إلى
رشد » ص ٢٦٩ > ٦ شرح المواهب .

(٢) وذباب صفار أيضاً .

(٣) أو عبيس ، أو عبيس بالتصغير .

وذكر غير ابن إسحاق هؤلاء الذين عذبوا في الله لما أعطوا بألسنتهم ما سئلوا من الكفر ، جاءت قبيلة كل رجل منهم بأنطاع الأدم فيها الماء ، فوضوهم فيها ، وأخذوهم بأطراف الأنطاع ، واحتملوهم إلا بلالا .

عن بهلول :

وقول ورقة بن نوفل : لئن قتلتهموه يعني : بلالا ، وهو على هذا الحال .
لأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا^(١) . أى : لأَتَّخِذَنَّ تَبْرَهُ مِنْكَ كَأَ وَمُسْتَرْحَمًا . والحنان : الرحمة ، وكان بلال رحمه الله يكنى : أبا عبد الكريم ، وقيل : أبا عبد الله ، وأخته غُفْرَة ، وقد تقدم في أول الكتاب ذكر عمر مولى غُفْرَة ، وهى هذه . والغُفْرَة : الأنثى من أولاد الأراوى^(٢) ، والذكر : غُفَر .

باب الهجرة إلى أرض الحبشة

وقد ذكرنا نسب الحبشة في أول الكتاب ، وأما النجاشي فاسم لكل ملك بلى الحبشة ، كما أن كِسْرَى اسم لمن ملك الفرس ، وخاقان اسم للملك الترك كائنا مَنْ كان ، وبَطْلَيْمُوسُ : اسم لمن ملك يُونَانَ ، وقد ذكرنا هذا المعنى قبل ، واسم هذا النجاشي : أَصْحَمَة^(٣) بن أُنْجَر . وتفسيره : عطية . وذكر

(١) هو عند الزبير بن بكار وأبي الفتح اليعمرى .

(٢) أراوى بفتح أوله وثانيه وكسر الوار وتضعيف الياء : جمع قلة لأروية بضم أو كسر فسكون فكسر ففتح مع تشديد : أنثى الوعول ، أو أنثى التيس الجبلى ، وكذلك غفرة وجمع الكثرة : أروى على وزن أفعال ، على غير قياس . وفى اللسان عن أبي العباس : والصحيح عندى أن أراوى تكسیر أروية . كأرجوحة وأراجيح ، والأروى : اسم للجمع ، وأروى تنون ولا تنون . انظر اللسان مادة روى ،

(٣) كذلك ورد اسمُه فى البخارى ، وفى مصنف ابن أبى شيبة بحذف الحمة وحكى —

في أول من خرج إلى الحبشة : عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — وكان حين تزوجها يغنيها النساء :

أَحْسَنُ شَخْصِينَ رَأَى إِنْسَانٌ رُقِيَّةً وَبَعَاها عُثْمَانُ

ولدت رقية لعثمان ابنة عبد الله ، وبه كان يكنى ، ومات عبد الله وهو ابن
ست سنين ، وكان سبب موته أن ديكاً نقره في عينه ، فتورم وجهه فمض ،
فمات . وذلك في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، ثم كنى بعد ذلك
أبا عمرو ، وهذا هو عبد الله الأصغر . وعبد الله الأكبر هو ابنه من فاختة بنت
غزوان ، وأكبر بنيهم بعد هذين : عمرو ، ومن بنيهم عمر و خالد وسعيد والوليد
والمغيرة وعبد الملك (١) وأبان ، وفي السيرة من غير هذه الرواية أن رقية كانت

الإسماعيلي : أصحمة وقيل : أصحبة وقيل : صحبة ، وقيل : مصحمة ، وقيل اسمه : مكحول .
وقال مغلطاي : ملك الترك خاقان ، والروم : قيصر واليمن : تبع ، واليونان :
بطليموس ، واليهود : القبطون فيما قيل ، والمعروف : مالح ، وملك الصابئة :
النروذ ودهمز ، وملك الهند : يعفور ، والزنج : زغانة ، ومصر والشام : فرعون ،
فإن أضيف إليهما الإسكندرية سمي : العزيز ، ويقال المقوقس . وملك العجم :
كسرى ، وملك فرغانة : الإخشيد ، والعرب من قبل العجم : النعمان ، وملك
البربر : جالوت . وجمع الحبش : أحبوش بضم أوله ، وأما قولهم : الحبش فعلى غير
قياس ، وقالوا : حبشان وقالوا : أحبش وأصل التحيش : التجميع . وكان
النجاشي قديماً لقباً للملوك الحبشة ، ثم غير إلى الخطي . والنجاشي إما بفتح النون .
وإسكان الياء أو تشديدها أو بكسر النون مع مد الشين .

(١) في نسب قريش : عمرو وعمر و خالد وأبان وحريم وأبهم : أم عمرو
بنت جندب بن عمر بن حمزة من الأزدهن دوس . ومنهم الوليد وسعيد وأم عثمان —

من أحسن البشر ، وأن رجلاً من الحبشة رأوها بأرضهم ، فكانوا
يُدْرِكُون^(١) إذا رأوها إعجاباً منهم بحسنها ، فكانت تتأذى بذلك ، وكانوا
لا يستطيعون اغتربهم أن يقولوا لهم شيئاً ، حتى خرج أولئك نفر مع النجاشي
إلى عدوه الذي كان ثار عليه ، فقتلوا جميعاً ، فاستراحت منهم ، وظهر النجاشي
على عدوه ، وروى الزبير في حديث أسنده أن رسول الله — صلى الله عليه —
وسلم — بعث رجلاً بلطُفٍ إلى عثمان ورقية ، فاحتبس عليه الرسول ، فقال له
عليه السلام : إن شئت أخبرتك ما حبسك ، قال : نعم ، قال : وقفت تنظر إلى
عثمان ورقية تعجب من حسنهما .

وذكر ابن إسحاق تسمية المهاجرين^(٢) إلى أرض الحبشة ، وقد تقدم
التعريف ببعضهم ، وذكرنا سبب إسلام عمرو بن سعيد بن العاصي ، وأنه

== أمهم : فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .
ومنهم عبد الملك لا بقية له ، وتوفي رجلاً ، أمه : أم البنين بنت عيينة بن حصين
ابن حذيفة بن بدر . ومنهم : عائشة ، وأم أبان ، وأم عمرو . وأمهم : رملة بنت
شيبه بن ربيعة بن عبد شمس ص ١٠٤

(٢) الدركمة كشرذمة وسبجلة أى بكسر ففتح فسكون ففتح : لعبة للعجم
أو ضرب من الرقص أو هي حبشية

(٣) في فتح الباري : أن الهجرة وقعت مرتين ، وذكر أهل السير أن الأولى
كانت في شهر رجب من سنة خمس من المبعث ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر
رجلاً وأربع نسوة ، وقيل : وامرأتان ، وقيل : كانوا اثني عشر رجلاً ، وقيل :
كانوا عشرة ، وأنهم خرجوا . حتى وصلوا إلى شعيبه مكان على ساحل البحر
الاحمر ، فاستأجروا سفينة — في غير الفتح : سفينتين — بنصف دينار

رأى نوراً خرج من زمزم أضاعت له منه نخل المدينة ، حتى رأوا البُسرَ فيها ،
فقص رؤياه ، ف قيل له : هذه بئر بنى عبد المطلب ، وهذا النور فيهم يكون ،
فكان سبباً ليداره للإسلام .

رؤيا سعد وهالد ولدى العاص :

وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذه الرؤيا إنما كانت لأخيه ، وأن عمرأ هو الذى
عبرها له ، وهذا هو الصحيح فيها ، والله أعلم ، وأما أخوه خالد بن سعيد ، فكان
يرى - قبل أن يسلم - نفسه قد أشفى على نار تَأَجَّجُ ، وكان رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قد أخذَ بِحُجْزَتِهِ ^(١) ، يصرفه عنها ، فلما استيقظ علم أن نجاته من النار
على يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أظهر إيمانه ضربه أبوه بِمَقْرَعَةٍ ،
حتى كسرها على رأسه ، وحلف ألا ينفق عليه ، وأغرى به إخوته ، فطردوه
وآذوه ، فانقطع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى هاجر إلى أرض الحبشة
- كما ذكر ابن إسحاق - وأبوه سعيد بن العاصى أبو أُحَيَّةَ الذى يقول فيه القائل :

أبو أُمَيَّة :

أبو أُحَيَّةَ مَنْ يَفُوتُهُ عِمَّتُهُ يُضْرَبُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَذَاعَدَدُ
وكان إذا اعْتَمَّ لم يعم قرشى إعظماً له ^(٢) ، وقد قيل فى عِمَّتِهِ أيضاً
ما أنشده عمرو بن بحر الجاحظ :

وكان أبو أُحَيَّةَ قد علمت بمكة غير مُهْتَضِمٍ ذميمة
إذا شَدَّ العصابة ذاتَ يومٍ وقام إلى المجالس والخصوم

(١) الحجة : معقد الإزار

(٢) انظر أيضاً ص ٧٨ الاشتقاق ، وفيه يقول فوق ما ذكره السهيلي :
أحبة : تصغير: أمة ، وهو ما يحده الإنسان فى قلبه من حرارة غيظ وحزن .
(م - ١٥ - الروض الألف ج ٣)

لقد حرمت على من كان يمشي بمكة غير مُحْتَمِرٍ لَيْمٍ (١)
مات أُحِيحَةَ الذى كان يُكَنَّى به في حرب الفِجَار ، وأسلم من بنيهِ أربعة
أَبَانٌ وخالدٌ وعمرو والحكم الذى سمَّاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
عبدَ الله ، ومات أُحِيحَةَ بن سعيد ، والعاصى بن سعيد وغيرهما من بنيهِ على
الكفر ، قتل العاصى منهم يوم بدر كافرا .

أُمّة بنت خالد وأبوها :

وذكر أُمّة بنت خالد بن سعيد التى ولدت بأرض الحبشة ، قال : وتزوجها
الزبير بن العوام ، وهى التى كساها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهى

(١) الأبيات لأبي قيس بن الأسَد ، وهى فى البيان والتبيين للجاحظ ص ٩٧ .
ط لجنة التأليف والترجمة والنشر . والشرطة الثانية من البيت الثالث هكذا .
• بمكة غير مدخل سقيم ، وبعدها .

وكان البخترى غداة جمع	يدافعهم بلقمان الحكيم
بأزهر من سـرارة بنى لؤى	كبدر الليل راق على النجوم
هو البيت الذى بنيت عليه	قريش السر فى الزمن القديم
وسط ذوائب الفرعين منهم	فأنت لبـاب سرهم الصميم

وفى الروض : • إذا ما شد العصاة ، وهو خطأ .

ملحوظة : • ما زدته فى الانساب هو من نسب قريش ، كما حدث فى نسب
عبد الرحمن بن عوف . فقد زدت بين عبد الحارث كلمة ابن من صفحة ٢٦٥ .
ومن الإصابة وتمت خلافاً يسيرة عما هنا . ويقول ابن سعد إن الخطاب
كان قد تبنى عامر بن ربيعة ، فكان يقال : عامر بن الخطاب حتى نزلت :
ادعهم لأبائهم .

صغيرة، وجعل يقول : سَفَاةٌ ، سَفَاةٌ يا أم خالد !! أَى : حَسَنٌ حَسَنٌ ^(١) بلغة الحبشة ، وكانت قد تعلمت لسان الحبشة ؛ لأنها ولدت بأرضهم ، وولدت للزبير عمراً وخالداً ، يقال : إن أباهما خالد بن سعيد أول من كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، مات بأجنَادَينِ ^(٢) شهيداً ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد استعمله على صَنَعَاءَ واليمن ، فلما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد أبو بكر أن يستعمله ، فقال : لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبداً ، ويُروى أن أباه سعيد بن العاصي مرض ، فقال : إن رفعني الله من مرضي لا يعبد إله ابن أبي كَبْشَةَ ^(٣) بمكة أبداً ، فقال ابنه خالد : اللهم لا ترفعه فمهلك مكانه ، فهو لاء بنو سعيد بن العاصي بن أمية :

عبد شمس :

وعثمان : هو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ولا يختلف في عبد شمس أنه بالدال ، وأما عبد شمس بن سعيد بن زيد مضاة بن تميم ، ^(١) حديثها في البخاري ، وأن النبي كساها خيصة لها أعلام ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسمح بالأعلام بيده ، ويقول : سناه سناه . قال الحميدى : يعنى : حسن حسن ويقال سنا بالتشديد والتخفيف أو سناه

^(٢) إذا نطقت بفتح الدال كسرت النون كالمثنى ، وإذا قرئت بكسر الدال فتحت النون كالجمع

^(٣) أبو كبشة هو : وجز بن غالب الذي كانت قريش تغصب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليه ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - خالف دين قريش ، فقالت قريش : نزع أبو كبشة ، لأن أباه كبشة خالف الناس في عبادة الشعري ، والعرب تزعم أن أحداً لا يعمل شيئاً إلا يعرق بنزعه شبهه . وكان أبو كبشة سيداً في خزاعة . لم يعير وارسل الله صلى الله عليه وسلم به من تصير كان فيه ، ولكنهم أرادوا أن يشبهوه بخلاف أبي كبشة ، فيقولون : خالف كما خالف أبو كبشة .

ص ٢٦٢ نسب قريش .

فقال فيه أبو عبيد والفتي : عبد شمس كما في الأول . وقال أكثر الناس فيه : عب شمس^(١) ، ثم اختلفوا في معناه ، فقليل ، معناه : عبد شمس ، لكن أدغمت الدال ، وقيل : بل [عب شمس] عب الشمس هو ضوءها أو صفاؤها ، وقيل في المثل : هو أبرد من عبقر أي : البرد ، وبعضهم يقول : وهو المبرد : من عب قر أي : يياض قر ، ومن حب قر أيضا^(٢) . وفيه قول ثالث : أغنى : عب شمس . وهو مروى عن ابن عمر . وقال معناه : عب شمس بالهمز . ثم حذف الهمزة تسهيلا . وعب الشمس . وعبوها مثله^(٣) .

عمار لم يهاجر إلى الحبشة :

وشك ابن إسحاق في عمار بن ياسر : هل هاجر إلى أرض الحبشة ، أم لا . والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عثمة . وغيرها أنه لم يكن فيهم .

- (١) يكتب : عبشمس ، ولقبه : مقروع ويقال بتضعيف الباء مع الإضافة
- (٢) في القاموس . حبقر ، بفتح فسكون فضم فراء مشددة ، كفعلل ذكره في الأبنية ، ولم يفسروه ، ومعناه : البرد حب الغمام ، يقال : أبرد من حبقر ، ويقال : عبقر ، وأصله : حب قر ، بفتح حا . حب وتشديد الباء مع إضافتها إلى قر ، والقر — بضم القاف — البرد ، والدليل على ما ذكرته : أن أبا عمر ابن العلاء يرويه : أبود من عب قر ، والعب — بفتح فتضميف : اسم للبرد . انتهى . وعب الشمس الذي هو ضوءها بفتح العين وتشديد الباء أو تخفيفها .
- (٣) ضوءها ويقول محمد بن حبيب في كتابه متشابه القبائل : كل شيء في العرب عبد شمس غير عبشمس بن سعد في تميم ، وعبشمس بن آخر في طيء . هكذا قال بسكون الباء فيهما ، وذكر غيره أن الذي في تميم : عبشمس — بفتح الباء — والذي في طيء : عبشمس بكسر الباء ، انظر ص ٤٥٠ > ٢ المزهر

مول بنى الحارث بن قيس:

وذكر ابن إسحاق من بنى الحارث بن قيس من هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث . وذكره الواقدي وغيره . والحارث ابن قيس كان أبوه ^(١) من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ الحجر : ٩٥ .

مول بنى زهرة وطلب بن عبد :

وذكر من بنى زهرة من هاجر إلى أرض الحبشة ، وهم ستة نفر ، ولم يذكر السابع ، وهو : عبد الله بن شهاب ^(٢) جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، وكان اسمه : عبد الجان ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله ^(٣) مات بمكة بعد الفتح ^(٤) وأخوه : عبد الله الأصغر شهد أحداً مع المشركين ، ثم أسلم .

(١) الحارث بن قيس بن عدى السهمي إليه في الجاهلية كانت الحكومة والأموال . ذكر ابن عبد البر أنه أسلم ، وهاجر إلى الحبشة مع بنيه الحارث وبشر ومعمّر ، وتعبه ابن الأثير بأن الزبير بن بكار وابن الكلبي ذكرا أنه كان من المستهزئين ، وزاد الذهبي في التجريد : لم يذكر أحد أنه أسلم إلا أبا عمر ، ورده في الإصابة بأنه ذكره في الصحابة أيضاً : أبو عبيد ومصعب والطبر وغيرهم ، ولا مانع من أن يكون قد تاب وصحب وهاجر ، والآية ليست صريحة في عدم توبة بعضهم .

(٢) هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن زهرة بن كلاب الزهري . ذكره الزهري والزبير وغيرهما هاجرا إلى الحبشة ، ومات بمكة قبل هجرة المدينة وكذا قال الطبري

(٣) عن ابن سعد والزبير وزاد ابن سعد : ليس له حديث

(٤) رد الحافظ في الإصابة قوله هذا ؛ لأنه مأخوذ عن رواية الواقفي

وذكر المطلب بن عبدعوف ولم يذكر أخاه طايبا ، وكلاهما هاجر إلى أرض الحبشة ، ومات بهما ، وهما أخوا أزهر بن عبدعوف .

من شعر الهجرة الحبشية ومساند النخوية :

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث ما قاله في أرض الحبشة ، وفيه قوله :

أَلْحَقْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ طَغَوْا وَعَانَدَا بِكَ أَنْ يَغُورَ فَيُطْفَنُونِي

أنشده سيديويه فيما ينتصب على الفعل المتروك إظهاره ، وذلك لحكمة ، وهى أن الفعل لو ظهر لم يخل أن يكون ماضيا أو مستقبلا ، فالماضى يومهم الانقطاع ، والتكلم إنما يريد أنه فى مقام العائد ، وفى حال عوذ ، والفعل المستقبل أيضا يؤذن بالانتظار ، وفعل الحال مشترك مع المستقبل فى لفظ واحد ، وذلك يومهم أنه غير عائد ، فكان مجيئه بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدل على ما يريد ، فإن عاندا كقائم وقاعد ، وهو الذى يسمى عند الكوفيين : الدائم ، فالقائل : عاندا بك يارب ، إنما يريد : أنا فى حال عياد بك ، والعامل فى هذه الحال : تكلمه وندائه ، أى : أقول قولى هذا عاندا ، وليس تقديره : عذت ولا أعوذ ، إنما يريد أن يسمعه ربه ، أو يراه عاندا به .

وقوله : أن يعلو يجوز أن تكون أن مع ما بعدها فى موضع نصب ،

= بن الزهرى . وهى تقول أنه قدم مع جعفر فى السفينة . لكن الوقاصى ضعيف . وذكر البخارى فى تاريخه عن عبد الله أنه أقام بالحبشة .

(١) فى السيرة : فاجعل عذابك . وانظر ص ١٧ ج ١ من كتاب سيديويه

وفي موضع خفض عند النحويين ، أما النصب فعلى إضمار الفعل ، لأنه قال :
عائذاً ، فأعلم أنه خائف ، فكأنه قال : أخاف أن يعلو فيطفوني ، وأما الخفض
فعلى إضمار حرف الجر ، فكأنه قال : من أن يعلو ، وهو مذهب الخليل
وسيبويه في أن الخففة وأن المشددة نحو قوله تعالى : ﴿ إِن هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً ﴾ الأنبياء : ٩٢ تقديره : لأن هذه ، وجاز إضمار حرف الجر في هذين
الموضعين ، وإن كانت حروف الجر لا تضر ، لأنهما موصولتان بما بعدهما ،
فطال الاسم بالصلة ، فجاز حذف الجر تخفيفاً .

ولقائل أن يقول : هذه دعوى ادعيتم أن أن وما بعدها اسم مخفوض ،
وهو لا يظهر فيه الخفض ، ثم بنيتم التعاميل على غير أصل ؛ لأن الخفض لم يثبت
بعد ، فنقول : إنما علمنا أنه في موضع خفض لوقوعه في موضع لا يقع فيه
إلا المخفوض بحرف الجر نحو قوله سبحانه : ﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ ﴾ التوبة : ٩٧ ونحو قوله تعالى : ﴿ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ التوبة : ١٠٨ ونحو
قوله : ﴿ أَنْ تَصِلَ إِحْدَاهُمَا ﴾ البقرة : ٢٨ . فقوله تعالى : أجدروا ، معناه :
بأن لا يعلموا ، فلو كان قبل أن فقل لقلنا : حذف حرف الجر ، فتعدى الفعل ،
فنصب ، ولكن أجدروا أحق اسمان لا يعملان ، فمن هاهنا عرف النحويون أنه
في موضع خاض ؛ إذ لا ناصب له ، وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة ،
وأن ذلك هو الذي سوغ لهم إضمار حرف الجر ، فتعاميل مدخول ، ينتقض عليهم
بالأسماء الموصولة كالذي ومن وما ، فإنها قد طالت بالصلة ، ومع ذلك لا يجوز
إضمار حرف الجر فيها ، لا نقول : خرجت ما عندك ، ولا هربت الذي عندك

أى : من الذى عندك ، وتقول : خرجت أن يرانى زيد ، وفرت أن يرانى عمرو ، أى : من أن يرانى ، ولأن يرانى بدل ، على أن العلة غير ما قالوا ، وهى أن أن مع الفعل ليس باسم محض ، وإنما هوى تأويل اسم ، والاسم المحض ما دل عليه حرف الجر ، فلا بد إذاً من إظهار حرف الجر إذا جئت به ؛ لأنه اسم قابل لدخول الخوافض عليه ، وأما أن فحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ، ولا على الفعل المتصل به فلا تقول : هو اسم مخفوض ، وإنما هوى تأويل اسم مخفوض ، فمن هاهنا فرقت العرب بينه ، وبين غيره من الأسماء ، فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهراً جاز ، لأنه فى تأويل اسم ، وإذا أضمرت حرف الجر جاز أيضاً التفاتاً إلى أن الحرف الجار لا يدخل على الحرف ، ولا على الفعل فحسن إسقاطه مراعاة للفظ أن ، ولللفظ الفعل ، وقلنا : هوى موضع خفض على معنى أن الكلام يتناول إلى الاسم المخفوض ، لا أنه يظهر فيه خفض ، أو يقدر تقدير المبنى الذى منعه البناء من ظهور الخفض فيه ، حتى يشبه أن فنقول : هو اسم مبنى على السكون ، لا بل نقول : هى حرف ، والحرف لا يدخل عليه حرف الجر ، لا مضمراً ولا مظهراً ، وإنما هو تقدير فى المعنى ، لا فى اللفظ ، فافهمه .

ولا يضاف اسم إلى أنه المصدرية :

فصل : واعلم أن [أن] التى فى تأويل المصدر لا يضاف إليها اسم . تقول : هذا موضع أن تقعد ويوم خروجك ، ولا تقول : يوم أن تخرج ؛ لأنها ليست باسم كما قدمنا ، وإنما تضاف إلى الأسماء المحضة ، لا إلى التأويل ، ولا يضاف إليها أيضاً .

اسم الفاعل ، لا بمعنى المضي ، ولا بمعنى الاستقبال ، ولا المصدر إلا على وجه واحد نحو : مخافة أن تقوم ، وذلك إذا أردت معنى المفعول بأن وما بعدها ، وأما على نحو إضافة المصدر إلى الفاعل ، فلا يجوز ذلك .

وإنما تكون فاعلة مع الفعل إذا ذكرته قبلها نحو : يسرنى أن تقوم ، وأما مع المصدر مضافا إليها فلا ، وتكون منفعولة مع المصدر ومع الفعل معاً ، وكل هذا الأسرار بديعة موضعها غير هذا ، لكني أقول ههنا قولاً لا نقابها هذا الموضع ، فإني لم أذكر الخفض بإضمار حرف الجر ، في أن وإن إلا مساعدة لمن تقدم ، فعليه بنيت التعليل والتأصيل ، وإذا أبيت من التقليد فلا إضمار لحروف الجر فيها ، إنما هو النصب بفعل مضمّر أو مظهر ، أما قوله تعالى : ﴿ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ فإنما لما قال أحق علم أنه بوجب عليه أن يقوم فيه ، وكذلك أجدر ألا يعلموا ، ومعنى أجدر : أخاق وأقرب ، ولما ثبتت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك ألا يعلموا ؛ فصار منصوباً في المعنى ، ولو جئت بالمصدر الذي هو اسم محض نحو : القيام والعلم لم يصح إضمار هذا الفعل ؛ لأن أجدر وأحق ونحوهما اسمان يضافان إلى ما بعدهما ، فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق ، فقلت : أحق قيامك ، لا نقاب المعنى .

ولو نصبته بإضمار الفعل الذي أضمّرت مع أن لم يكن دليل عليه ؛ لأن الاسم يطلب الإضافة ، فيمنع من الإضمار والنصب ، وإذا وقعت بعده لم يطلب الإضافة ؛ لما قدمناه من امتناع إضافة الأسماء إليها ، وإنما اخترنا هذا المذهب ، وآثرناه على ما تقدم من إضمار الخافض ؛ لأننا قد نجدّها في مواضع مجرورة ،

ولا يجوز إضمار حرف الجر ، كقولك : سر إلى أن تطلع الشمس ، ولا يجوز
إضمار إلى ههنا ، وكذلك تقول : هذا خير من أن تفعل كذا ، ولا يجوز أيضاً
إضمار من ، ولو كان حرف الجر معها للعلتين المتقدمتين لا طَرَدَ جواز ذلك
فيها على الإطلاق ، وإنما هي أبداً إذا لم يكن معها حرف الجر ظاهراً مفعولة
بفعل مضمر ، وقد تكون فاعلة ، ولكن بفعل ظاهر نحو : يعجبني أن تقوم ،
وأما خرجت أن أرى زيدا فعلى إضمار الإرادة والقصد ، كأنك أردت : أن أراه ،
أو أن لا أراه ؛ لأن كل من فعل فعلاً ، فقد أراد به أسراً ما ، لكنك إن جعلت
مكانها المصدر لم يحز الإضمار أو قَبِحَ ؛ لأن المصدر تعمل فيه الأفعال الظاهرة
إذا كانت متعدية ، وتصل إليه بحرف جر إذا لم تكن متعدية ، وأن مع الفعل
لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة ، تقول : رأيت قيام زيد ،
ولا تقول : أن يقوم ، وسمعت كلامك ، ولا تقول : سمعت أن تتكلم ، وإنما
يتعاقب بها ، وتعمل فيها الأفعال الباطنة نحو : خفت واشتهيت وكرهت ، وما كان
في معنى هذا أو قريباً منه ، فإذا سمع المخاطب أن مع الفعل لم يذهب وَهْمُهُ بحكم
العادة إلا إلى هذه المعاني ، فإن كانت ظاهرة فذاك ، وإلا اعتقدنا أنها مضمرة ،
وأن الفعل الظاهر دالٌّ عليها ، وغيرها من الأسماء ليس كذلك ، إذا وقع قبلها
فعل من أفعال الجوارح الظاهرة ، وقع عليها إن كان متعدياً أو وُصِلَ بحرف ،
إن كان غير متعد ، ومنع من الإضمار أنه لفظي ، والإضمار معنوي إلا في باب
المفعول من أجله ، وقد قدمنا فيه سرّاً بديعاً فيما سبق من هذا الكتاب .

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث شعراً فيه :

كَمَا جَعَدْتَ عَادُ وَمَدَيْنُ وَالْحِجْرُ

أما عاد فقد تقدم نسبها ، وأما الحِجْرُ فإليست بأمةٍ ، ولكنها ديار ثمود .
أراد : أهل الحجر ، وأما مَدَيْنُ فأتمة شعيب ، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه
السلام ، وأمههم : قطور ابنت يقظان الكنعانية ، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت
منهم أمم ، وقد سميناهم في كتاب التعريف والإعلام ، وفي أول هذا الكتاب .

وفيه أيضاً قوله : فإن أنا لم أبرقُ فلا يسعني البيت ، قال : وبه سمى
المُبرق ، قال المؤلف : وفي هذا حجة على الأصمعيّ حين منع أن يقال : أرعد
وأبرق ، وذُكر له قول الكُميت :

أرعد وأبرق يا يزيد (١)

فلم يره حجة ، [وقال : السكيت جرمقاني من أهل الموصل] ليس بحجة ،
والحقه بالمحدثين لتأخر زمانه ، كما فعل بذى الرمة حين احتج عليه بقوله :

(١) في إصلاح المنظن لابن السكيت : وقد برق في الوعيد ورعد يبرق ويرعد .
- وزن نصر قال الأصمعي : ولا يقال أرعد وأبرق ، وحكى اللغتين أبو عبيدة
وأبو عمرو ، فاحتج على الأصمعي بيت السكيت .

أرعد وأبرق يا يزيد يد فما وعيدك لي بضائر

فقال : ليس قول السكيت بحجة ، هو مولد ، واحتج بيت المتلس :

فإذا حللت ودون يدي غاوة فابرق بأرضك ما بدالك وارعد

ص ٢١٦ ط د . المعارف . مصر ، وانظر ص ٩٧ ج ١ أمالي والسمط ص ٣٠٠

ذو زَوْجَةٍ بِالْمِضَرِّ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ

فأبى أن يقول : زوجة بهاء التأنيت ، وقال : طالما أكل ذو الرِّمَّةِ الزيتَ في حوانيت البقالين^(١) ، ويدت المُبْرِقُ في هذا حجة بلا خلاف ، وقد وجد أرعد وأبرق في غير هذا البيت ، مما تقوم به الحجة أيضاً ، ويدت المُبْرِقُ هذا يحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يكون من أبرق في الأرض إذا ذهب بها لامن أرعد وأبرق ، وكذلك وجدته في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت منسوباً للصَّعْب ، قال : الإبراق : الذهب^(٢) ، وفي العين : أبرقت الناقة بذنبها إذا ضربت به يمينا وشمالا ، وهو في معنى الذهب في الأرض ، لأنه جَوْلَان فيها ، وهى البروقى ، قال نهشل بن دارم لأخيه سليط - وقد لامه على ترك الكلام في بعض المواطن : لأحسن تأنامك ، ولا تَكْذَابك ، تشول بلسانك شَوْلَان البروق . وذكر في الشعر :

يلين ما في النفس إذ بلغ المَقَرُّ^(٣)

ويروى : يُلَيِّن ما في الصدر . والنَّقَرُ : البحثُ عن الشيء ، وأكثَر ما يقال فيه : التَّنْقِيرُ ، واستشهد عبدُ الله المُبْرِقُ في غَزْوَةِ الطائف ، وكان أبوه الحارثُ من المستهزئين ، وكان جدُّه تيس أعزَّ قريش في زمانه ، يروى أن عبدَ المطلب كانُ

(١) يقال : أبرق طعامه بزيت أو سمن : جعل منه فيه قليلاً

(٢) فسرّها المصعب بما قال السهيلي في ص ٤٠١ من كتابه نسب قريش .

(٣) في السيرة : أبين ما في النفس ، وفي نسب قريش ص ٤٠١ يبين ما في الصدر .

يُنْفَرُ^(١) ابنه عبد الله ، والد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو طفل ،
فيقول :

كَأَنَّهُ فِي الْعَرْقِيسِ بْنِ عَدَى فِي دَارِ قَيْسِ النَّدَى يَنْتَدَى^(٢)

قاله الزبير بن أبي بكر :

مولد لام التميمي :

فصل : وذكر شعر عثمان بن مظعون :

أَتَيْمَ بْنَ عَمْرِو اللَّذِي جَاءَ بِفَضَّةٍ

أراه : عجبا للذي جاء ، والعرب تسكن في هذه اللام في التميمي ، كقوله
عليه السلام : لَهَذَا الْعَبْدِ الْحَبَشِيِّ جَاءَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي خُلِقَ
مِنْهَا ، قاله في عَبْدٍ حَبَشِيٍّ دُفِنَ بِالْمَدِينَةِ ، وقال في جنازة سعد بن معاذ وهو واقف
على قبره ، وتقمتر ثم قال : سُبْحَانَ اللَّهِ لَهَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ضَمَّ عَلَيْهِ الْقَبْرُ ثُمَّ فُرِجَ
عنه ، وقيل في قوله سبحانه : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ أقوال منها : أنها متعلقة
بمعنى التميمي ، كأنه قال : اعجبوا لإيلاف قريش ، وبِفَضَّةٍ نَصِبَ عَلَى التَّمِيمِ

(١) في الأصل ينقر ، وهو خطأ كان أيضاً في نسب قريش ، وأصلحه محققه ،
في القاموس : نفزه تنفيذا : رقصه ، وكذلك في اللسان .

(٢) في الاشتقاق ص ١٢٠ : وكان عبد المطلب يرقص ابنه الحارث
أو الزبير فيقول :

يَا بَابِي يَا بَابِي يَا بَابِي

والشطرة الثانية روايتها هكذا ، في دار قيس ينتدى أهل الندى ، ص ٤٠٠

نسب قريش .

كأنه قال : يا عجباً لما جاء به من بُنْصَةٍ ، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله ،
وروى الزبير هذا البيت :

أَتَيْمَ بنَ عَمْرٍِ لِلذِي فَارَضِغُهُ

من معاني شعر ابن مظهر

وكذلك روى في هذا الشعر : في صرح بَيْطَاء تُقَدَّعُ بالطاء وفتح الباء
وكسرها ، وقال بَيْطَاء : اسم سفينة ، وتُقَدَّع بالdal ، أى : تدفع ، وزعم أن
تَيْم بن عمرو وهو جُحَج سُمِّي جُحَجاً ؛ لأن أخاه سَهْم بن عمرو - وكان اسمه
زيداً - سابقه إلى غاية ، فَجَمَحَ عنها تَيْم ، فُسِمِّي جُمَحاً ، ووقف عليها زيد ،
ف قيل : قد سَهَمَ (١) زيدُ فُسِمِي : سَهَمًا .

وقوله : ومن دوننا الشَّرْمَان . الشَّرْم : البحر (٢) وقال الشَّرْمَان بالتثنية ؛
لأنه أراد البحر المِلْح ، والبحر العَذْب ، وفي التَّنْزِيل : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾
والشَّرْمُ من : شَرَمْتُ الشيء إذا خَرَقْتُهُ ، وكذلك البحر من بَحَرْتُ الأرض .
إذا خرقتها ، ومنه سميت الْبَحِيرَةُ تَخْرِقُ أذنُها والْبَرْكُ : ما اطمأن من الأرض .
وأتسع ، ولم يكن منتصباً كالجبال .

وقوله : في صرح بيضاء . يريد : مدينة الحبشة ، وأصل الصَّرح : القصر ، يريد :
أنه ساكن عند صَرْح النَّجَاشِيِّ .

(١) يقال : ساهم القوم ، فسهمهم : غلبهم .

(٢) في القاموس : لجة البحر ، أو الخليج منه ، وفي شرح السيرة للنخشي أيضاً
الشرمان بضم النون : موضع . ويقول عن د البرك أكتع ، هذه رواية غريبة
لأنه أكد بأكتع دون أن يتقدمه : أجمع .

وقوله : **تُقَدَّعُ أَى** : تُسَكَّرُهُ ، كأنه من أَقْدَعَت الشيء ، إذا صادفته قَدِيعًا ويقال أيضًا : قَدَّعْتُ الرجلَ إذا رميته بالفحش ، يريد أن أرض الحبشة مقذوعة ، وأحسب هذه الرواية تصحيفًا ، والصحيح : ما قدمناه من قول الزبير وروايته ، وأنه **بَيْطَاءُ بِالطَّاءِ** ، و**تُقَدَّعُ** بالـ **دال** .

وقوله : **وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشُ** يريد أخلاطًا من الناس ^(١) ، يقال : **أَوْشَابَ** وأوباش ، والأوباش أيضًا شجر متفرق ، والوَبَشُ بياض في أظفار الأحداث .
انساب :

وذكر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة من بني عدى : **مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ** ابن نَضْلَةَ ، وقال فيه **عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ** : إنما هو : **مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعِ بْنِ نَضْلَةَ** .

وقال **ابن إسحاق** : **نَضْلَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حُرْثَانَ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ فِي حَاشِيَةِ** كتاب الشيخ قال : إنما هو **نَضْلَةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ عَوْيَجٍ** ، وذكر أنه قول مصعب في كتاب النسب ^(٢) . وذكر في بني **عَدِيٍّ** : **عُرْوَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حُرْثَانَ** ، كذا في كتاب **المصعب** إلا أنه قال : **عَمْرُو بْنُ أَبِي أُنَاثَةَ** أو **عُرْوَةُ بْنُ أَبِي أُنَاثَةَ** على الشك وذكره **أبو عمر** في كتاب الاستيعاب فقال فيه : **عُرْوَةُ بْنُ أَبِي أُنَاثَةَ** ويقال **ابن أُنَاثَةَ** **بن عبد العزى بن حُرْثَانَ** ، قال : **وأمه** ، أم **عمر** **بن العاصي** ، فهو

(١) عند الخشنى : الضعفاء الداخلون في القوم ، وهو منهم . والبطارقة : الوزراء .

(٢) هو كما ذكر في **جهرة ابن حزم** ص ١٤٧ وما بعدها ، وفي **نسب قريش** لمصعب **الزبيري** ص ٣٨٢ ، ص ٣٨٦ وزاد بعد **عويج** : **ابن عدى بن كعب** .

أخوه لأُم (١) .

قال المؤلف : وأمهما اسمها : ليلى ، وتلقب بالنابغة ، وهى من بنى ربيعة ثم من بنى جَلَّان^(٢) قال أبو عمر : ويقال فيه : ابن أبى أثانة ، قال المؤلف : وقد قدمنا أن المصعب الزبيرى شك فيه ، فقال : عروة ، أو عمرو ، وأما الزبير : فقال عمرو بن أبى أثانة ، ولم يشك ، ثم قال أبو عمر : لم يذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وذكره الواقدي ، وأبو معشر وموسى بن عقبة ، قال المؤلف : وهذا وهم من أبى عمر - رحمه الله - فإن ابن إسحاق ذكره فيهم ، غير أنه نسبته إلى جده عبد العزى ، وأسقط اسم أبيه أبى أثانة ، وقال حين ذكر من هاجر من بنى عدى بعد ما عدى خمسة ، قال :

(١) فى نسب قريش د ولد أبو أثانة بن عبد العزى ، عمرو بن أبى أثانة ، وعروة بن أبى أثانة ، وهو من مهاجرة الحبشة ، وأمّه : النابغة بنت حرملة أخواه لأمه : عمرو بن العاصى وأرنب بنت عفيف بن أبى العاصى بن أمية ابن عبد شمس ، ص ٣٨١ . وانظر ٤٠٩ من نفس الكتاب ، فليس فيه شك ، وإنما هما ولدان . أحدهما : عمرو ، والآخر عروة . وتوجد لهما ترجمتان فى الإصابة ، إلا أنه قال عن عروة - ولعله تصحيف - بن أبانة . ثم قال : ويقال ابن أبانة ابن عبد العزى ، بن حرام بن عوف بن عبيد بن عويج الخ وفى جمهرة ابن حزم وعمر بن أبى أثانة بن عبد العزى بن حراث بن عوف بن عويج بن عدى ابن كعب من مهاجرة الحبشة وهو أخو عمرو بن العاص لأمه وأخوه عروة ابن أبى أثانة من مهاجرة الحبشة ص ١٤٨ وفى ص ١٥٤ منه د وأخواه لأمه - يعنى عمرو وعروة أبنا أبى أثانة الحبشة .

(٢) فى نسب قريش أن أمه : سبية من بنى عنزة ص ٤٠٩ وفى الإصابة : أمة من بنى عنزة . وفى جمهرة ابن حزم كما فى نسب قريش واسمها : النابغة ص ١٥٤ .

أربعة نفر ، وهو وهم من ابن إسحاق ، وذكر فيهم مع الخمسة : ليلي بنت أبي حنمة امرأة عامر بن ربيعة ، فهم على هذا ستة ، غير أنه يحتمل أن يريد أربعة نفر دون حليفهم عامر ، وما أظنه قصد هذا ؛ لأن من عادته أن يعد الحلفاء مع الصميم ؛ لأن الدعوة تجمعهم .

أم سلمة :

وذكر أم سلمة وبعائها أبا سلمة ، توفي عنها بالمدينة ، وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذكر اسمها هذا ، وقيل في اسمها : رملة ^(١) ، وأبوها أبو أمية اسمه : حذيفة يعرف بزاد الراكب ^(٢) .

وذكر أنها ولدت بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ، وكان اسم زينب

(١) في الإصابة اسمها : هند . وقال عن القول بأن اسمها رملة : ليس بشيء .

(٢) وقيل أيضاً : سهيل ولقب بهذا ؛ لأنه كان إذا سافر لم توقد معه نار إلى أن

يرجع . ورثاه أبو طالب :

ألا إن خير الناس غير مدافع بسرو سحيم غيته المقابر

ومنها :

وكان إذا يأتي من الشام قافلاً تقدمه - تسعى إلينا - البشائر

وهناك غيره من قريش أزادوا الركب : أبو أمية بن المغيرة ، مسافر ابن أبي عمرو بن أمية ، زمعة بن الأسود ، لأنهم — كما في اللسان — كانوا إذا سافروا ، فخرج معهم الناس لم يتخذوا زاداً معهم ، ولم يوقدوا ، يكفونهم ويغنونهم يقول : المعصب الزبيري : رثاه أبو طالب :

وقد أيقن الركب الذي أنت فيهم إذا رحلوا يوماً بأنك عاقر

فسمى زاد الركب ، واسمه : حذيفة ، وكانت عنده عاتكة بنت عبد المطلب . انظر الاشتقاق ص ١٥٠ ، ٩٤ واللسان مادة : زود والإصابة ترجمة أم سلمة ، ونسب قريش ص ٣٠٠ .

برّة ، فسمّاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب ، كانت زينبُ هذه عند عبد الله بن زَمْعَةَ ، وكانت قد دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يغتسل ، وهى إذ ذاك طفلة ، فَتَضَحَّ فى وجهها من الماء ، فلم يزل ماء الشباب فى وجهها^(١) ، حتى عجزت وقاربت المائة ، وكانت من أفقه أهل زمانها ، وأدركت وقعة الحرّة بالمدينة^(٢) ، وقُتل لها فى ذلك اليوم ولدان ، اسم أحدهما : كبير ، والآخر : يزيد من عبد الله بن زَمْعَةَ ، فكانت تبكى على أحدهما ، ولا تبكى على الآخر ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أبكيه لأنه جرد سيفه وقتل ، والآخر لا أبكيه لأنه لزم بيته ، وكف يده حتى قتل ، روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ابتنى بأم سلمة دخل عليها بيتها فى ظلمة ، فوطئ على زينب ، فبكت ، فلما كان من الليلة الأخرى دخل فى ظلمة أيضا ، فقال : أنظروا زنا بكم أن لا أطأ عليها^(٣) ، أو قال : أخروا ذكره الزبير ، وفى هذا الحديث توهين لرواية من روى أنه كان يرى بالليل ، كما يرى بالنهار .

(١) حديث تغيير الاسم أسنده ابن خيثمة من طريق محمد بن عمرو بن عطاء عنها ، وذكر مثله فى زينب بنت جحش ، وأصله فى مسلم فى حق زينب هذه وفى حق جويرية بنت الحارث ، ومسألة نضح الماء ذكرها ابن حجر فى الإصابة . وروى أنها كانت أفقه امرأة بالمدينة ، وأما نداؤها بزنا بضم الزاى ، فقد ورد فى حديث رواه النسائي ففتزوجها - أى أم سلمة - فجعل يأتها ، فيقول : أين زنا ب ،

(٢) وقعت سنة ٦٣ هـ

(٣) سبق الحديث عن هذا

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد آمنوا ، واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، انشعروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلاًين من قريش جلدتين إلى النجاشي ، فيردهم عابهم ؛ ليقتنوه في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم ، التي اطمأنوا بها ، وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمر بن العاص بن وائل ، وجموعاً لهم هدايا للنجاشي ولبطارقتة ، ثم بعثوها إليه فيهم .

النور الذي ظهر على قبر النجاشي :

فصل : وذكر حديث عائشة : كنّا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبر النجاشي نور ، وقد خرج أبو داود من طريق سلمة بن الفضل ، وعن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عائشة ، وأورده في باب : النور يرى عند الشهيد ، وليس في هذا الحديث ولا غيره ما يدل على أن النجاشي مات شهيداً ، وأحسبه أراد : أن يشهد بهذا الحديث ما وقع في كتب التاريخ من أن عبد الرحمن ابن ربيعة أخا سلمان بن ربيعة الذي يقال له : ذو النور ، وكان على باب الأبواب فقتله الترك زمان عمر ، فهو لا يزال يرى على قبره نور ، وبمضد هذا حديث النجاشي ، يقول : فإذا كان النجاشي - وليس بشهيد - يرى عنده نور ، فالشهيد أحرى بذلك لقول الله سبحانه : ﴿ والشهداء عند ربهم ، لهم أجرهم ونورهم ﴾ (١) .

الحديد : ١٩ .

(١) الواضح أن هذا في الآخرة ، ولا أدري لماذا خالف مبدأه ، فاعتمد على أحاديث واهية ، وفي سلمة بن الفضل وشيأتى حديث النور في ص ٢٥١ .

فقال أبو طالب - حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه - أبياناً للنجاشي
يخصه على حسن جوارهم ، والدفع عنهم :

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر

وعمرو وأعداء العدو الأقارب

وهل نالت أفعال النجاشي جعفرأ وأصحابه أوعاق ذلك شاغب

تعلم - أبيت الأمان - أنك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلمها بك لازب

وأنت فيض ذو سجال غزيرة ينال الأعداء نفعها والأقارب

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاؤنا بها
خير جار : النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا نؤذى ، ولا نسمع
شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فيينا
رجلين منهم جلدتين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ،
وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم ، فجمعوا له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من
بطارقه بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة ،
وعمرو بن العاص ، وأمرؤهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعاً إلى كل بطريق هديته
قبل أن تسكما النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن
يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ،

ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يبقَ من بطارقتِه بِطريقٍ إلّا دَفَعَا إليه هديته قبل أن يُسكِّمَّا النجاشي ، وقالَا لِسُكِّلَ بِطريقَ منهُم : إنه قد صَوَّى إلى بَلَدِ المَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مُبتَدِع ، لا نَعْرِفُه نحن ولا أنتم ، وقد بَعَثْنَا إلى المَلِكِ فيهم أشرافُ قومهم ، ليردَّهم إليهم ، فإذا كَلَّمْنَا المَلِكَ فيهم . فأشِيرُوا عليه بأن يُسَلِّمَهُمَ إلينا ، ولا يَكَلِّمَهُم ، فإن قومهم أَعْلَى بِهِم عَيْنًا ، وأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِم ، فقلوا لهما : نعم . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبِلَها مِنْهُمَا ، ثم كَلَّمَاهُ ، فقالا له : أيها المَلِكُ ، إنه قد صَوَّى إلى بَلَدِك مِنَّا غِلْمَانٌ سفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدينِ ابْتَدَعُوهُ ، لا نَعْرِفُه نحن ، ولا أنت ، وقد بَعَثْنَا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائِرهم : لتردَّهم إليهم ، فهم أَعْلَى بِهِم عَيْنًا ، وأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِم ، وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغضَ إلى عبد الله بن أبي رَبيعَةَ وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقتِه حوله : صَدَقَا أيها المَلِكُ ، قومهم أَعْلَى بِهِم عَيْنًا ، وأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِم ، فأَسَلِمَهُمَ إليهما ، فليردَّاهُم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لا هَالِكُ لَهِ ، إذن لا أُسَلِّمُهُمَ إليهما ، ولا يُسَكِّدُونَّ جاوروني ، ونزلوا بلادِي ، واختاروني على بَنِ سِوَايَ ، حتى أَدْعُوهُمْ ، فأَسَأَلُهُمَ عما يقولون دُخَانٌ في أَمْرِهِم ، فإن كانوا كَمَا يَقُولَان ، أَسَلِمْتُهُمَ إليهما ، ورددْتُهُمَ إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك مَنَعْتُهُمَ مِنْهُمَا ، وأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمَ مَا جاوروني .

حوار بين النجاشي وبين المهاجرين

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول : والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كأننا في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم ، فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ! قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ، كننا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأثي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار وبناكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله ؛ لنوحده ونعبدَه ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده - لا نشرك به شيئا - وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قالت : فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنّا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا

نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحلوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورَجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال النجاشي : فاقرأه على ، قالت : فقرأ عليه صدرا من : ﴿ كهيعص ﴾ . قالت : فبكى والله النجاشي ، حتى اخضلت لحيتة ، وبكت أساقفته ، حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكم ، ولا يكادون .

قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لا يتنه غدا عنهم بما أستأصل به خضرَاءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أُنقَى الرَجُلين فينا : لا نفعل ؛ فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبْدٌ ، قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ، ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول - والله - [فيه] ما قال الله ، وما جاءنا به نبيُّنا ، كائنا في ذلك ما هو كائن . قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال [له] جعفر ابن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم : هو عبْدُ الله

ورسوله ، وروحہ ، وکرامتہ ألقاها إلى مريم العذراء البتول . قالت : فضرب
النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عودا ، ثم قال : والله ما عدا عيسى
ابن مريم ما قالت هذا العود ، قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال
ما قال ، فقال : وإن تخزئتم والله ، اذهبوا فأنتم سُيُومٌ بأرضي - والشُّيُوم :
الآمنون - من سَبَّكم غِرم ، ثم قال : من سَبَّكم غِرم ، ثم قال : من سَبَّكم غِرم
ما أحب أن لي دَبْرًا من ذهب ، وأني آذيت رجلا منكم - قال ابن هشام :
ويقال : دَبْرَى من ذهب . ويقال فأنتم سُيُوم ، والدبر - بالسان الحبشة :
الجلل - ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة
حين ردَّ عليَّ مُدكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فاطمهم فيه .
قالت : فخرجا من عنده مقبوحين ، مردودًا عليهما ما جاء به ، وأقمنا عنده
بمخير دار ، مع خير جار .

المهاجرون وانتصار النجاشي

قالت : فوالله إننا لعلی ذلك ، إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه في
مُدكيه . قالت : فوالله ما علمتنا حزنًا حزنًا قطُّ كان أشدَّ علينا من حُزن
حزنائه عند ذلك ، تخوُّفًا أن يظهر ذلك الرجلُ على النجاشي ، فيأتى رجلٌ
لا يعرف مِن حَقِّنا ما كان النجاشي يعرف منه ، قالت : وسار إليه النجاشي ،
وبينهما عرضُ النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -
من رجلٍ يخرج حتى يحضرَ وقيةَ القوم ، ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت : فقال الزبير
ابن العوام : أنا ، قالوا : فأتت - وكان من أحدث القوم سنًا - قالت : فنفعوا

له قِرْبَةً ، فجعلها في صدره ، ثم سَبَّحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلتقى القوم ، ثم انطلق حتى حَضَرَهم ، قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوّه ، والْتَمَكِين له في بلاده ، قالت : فوالله إنّنا لعلّ ذلك مُتَوَقَّعون لِمَا هو كائن ، إذ طلع الزُّبَيْر وهو يسعى ، فذُبح بِثَوْبِهِ وهو يقول : أَلَا أَبْشُرُوا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك اللهُ عدوه ، ومكن له في بلاده . قالت : فوالله ما علمتنا قَرِحْنَا فرحةً قطّ مثْلَهَا . قالت : ورجع النجاشي ، وقد أهلك الله عدوّه ، ومكّن له في بلاده ، واستوثق عليه أمر الحبشة ، فكننا عنده في خير مَنَزَل ، حتى قدمنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قصه تملك النجاشي على الحبشة

قال ابن إسحاق : قال الزهري : فحدثت عُرْوَةُ بن الزبير حديثَ أبي بكر ابن عبد الرحمن ، عن أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدري ما قوله : ما أخذ الله مني الرِّشْوَةَ حين ردّ عليّ مُلْكِي ، فأخذ الرِّشْوَةَ فيه ، وما أطاع النَّاسَ فيّ ، فأطيع النَّاسَ فيه ؟ قال : قالت : لا ، قال : فإن عائشة أمّ المؤمنين حدثتني أنّ أباه كان ملكَ قومه ، ولم يكن له ولدٌ إلا النجاشي ، وكان للنجاشي عمّ ، له من صلبه اثنا عشر رجلاً ، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينهما : لو أنّا قتلنا أبا النجاشي ، ومَلَكْنَا أخاه فإنه لا وُلْدَ له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلاً ، فتوارثوا مُلْكَهُ من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهرًا ، ففَدَّوْا على أبي النجاشي فقتلوه ، ومَلَكُوا أخاه ، فمكثوا على ذلك حينًا .

ونشأ النجاشي مع عمّه - وكان لبيبا حازما من الرجال - فغلب على أمر عمّه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأت الحبشة مكانه منه ، قالت بينها : والله لقد غلب هذا القتي على أمر عمّه ، وإنا لتخوف أن يملكه علينا ، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرّف أنا نحن قتلنا أباه . فَمَشَوْا إلى عمّه ، فقالوا : إِمَّا أَنْ تَقْتُلَ هَذَا الْقَتِي ، وَإِمَّا أَنْ تَخْرُجَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا ، فَإِنَّا قَدْ خِفْنَاهُ عَلَى أَنْفُسِنَا ، قَالَ : وَيَلَكُمْ ! قَتَلْتُ أَبَاهُ بِالْأَمْسِ ، وَأَقْتَلَهُ الْيَوْمَ ! بَلْ أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِكُمْ . قَالَتْ : نَخْرُجُوهُ إِلَى السُّوقِ ، فَبَاعُوهُ مِنْ رَجُلٍ مِنَ التَّجَّارِ بِسِتَمِائَةِ دِرْهَمٍ ، فَقَذَفَهُ فِي سَفِينَةٍ فَانْطَلَقَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْعِشَاءُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، هَاجَتْ سَحَابَةٌ مِنْ سَحَابِ الْخَرِيفِ ، فَخَرَجَ عُمُّهُ يَسْتَمْطِرُ تَحْتَهَا ، فَأَصَابَتْهُ صَاعِقَةٌ ، فَقَتَلَتْهُ . قَالَتْ : فَفَرَزْتُ الْحَبْشَةَ إِلَى وَلَدِهِ ، فَإِذَا هُوَ مُحْمِقٌ ، لَيْسَ فِي وَلَدِهِ خَيْرٌ ، فَمَرَجَ عَلَى الْحَبْشَةِ أَمْرَهُمْ .

فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تَعَلَّمُوا وَاللَّهِ أَنْ يَمْلِكَكُمْ الَّذِي لَا يُقِيمُ أَمْرَكُمْ غَيْرُهُ لِلَّذِي بَغْتَمَ غَدْوَةً ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ بِأَمْرِ الْحَبْشَةِ حَاجَةٌ ، فَأَدْرِكُوهُ الْآنَ . قَالَتْ : نَخْرُجُوهُ فِي طَلْبِهِ ، وَطَلَبَ الرَّجُلُ الَّذِي بَاعُوهُ مِنْهُ حَتَّى أَدْرِكُوهُ ، فَأَخَذُوهُ مِنْهُ ، ثُمَّ جَاءُوا بِهِ ، فَمَقَدُوا عَلَيْهِ التَّاجَ ، وَأَقْعَدُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ ، فَلَمَّكُوهُ .

فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه ، فقال : إِمَّا أَنْ تُعْطُونِي مَالِي ، وَإِمَّا أَنْ أَكْلِمَهُ فِي ذَلِكَ ؟ قَالُوا : لَا نُعْطِيكَ شَيْئًا ، قَالَ : إِذْنِ وَاللَّهِ أَكْلِمُهُ ، قَالُوا : فَدُونِكَ وَإِيَّاهُ . قَالَتْ : فَجَاءَهُ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، ابْتَعْتُ

غلاماً من قوم بالسوق يستأثمة درهم ، فأسلموا إلى غلامى ، وأخذوا دراهمى ،
حتى إذا سرت بغلامى ، أدركونى ، فأخذوا غلامى ، ومنعوني دراهمى .
قالت : فقال لهم النجاشى : لتعطئنَّ دراهمه ، أو ليضعنَّ غلامه يده فى يده ،
فليذهبنَّ به حيث شاء ، قالوا : بلى نعطيه دراهمه . قالت : فلذلك يقول :
ما أخذ الله منى رشوة حين ردَّ على مُلْكى ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع
الناس فى ، فأطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أول ما خبر من صلابته
فى دينه ، وعدَّ له فى حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، عن
عائشة قالت : لما مات النجاشى ، كان يتحدَّث أنه لا يزال يرى على
قبره نور .

إسلام النجاشى والصلاة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت
الحبشة ، فقالوا للنجاشى : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه قال : فأرسل إلى
جعفر وأصحابه ، فمياً لهم سفناً ، وقال : اركبوا فيها ، وكونوا كما أنتم ، فإن
هزمت فامضوا حتى تلحقوا بجميئ شئتُم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى
كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله ، وروحه ، وكنيته ألقاها إلى مريم ،
ثم جعله فى قبائة عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصَفُّوا له ، فقال :
يا معشر الحبشة ، ألسنَّ أحقَّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف رأيتم

سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما لاسكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبدٌ، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابنُ الله، فقال النجاشي: ووضع يده على صدره على قَبائِه: هو يشهد أن عيسى بنَ مريم لم يَزِدْ على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كَتَبَ، فرضوا وانصرفوا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فلما مات النجاشي صلى الله عليه واستغفر له.

إرسال قريش إلى النجاشي في أمر أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن إسحاق أنهم أرسلوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة، وأهدوا معهما هدايا إلى النجاشي. وعبد الله بن أبي ربيعة هذا كان اسمه بَحِيرًا^(١)، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أسلم: عبد الله، وأبوه: أبو ربيعة ذو الرمحين، وفيه يقول ابن الزُّبَيْرِ:

بَحِير ابن ذى الرمحين قرَّب مجلسي وراح علينا فضله وهو عاتم^(٢)

(١) بحير بفتح وكسر أَوْضَمُ الباء وسكون الياء، هذا وذكر الذهبي في أعلام النبلاء ج ١ ص ١٥١ أن الذين هاجروا كانوا ثمانين. ويؤيده ما روى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: بعثنا النبي -ص-، إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلاً ص ١٤٨ > ٧ فتح الباي، وذكر ابن جرير أنهم ٨٢ وشك في عمار هل كان فيهم أولاً، وقيل: إن عدة كل نساءهم كانت ثمان عشرة امرأة.

(٢) في نسب قريش: يروح علينا فضله غير عاتم، وفي الإصابة أيضاً: غير عاتم، وهو الصواب فعاتم: بطن. فقله: كما في السهيلي: وهو عاتم. لا يستقيم مع غرض الشاعر.

واسم أبي ربيعة : عمرو ، وقيل : حَذَيفَةُ ، وأم عبد الله بن أبي ربيعة :
أسماء بنت مُحَرَّبَةَ التَّمِيمِيَّةِ^(١) ، وهى أم أبي جهل بن هشام ، وعبدُ الله بن أبي
ربيعة هذا هو والدُ عُمَرَ بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ، ووالد الحارث
أمير البصرة المعروف بالقُبَاع ، وكان فى أيام عمر واليًّا على الجند ، وفى أيام
عثمان ، فلما سمع بحصر عثمان ، جاء لينصره ، فسقط عن دابته فمات .

عمارة بن الوليد بن المغيرة :

فصل : وكان معهما فى ذلك السفر عمارة بن الوليد بن المغيرة الذى تقدم
ذكره حين قالت قريش لأبى طالب : خذْ عمارة بدلا من محمد ، وادفع إلينا
محمدًا نقتله ، وكان عمارة من أجل الناس ، فذكر أصحاب الأخبار أنهم أرسلوه
مع عمرو بن العاصى إلى النَّجَاشِيِّ ، ولم يذكره ابن إسحاق فى رواية ابن هشام ،
وذكر حديثه مع عمرو فى رواية يونس ، واسكن فى غير هذه القصة المذكورة
ها هنا ، ولعل إرسالهم إياه مع عمرو ، كان فى المرة الأخرى التى سيأتى ذكرها
فى السيرة عند حديث إسلام عمرو ، وَمِمَّنْ ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج
الأصبهاني ، وذكر أن عَمْرًا سافر بامراته ، فلما ركبوا البحر ، وكان عمارة قد
هَوِيَ امرأة عمرو وهويته ، فعزما على دفع عمرو ، أو كان ذلك من عمارة على
غير قصد فدفع عمرا ، فسقط فى البحر ، فسبح عمرو ، ونادى أصحاب السفينة

(١) فى نسب قريش ص ٢١٨ أسماء بنت مخزبة بن جندل بن أبيير بن نشل
ابن دارم ، وفى الإصابة : بنت مخزبة ، وفى القاموس : أسماء بنت مخزبة واسم
ذى الرمحين فى نسب قريش : عمرو ، أما حذيفة فأخوه زاد الركب .

فأخذوه، ورفعوه إلى السفينة، فأضمرها عمرو في نفسه، ولم يُبدها لعمارة، بل قال لامرأته- فيما ذكر أبو الفرج- قَبِّلِي ابن عمك عُمارة لتطيبَ بذلك نفسه، فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو، وقال: إني قد كتبت إني بنى سهم ليبرءوا من دمي لك، فاكتب أنت لبني مخزوم ليبرءوا من دمك لي، حتى تعلم قريش أنا قد تصافينا، فلما كتب عُمارة، إلى بني مخزوم، وتبرءوا من دمه لبني سهم، قال شيخ من قريش: قُتل عُمارة- والله- وعلم أنه مكر من عمرو، ثم أخذ عمرو يحرض عُمارة على التعرض لامرأة النجاشي، وقال له: أنت امرؤ جميل، وهن النساء يُحِبُّنَ الجمال من الرجال، فلعلها أن تشفع لنا عند الملك في قضاء حاجتنا، ففعل عُمارة فلما رأى عمرو ذلك، ونسكر عُمارة على امرأته الملك، ورأى إنابتها إليه، أتى الملك مُتَتَّصِحًا، وجاءه بأمرأة عرفها الملك، قد كان عُمارة أطاع عمرًا عليها، فأذركته غيرة الملك، وقال: لولا أنه جارٍ لقتلته، ولكن سأفعل به ما هو شرٌّ من القتل، فدعا بالسَّوَّاحِرَ، فأمرهن أن يَسْحَرْنَ، فنفضن في إحليله^(١) نفخةً، طار منها هاتما على وجهه، حتى لحق بالوَحُوشِ في الجبال، وكان يرى آدميا فيفر منه، وكان ذلك آخر العهد به، زمن عمر ابن الخطاب، فجاء ابنُ عمه عبدُ الله بن أبي ربيعة إلى عمر، واستأذنه، في السير إليه لعله يجمده، فأذن له عمر فسار عبدُ الله إلى أرض الحبشة، فأكثر النَّشْدَةَ عنه، والنَّحْصَ عن أمره، حتى أخبر أنه - بِتَحْيِيلٍ^(٢) - يرد مع الوحوش، إذا وردت، ويصدرُ معها إذا صدرت، فسار إليه حتى كَمَنَ له في الطريق إلى

(١) الإحليل: مخرج البول من ذكر الإنسان واللبن من الثدي والضرع.

(٢) الحيل: الماء المستنقع في بطن واد:

الماء ، فإذا هو قد غطاه شعره ، وطالت أظفاره ، وتمزقت عليه ثيابه ، حتى كأنه شيطان ، فقبض عليه عبد الله ، وجعل يذكره بالرحيم ويستعطفه ، وهو ينتفض منه ، ويقول: أرساني يا بحير ، أرساني يا بحير ، وأبى عبد الله أن يرسله ، حتى مات بين يديه ، وهو خبر مشهور اختصره بعض من ألف في السير ، وطوله أبو الفرج ، وأوردته على معنى كلامه ، متحريرا لبعض ألفاظه^(١) .

عن حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي :

فصل : وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي ، وما قال له جعفر إلى آخر القصة^(٢) ، وليس فيها إشكال ، وفيه من الفقه : الخروج عن الوطن ، وإن كان الوطن مكّة على فضلها ، إذا كان الخروج فرارا بالدين ، وإن لم يكن إلى إسلام ، فإن الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ، ولا يقولون : هو عبد الله ، وقد تبين ذلك في هذا الحديث ، وسنوا بهذه مهاجرين ، وهم أصحاب المهاجرين الذين أثنى الله عليهم بالسبق ، فقال : ﴿ والسابقون الأولون ﴾ وجاء

(١) في نسب قريش : فلما يئس عمرو — يعني من استجابة النجاشي له في أمر المهاجرين محل بعمارة — أي كادله — عند النجاشي فذمخ النجاشي في إحليله سحرا ، فذهب مع الوحش فيما تقول قريش . فلم يزل مستوحشا يرد الماء في جزيرة بأرض الحبشة ، وفيه أنه قال لآخيه عبد الله : يا بحير أرساني ، فإني أموت إن أمسكتني ، فأمسكه ، فمات في يده ص ٢٢٢ . والقصة خرافة ، ومصعب دقيق في تعبيره إذ يقول : « فيما تقول قريش ، فهي إذا أقاويل ! »

(٢) يقول ابن تيمية عن قصة المهاجرين في حديث أم سلمة . « وقد ذكر قصتهم جماعة من العلماء والخافظ كأحمد بن حنبل في المسند ، وابن سعد في الطبقات وأبي نعيم في الحلية وغيرهم وذكرها أهل التفسير والحديث والفقه وهي متواترة عند العلماء ، ص ٨١ » الجواب الصحيح ، طبع المدني .

في التفسير : أنهم الذين صلوا القبلتين ، وهاجروا الهجرتين ، وقد قيل أيضا : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان ، فانظر كيف أنفى الله عليهم بهذه الهجرة ، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر ، لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم ، ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم ، يذكرونه آمنين مطمئنين ، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد ، وأوذى على الحق مؤمن ، ورأى الباطل قاهراً للحق ، ورجا أن يكون في بلد آخر - أى بلد كان - يخلى بينه وبين دينه ، ويظهر فيه عبادة ربه ، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن ، وهذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ البقرة : ١١٥ .

فصل : وليس في باقي حديثهم شئ يُشَرَّح ، قد شرح ابن هشام الشيوم ، وهم الآمنون ، فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية ، وأن تكون من شمت السيف إذا أغمدته ، لأن الآمن مغمَّد عنه السيف ، أو لأنه مصُونٌ في صَوَانٍ^(١) وحرز كالسيف في غمده .

وقوله : ضَوَى إِلَيْكَ فِتْمَةٍ^(٢) أى : أَوُوا إِلَيْكَ ، ولا ذوابك ، وأما ضَوَى بكسر الواو ، فهو من الضَّوَى مقصور ، وهو الهزال ، وقال الشاعر :

(١) في الأصل : صور بالحبشية وسيوم : آمن أو جمع سائم بالعربية

(٢) في السيرة : غلمان

فتى لم تله بنت عم قريبه

فَيَضْوَى ، وقد يَضْوَى رَدِيدُ أَغْرَابٍ (١)

ومنه الحديث : اغتربوا لاتضوّوا ، يقول : إن تزويج القرائب يورث الضّوى

في الولد (٢) ، والضعف في القلب ، قال الراجز :

إِنَّ بِلَالًا لَمْ تَشْغَهُ أُمُّهُ لَمْ يَتَنَاسَبْ خَالُهُ وَعَمُّهُ

إضافة العين إلى الله :

وفيه : قومهم أعلى بهم عينا ، أى : أبصر بهم ، أى : عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم ، فالعين هاهنا بمعنى الرؤية والإبصار ، لا بمعنى العين التي هي الجارحة ، وما سميت الجارحة عينا إلا مجازا ؛ لأنها موضع العيان ، وقد قالوا : عانه يَعيّنه عينا إذا رآه ، وإن كان الأشهر في هذا أن يقال : عايته معاينة ، والأشهر في عنت أن يكون بمعنى الإصابة بالعين ، وإنما أوردنا هذا الكلام ، لتعلم أن العين في أصل وضع اللغة صفة لا جارحة ، وأنها إذا أضيفت إلى البارئ سبحانه ، فإنها حقيقة نحو قول أم سلمة لعائشة : بعين الله مهواك ، وعلى رسول الله ترُدّين ؟ وفي التنزيل : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ وقد أملينا في المسائل

(١) في اللسان : القرائب بالقاف .

(٢) تدبر قول الله سبحانه : ويا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك الّاتي آتيت أجورهن ، وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ، وبنات عمك ، وبنات عماتك وبنات خالك ، وبنات أخواتك الّاتي هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن ينكحها خالصة لك من دون المؤمنين ، الأحزاب : ٥٠ ، وقوله تعالى : وفانكحوا ما طاب لكم من النساء ، وأنكحوا

المفردات : مسئلة في هذا المعنى ، وفيها الرد على من أجاز التثنية في العين مع-
إضافتها إلى الله تعالى^(١) ، وقاسها على اليدين ، وفيها الرد على من احتج بقول
النبي عليه السلام : إن ربكم ليس بأعور^(٢) ، وأوردنا في ذلك ما فيه شفاء ،
وأتبعناه بمعان بديعة في معنى عَوْرِ الدَّجَال ، فلينظر هناك .

معنى أنه عيسى كلمة الله وروحه :

وقول جعفر في عيسى : هو رُوح الله وكلته ، ومعنى : كلمته أى : قال
له ، كما قال لآدم حين خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، ولم يقل :
فكان ، لثلاث يتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير ، وإنما هو واقع للحال ، فقوله :

== ألا يأمي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم . النور : ٣٢ . بتدبر هذه البيئات .
يتجلى لك أنها هي الهدى .

(١) الدين الحق في هذا - وهو دين السلف الصالح لا الخلف الطالح - أن
نصف الله سبحانه ، ونسميه بكل ما وصف وسمى به نفسه ، وننسب إليه كل
ما نسبته جل شأنه إلى نفسه ، وننفي عنه كل ما نفاه عن نفسه ، فله سبحانه عين
حقا ، ولكنها ليست كعين البشر ؛ لأن الله ليس كمثله شيء . ولا يصح تأويل
العين تأويلا هو تحريف للكلم عن مواضعه ، فنضع لها معنى مبتدعا ليس لها
في لغة القرآن .

(٢) في حديث رواه البخارى ومسلم : إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله تعالى
ليس بأعور ، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى - أى الجهة اليمنى - كأن
عينه غيبة طافية ، هذا عن ابن عمر ، وورد في حديث رواه البخارى ومسلم أيضا عن
أنس : إن ربكم ليس بأعور . واقرأ ما كتب الإمام ابن القيم في الصواعق
المرسلة عن العين ، وما شابه هذا مما نسب الله إلى نفسه ، لتؤمن بتدبر القرآن أنه
الله لا ينسب إلى نفسه إلا حقا .

فيكون مُشْعِرٌ بوقوع الفعل في حال القول ، وتوجه الفعل بيسير على القول ، لا يمكن مستقْدَم ولا مُسْتَأْخِر ، فهذا معنى الكلمة ، وأما روح الله ؛ فلأنه نَفْخَةُ رُوح القدس في جَنِّبِ الطاهرة المقدسة ، والْقُدُس : الطهارة من كل ما يشين ، أو يغييب ، أو تَقْذَرُهُ نفس ، أو يكرهه شرع ، وجبريل : روح القدس ، لأنه روح لم يُخْلَقْ من مَنِيٍّ ، ولا صدر عن شهوة ، فهو مُضَاف إلى الله سبحانه إضافة تشريف وتكريم ؛ لأنه صادر عن الحضرة المَقْدَّسَةِ (١) ، وعيسى عليه السلام صادر عنه ، فهو : روح الله على هذا المعنى ؛ إذ النفخ قد يسمى : روحاً أيضاً ، كما قال غَيْلَانُ [بن عقبة ذو الرُّمَّة] يصف النار :

فقلت له : ارفعها إليك ، وأخِمْها بروحك ، واقدرها لها قِيَتَةً بَدْرًا (٢)

وأضف هذا الكلام في روح القدس ، وفي تسمية النفخ روحاً إلى

(١) كلمة الحضرة لا يجوز نسبها إلى الله ، إنما هو تعبير مبتدع لهذه النسبة . هذا ويقول ابن تيمية عن رواية ابن إسحاق بسنده عن أم سلمة في شأن النجاشي : « وقد روى جل هذه القصة أبو داود في سننه من حديث أبي موسى ، ص ٨٧ » الجواب الصحيح ، وفي رواية أن جعفر قرأ على النجاشي أربعين آية من أولها إلى قوله سبحانه : « وإنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون » ، وفي رواية : « بلودا بدموعهم ، بدلا من : « أخضلوها مصاحفهم » ، وهي بمعناها . وفي رواية أن النجاشي قال : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة ، وأظنها أدق . هذا وقد راجعت الحديث على رواية ابن تيمية له

(٢) البيت في اللسان ، وروايته :

فقلت له : خذها إليك وأخِمْها بروحك واقتها لها قِيَتَةً قدرا واقت النارك قِيَتَةً ، أى : أطعمها ، يأمره بالرفق والنفخ القليل

ماذا ذكرناه قبل في حقيقة الروح ، وشرح معناه فإنه تكملة له .

النجاشي أصحمة :

فصل : وذكر حديث عائشة عن النجاشي حين رد الله عليه ملكه ، وأن قومه كانوا باعوه ، فلما مرج أمر الحبشة ، أخذوه من سيده واشتردوه . وظاهر الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتي به بلاده لقوله : خرجوا في طلبه ، فأدركوه ، وقد بين في حديث آخر أن سيده كان من العرب وأنه استعبده طويلا ، وهو الذي يقتضيه قوله : فلما مرج على الحبشة أمرهم ، وضاق عليهم ما هم فيه ، وهذا يدل على طول المدة في مغيبة عنهم ، وقد روى أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشي علم بها قبل من عنده من المسلمين ، فأرسل إليهم ، فلما دخلوا عليه إذا هو قد لبس مسحاً ، وقعد على التراب والرماد ، فقالوا له : ما هذا أيها الملك ؟ ! فقال : إنا نجد في الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعده ، وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا ، وإن الله قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة ، وهي أن النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - بلغني أنه التقى هو وأعداؤه بوادٍ يقال له : بدر كثير الأراك ، كنت أرى فيه النعم على سيدي ، وهو من بني ضمرة ، وأن الله قد هزم أعداءه فيه ، ونصر دينه ، فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب ، فمن هنا - والله أعلم - تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين نلت عليه ، حتى بكى ، وأخضل لحيقه ، وروى عنه أنه قال : إنا نجد في الإنجيل أن اللعنة تقع في الأرض إذا كانت إمارة الصبيان .

من فقه حديث الهجرة إلى الحبشة :

فصل : ومما في حديث الهجرة إلى الحبشة من الفقه أن جَعْفَر بن أَبِي طالب قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : كيف نصلى في السفينة إذا ركبنا في البحر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صلّ قائماً إلا أن تخاف الغرق . خرجہ الدَّارَقُطْنِي ، ولكن في إسناده مقال ، وفي مُسْنَد ابن أبي شَيْبَةَ : وصلى أنس في السفينة جالساً . وذكر البخاري عن الحسن : يصلى قائماً إلا أن يَضُرَّ بأهائها .

مول كتاب النجاشي والصلاة عليه :

فصل : وذكر الكتاب الذي كتبه النجاشي ، وجعله بين صدره وقبائنه ، وقال للقوم : أشهد أن عيسى لم يزد على هذا ، وفيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذباً صُراحاً ، ولا أن يعطى بلسانه الكفر ، وإن أكره ما أمكنه الحيلة ، وفي المعارض مندوحة عن الكذب^(١) ، وكذلك قال أهل العلم في قول النبي عليه السلام : ليس بالكاذب من أصاح بين اثنين ، فقال خيرا . روته أم كلثوم بنت عُقْبَةَ . قالوا : معناه أن يُعرَّضَ ، ولا يُفْصَحَ بالكذب ، مثل أن يقول : سمعته يستغفر لك ، ويدعوك ، وهو يعني أنه سمعه يستغفر للمسلمين ، ويدعولهم ؛ لأن الآخر من جملة المسامين ، ويحتال في التعريض

(١) إن في المعارض لمندوحة عن الكذب ، أخرجه — كما يقول ابن الاثير — أبو عبيد وغيره ، وهو حديث مرفوع . والمعارض : جمع معارض من التعريض ، وهو خلاف التصريح من القول ، يقال : عرفت ذلك في معارض كلامه ومعرض كلامه . ومندوحة : فسحة وسعة .

ما استطاع ، ولا يختلق الكذب اختلاقا ، وكذلك في خُدَعَةِ الحرب يُورَى ،
ويَكْنَى ، ولا يختلق الكذب يستحله بما جاء من إباحة الكذب في خُدَعِ
الحرب ، هذا كله ما وجد إلى الكناية سبيلا .

وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : صلى على النجاشي ،
واستغفر^(١) له ، وكان موتُ النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبيعة ، رُفِعَ
إليه سَرِيرُهُ بأرض الحبشة حتى رآه ، وهو بالمدينة فصلى عليه ، وتكلم المنافقون ،
فقالوا : أيصلى على هذا العِج ؟ ! فأنزل الله تعالى^(٢) :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْهِمْ ﴾ آل عمران : ١٩٩ ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نيزر

(١) روى صلاة الرسول - صلى الله عليه وسلم ، على النجاشي : البخاري ومسلم وأحمد والفساني
والترمذي والطبراني . والرواية المتفق عليها : « توفي اليوم رجل صالح من الحبش
فهلّموا . فصلوا عليه ، فصففنا خلفه ، فصلى رسول الله عليه ، ونحن صفوف ،
وعن جابر أن النبي صلى على أصحابه النجاشي . فكبر أربعاً »

(٢) ليست هذه الرواية في الصحيح ، وإنما هي عند ابن أبي حاتم وابن مردويه
وعبد بن حميد . وروى الحاكم أن الآية في حق النجاشي ، وحديث النور على
قبره رواه أبو داود بسنده عن محمد بن إسحاق . ولو كان هذا حقا لتواتر
خبره . وأحب أن أعرج على مسألة شرعية هي صلاة الجنازة على الغائب وحكمها .
وليك خلاصة القول : ذهب الشافعي وأحمد وجمهور السلف إلى مشروعية الصلاة
على الغائب عن البلد ، وذهب الحنفية والمالكية إلى أن صلاة الغائب غير
مشروعة مطلقا . واعتذروا عن القصة بأن النجاشي كان بأرض ليس فيها من

مولى على بن أبى طالب ، كان ابناً للنجاشى نفسه^(١) ، وأن علياً وجده عند تاجر بمكة ، فاشتراه منه ، وأعتقه . مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين .
وذكر أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشى ، وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبى نيزر ، وهو مع على ليمسكوه ويتوجوه ، ولم يختلفوا عليه فأبى وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله على بالإسلام ، قال : وكان أبو نيزر من أطول الناس قامه ، وأحسنهم وجهاً ، قال : ولم يكن لونه كألوان الحبشة ، ولكن إذا رأيته قلت : هذا رجل من العرب .

== يصلى عليه ، ولهذا قال الخطابي : لا يصلى على الغائب إلا إذا وقع موته بأرض ايس فيها من يصلى عليه ، وترجم بهذا أبو داود .
وقد اختار ابن تيمية هذا مستدلاً بما أخرجه الطيالسى وأحمد وابن ماجه وابن قانع والطبرانى والضياء المقدسى . وعن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد أن النبى ص ، قال : : إن أخاكم مات بغير أرضكم ، فقوموا فصلوا عليه . . واستدلوا أيضاً بأن صلاة الرسول على النجاشى كانت خاصة لأنه لم يثبت أنه صلى على ميت غائباً غيره ، وردوا على من جاء بأحاديث تثبت غير هذا بأن أسانيد هذه الاحاديث ليست بالقوية . وقال الذهبي عن معاوية بن معاوية الذى زعموا أن النبى صلى عليه أنه لا يعلم فى الصحابة من اسمه معاوية بن معاوية ، وكذلك تكلم فيه البخارى . وقال ابن القيم لا يصح حديث صلته على معاوية بن معاوية ، لأن فى إسناده العلامة بن يزيد ، وقد قال عنه ابن المدينى أنه كان يضع الحديث ، أقول : وهذا هو الصواب ، ولكن إذا كان هذا هو الحكم فى الإسلام يدعوننا إلى أن ندعو لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان بالمغفرة .

(١) له ترجمة فى الإصابه . ذكره الذهبي مستدركا ، وقال : يقال إنه ولد النجاشى جاء وأسلم ، وكان مع النبى ص ، فى مؤنته . وقال الحافظ : إنه قرأ قصته فى كتاب السكامل للمبرد ، وأنه كان من أبناء ملوك الأعاجم ، وأنه أسلم صغيراً على يد النبى صلى الله عليه وسلم وأن أمره انتهى إلى أن كان مع فاطمة ثم مع ولدها .

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة على قُرَيْش ، ولم يُدركوا ما طالبوا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وردّها النجاشي بما يكرهونه ، وأسلم عمرُ بن الخطاب - وكان رجلاً ذا شَكِمة لا يُرام ما وراء ظهره - امتنع به أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبجَمَزَةٍ حتى عازُوا قُرَيْشاً ، وكان عبدُ الله بن مسعود يقول : ما كنّا نقدر على أن نصلى عند الكعبة ، حتى أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشاً ، حتى صلى عند الكعبة ، وصليّا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خَرَجَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائي : قال : حدثني مِسْعَرُ بن كِدَام ، عن سَعْدِ بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحة ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنّا مانصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم ، قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصليّا معه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عِيَّاش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حَتْمَةَ ، قالت :

والله إنا لنترحلُ إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامرٌ في بعض حاجتنا ،

إذ أنبل عمر بن الخطاب ، حتى وقف على ، وهو على شركه — قالت : وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا ، وشدة علينا — قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أمّ عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ، آذيتونا وقهرتمونا ، حتى يعمل الله مخرجنا . قالت : فقال : صحبكم الله ، ورأيت له رقة ، لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أخزّنه — فيما أرى — خروجنا . قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقالت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر آتفا ورقته وخزّنه علينا ! قال : أطمعت في إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ، قال : فلا يسلم الذي رأيت ، حتى يسلم حمار الخطاب ؛ قالت : بأسا منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام .

قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب . وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها . سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النخام من مكة ، رجل من قومه ، من بني عدى بن كعب قد أسلم ، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرؤها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشّحا سيفه يريد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ورهطا من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عمة حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلى بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان

أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقية نعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابي ، الذي فَرَّقَ أمرَ قُرَيْش ، وسفَّهَ أحلامَها ، وعابَ دينَها ، وسبَ آلهَها ، فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : خَتَنُكَ وابنُ عَمِّكَ سعيد ابن زيد بن عمرو ، وأختك : فاطمة بنت الخطَّاب ، فقد والله أسلمنا ، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما ، قال : فرجع عمرُ عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما خَبَّاب بن الأرت معه صحيفةٌ ، فيها : « طه » يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حس عمر تغيب خَبَّاب في مُخدع لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطَّاب الصحيفةَ ، فجعلتها تحت نَحْذَها ، وقد سمع عمرُ حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الِهيْئَةُ التي سمعتُ ؟ قالوا له : ما سمعتُ شيئاً ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطَّاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجَّها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا ، وآمنَّا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك : فلما رأى عمر ما بأخته من الدم نَدِمَ على ما صنع ، فارْعَوَى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتُكم تقرأون أنفاً . أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إننا نخشاك عليها ، قال : لا تخافي ، وحلف لها بألته ليردَّنها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك ، طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نجس ، على

شركك ، وإنه لا يسها إلا الطاهر ، فقام عمرُ ، فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها : « طه » فقرأها ، فلما قرأ منها صدراً ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمهُ ! فلما سمع ذلك خَبَّابُ خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصَّكَ بدعوة نبيِّه ، فإنى سمعته أمس ، وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحَكَم بن هشام ، أو بعمر بن الخطَّاب ، فالله الله يا عمر : فقال له عند ذلك عمر : فدلتنى يا خَبَّابُ على محمد حتى آتته ، فأسلم ، فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمرُ سيفه فتوشَّحه ، ثم عمد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته ، قام رجلٌ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر من خَلال الباب ، فرآه متوشَّحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو قَزَع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمرُ بنُ الخطَّابِ متوشَّحاً بالسيف ، فقال حمزةُ بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : انذرنه ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حتى لقيه فى الحجر ، فأخذ خُجْرته ، أو بجمع ردائه ، ثم جَبَذَهُ به جبذةً شديدةً ، وقال : ما جاء بك يا بن الخطَّاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعةً ، فقال عمر : يا رسول الله ، جئتُك لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرةً عَرَفَ أهلُ البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم .

فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ مَكَانِهِمْ ، وَقَدْ عَزَّوْا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ أَسْلَمَ عُمَرُ مَعَ إِسْلَامِ حَمْزَةَ ، وَعَرَفُوا أَنَّهَا سَيَمْنَعَانِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَنْتَصِفُونَ بِهِمَا مِنْ عَدُوِّهِمْ . فَهَذَا حَدِيثُ الرَّوَاةِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنْ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حِينَ أَسْلَمَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ اللهِ بن أبي نجيح المكي ، عن أصحابه : عطاء ، ومجاهد ، أو عَمَّنْ رَوَى ذَلِكَ : أَنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ فِيمَا تَحَدَّثُوا بِهِ عَنْهُ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : كُنْتُ لِلْإِسْلَامِ مُبَاعِداً ، وَكُنْتُ صَاحِبَ خَرَفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَحْبَبْتُ وَأَسْرَبْتُهَا ، وَكَانَ لَنَا مَجْلِسٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِالْخَزَوَةِ ، عِنْدَ دُورِ آلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ الْخَزَوِيِّ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ لَيْلَةً أُرِيدُ مُجْلَسَئِي أَوْلَائِكَ فِي مَجْلَسِهِمْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَجِئْتُهُمْ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مِنْهُمْ أَحَدًا . قَالَ : فَقُلْتُ : لَوْ أَنِّي جِئْتُ فُلَانًا الْخَمَّارَ ، وَكَانَ بِمَكَّةَ يَبِيعُ الْخَمْرَ ، لَعَلِّي أَجِدُ عَنْدهُ خَمْرًا فَأَشْرَبُ مِنْهَا . قَالَ : فَخَرَجْتُ فَبِئْسَتْهُ فَلَمْ أَجِدْهُ . قَالَ : فَقُلْتُ : فَلَوْ أَنِّي جِئْتُ السَّكْعَبَةَ ، فَطُفْتُ بِهَا سَبْعًا أَوْ سَبْعِينَ . قَالَ : فَجِئْتُ الْمَسْجِدَ أُرِيدُ أَنْ أَطُوفَ بِالسَّكْعَةِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَائِمٌ يَصَلِّي ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى اسْتَقْبَلَ الشَّامَ ، وَجَعَلَ السَّكْعَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ ، وَكَانَ مُصَلِّاهُ بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ : الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ ، وَالرُّكْنَ الْيَمَانِي . قَالَ : فَقُلْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ : وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي اسْتَمَعْتُ لِمُحَمَّدٍ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَسْمَعَ مَا يَقُولُ ! قَالَ : فَقُلْتُ : إِنَّ دُنُوتَ مِنْهُ أَسْتَمِعُ مِنْهُ لَأَرْوِّعَنَّ ، فَجِئْتُ مِنْ قَبْلِ الْحِجْرِ ، فَدَخَلْتُ تَحْتَ ثِيَابِهَا ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي رُؤَيْدًا ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَائِمٌ يَصَلِّي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، حَتَّى قَمْتُ فِي قِبْلَتِهِ مُسْتَقْبِلَهُ ، مَا بَيْنِي

ويدينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبي ، فبكيتُ ودخلني الإسلام ، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك ، حتى قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين ، وكانت طريقه ، حتى يجزع المسمى ، ثم يسلك بين دار عباس ابن المطلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهري ، ثم على دار الأخنس ابن شريق ، حتى يدخل بيته ، وكان مسكنه - صلى الله عليه وسلم - في الدار الرقطاء ، التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان . قال عمر رضي الله عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ، ودار ابن أزهر ، أدركته ، فلما سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حسي عرفني ، فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أني إنما تبعته لأوذيه ، فنهمني ، ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال : جئت لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فحمد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : قد هدأك الله يا عمر ، ثم مسح صدري ، ودعا لي بالثبات ، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحاق : والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر ، قال : لما أسلم أبي عمر ، قال : أي قریش أنقل للحديث ؟ ف قيل له : جميل بن معمر الجُمحی . قال : فعدا عليه ، قال عبد الله بن عمر : فعدوت أتبع أثره ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمت يا جميل

أنى قد أسلمت : ودخات في دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه .
واتبعه عمر ، واتبعه أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صرّخ بأعلى صوته :
يا معشر قريش ، وهم في أنديتهم حول باب الكعبة . ألا إن عمر بن الخطاب
قد صبأ ، قال : يقول عمر من خلفه : كذّاب ، والكنى قد أسلمت ، وشهدت أن
لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونهم
حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطأخ ، فتمعد وقاموا على رأسه ، وهو
يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنتا ثلثائة رجل لتركناها
لكم ، أو لتركتموها لنا ، قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش ،
عليه حلة حبرة ، وقميص مؤشّى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟
قالوا : صبأ عمر ، فقال : فقه ، رجل اختار لنفسه أمراً ، فماذا تريدون ؟ أترون
بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟! خلّوا عن الرجل . قال : فوالله
لكأنما كانوا ثوبا كُشِط عنه . قال : فقامت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة :
يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يُقاتلونك ؟
فقال : ذلك ، أى بنى ، العاص بن وائل السهمي .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجل
الذى زجر القوم عنك يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ، جزاه الله خيراً ؟ قال :
يابنى ذاك العاص بن وائل ، لاجزاه الله خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر ،
أو بعض أهله ، قال . قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة ، تذكّرت أى أهل مكة

أشد أرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوةً حتى آتته ، فأخبره أنى قد أسلمت ،
قال : قلت : أبو جهل - وكان عمر نختمه بنت هشام بن المغيرة - قال : فأقبلت
حين أصبحت ، حتى ضربت عليه بابيه . قال : فخرج إلى أبو جهل ، فقال :
مرحبا وأهلاً بابن أختي ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأخبرك أنى قد آمنت
بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ، قال : فضرب الباب فى وجهي ، وقال :
قَبَّحَكَ الله ، وَقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ .

إسلام عمر ومديت فباب :

فصل : فى حديث إسلام عمر . ذكره إلى آخره ، وليس فيه إشكال ،
وكان إسلام عمر والمسلمون إذ ذاك بضعة وأربعون رجلاً ، وإحدى عشرة^(١)
امراً .

(١) فى رواية ابن أبي خيثمة عن عمر نفسه : « لقد رأيتنى ، وما أسلم
مع رسول الله إلا تسعة وثلاثون رجلاً ، فكملمتهم أربعين ، فأظهر الله دينه ، وأعز
الإسلام . وروى البزار نحوه من حديث ابن عباس ، ولقد قيل : لانه أسلم فى ذى
الحجة سنة ست من المبعث ، وحكى ابن الجوزى فى بعض كتبه الاتفاق عليه ،
ولكنه فى التلخيص قال : سنة ست أو خمس ، وروى أبو نعيم فى الدلائل أن إسلامه
كان بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام ، وحديث ابن مسعود عن أثر إسلامه فى البخارى :
فقد روى بسنده إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : « ما زلنا أعزة منذ أسلم
عمر ، » والحديث الآخر من رواية البكاء عن ابن مسعود رواه ابن أبي شيبة ،
والطبرانى من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود ، وفيه : « والله
ما استطعنا أن نصلى حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر ، » وروى ابن سعد من حديث
صريب ، قال : لما أسلم عمر قال المشركون : انصف القوم منا . وروى البزار

وفيه : أن خَبَّاباً وهو ابن الأُرتِّ كان يقرئُ فاطمة بنت الخطاب القرآن ،
وخبَّاب تميمي بالنسب ، وهو خُزاعي بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعي ،
وكان قد وقع عليه سياء ، فاشترته وأعتقته ، فولأوه لها ، وكان أبوها >

== والطبراني من حديث ابن عباس نحوه ، وفي حديث إسلام عمر أن أخته هي
فاطمة ، وهذا على الأكثر ، وقيل — كما حكى الدارقطني — اسمها : أميمة ، وقال
الحافظ في الإصابة كان اسمها : فاطمة ولقبها : أميمة ، وكنيتها : أم جميل ، وفي
نسب قريش لا توجد أخت لعمر اسمها فاطمة ، وإنما صفية وأميمة فقط ص ٣٤٧ .

وفي بعض روايات حديث إسلامه أن عمر قال بعد أن أخبر بإسلام أخته
« وقد كان — صلى الله عليه وسلم — يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به
قوة ، فيسكونان معه ويصبيان من طعامه وقد ضم إلى زوج أختي رجلين » .

وحديث : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ،
روايته عند الترمذي : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين ، بأبي جهل أو بعمر ،
فسكان أحبهما إليه عمر » . قال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه ابن حبان . وفي إسناده
خارجة بن عبد الله صدوق فيه مقال ، ولكن له شاهد من حديث ابن عباس أخرجه
الترمذي أيضاً ، ومن حديث أنس ، وروى أحمد نحوه ، ورواه الحاكم بلنظ : أيد ،
بدل : أعز . وأخرجه الحاكم ، وصححه عن نافع عن ابن عمر عن ابن عباس رفعه :
اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب خاعة ، وأخرجه ابن ماجه وابن حبان ، وقال
الحاكم : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي من حديث عائشة . والرواية
الجارية على الالسنه ، بأحب العمرين : لا أصل لها في شيء من طرق الحديث
وهناك رواية طيبة المعنى عن عائشة : قالت : لما قال صلى الله عليه وسلم : اللهم أعز
بالإسلام ، لأن الإسلام يعز ولا يعزه . وقد قال أبو بكر التاريخي أن عمر سئل عن قوله
اللهم أيد الإسلام ، فقال : معاذ الله . هذا وقد ولد عمر بعد الفجار بثلاث
عشرة سنة .

لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة^(١)، فهو زُهْرِي بالحِلف، وهو ابن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمه بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، كان قَيْنًا يعمل السيوف في الجاهلية، وقد قيل: إن أمه كانت أم سَبَاح الخُزَاعِيَّة. ولم يلحقه سَبَاء، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بنى زهرة، يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبا يحيى، وقيل أبا محمد مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ما شهد مع عليٍّ صفين والنهروان، وقيل: بل مات سنة سبع وثلاثين. ذكر أن عمر بن الخطاب سألَه عما لقي في ذات الله، فكشف ظهره، فقال عمر: مارأيت كالسيوم، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أوقدت لي نار، فما أطفأها إلا شحبي.

تطهير عمر لبمس القرآن:

فصل: وفيه ذكر تطهير عمر لبمس القرآن، وقول أخيه: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة، وهو قول مالك في الموطأ، واحتج بالآية الأخرى التي في سورة عبس، ولكنهم وإن كانوا للملائكة، ففي وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المسِّ ما يقتضي ألا يمسَّه إلا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير، ولكنه حكم مندوب إليه، وليس محولا على الفرض، وكذلك ما كتب به رسول

(١) النسب هكذا في كتاب نسب قريش ص ٢٦٥ أما في جمهرة ابن حزم ص ١٢١ وما بعدها: فعوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، وفي الإصابة كما في نسب قريش، لكن سقطت كلمة ابن بين عبد وبين الحارث.

الله — صلى الله عليه وسلم — لعمر بن حزم^(١) : « وَأَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ » ليس على الفرض ، وإن كان الفرض فيه أبين منه في الآية ؛ لأنه جاء بلفظ النهي عن مسه على غير طهارة ، ولسكن في كتابه إلى هرقل بهذه الآية : ﴿ يَا هَلْ السَّكَنُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ ﴾ آل عمران : ٦٤ دليل على ما قلناه ، وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة ممن سلف ، منهم الحكم بن عتيبة وحماد بن أبي سليمان إلى إباحة مس المصحف على غير طهارة ، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل ، وقالوا : حديث عمرو بن حزم مُرْسَلٌ ، فلم يروه حجة ، والدارقطني قد أسنده من طرق حسنة ، أقواها : رواية أبي داود الطيالسي عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده ، ومما يقوى أن المُطَهَّرِينَ في الآية هم الملائكة ، أنه لم يقل : المتطهرون ، وإنما قال المُطَهَّرُونَ ، وفرق ما بين المتطهر والمطهر : أن المتطهر مَنْ فعل الطهور^(٢) ، وأدخل نفسه فيه كالمُتَقَهٍّ من يدخل نفسه في الفقه ، وكذلك المُتَمَقِّلُ في أكثر الكلام ، وأنشد سيديويه :

(١) هو في الموطأ ، وعند أبي داود في المراسيل من حديث الزهري ، قال : قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « وَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ ، وَيَعْلَقُ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : وَمِثْلُ هَذَا لَا يَنْفَعِي إِلَّا خُذْ بِهِ . » وقال عن سندی الدار قطنی للحديث : وفي إسناد كل منهما نظر . أقول : والضمير في الآية يرجع إلى الكتاب المسكون لا إلى القرآن .

(٢) الطهور — بضم الطاء — التطهر ، وفتحها الماء ، وإن كان سيديويه يرى أن الطهور — بفتح الطاء — يقع على الماء والمصدر معا .

وَقَيْسُ عَيْلَانَ وَمِنْ تَقْيَّيسٍ (١)

فَالْأَدَمِيَّاتُ مُتَطَهَّرُونَ إِذَا تَطَهَّرُوا ، وَالْمَلَأُكَةُ مُطَهَّرُونَ خِلَقَةً ، وَالْأَدَمِيَّاتُ إِذَا تَطَهَّرْنَ : مُتَطَهَّرَاتٌ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأَتْوهنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ البقرة : ٢٢٢ والحدود العين مُطَهَّرَاتٌ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ النساء : ٥٧ وَهَذَا فَرْقٌ بَيْنَ وَقُوتٍ لَتَأْوِيلِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَالْقَوْلُ عِنْدِي

(١) فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ : وَقَيْسُ عَيْلَانَ تَرْكِيبٌ إِضَافِي ، لِأَنَّ عَيْلَانَ اسْمَ فَرَسٍ قَيْسٌ لَا أَبِيهِ كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ النَّاسِ — كَذَبًا فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ — وَلَيْسَ عَيْلَانَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ غَيْرُهُ . وَمَا عَدَاهُ عَيْلَانَ . وَفِي شَرْحِ أَدَبِ السَّكَاتِبِ لِلْجَوَالِيْقِيِّ : قَيْسُ عَيْلَانَ بْنُ مَضَرَ ، وَيُقَالُ : قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ ، وَكَانَ النَّاسُ مُتَلَافًا ، وَكَانَ إِذَا نَفَذَ مَالَهُ أَتَى أَخَاهُ الْيَاسَ ، فَيُنَاصِفُهُ مَالَهُ أحيانًا ، وَيُوَاسِيهِ أحيانًا ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَتَاهُ قَالَ لَهُ الْيَاسُ : غَلَبَتْ عَلَيْكَ الْعِيْلَةُ : فَأَنْتَ عَيْلَانَ ، فَسُمِيَ لِذَلِكَ عَيْلَانَ ، وَمَنْ قَالَ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ ، فَإِنَّ عَيْلَانَ : كَانَ عَبْدُ الْمَضَرَ حَضَنَ ابْنَهُ النَّاسُ : فَغَلَبَ عَلَى نَسَبِهِ وَمِثْلُهُ فِي الْأَنْسَابِ لِلْسَّكَلَبِيِّ . قَالَ : كَانَ عَيْلَانَ عَبْدًا لِمَضَرَ ، حَضَنَ ابْنَهُ النَّاسُ ص ٩٦ ج ١ خَزَانَةُ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ ط دَارُ الْعُصُورِ ، وَانْظُرْ ص ٥٧٤ أَدَبُ السَّكَاتِبِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ ، وَص ٢٢٢ شَرْحُ أَدَبِ السَّكَاتِبِ لِلْجَوَالِيْقِيِّ ، وَفِي اللِّسَانِ فِي مَادَّةِ قَيْسٍ : أَبُو قَتَيْبَةَ مِنْ مَضَرَ وَهُوَ قَيْسُ عَيْلَانَ ، وَاسْمُهُ : النَّاسُ بْنُ مَضَرَ بْنِ نَزَارٍ ، وَقَيْسٌ لَقَبُهُ ، يُقَالُ : تَقْيَّيسُ فَلَانٍ إِذَا تَشَبَّهَ بِهِمْ ، أَوْ تَمَسَّكَ مِنْهُمْ بِسَبَبٍ إِمَّا بِخِلَافٍ أَوْ جَوَارٍ أَوْ وِلَاءٍ . وَقَدْ نَسَبَ سَيِّدُوبَةُ الْبَيْتِ إِلَى رُؤْبَةِ مَعَ رَفْعِ السَّيْنِ مِنْ قَيْسٍ . وَلَكِنْ ابْنُ بَرٍّ يَقُولُ : الرَّجَزُ لِلْعِجَاجِ وَلَيْسَ لِرُؤْبَةِ ، وَصَوَابٌ لِإِنْشَادِهِ :

وَقَيْسٌ بِنَصَبِ السَّيْنِ لَأَنْ قَبْلَهُ :

وَلَمَّا دَعَوْتُ مِنْ تَيْمٍ أَرْوَسًا

وَجَوَابُ إِنْ فِي الْبَيْتِ الثَّالِثُ :

تَقَاعَسَ الْعَزْزُ بِنَا فَاغْنَسَنَا

في الرسول عليه السلام أنه مُتَطَهَّرٌ ومُطَهَّرٌ ، أما مُتَطَهَّرٌ ؛ فلأنه بشر آدمي يغتسل من الجنابة ، ويتوضأ من الحدث ، وأمامطَهَّرٌ ؛ فلأنه قد غُسل باطنه ، وشُقَّ عن قلبه ، ومُلئ حكمة وإيماناً فهو مُطَهَّرٌ ومُتَطَهَّرٌ ، واضمم هذا الفصل إلى ما تقدم في ذكر مولده من هذا المعنى ، فإنه تكملة والحمد لله .

وفي تطهر عمر قبل أن يُظهر الإسلام قوة لقول ابن القاسم : إن الكافر إذا تطهر قبل أن يظهر إسلامه ، ويشهد الشهادتين أنه مُجَزِيٌّ له ، وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثيرٌ من الفقهاء ، وكذلك في خبر إسلام سعد بن مُعَاذٍ على يد مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وقد سأل : كيف يصنع من يريد الدخول في هذا الدين ، فقال : يتطهر ، ثم يشهد بشهادة الحق ، ففعل ذلك هو وأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ^(١) ، وحديث إسلام عمر ، وإن كان من أحاديث السَّيَرِ ، فقد خَرَّجَهُ الدَّارِقُطِيُّ في سننه ، غير أنه خَرَّجَ أيضاً من طريق أنس أن أخت عمر قالت له : إنك رَجَسٌ ، ولا يَمْسُهُ إِلَّا الْمَطَهَّرُونَ ، فقم فاغتسل أو توضأ ، فقام فتوضأ ، ثم أخذ الصحيفة وفيها سورة طه ، ففي هذه الرواية أنه كان وضوءاً ، ولم يكن اغتسالا ، وفي رواية يونس : أن عمر حين قرأ في الصحيفة سورة طه انتهى منها إلى قوله :

(١) في الأصل : حميين وهو خطأ صوابه ما أثبتته . وفي القاموس عن أسيد : وكأمر سبعة صحابيون ، وخمسة تابعيون ، وكرير : ابن حضير وابن ثعلبة وابن يربوع وابن ساعدة وابن ظهير وابن أبي الجداء وابن أخى رافع بن خديج وابن سعية ، أو هو كأمر صحابيون ، أما ابن حبيب في كتابه متشابه القبايل ، فيقول : كل شيء في العرب أسيد - كأمر - فهو على فعيل سوى أسيد بن عمرو في بني تميم فإنه على مثال التصغير ، انظر القاموس وص ٤٥١ المزهر ج ٢

﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ : ١٥ فقال : ما أَطْيَبَ هذا الكلام وأخْسَنَهُ ، وذكر هذا الحديث بطوله ، وفيه أن الصحيفة كان فيها مع سورة طه : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وأن عمر انتهى في قراءتها إلى قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضَرَتْ﴾ .

زيادة في إسلام عمر :

فصل : وذكر ابن سُنَجْرُ زيادة في إسلام عمر ، قال : حدثنا أبو المغيرة قال : ناصفوان ابن عمرو ، قال : حدثني شُرَيْحُ بن عبيد ، قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقامت خافه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال : قلت : هذا والله شاعر ، كما قالت قريش ، فقرأ : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وما هو بَقَوْلِ شاعرٍ ، قليلاً ما تُؤْمِنُونَ﴾ قال : قلت : كاهنٌ عَالمٌ مافى نفسى ، فقال : ﴿ولا يَقُولُ كاهنٌ قليلاً ما نَدَّ كُرُونُ﴾ إلى آخر السورة (٢) قال : فوق الإسلام في قلبي كل موقع ، وقال عمر حين أسلم :

الحمد لله ذى العَمَنِ الذى وَجَّبتْ له علينا أياها ما لها غير
وقد بدأنا فكذباً ، فقال لنا صدق الحديث نبىُّ عندنا الخير
وقد ظلمتُ ابنةَ الخطابِ ثم هدى ربى عَشِيَّةً قالوا : قد صَبَأَ عمر
وقد نَدِمْتُ على ما كان من زَلَالٍ بظلمها حين تُتلى عندها السور

(١) رواه أحد ، ولعل الرواية التي ذكر فيها أنه سمع القرآن والرسول يصلى جوار الكعبة هي أقرب الروايات اتساقاً مع حال عمر .

لما دعت ربها ذا العرش جاهدة والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت أن الذي تدعوه خالقها فكاد تسبقني من عبدة درر
فقلت : أشهد أن الله خالقنا وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدق أتى بالحق من ثقة وافي الأمانة ما في عوده خور

رواه يونس عن ابن إسحاق . وذكر البزار في إسلام عمر أنه قال :
فلما أخذت الصحيفة ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، فجعلت أفكر : من
أى شيء اشتق ^(١) ، ثم قرأت فيها : ﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
[وهو العزيز الحكيم] ﴾ أول الحديد . وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت :
﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(٢) الحديد : ٧ . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن
محمدًا رسول الله .

من تفسير حديث إسلام عمر :

فصل : وفي حديث إسلام عمر : قال : ما هذه التَّيَمَّةُ ، والتَّيَمَّةُ : كلام
لا يفهم ، واسم الفاعل منه مُتَيَمِّمٌ ، كأنه تصغير ، وليس بتصغير ، ومثله المُبَيِّطِرُ ،
والمُتَيَمِّمِينَ ، والمُبَيِّقِرُ بالقاف ، وهو المهاجر من بلد إلى بلد ، والمُسَيِّطِرُ ، ولو
صغرت واحدا من هذه الأسماء لحذفت الياء الزائدة ، كما تحذف الألف من
مفاعل ، وتلحق ياء التصغير في موضعها ، فيعود اللفظ إلى ما كان ، فيقال في تصغير
مُتَيَمِّمٍ ومُبَيِّطِرٍ : مُتَيَمِّمٌ ومُبَيِّطِرٌ ، فإن قيل : فهلا قلتم : إنه لا يُصَغَّرُ ؛ إذ لا يُعْتَمَلُ

(١) في الأصل : في أي شيء . والتصويب من شرح المواهب ص ٢٧٤ ج ١

(٢) ولكن سورة الحديد مدنية . وقصة عمر مكية .

تصغيراً على لفظ التكبير ، وإلا فما الفرق ؟ فالجواب أنه قد يظهر الفرق بينهما في مواضع ، منها : الجمع ، فإنك تجمع مُبَيَّطراً : مَبَاطِرٌ بحذف الياء ، وإذا كان مُصَغَّراً لا يجمع إلا بالواو والنون ، فتقول : مُبَيَّطْرُونَ ، وذلك أن التصغير لا يكسر ؛ لأن تكسيه يؤدي إلى حذف الياء في الخماسي ؛ لأنها زائدة كالآلف ، فيذهب معنى التصغير ^(١) ، وأما الثلاثي المصغر فيؤدي تكسيه إلى تحريك ياء التصغير أو همزها ، وذلك أن يقال في فُلَيْسٍ فُلَائِسٌ ، فيذهب أيضاً معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التي هي دالة عليه ، ولو بَنَيْتَ اسمَ فاعلٍ من : بِيَأْسٌ لقلت فيه مُبَيَّئِسٌ ، ولو سهلت الهمزة حركت الياء فقلت فيه : مُبَيَّئِسٌ ، وتقول في تصغيره إذا صغرتَه : مُبَيَّئِسٌ بالإدغام ، كما تقول [في] أَيْبُوسٌ : أَيْبِسٌ ، ولا تنقل حركة الهمزة إلى الياء إذا سهلت ، كما تنقلها في اسم الفاعل من بِيَأْسٍ ونحوه ، إذا سهلت الهمزة ، وهذه مسألة من التصغير بدیعة يقوم على تصحيحها البرهان .

مول السهيم وهكذا :

فصل : وفي حديث إسلام عمر : فَتَنَّهُمُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) نقل الصبان في حاشيته على شرح الأشموني هذه الفقرة عن السهيلي هكذا : ولو كسر حذفت ياءه ؛ لأنه خماسي ثالثه زائد فيزول علم التصغير ، هذا وقد أنكر الأشموني تصغير هذه الأسماء التي ذكرها السهيلي وفي شرح الشافعية للرضي ، جرت عادتهم ألا يجمعوا المصغر إلا بجمع السلامة إما بالواو والنون أو بالآلف والياء ، قيل : وذلك لمضارعة التصغير للجمع الأقوى بزيادة حرف لين ثالثة ، ولا يجمع الجمع الأفتى إلا بجمع السلامة كالصرادين والصواحبات ، ص ٢٨١ ثم يقول : وإذا صغرت مبيطراً ومسيطراً كان التصغير بالفظ المكسر ، لأنك تحذف الياء كما تحذف النون في منطلق ، وتجيء بياء التصغير ، في مكانه ، ولو صغرتها تصغير الترقيم لقلت : بطير ، وسطير ، ص ٢٨٢ ج ١

أى نزره ، والنهيم : زجر الأسد ، والنهائم : الحداد والنهائم : طائر^(١) ، وفيه قول العاصي بن وائل قال : هكذا [خلوا] عن الرجل^(٢) ، وهى كلمة معناها : الأمر بالتعجى ، فليس يعمل فيها ما قبلها ، كما يعمل إذا قلت : اجلس هكذا ، أى : على هذه الحال ، وإن كان لا بد من عامل فيها إذا جعلتها للأمر ، لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا ، وها : تنبيه ، فيقدر العامل إذا مضى ، كأنك قلت : ارجعوا هكذا ، وتأخروا هكذا ، واستغنى بقولك : هكذا عن الفعل ، كما استغنى برؤيداً عن ارفق .

جميل بن ممر :

فصل : وذكر قول عمر لجميل بن ممر الجمحى : إني قد أسلمت ، وبايعت محمداً ، فصرخ جميل بأعلى صوته : ألا إن عمر قد صبا . جميل هذا هو الذى كان يقال له : ذو القليين^(٣) ، وفيه نزلت فى أحد الأقوال : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ الأحزاب . ٤٠ ، وفيه قيل .

(١) نهامى : بضم النون أو كسرهما وكسر الميم وتشديد الياء : صاحب الدير والطريق السهل ، وفتح النون وكسرهما حداد ونجار ، وفتحها وكسرهما من غير ياء فى الآخر : حداد ونجار ، ونهام بضم النون : طائر ، بوم ، راهب فى دير ، نهام بفتح النون وتشديد الهاء : أسد .

(٢) فى السيرة : هكذا خلوا عن الرجل وقد أضفتها عنها إلى الروض . ويجوز أن نجعل هكذا مع ما قبلها ، فيكون الكلام : . يسلمون لكم صاحبكم هكذا ، ثم يبدأ الكلام الآخر : خلوا عن الرجل .

(٣) فى الاشتقاق لابن دريد أنه وهب بن عمير وكان من أحفظ الناس ، وكانوا

وكيف نَوَاتِي بالمدينة بعدما قَضَى وَطَرًا منها جميلُ بن مَعْمَرٍ

وهو البيت الذي تغنى به عبد الرحمن بن عوف في منزله ، واستأذن عمر فسمعه ، وهو يتغنى ، وينشد بالركبانية ، وهو غناء يُحْدَى به الرِّكَّابُ ، فلما دخل عمر قال له عبد الرحمن : إنا إذا خلونا ، قلنا ما يقول الناس في بيوتهم ، وقلب المبرد هذا الحديث ، وجعل المنشد عُمر ، والمستأذن عبد الرحمن ، ورواه الزبير ^(١) كما تقدم ، وهو أعلم بهذا الشأن .

== يقولون له قلبان من حفظه : فَأَنْزَلَ الله عز وجل : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) . أما جميل فقال عنه في الاشتقاق : كان من أنم قريش لا يكتم شيئاً ، ص ١٣٠ ، وفي نسب قريش ورد كما قال السهيلي ، وأنه قيل له ذو القلبين لعقله ، وأنه شهد مع النبي حينئذ ، فقتل زهير بن الأغر الهذلي ص ٣٩٥ ، ولا نسب بينه وبين جميل صاحب بشيرة . وفي ابن كثير أنها نزلت في رجل من قريش ، يقال له : ذو القلبين ، وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر . فَأَنْزَلَ الله هذه الآية رداً عليه . هكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير ، بينما يروى أحمد في مسنده بسنده ، عن ابن أبي ظبيان أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس : أ رأيت قول الله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ما عني بذلك ؟ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يصلي فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصابون معه : ألا ترون له قلبين . قلباً معكم ، وقلباً معهم ، فَأَنْزَلَهَا الله ، وهكذا رواه الترمذي ، ثم قال : وهذا حديث حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وروى عبد الرزاق بسنده عن الزهري أنه بلغه أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل . يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك ، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد . . . أقول . وهذا أليق وأنسب ، فسياق الكلام في التبيين وزيد بن حارثة .

(١) الذي في نسب قريش لمصعب الزبيري أن عمر مر بابن عوف ورباح بن عمرو يغنيهم غناء الركبان : فقال عمر : ما هذا ؟ فقال عبد الرحمن : لا بأس تلهو ونقصر السفر عنا ، فقال لهم عمر رضي الله عنه : فعليكم إذا بشعر ضرار بن الخطاب ابن مرداس ص ٤٨ ؛

خبر الصحيفة

قال ابن إسحاق : فلما رأت قُرَيْشٌ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نزلوا بلدًا أصابوا به أَمْنًا وقرارًا ، وأن النجاشي قد منع مَنْ لجأ إليه منهم ، وأنَّ عمر قد أسلم ، فسكان هو وخمزة بن عبد المطلب مع رسولِ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه ، وجعل الإسلامُ يَفْشُو في القبائل ، اجتمعوا واثتمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بنى هاشم ، وبنى المطلب . على أن لا يُفَكِّحُوا إليهم ولا يُنْكِحُوهم ، ولا يبيعُوهم شيئًا ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علَّقوا الصحيفة في جَوْفِ السَّكْبَةِ توكيدًا على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصورُ بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ - قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث - فدعا عليه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَلَّ بعضُ أصابعه .

قال ابن إسحاق : فلما فملت ذلك قریش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شِعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم : أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قریش ، فظاهرهم .

موقف أبي لهب من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله : أنَّ أبا لهب لقي هند بنت عُتْبَةَ بن ربيعة ، حين فارق قومه ، وظاهر عليهم قریشا ، فقال : يا بنت عتبة ؛

هل نصرت اللات والعزى ، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت :
نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عُثْبَةَ .

قال ابن إسحاق : وحدثت أنه كان يقول في بعض ما يقول : يعدنى محمد
أشياء لأأراها ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فإذا وضع في يدى بعد ذلك ،
ثم ينفخ في يديه ويقول : تَبَّالِكُمَا ، ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد ، فأُنزل
الله تعالى فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾ .

قال ابن هشام : تبت : خسرت . والتباب : الخسران . قال حبيب بن
خُدْرة الخارجي : أهدى بنى هلال بن عامر بن صعصعة :
يا طيب إننا في مَعْشَرٍ ذهبَتْ مَسْعَاتُهُمْ فِي التَّبَارِ والتَّابِ
وهذا البيت في قصيدة له .

شعر أبي طالب

قال ابن إسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قُرَيْش ، وصنعوا فيه الذى
صنعوا ، قال أبو طالب :

ألا أبلغا عني على ذاتِ بَيْنِنَا	لَوْئِيَّا وَخُصًّا مِنْ لَوْئِيٍّ بَنِي كَعْبٍ
ألم تغلّوا أنا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا	نَبِيًّا كَوْسَى خُطِّ فِي أَوَّلِ السُّكُتِ
وأنّ عليه في العبادِ حَبَّةً	ولا خَيْرَ تَمَنَّ خَصَّهُ اللهُ بِالْحُبِّ
وأن الذى أُلصِقْتُمُ مِنْ كِتَابِكُمْ	لَكُمْ كَائِنَ نَحْسًا كَرَاغِيَةِ السَّقْبِ
أَفِيقُوا أَفِيقُوا ، قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى	وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذَى الذَّنْبِ
ولا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الوُشَاةِ ، وَتَقْطَعُوا	أَوْاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ

وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوَانًا ، وَرَبَّنَا أَمَرَ عَلَىٰ مِنْ ذَاقِهِ جَلْبُ الْحَرْبِ
فَلَسْنَا - وَرَبَّ الْبَيْتِ - نُسَلِّمُ أَحْمَدًا لَعَزَاءَ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلَا كَرْبِ
وَلَمَّا تَبَيَّنَ عَنَّا ، وَمِنْكُمْ سَوَالِفُ وَأَبْدٍ أَثَرَتْ بِالْقُتَّاسِيَّةِ الشَّهْبِ
بِمَعْتَرِكَ ضَمِيقٍ تَرَى كِمَاسَ الْقَنَا بِهِ وَالنَّسُورَ الطُّخْمَ ، يَغْكُفْنَ كَالشَّرْبِ
كَأَنَّ مُجَالَ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ وَمَعْمَعَةِ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةُ الْحَرْبِ
أَلَيْسَ أَبُوْنَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ وَأَوْصَىٰ بَنِيهِ بِالْأَعَانِ وَبِالضَّرْبِ
وَلَسْنَا نَمَلَّ الْحَرْبَ ، حَتَّى تَمَلَّنَا وَلَا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنْوِبُ مِنَ النَّكْبِ
وَالَكُنَّا أَهْلُ الْخِفَافِ وَالنَّهْيِ إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ السَّكَمَةِ مِنَ الرَّغْبِ

فَأَقَامُوا عَلَىٰ ذَلِكَ سَدَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى جُهِدُوا لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ ، إِلَّا سِرًّا
مُسْتَخْفِيًا بِهِ مَنْ أَرَادَ صِلَتَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ .

من جهالة أبي جهل

وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكرون - إني حَكِيم بن حِزَام بن
خُوَيْلِد بن أَسَد ، معه غلام يُحْمَلُ قِحًا يُرِيدُ بِهِ عَمَتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد ، وَهِيَ
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعَهُ فِي الشَّعْبِ ، فَتَعَاقَى بِهِ ، وَقَالَ :
أَتَذْهَبُ بِالطَّعَامِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ؟ وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ أَنْتِ وَطَعَامُكِ ، حَتَّى أَفْضَحَكَ
بِمَكَّةَ . فَنَجَّاهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هَاشِمٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ أَسَدَ [بْنُ عَبْدِ الْعَزَى] ،
فَقَالَ : مَا لَكَ وَلَهُ ؟ فَقَالَ : يُحْمَلُ الطَّعَامُ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ : طَعَامٌ
كَانَ لِعَمَّتِهِ عِنْدَهُ بَعِثْتُ إِلَيْهِ [فِيهِ] ، أَفَتَمْنَعُهُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِطَعَامِهَا ؟ ! خَلَّ سَبِيلَ الرَّجُلِ ،
فَأَبَى أَبُو جَهْلٌ ، حَتَّى نَالَ أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ ، فَأَخَذَ أَبُو الْبَخْتَرِيُّ لِحْيَ بَعِيرٍ ،
فَضْرَبَهُ بِهِ فَشَجَّهُ ، وَوُطِئَهُ وَطَأً شَدِيدًا ، وَحَمْرُةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَرِيبٌ يَرَى

ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ،
فبشتموا بهم ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً ،
وسراً وجهاراً ، منادياً بأمر الله لا يتقى فيه أحداً من الناس .

مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عه وقومه من بنى هاشم وبنى
المطلب دونه ، وحالوا بينهم ، وبين ما أرادوا من البطش به ، يهزونه ،
ويستفزئون به ، ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم ، وفيمن
نصب لعداوته منهم ، ومنهم من سى لنا .

أبو لهب وامراته

ومنهم من نزل فيه القرآن في عامّة من ذكر الله من الكفار ، فكان
من سى لنا من قريش من نزل فيه القرآن : عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامراته
أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الخطب ، وإمّا سماها الله تعالى حمالة
الخطب ؛ لأنها كانت - فيما بلغنى - تحمل الشوك ، فتطرحه على طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم - حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ
وَتَبَّتْ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ
الْخَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » .

قال ابن هشام : الجيد : العنق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

يَوْمَ تَبْدَى لَنَا قُتَيْلَةٌ عَنْ جَيْدٍ أُسَيْلٍ تَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ
وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : أجياد . والمسد : شجرٌ يَدِقُّ كما يَدِقُّ
السَّكَّتَانِ ، فتفتل منه حبال . قال النابغة الذبياني - واسمه : زياد بن عمرو
ابن معاوية :

مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسِ النَّخْضِ بَارِئُهَا لَهُ صَرِيْفٌ صَرِيْفُ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ
وهذا البيت في قصيدة له ، وواحدته : مَسَدَةٌ .

قال ابن إسحاق : فذُكر لي : أن أم جميل : حَمَّالَةَ الحُطْبِ ، حين سمعت
ما نزل فيها ، وفي زوجها من القرآن ، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهو جالس في المسجد عند السكبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها فِئْر
من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ، فقد بلغني
أنه يهجونى ؟ والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ،
ثم قالت :

مُذَمَّمَا عَصَيْنَا وَأُمْرَهُ أَبَيْنَا
وَدِينَهُ قَلَيْنَا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأيتك ؟ فقال :
مارأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عني .

قال ابن هشام : قولها : « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش إنما تسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
مُذَمَّمًا ، ثم يستثنونه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
ألا تعجبون إياي بصرف الله عني من أذى قريش ، يسبون ويهجون مذممًا ،
وأنا محمد !

إيذاء أمية بن خلف للرسول صلى الله عليه وسلم

وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، كان إذا رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم همزه وآمزه ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ
لُهمزة ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلَّا كَإِنِّيَبَذَنَّا
فِي الْخُطْمَةِ . وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفْتِدَةِ
إِنَّهَا عَلَيْنَاهُمْ مُؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ » .

قال ابن هشام : الهمزة : الذي يشتم الرجل علانية ، وَيَكْسِرُ عَيْنِيهِ
عليه ، وَيَغْمِزُ بِهِ . قال حسان بن ثابت :

هَمَزْتُكَ فَاخْتَضَعْتُ لَذْلَ نَفْسٍ بِقَافِيَةٍ تَأْجِجُ كَالشَّوَاظِ

وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : همزات . والهمزة : الذي يعيب الناس
سرًا ويؤذيهم . قال رؤبة بن العجاج :

فِي ظِلِّ عَصْرَى بَاطِلٍ وَأَمْرَى

وهذا البيت في أرجوزة له ، وجمعه : لمزات .

إيذاء العاص للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : والعاص بن وائل السهمي ، كان خباب بن الارت ، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتيلاً بمكة بعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً علمها له ، حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما لا يتغنى أهلها من ذهب ، أو فضة ، أو ثياب ، أو خدم ؟ قال خباب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خباب ، حتى أراجع إلى تلك الدار ، فأقضيك هنالك حقك ، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب آثر عند الله منى ، ولا أعظم حظاً في ذلك ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ، أَطْلَعَ الْغَيْبَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وَتَرَاهُ مَائِيحًا يَقُولُ وَبِآيَاتِنَا فَرْدًا ﴾ « هي وما قبلها من سورة مريم ٧٧ - ٨٠ » .

إيذاء أبي جهل للرسول صلى الله عليه وسلم

ولقى أبو جهل بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - فقال له : والله يا محمد ، لتتركن سب آلهتنا ، أو لدسن إلهك الذي تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الأنعام : ١٠٨ . فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

إيذاء النضر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلفة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا ، فدعا فيه إلى الله تعالى ، وتلا فيه القرآن ، وحذر قريشا ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه في مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رؤسهم الشديد ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثا مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين ، اكتبتها كما اكتبتها . فأنزل الله فيه : ﴿ وَقَالُوا : أساطير الأولين اكتبتها فبي تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل : أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ، إنه كان غفورا رحيما ﴾ الفرقان : ٥ ، ٦ . ونزل فيه : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ : أساطير الأولين ﴾ . ونزل فيه : ﴿ وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الجاثية : ٨ ، ٧ .

قال ابن هشام : الأفاك : الكذاب . وفي كتاب الله تعالى : « ألا إنهم من إفكهم ليقولون : ولد الله وإلههم لكاذبون ﴾ الصفات : ١٥١ ، ١٥٢ . وقال روبة :

لامرئ أفك قولا إفكا

وهذا البيت في أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما - فيما بلغني -

مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث ، حتى جلس معهم في المجلس ، وفي المجلس غير واحد من قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلّمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أخفه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كُنْ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ الأنبياء ٩٨ - ١٠٠ .

قال ابن هشام : حسب جهنم : كل ما أوقدت به . قال أبو ذؤيب الهذلي :
واسمه : خوبلد بن خالد .

فأظنني ، ولا توقد ، ولانك مخصباً

لنارِ العداة أن تطير سكانها

وهذا البيت في أبيات له . ويروي : « ولانك مخصباً » . قال الشاعر :

حضأت له ناري فأبصر ضوءها وما كان لولا حضأة النار يهتدي

ابن الزبيري والأخنس وما قيل فيهما

قال ابن إسحاق : ثم قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقبل عبد الله ابن الزبيري السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبيري : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حسب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبيري : أما والله .

لو وجدته نلصمته ، فسلوا محمدا : أكل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نَعْبُدُ الملائكة ، واليهودُ تعبدُ عزيرًا والقَصاري تعبد عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فعجب الوليد ، ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم . فذكر ذلك لرسول الله صلى عليه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ، وَهُمْ فِي مَا اشْتَمَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ الأنبياء : ١٠١ ، ١٠٢ . أى عيسى بن مريم ، وعزيرًا ، ومن عبدوا من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبدون من أهل الضلالة أرباباً من دون الله .

ونزل فيما يذكرهم ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَمْعَمُونَ ﴾ الأنبياء : ٢٦ : ٢٧ . إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ، فَلِلَّكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء : ٢٩ .

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يُعبد من دون الله ، وعجيب الوليد ، ومن حضره من حُجَّتِه وخصومته : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ الزخرف : ٥٧ . أى : يصدون عن أمرك بذلك من قولهم .

ثم ذكر عيسى بن مريم فقال : ﴿ إِن هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ، وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ الأنبياء : ٥٩ : ٦١ أى : ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : **فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** .

والأخس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بنى زهرة ، وكان من أشراف القوم ، ومن يُستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرد عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَلَا تَطْغَ كُلَّ حَلَّافٍ مَّيِّينٍ ، هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِزَيْمٍ ﴾ القلم : ١٠ ، ١١ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ زَيْمٍ ﴾ ، ولم يقل : زَيْمٍ لِعَيْبٍ فِي نَسَبِهِ : لأن الله لا يعيب أحدا بنسب ، ولكنه حقق بذلك نفعه ليعرف . والزَيْم : التعديد للقوم ، وقد قال الخطيب التميمي في الجاهلية : **زَيْمٌ تَدَاعَاهُ الرَّجَالُ زِيَادَةً** كما زيد في عرض الأديم الأكارع

ما قيل في الوليد بن المغيرة وأبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط

والوليد بن المغيرة ، قال : **أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَأُتْرِكَ وَأَنَا كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسِيدُهَا ، وَبِتْرَكَ أَبُو مَسْعُودٍ صَمْرُو بْنُ عُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ سَيِّدُ ثَقِيفٍ ، وَنَحْنُ عَظِيمَا الْقَرَيْتَيْنِ ؟** ! فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغني : ﴿ وَقَالُوا : لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف : ٣٠ . . . إلى قوله تعالى : **﴿ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾** .

وَأَبَىٰ بَنَ خَلْفَ بَنَ وَهَبَ بَنَ حُذَافَةَ بَنَ جُهَّحَ ، وَعُقْبَةَ بَنَ أَبِي مُعَيْطَ ،
وَكَانَا مُتَهَافِيَيْنِ ، حَسَنًا مَا بَيْنَهُمَا . فَكَانَ عُقْبَةُ قَدْ جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَمِعَ مِنْهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبِييَّ ، فَاتَى عُقْبَةَ ، فَقَالَ : أَلَمْ يَبْلُغْنِي
أَنَّكَ جَالَسْتَ مُحَمَّدًا ، وَسَمِعْتَ مِنْهُ ! ثُمَّ قَالَ : وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ أَنْ
أُكَلِّمَكَ - وَاسْتَغْلَظَ مِنَ الْبَيْنِ - إِنْ أَنْتَ جَلَسْتَ إِلَيْهِ ، أَوْ سَمِعْتَ مِنْهُ ، أَوْ لَمْ
تَأْتَهُ ، فَتَقْتُلْ فِي وَجْهِهِ . فَفَعَلَ مِنْ ذَلِكَ عَدُوَّ اللَّهِ عُقْبَةُ بَنَ أَبِي مُعَيْطَ لَعَنَهُ اللَّهُ .
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصِيُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي
أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾
الفرقان : ٢٧ - ٢٩ .

وَمَشَى أَبِيٌّ بَنَ خَلْفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِعَظَمٍ بِالِ
قَدْ ارْقَتْ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْتَ تَزْعُمُ أَنْ يَبِيعَ هَذَا بَعْدَ مَا أَرِمَ ، ثُمَّ فَتَنَهُ
بِيَدِهِ ، ثُمَّ نَفَخَهُ فِي الرِّيحِ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ ، أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، يَبِيعُهُ اللَّهُ وَإِيَّاكَ بَعْدَ مَا تَكُونَانِ
هَكَذَا ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ اللَّهُ النَّارَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَلَسِيَ خَلْقُهُ قَالَ : مَنْ يُنْجِي الْعِظَامَ ، وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ : يُنْجِيهَا
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ، فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ يس ٧٩ ، ٨٠ .

ما قيل في حق الذين اعترضوا الرسول في الطواف

واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالكعبة -
 فيما بانى - الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة ،
 وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل السهمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ،
 فقالوا : يا محمد ، هلم فلتعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فشاركنا نحن وأنت
 فى الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنّا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن
 كان ما نعبد خيرا مما تعبد ، كنّا قد أخذنا بحظك منه ، فأنزل الله تعالى
 فيهم : ﴿ قُلْ : يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ
 عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . أَسْكُمُ دِينُكُمْ ﴾ وَلِى دِينِ ﴿ الكافرون . أى : إن كنتم
 لا تعبدون إلا الله ، إلا أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم
 دينكم جميعا ، ولى دىنى .

ما قيل فى حق أبى جهل

وأبو جهل بن هشام - لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا بها
 لهم ، قل : يامعشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها
 محمد ؟ قولوا : لا ، قال : عجوة يثرب بالزبد ، والله لئن استمكنّا منها لفترقنّا
 ترقيا . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ، طَعَامُ الْإِثْمِ ،
 كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلَى الْحَمِيمِ ﴾ الجاثية : ٤٤ - ٤٦ . أى : ليس
 كما يقول .

قال ابن هشام : المهمل : كل شيء أذيقه ، من نحاس أو رصاص ، أو
هذا أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة .

وبلقنا عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال : كان عبد الله بن مسعود واليا
لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوما بفضة ، فأذيت ،
فجعلت تلون ألوانا ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ، قال : فأدخلوهم ،
فأدخلوا فقال : إن أدنى ما أنتم راءون شبها بالمهمل لهذا ، وقال الشاعر :

يَسْقِيهِ رَبِّي حَمِيمَ الْمُهْمَلِ يَجْرَعُهُ يَشْوِي الْوَجْوهَ فَهُوَ فِي بَطْنِهِ صَهْرُ

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي :

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يَمُتْ ففي النار يُسْقَى مُهْمَلُهَا وَصَدِيدُهَا
وهذا البيت في قصيدة له .

ويقال : إن المهمل : صديد الجسد .

بلغنا أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - لما حُضِر ، أمر بشوئين
كَيْسَيْنِ يُغْسَلَانِ ، فيكفن فيهما ، فقالت له عائشة : قد أغناك الله يا أبت
عنهما ، فاشتر كفنا ، فقال : إنما هي ساعة حتى يصير إلى المهمل . قال الشاعر :

شَابَ بِالمَاءِ مِنْهُ مُهْمَلًا كَرِيهَا ثُمَّ عَلَى التَّمَنُّونِ بَعْدَ النَّهَالِ

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ،
وَنُحِيقُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء : ٦٠

قصة ابن أم مكتوم

ووقف الوايد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وقد طمع في إسلامه ، فبينما هو في ذلك ، إذ مر به

ابن أم مكتوم الأعشى ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك منه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا ، وتركه ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ أى : إنما بعثتك بشيرا ونذيرا ، لم أخص بك أحدا دون أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ، ولا تصدّين به لمن لا يريدك .

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم ، أحد بنى عامر بن لؤى ، واسمه : عبدالله . ويقال : عمرو .

حديث الصحيفة التي كتبتها قریش

ذكر فيه قول أبي لهب ليديه : تَبَّالْكُمَا ، لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ، هذا الذى ذكره ابن إسحاق يشبهه أن يكون سببا لذكر الله سبحانه يديه ، حيث يقول : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ وأما قوله : وَتَبَّ ، فتفسيره ما جاء فى الصحيح من رواية مجاهد وسعيد ابن جبيرة عن ابن عباس ، قال : لما أنزل الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء : ٢١٤ خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أتى الصفا ، فصعد -

عليه ، فهتف : يَا صَبَاحًا ، فلما اجتمعوا إليه ، قال : أَرَأَيْتُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ؟ قالوا : مَا جَرَّ بِنَاعِلِيكَ كَذِبًا قَالَ : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فقال أبو لهب : تَبًّا لَكَ أَلْهَذَا جَمْعُنَا؟! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تَبَّتْ يُدَا أُمِّي لَهَبٍ ﴾ (١) ، وَقَدْ تَبَّ . هَكَذَا قَرَأَ مُجَاهِدٌ وَالْأَعْمَشُ ، وَهِيَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قِرَاءَةٌ مَأْخُوضَةٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، لِأَنَّ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَلْفَاظًا كَثِيرَةً تَعِينُ عَلَى التَّفْسِيرِ (٢) قَالَ مُجَاهِدٌ : لَوْ كُنْتُ

(١) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

(٢) يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ هَذَا الْمَصْحَفَ الَّذِي نَحْنُ مَعَهُ نَتَدَبَّرُهُ ، فِيهِ كُلُّ كَلَامِ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ نَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ . وَمَا يَرُودُ مِنْ مِثْلِ هَذَا . فَإِذَا أَنْ تَكُونُ رِوَايَةً سَاقِطَةً ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ ابْنِ مَسْعُودٍ تَعْلِيلًا مِنْهُ عَلَى بَعْضِ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . كَيْفَ نَحْكُمُ أَنْ مِثْلَهُ وَقَدْ تَبَّ ، كَانَتْ فِي الْمَصْحَفِ ثُمَّ رَفَعَتْ مِنْهُ ؟ أَوْ كَيْفَ نَحْكُمُ أَنْ آيَةً كَذِبًا كَانَتْ فِيهِ ، ثُمَّ حُذِفَتْ ؟ وَأَيْنَ نَحْنُ بِهَذَا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الْحَجَرُ : ٩ . كَيْفَ نَعْتَزُّ بِالْمُتَوَاتِرِ الْمَحْفُوظِ بِحِفْظِ اللَّهِ بِرِوَايَاتٍ سَاقِطَةٍ وَاهِيَةٍ مِمَّا كَانَ شَأْنُ رِوَايَاتِهَا ، وَشَأْنُ الْكِتَابِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا ؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَنْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَصْحَفَنَا هَذَا نَاقِصٌ مُبْتَوَّرٌ حُذِفَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ مَا حُذِفَا ؟ أَقْذَفُوا بِكُلِّ قَوْلٍ يَزْعُمُ هَذَا فِي جَعِيمٍ .

بَعْضُ مَا قِيلَ عَنِ الصَّحِيفَةِ :

قِيلَ : إِنَّمَا كَانَتْ فِي هَلَالِ الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ النَّبُوَّةِ ، وَرَدَّ هَذَا فِي ابْنِ سَعْدٍ وَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ : وَجَزَمَ بِهِ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ ، وَقِيلَ : سَنَةُ ثَمَانٍ وَكَانَ اجْتِمَاعُهُمْ بِخَيْفِ بَنِي كَسْنَانَةَ وَهُوَ الْمَحْصَبُ وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِ كَاتِبِ الصَّحِيفَةِ . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُمْ تَوَافَعُوا عَلَى هَذَا حَتَّى يَسْلُوكُوا رَسُولَ اللَّهِ ، ص ، لِلْقَلِيلِ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ الشَّعْبِ سِتِّينَ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَوْ ثَلَاثًا كَمَا ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقِبَةَ وَفِي نَسَبِ قُرَيْشٍ ص ٢٥٤ أَنَّ الَّذِي كَتَبَ الصَّحِيفَةَ عَامِرُ الشَّاعِرِ لَا مَنْصُورَ ابْنِهِ .

قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسئل ابن عباس ، ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سأله ، وكذلك زيادة قد في هذه الآية ، ففترت أنه خبر من الله تعالى ، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء ، كما قال تعالى : ﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْتَ يَوْمَ فَكُون ﴾ التوبة : ٣٠ ، أى : إنهم أهل أن يقال لهم هذا ، فتبت يدا أبى لهب ، ليس من باب : قاتلهم الله ، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله ، واليدان : آلة الكسب ، وأهله وماله مما كسب فقوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، تفسيره : قوله : ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ وولد الرجل من كسبه ، كما جاء في الحديث ، أى : خسرت يداه هذا الذى كسبت ، وقوله : وتب ، تفسيره . ﴿ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أى : قد خسر نفسه بدخوله النار ، وقول أبى لهب : تَبَّ السَّكَا ، ما أرى فيسكاً شيئاً ، يعنى : يديه : سبب لنزول تَبَّتْ يدا كما تقدم .

وقوله في الحديث الآخر : تَبَّ لَكَ يَا مُحَمَّد ، سبب لنزول قوله سبحانه : ﴿ وَتَبَّ ﴾ ^(١) فالكلمتان في التنزيل مبنيتان على السببين ، والآيتان بعدهما تفسير للتبيين . تَبَّاب يديه ، وتبَّابه هو في نفسه ، والتَّبَّبُ على وزن التَّخَفَّ

(١) وحدث عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال . أخبر رجل يقال له : ربيعة بن عباد من بنى الدليل ، وكان جاهلياً ، فأسلم ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم — في الجاهلية في سوق ذى النجاشة ، وهو يقول : (يا أيها الناس هلموا : لا إله إلا الله تفلحوا) والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضى الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب . تفرد به أحمد .

لأنه في معناه ، والتَّبَابُ كالهلاك والخسارِ وزناً ومعنى ، ولذلك قيل فيه :
تَبَّبٌ وَتَبَابٌ .

من تفسير شعر أبي طالب :

فصل : ذكر شعر أبي طالب :

ألا أبلغا عني على ذاتِ بيننا

قال قاسم بن ثابت : ذات بيننا ، وذات يده ، وما كان نحوه : صفةٌ
لحذوفٍ مؤنث ، كأنه يريد الحال التي هي ذات بينهم كما قال الله سبحانه :
(وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) الأنفال : ١ فكذلك إذا قلت : ذات يده .
يريد أمواله ، أو مكنتساته ، كما قال عليه السلام : « أرعاه على زوج في ذات
يده ^(١) » ، وكذلك إذا قلت : لقيته ذات يوم ، أي : لقاءً أو مرةً ذات يوم ،
فلما حُذِفَ الموصوف ، وبقيت الصفةُ صارت كالحال لا تتمم كن ، ولا تُرفع
في باب ما لم يُسمَّ فاعله ، كما ترفع الظروف المتمكنة ، وإنما هو كقولك : سير
عليه شديداً وطويلاً ، وقول الخنعمي - واسمه : أنس بن مالك [مدرك] : عزمت
على إقامة ذات صباح ، ليس هو عندي من هذا الباب ، وإن كان سيديويه قد
جعلها لغة لخنعم ، ولكنه على معنى إقامة يوم ، وكل يوم هو ذو صباح ، كما
تقول : ما كُنْني ذو شقة ، أي : متكلم ، وما مررت بذى نفس ، فلا يكون من

(١) هو جزء من حديث رواه الشيخان : « خير نساء ركن الإبل صالحو
نساء قريش أحناه على والد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده » .

باب : ذَاتَ مَرَّةٍ الَّذِي لَا يَتِمُّ كُنْ فِي ١١-كَلَامٍ ، وَقَدْ وَجَدْتُ فِي حَدِيثٍ قَلِيلَةٍ
بَنَتْ مَحْرَمَةً ، وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ وَقَعَ فِي مَسْنَدِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ : أَنَّ أُخْتَهَا قَالَتْ
لِبُعَايَا : إِنْ أُخْتِي تَرِيدُ الْمَسِيرَ مَعَ زَوْجِهَا حُرَيْثِ بْنِ حَسَّانَ ذَا صَبَاحٍ بَيْنَ سَمْعِ
الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا ، فَهَذَا يَكُونُ مِنْ بَابِ : ذَاتِ مَرَّةٍ ، وَذَاتُ يَوْمٍ ، غَيْرُ أَنَّهُ وَرَدَ
مَذْكَرًا ؛ لِأَنَّهُ تَشْتَغِلُ نَاءَ التَّائِيثِ مَعَ الصَّادِ ، وَتَوَالِي الْحَرَكَاتِ ، فَخَذَفُوهَا ، فَقَالُوا :
لَقِيتَهُ ذَا صَبَاحٍ ، وَهَذَا لَا يَتِمُّ كُنْ كَمَا لَا يَتِمُّ كُنْ : ذَاتُ يَوْمٍ وَذَاتُ حِينٍ ، وَلَا
يُضَافُ إِلَيْهِ مَصْدَرٌ ، وَلَا غَيْرُهُ . وَقَوْلُ الْخُثَمِيِّ : عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ
قَدْ أَضَافَ إِلَيْهِ ، فَكَيْفَ يُضِيفُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْصِبُهُ ، أَوْ كَيْفَ يَضَارِعُ الْحَالَ مَعَ
إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَيْهِ ؟ فَكَذَلِكَ خَفَضَهُ ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ نَظَائِرِهِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَبِيحِيَّةً
سَمِعَ خُثْعَمٌ يَقُولُونَ : سَرْتُ فِي ذَاتِ يَوْمٍ ، أَوْ سِيرَ عَلَيْهِ ذَاتُ يَوْمٍ بَرَفَعَ النَّاءُ ،
فَإِذَا يُدْعَى يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَقُولَ : لُغَةُ خُثْعَمٍ ، وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي تَقْدُمُ فَالْشَّاهِدُ لَهُ فِيهِ ،
وَمَا أَظُنُّ خُثْعَمًا ، وَلَا أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ يَحْزِنُ التَّمَكُّنَ فِي نَحْوِ هَذَا ، وَإِخْرَاجَهُ عَنْ
النَّصَبِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

لَا اتِي لِلتَّبَرُّةِ :

فصل : وفيه : وَلَا خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ .

وهو مشكل جداً لأن لا في باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا
مُتَوَاتِرًا تقول : لَا خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ فِي الدَّارِ ، وَلَا شَرًّا مِنْ فُلَانٍ ، وَإِنَّمَا
تَنْصَبُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ إِذَا كَانَ الْاسْمُ غَيْرَ مَوْصُولٍ بِمَا بَعْدَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
(لَا تَنْزِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) يُوسُفُ : ٩٢ لأن عليكم ليس من صلة :

التثريب ، لأنه في موضع الخبر ، وأشبهه ما يقال في بيت أبي طالب أن خيرا مخفف ، من خَيْرٍ كَهَيْنَ وَمَيَّتَ [من هَيْنَ وَمَيَّتَ] وفي التنزيل : ﴿ خَيْرَاتٍ حِسَانٍ ﴾ الرحمن : ٧٠ هو مخفف من خَيْرَات .

عود إلى شرح شعر أبي طالب :

وقوله : مَنَّ . من ، متعلقة بمحذوف ، كأنه قال : لا خَيْرَ أخيرِ مِّنْ خَصَّه الله ، وخَيْرَ وأخَيْرُ : لفظان من جنس واحد ، تحسن الحذف استغناء لتكرار اللفظ ، كما حسن : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ البقرة : ١٧٧ . و﴿ الْحُجَّ أَشْبَهُ مَعْلُومَاتٍ ﴾ البقرة : ١٩٧ لما في تكرار الكلمة مرتين من الثقل على اللسان ، وأغرب من هذا قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ ﴾ يونس : ١١ أى : لو عجله لهم إذا استعجلوا به استعجالاً مثل استعجالهم بالخير ، فحسن هذا الكلام لما في الكلام من ثقل التكرار ، وإذا حذفوا حرفاً واحداً لهذه العلة كقولهم : بَلَّغَتْ (١) بنو فلان ، وظَلَّتْ وأحشت فأحرى أن يحذفوا كلمة من حروف ، فهذا أصل مُطَرِّدٌ ، ويجوز فيه وجه آخر ، وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة ؛ لأن خَيْرًا من زيد إنما معناه : أخير من زيد ، وكذلك : شَرٌّ من فلان ، إنما أصله : أَشَرُّ على وزن أفعل ،

(١) في الأصل بياض بعد كلمة بلحرت ، ولكن في اللسان : د . وقولهم : بلحرت لبنى الحرث بن كعب من شواذ الإدغام ، لأن النون واللام قريباً المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام حذفوا النون . كما قالوا : مست ، وظلت ، بفتح الميم والطاء وسكون السين واللام ، كذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل بلعنبر ، وبلهجم ، فأما إذا لم تظهر اللام ، فلا يكون ذلك ، عادة حرث .

وحذفت الهمة تخفيفاً ، وأُفعل لا ينصرف ، فإذا انحذفت الهمة انصرف ونُونٌ ،
فإذا توهمتها غير ساقطة التفاناً إلى أصل الكلمة ، لم يبعد حذف التنوين على
هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر .

وقوله : بالقُساسِيَّةِ الشُّهْب ، يعنى : السيوف ، نسبها إلى قُساس ، وهو
معدن حديد لبنى أسد ، وقيل اسم للجبل الذى فيه المعدن : قال الراجز
يصف فأساً :

أحضر من معدنِ ذى قُساس كأنه فى الخَيْدِ ذى الأُضراس

يُرْمى به فى البلدِ الدَّهَّاسِ^(١)

وقال أبو عبيد فى القُساسِيَّةِ : لا أدرى إلى أى شىء نُسِبَ ، والذى
ذكرناه قاله المبرِّد ، وقوله : ذى قُساس كما حكى ، ذو زيد ، أى : صاحب هذا
الاسم ، وفى أقيالِ خَير : ذو كَلَّاع ، وذو عَمْرُو ، أضيف المسمّى إلى اسمه ،
كما قالوا : زيد بَطَّة ، أضافوه إلى لقبه^(٢)

(١) فى معجم ابن فارس : قساس ، بلد تنسب إليه السيوف القساسية ،
وفى المراسد : جبل لبنى نمير ، وقيل لبنى أسد ، وبالأصا دجبل لهم أيضاً فيه معدن
حديد تنسب السيوف القساسية إليه ، ويقال : إن قساس معدن الحديد بأرمينية ،
والدهاس : المكان السهل .

(٢) الأسماء المفردة تضاف إلى ألقابها ، وحينئذ تكون الألقاب معارف ،
وتتعرف بها الأسماء ، كما قيل : قيس فقة . وزيد بطة وسعيد كرز . ويجوز بفتح تاء فقة
وبطة وزاى كرز مادة قطن فى اللسان ، وانظر أيضاً مادة بططو كرز ، وذو الكلاع
الأكبر : يزيد بن النعمان . والاصغر : سميفع بن ناكور من نسل الأكبر .

وذكر فيه النسور الطخمة ، قيل : هي السود الروس ، قاله صاحب العين ،
وقال أيضاً : الطخمة سواد في مقدم الأنف .

وقوله : كراغية السَّقْبِ يريد ولد الناقة التي عقرها قُدار^(١) ، فرغا ولداً ،
فصاح بُرغائه كُلُّ شَيْءٍ له صوت ، فهلكت ثمود عند ذلك ، فضربت العرب
ذلك مثلاً في كل هلكة . كما قال علقمة [بن عبدة] :

رغا فوقهم سَقْبُ السماء فدا حصَّ بِشَكَّتِهِ لم يُسْتَلَبْ وسليبُ
وقال آخر :

(١) اسمه في القاموس : قدار بن سالف ، ويقال هو الذي عقر ناقة صالح ،
وهو أحيمر ثمود . وروى أحمد بسنده في مسنده عن عبد الله بن زمعة قال : خطب
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فذكر الناقة ، وذكر الذي عقرها ، فقال :
إذا تبعك أشقاها ، اتبعك لها رجل عارم عزيز منيع في رده طه مثل أبي زمعة .
ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير .

وبشؤم قدار ضرب المثل يقول الشاعر :

وكان أضرفيم من سبيل إذا وافي وأشأم من قدار
ويقال : قدار بن قديرة باسم أمه ، انظر الأمثال للميداني ، مثل رقم ٢٠٢١ -
وسمى الآلى ص ٨٤٥ ، وفي معلقة زهير عن الحرب :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كآحر عاد ، ثم ترضع فتظم

وأحر عاد هو قدار . والسقب : ولد الناقة عامة ، أو ساعة يولد ،
أو خاص بالذكر ، وفي ابن هشام ورد نسب أبي البخري : هـ ابن هشام بن الحارث
بن أسد ، فمسوبته من نسب قريش . هـ ابن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى .

أَعْمَرِي لَقَدْ لَاقَتْ سُلَيْمًا وَعَامِرًا
عَلَى جَانِبِ الثَّرَثَارِ رَاغِيَةَ الْبَيْكْرِ^(١)
ذَكَرَ أُمَّ جَمِيلَ وَالْمَسَدَ وَعَنْدَابَهَا:

فصل : وذكر أم جميل بنت حرب عمة معاوية ، وذكر أنها كانت تحمل الشوك ، وتطرّحه في طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله فيها : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْخَطْبِ ﴾ قال المؤلف : فلما كُنِّي عن ذلك الشوك بالخطب ، والخطبُ لا يكون إلا في حبل ، مِنْ نَمِّ جَمَلِ الحبل في عنقها ، ليقابل الجزاء الفعل .

وقوله : من مَسَد ، هو من مَسَدَتِ الحبل إذا أَحْكَمَتْ فَتَلَهُ ، إلا أنه قال : من مَسَدٍ ، ولم يقل : حبلٌ مَسَدٌ ولا تَمْسُدُ لمعنى لطيف ، ذكره بعض أهل التفسير ، قال : المسد يعبر به في العرف عن حبل الدلو ، وقد روى أنه يُصْنَعُ بها في النَّارِ ما يُصْنَعُ بالدلو ، تُرْفَعُ بالمسد في عنقها إلى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، ثم يُرمى بها إلى قعرها هكذا أبداً ، وقولهم : إن المسد هو حبل الدلو في العرف صحيحٌ فإنما لم نجد في كلام العرب إلا كذلك ، كقول [النابغة] الذُّبْيَانِي .

لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ^(٢)

- (١) الثرثار : هو في بركة نجد ، واد عظيم بالجزيرة .
(٢) البيت من شواهد سيبويه في الكتاب . والشاهد فيه نصب صريف ، الأخرى على المصدر المشبه به ، والعامل فيه فعل مضمر دل عليه قوله : وله صريف ، فكأنه قال : بازها يصرف صريفاً مثل صريف القعو ، ورفعها على البدل جائز .
وصف للناقة بالقوة والنشاط ، فيقول : كأنما قذفت باللحم قذفاً تراكمه عليها .

وقال الآخر وهو يستقي على إبله :

يَا مَسَدَ الْخُلُوصِ تَعَوِّذْ مِنِّي إِنَّ تَكَ لَدُنَا لَكَيْنًا فَإِنِّي
مَا شِئْتُ مِنْ أَشْمَطَ مُقْسَتَيْنِ^(١)

والنحوض : اللحم ، ودخيسه : ما تداخل منه وتراكب ، والبازل : سن تخرج عند بروز لها ، وذلك العام التاسع من سنها ، وعند ذلك تكمل قوتها . ويقال لها : بازل : والصريف : صوت أنيابها إذا حكّت بعضها ببعض نشاطاً أو لإعياء ، والقعو : ما تدور فيه البكرة إذا كان من خشب ، وجمعها قعي ، فإذا كان من حديد ، فهو خطاف ص ١٧٨ > ١ الكتاب لسبيويه ويدت علامة ص ١٧٣ أمالي .

(١) أنشده اللسان في مادتي مسد ، وقسن . وفي الأصل الحوض ، مكسين والتصويب من اللسان ، ومعجم ابن فارس الذي أنشد الأخيرتين في مادة قسن والمقسن : الصلب من الرجال . ويكون كبير السن ، والأشيط من خالط سواد شعره بياض . وبعد هذه :

تقمص كنفاء بحجل الشن مثل قاص الأحرار المستن

يقول : تعوذ مني ، فإنني أستقي بك كثيراً ، فتقطع إن تك لدنا ، أي : ناعما متثنيا ، فإنني مقسن . وهو الكهل الشديد الذي لم تنقص السنون منه شيئاً ، وروى : إن تك شبا ، أي : شاباً . وتقمص : ترتفع كنفاء بالحجل إذا جذبه ، والأحرار : البعير الذي يرفع يديه في سيره ، ثم يخطبهما الأرض ، والمستن الذي يمشي على وجهه ، وأراد بالشن : الدلو ص ٨٩ تهذيب لإصلاح المنطق لأبي زكريا يحيى بن علي بن الخطاب التبريزي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ . ط أولى وفي اللسان أيضاً :

المقسين : الشيخ القديم وكذلك البعير ، فإذا اشتقوا منها فعلا على مثل أفعال بتشديد اللام همزوا فقالوا : أقسان . وقيل المقسن الذي قد انتهى في سنه ، فليس به ضعف كبير . ولا قوة شباب وقيل : هو الذي في آخر شبابه وأول كبره ، وأقسان الشيء أشد

وقال آخر :

يَا رَبَّ غِبْسٍ لَا تُبَارِكْ فِي أَحَدٍ فِي قَائِمٍ مِنْهُمْ ، وَلَا فِيمَنْ قَعَدَ
غَيْرِ الْأُولَى شَدُّوا بِأَطْرَافِ الْمَسَدِ

أى : استقوا ، وقال آخر ، وهو يستقى :

وَمَسَدٍ أَمَرَ مِنْ أَبَانِقٍ لَيْسَ بِأَنْيَابٍ وَلَا حَقَائِقٍ (١)

يريد : جمع أَيْنُقْ ، وَأَيْنُقْ : جمع ناقة مقلوب ، وأصله : أَنْوَقْ ، فقلب ، وأبدلت
الواو ياء ؛ لأنها قد أبدلت ياء للكسرة ، إذا قالوا : نياق ، وقلبوه فرارا من
اجتماع همزتين لو قالوا : أَنْوَقْ عَلَى الْأَصْلِ ، يريد أن المسد من جلودها . وفي
الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في المدينة : قد حرمتها إلا
الْعَصْفُورَ قَتَبَ (٢) ، أَوْ مَسَدَ نَحَالَةٍ ، وَالْمَحَالَةَ : الْبَكْرَةَ . وفي حديث آخر :

(١) قبلهما .

إن سرك الإرواء غير سابق فاعمل بغرب مثل غرب طارق
أو فاعجل ، ويروى : غير سائق . وأمر : قتل . والرجز لعمارة
ابن طارق - أو عمار ، أو لعقبة الهجيمي ، والأنياب : جمع ناب ، وهى
الناقة الهرمة ، والحقائق جمع : حقة وهى التى دخلت فى السنة الرابعة ، يريد : هو
جلد ثنية أو رباعية ، أو سديس أو بازل .

(٢) القتب : جميع أداة السانية أو الساقية ، القتب : بفتح القاف والتاء
أو بكسر القاف وسكون التاء ، والعصفور : الحشيب الذى يشد به
رءوس الأفتاب .

أنه حرمها بريدًا في بريد إلا المِنْجَدَةُ أو مسد ، والمِنْجَدَةُ : عصا الراعى .
وقال أبو حنيفة في النبات : كلُّ مَسَدٍ رِشَاءٌ ، وأنشد :

وَبَكْرَةٌ وَمَحْوَرًا صَرَّارًا وَمَسَدًا مِنْ أَبْقٍ مُغَارًا
وَالْأَبْقُ : الْقَنْبُ ، وَالزُّبُرُ : السَّكَّانُ ، وأنشد أيضًا :
أَنْزَعُهَا تَمْطِيًا وَمَثًا بِالْمَسَدِ الْمَمْلُوثِ أَوْ يَرْمِيَا

فقد بان لك بهذا أن المَسَدَ جبل البئر ، وقد جاء في صفة جهنم - أعاذنا الله منها - أنها كَطَلَى البئر لها قَرْنَانِ ، والقَرْنَانِ من البئر : كاللِّدَاعَتَيْنِ لِلْبَكْرَةِ ، فقد بان لك بهذا كله ، ما ذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعاذنا الله من عذابه وأليم عقابه ، وبهذا تناسب الكلام ، وكثرت معانيه ، وتنزه عن أن يكون فيه حَسُوٌّ أو لغو - تعالى الله منزله ؛ فإنه كتاب عزيز .

وقول مجاهد : إنها السِّلْسِلَةُ التي ذَرَعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا لَا يَنْفِي مَا تَقْدَمُ ،
إِذْ يَحْوِزُ أَنْ يَرَبِّقَ^(١) فِي تِلْكَ السِّلْسِلَةِ أُمَّ جَمِيلٍ وَغَيْرَهَا ، فقد قال أبو الدرداء
لامرأته : يَا أُمَّ الدَّرَادِ إِنَّ لِلَّهِ سِلْسِلَةً تَقْلِي بِهَا مَرَاجِلُ جَهَنَّمَ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وقد نجاك الله من نصفها بالإيمان بالله ، فاجتهدى في النجاة
من النصف الآخر بالحض على طعام المساكين ، وكذلك قول مجاهد : إنها

(١) يربقه : يجعل رأسه في الرَبْقَةِ ، وهى العروة في جبل يشد به البهم ،
وفى الأصل : يربق ولم أهتد إلى ضبط البيت السابق

كانت تمشي بالتمائم لا ينفى حياء للشوك^(١) ، وهو في كلام العرب سائغ أيضا ،
فقد قال ابن الأست اقرش حين اختلفوا :

وُنُبِّئْتُكُمْ شَرْجَيْنِ^(٢) كل قبيلة لها زُمْل من بين مُدْكَ وحاطب

فالمُدْكَ الذي يذكي ناز العداوة ، والحاطب الذي يَنْمُ ويغري كالخيط
للنار ، ومن هذا المعنى ، وكأنه مُنْتَزَع منه قول النبي - صلى الله عليه وسلم :
« لا يدخل الجنة قَتَاتٌ »^(٣) والقَتَات هو الذي يجمع القَتَّ ، وهو ما يوقد به النار
من حشيش وحطب صفار .

عن الجيد والعنق :

وقوله : في جِيء - دها ، ولم يقل : في عنقها ، والمعروف أن يُذكر العنق
إذا ذُكر الغُل ، أو الصَّمْع ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾
يس : ٨ ويذكر الجيد إذا ذُكر الحُلِيُّ أو الحسن ، فإنما حَسُنْ هُنا ذكر الجيد
في حُكم البلاغة ؛ لأنها امرأة ، والنساء تحلى أجيادهن ، وأم جميل لاحِلِيَّ لها
في الآخرة إلا الحبل المجمعول في عنقها ، فلما أُفيم لها ذلك مقام الحلي ذكر
الجيد معه ، فتأمل ؛ فإنه معنى لطيف ، ألا ترى إلى قول الأعشى :

يَوْمَ تُبْدَى لَنَا قَتِيْلَةٌ عَن جِيْدٍ

(١) في الأصل : الشرك

(٢) الشرج : الضرب ، يقال : هما شرج واحد أى : ضرب واحد

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ، والقَتَات هو الزنم ، وقيل
هو الذى يتسمع على القوم ، وهم لا يعلمون ، ثم ينم .

ولم يقل : عن عنق ، وقول الآخر :
وأحسن من عقد المليحة جيدها

ولم يقل : عنقها ، ولو قاله لكان غثا من الكلام ، فإنما يحسن ذكر
الجيد حيث قلنا ، وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾
آل عمران : ٢١ أى لا بشرى لهم إلا ذلك ، وقول الشاعر [عمرو بن مقدى كَرَبَ :
[وَخَيْلٍ قَدْ دَلَّتْ لَهَا خَيْلٍ] تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ رَبُّ وَجِيعُ

أى : لا تحية لهم . كذلك قوله : فى جيدها حبل من مسد ، أى : ليس
ثمَّ جيدٌ يُحَلَّى ، إنما هو حبل المسد ، وانظر كيف قال : وامراته ، ولم يقل :
وزوجه ؛ لأنها ليست بزوجه فى الآخرة ، ولأن التزويج حلية شرعية ، وهو
من أمر الدين مجردا من هذه الصفة ، كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط ، فلم يقل :
زوج نوح ، وقد قال لآدم : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْبَقْرَةَ ﴾ : ٣٥ وقال لنبيه
عليه السلام : (قل لأزواجك) ، وقال : (وأزواجه أمهاتهم) ، إلا أن يكون
مساق الكلام فى ذكر الولادة والحمل ، ونحو ذلك ، فيكون حينئذ لفظ المرأة
لائقا بذلك الموطن ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ مريم : ٨ ، ٥
﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتَهُ فِي صَرَّةٍ ﴾ الذاريات : ٢٩ لأن الصفة التى هى الأنوثة هى
المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجا .

غلبوا فى الوصف بالحق

فصل : وأنشد شاهدا على الجيد قول الأعشى :

يَوْمَ تُبْدَى لَنَا قُتَيْلَةٌ عَنْ جِيدِ أُسَيْلٍ تَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ

وقوله : تزينه أى : تزیده حسنا ، وهذا من القصد فى الكلام ، وقد أبى

المُولَدُونَ إِلَّا الْغُلُو فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَأَنْ يَغْلِبُوهُ فَقَالَ فِي الْحِمَاسَةِ حَسِينُ بْنُ مُطَيْرٍ [الْأَسَدِيُّ] :

مُبَلَّلَةُ الْأَطْرَافِ زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيْنَتْهَا عَقُودُهَا
وَقَالَ خَالِدُ الْقَسْرِيِّ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ تَكُنْ الْخِلَافَةُ زَيْنَتَهُ ،
فَأَنْتَ زَيْنَتُهَا ، وَمَنْ تَكُنْ شَرَفَتُهُ ، فَأَنْتَ شَرَفُهَا ، وَأَنْتَ كَمَا قَالَ [مَالِكُ
ابْنِ أَسْمَاءَ] :

وَتَزِيدُنِ أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا إِنْ تَمَسَّيْهِ ، أَيْنَ مِثْلُكَ أَيْنَا
وَإِذَا الدُّرُزَانُ حُسْنُ وَجْهِهِ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَانَا
فَقَالَ عَمْرٌ : إِنْ صَاحِبُكُمْ أُعْطِيَ مَقُولًا ، وَلَمْ يُعْطَ مَقُولًا ، قَالَ الْمَوْلُفُ : وَإِنَّمَا
لَمْ يَحْسُنْ هَذَا مِنْ خَالِدٍ لِمَا قَصَدَ بِهِ التَّمْلِقَ ، وَإِلَّا فَقَدْ صَدَرَ مِثْلُ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ
الصَّدِّيقِ ، فَحُسْنٌ لِمَا عَصَدَهُ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالتَّحَرُّيِّ لِلْحَقِّ ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْمَلَقِ
وَالْخِلَابَةِ ، وَذَلِكَ حِينَ عَهْدَ إِلَى عُمَرَ بِالْخِلَافَةِ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ عَهْدَهُ مَخْتُومًا ، وَهُوَ
لَا يَعْرِفُ مَا فِيهِ ، فَلَمَّا عَرَفَ مَا فِيهِ رَجَعَ إِلَيْهِ حَزِينًا كَهَيْئَةِ التَّسْكَلِيِّ : يَقُولُ : حَمَلْتَنِي
عَبْنًا إِلَّا أَضْطَلَعُ بِهِ ، وَأُورِدْتَنِي مُورِدًا لَا أُدْرِي : كَيْفَ الصَّدَرُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ
الصَّدِيقُ : مَا آثَرْتُكَ بِهَا ، وَلَكِنِّي آثَرْتُهَا بِكَ ، وَمَا قَصَدْتَ مَسَاءَتِكَ ،
وَلَكِن رَجَوْتُ إِدْخَالَ السَّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِكَ ، وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الْخَطِيئَةَ قَوْلَهُ :
مَا آثَرْتُكَ بِهَا إِذْ قَدَّمْتُكَ لَهَا لَكِن لَأَنْفُسَهُمْ كَانَتْ بِهَا الْإِثْرُ^(١)

(١) أَنَشَدَهُ اللَّسَانُ وَقَالَ : وَكَأَنَّ الْإِثْرَ : جَمْعُ الْإِثْرَةِ ، وَهِيَ الْإِثْرَةُ .
وَفِي الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ الْخَطِيئَةِ : أَنَّ الْخَطِيئَةَ أَنَشَدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي مِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ
حِينَ شَفَعَ فِيهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَأَخْرَجَهُ عَمْرٌ مِنْ مَحْبَسِهِ وَمِنْهَا :
مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بَذَى مَرَحٍ زَغَبُ الْحَوَاصِلِ لَامَاءَ وَلَا شَجَرٍ

وقَدْ سَبَّكَ هَذَا الْمَعْنَى فِي النَّسِيبِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ الرَّومِيُّ ، فَقَالَ :
وَأَحْسَنُ مِنْ عِقْدِ الْمَلِيحَةِ جِيدُهَا وَأَحْسَنُ مِنْ سِرِّهَا أَلْمَتَجَرَّدُ
وَمَا هُوَ دُونَ الْغَلْوِ ، وَفَوْقَ التَّقْصِيرِ قَوْلُ الرَّضِيِّ :

حَلْيُهُ جَيْدُهُ ، لَا مَا يُقَلَّدُهُ وَكُحْلُهُ مَا بَعِينِيهِ مِنَ الْكَحْلِ
وَنَحْوُ مِنْهُ مَا أَنْشَدَهُ الثَّعَالِبِيُّ :

وَمَا الْحَلْيُ إِلَّا حِيلَةٌ مِنْ تَقْيِصَةٍ يُتَمَّمُ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الْحُسْنُ قَصُرَا
فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْجَمَالُ مَوْفِرَا فَحُسْبُكَ لَمْ يَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يُزَوَّرَا

وَسَمِعْتُ الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَرَبِيِّ يَقُولُ : حَجَّ أَبُو الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيُّ
الزَّاهِدُ ذَاتَ مَرَّةٍ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى السَّكْمَةِ ، وَرَأَى مَا عَلَيْهَا مِنَ الدِّيْبَاجِ
تَمَثَّلَ ، وَقَالَ :

مَا عُلِّقَ الْحُلْيُ عَلَى صَدْرِهَا إِلَّا لِمَا يُخَشَى مِنَ الْعَيْنِ
تَقُولُ وَالذُّرُّ عَلَى نَحْرِهَا : مَنْ عَاقَ الشَّيْنِ عَلَى الزَّيْنِ

وَبَيْتُ الْأَعَشَى الْمَتَقَدِّمِ بَعْدَهُ :

== وَقَبْلَ آيَاتِ الَّذِي رَوَاهُ السَّهْبِيُّ :

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْفَى إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشَرِ
وَرَوَابِئِهِ فِي الْإِغَانِي : كَانَتْ بِكَ الْإِثْرُ ، وَهِيَ أَدَقُّ . وَلِلْبَيْتِ رَوَايَةٌ أُخْرَى
مَا آثَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَمُوكَ لَهَا لَكِنْ بِهَا اسْتَأَثَرُوا إِذْ كَانَتْ الْإِثْرُ

وَشَتَّيْتِ كَالْأَفْحُوانِ جَلَاهُ الظَّلُّ فِيهِ عُذُوبَةٌ وَاتَّسَقُ
وَأُثِثَ جَنْثُ النَّبَاتِ تَرَوُّي ٥ لَعُوبٌ غَرِيرَةٌ مُفْتَقُ
رُؤْيُ طَفَلَةٍ الْأَنَامِلِ كَالدُّمِ يَمِي لَاعَانِسٌ وَلَا مِهْزَاقُ

الفهر :

وذكر قول أم جميل لأبي بكر : لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا
الفهر . المعروف في الفهر : التأنيث ، وتصغيره فَيَهْرَة ، ووقع ههنا مذكرا (١) .

(١) في المعجم الوسيط أنه يذكر ويؤنث ، وهو — كما في القاموس —
الحجر قدر ما يندق به الجوز ، أو ما يملأ الكف ، ويرى الخشنى في شرح السيرة أنه
يذكر ويؤنث ، واسم امرأة أبي لب : أروى . ويقول المصعب في نسب قرش أن
أبا لب كان يكنى بأسماء بنيه كلهم وهم عتبة ومعتب وعتيبة ، وكنى بأبي لب
لإشراق وجهه ، وكل أولاده من أم جميل التي يقول فيها الأحوص الشاعر
الأنصاري :

كل الجبال جبال الناس من شعر وحبلها وسط أهل النار من مسد
وقال ابن كثير : « وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده : فلهذا
تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم » . وعن مجاهد وعكرمة والحسن
وقتادة والثوري والسدي - واختاره ابن جرير - أنها كانت تمشي بالانميمة ، وقال
سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة . فقالت : لانفقها في عداوة محمد -
يعنى ، فأعقها الله منها جبلا في جديدها من مسد النار ، وقيل : لأنها كانت عوراء
وقد روى حديث بحيثها إلى رسول الله وأبي بكر وعدم رؤيتها للنبي « ص » ،
البرار بسنده عن ابن عباس ، وروى قريبا منه ابن أبي حاتم بسنده عن أسماء .
وقد تحقق ما أخبر به الله . فلم يؤمن أبو لب وامراته . وأبيات شعرها : مذكما
الخ ، مروة في كتب أخرى مختلفة الترتيب عما هنا وأخرج ابن أبي حاتم عن عثمان
وابن عمر قالوا : ما زلنا نسمع أن ويل لكل همزة نزلت في أبي بن خلف ،
وأخرج عن السدي أنها نزلت في الأخنس بن شريق ، وأخرج ابن جرير عن =

مول قولهم : مذمم ومديث خباب :

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا ترون إلى ما يدفع الله عني من أذى قريش ، يشتمون ويهجون مَذْمَمًا وأنا محمد ؟ ! » ، وأدخل النَّسَوِيُّ هذا الحديث في كتاب الطلاق في باب : « من طلق بكلام لا يشبه الطلاق ، فإنه غير لازم » وهو فقه حسن لقول النبي - صلى الله عليه وسلم : ألا ترون إلى ما يدفع الله عني ، فجعل أذاهم مصروفًا عنه ، لما سَبُّوا مَذْمَمًا ، ومَذْمَمًا لا يشبه أن يكون اسماله ، فكذلك إذا قال لها : كلّي واشربني ، وأراد به الطلاق لم يلزمه . وكان مصروفًا عنه ؛ لأن مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق .

فصل : وذكر حديث خَبَّاب^(١) مع العاصي بن وائل ، وما أنزل الله فيه من قوله : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾ وقد تقدم الكلام على : أَرَأَيْتَ ، وأنه لا يجوز أن يليها الاستفهام ، كما يلي : علمت ونحوها ، وهي ههنا : عاملة في الذي كفر ، وقد قدمنا من القول فيها ما يغني عن إعادته ههنا ، فليُنظر في سورة : اقرأ ، وحديث نزولها .

سر الزرائع :

فصل : وذكر قول أبي جهل لتسكفن عن سب آل هِشَامٍ أو لَنَسْبِئِنْ إِيَّاهُكَ ، فأنزل الله تعالى^(٢) ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ ﴾

= رجل من أهل الرقة أنها نزلت في جميل بن عامر الجهمي ، وقد روى ابن المنذر عن ابن إسحاق أنها في حق أمية كما في السيرة .

(١) حديث خباب أخرجه الشيخان والترمذي وأحمد .

(٢) نسب إلى علي بن أبي طالب أنه روى عن ابن عباس أن الذي اقترف =

عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ» «الأنعام : ١٠٨» الآية . وهذا الآية أصل عند المالكية في إثبات الذرائع ومراعاتها في البيوع وكثير من الأحكام ، وذلك أن سب آلهتهم كان من الدين ، فلما كان سببا إلى سبهم الباري - سبحانه - نهى عن سب آلهتهم ، فكذلك . يخاف منه الذريعة إلى الربا ، ينبغى الزجر عنه ، ومن الذرائع ما يقرب من الحرام ، ومنها ما يبعد فتقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك ، ولم يجعل الشافعي الذريعة إلى الحرام أصلا ، ولا كره شيئا من البيوع انتهى تُتَقَيُّ فيها الذريعة إلى الربا ، وقال : تهمة المسلم وسوء الظن به حرام ، ومن حجبتهم : قول عمر بن الخطاب : إنما الربا على من قصد الربا ، وقول النبي عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ^(١) » فيه أيضا متعلق لهم ، وقالوا : ونهيه تعالى عن سب آلهتهم ، لئلا يسب الله تعالى ليس من هذا الباب ؛ لأنه لا تهمة فيه مؤمن ولا تضيق عليه ، وكما تُتَقَيُّ الذريعة

== هذا إنما هم جماعة من المشركين لا أبو جهل وحده . وذكر عبد الرزاق أن المسلمين هم الذين كانوا يسبون أصنام الكفار . فيسب الكفار الله عدوا . والآية تفيد ذلك

(١) زعم البعض أن هذا الحديث متواتر . وهذا خطأ إذ لم يروه عن النبي . ص ، إلا عمر . ولم يروه عن عمر إلا علقمة ، ولم يروه عن علقمة إلا محمد ابن إبراهيم . ولم يروه عنه إلا يحيى بن سعيد الأنصاري ، وعنه انتشر . فقليل رواه عنه أكثر من مائتي راو . وقيل : سبعاثة . من أعيانهم : مالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم . وقد روى هذا الحديث البخاري وسلمه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد والدارقطني وابن حبان والبيهقي ، ولم يخرجهم مالك في الموطأ . ولكن ابن منده يزعم أن أكثر من صحابي رواه غير أنه اتفق على أنه لا يصح مسندا إلا من رواية عمر .

إلى تحليل ما حرم الله ، فكذلك ينبغي أن يُتقى تحريم ما أحل الله ، فكلما الطرفين ذميم ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، والربا معلوم ، فما ليس من الربا فهو من البيع ، والكلام في هذه المسألة للطائفتين ، والاحتجاج للفريقين يتسع مجاله ويصدنا عن مقصودنا من الكتاب^(١) .

(١) فصل الإمام ابن تيمية القول تفصيلا في هذه المسألة في كتابه القيم « إقامة الدليل على إبطال التحليل » المطبوع مع مجموعة فتاويه فقال : « إن الله سبحانه ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ، ونهى عنها .

والذريعة : ما كان وسيلة وطريقا إلى الشيء ، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم ، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة ؛ ولهذا قيل : الذريعة : الفعل الذي ظاهره أنه مباح ، وهو وسيلة إلى فعل المحرم ، أما إذا أفضت إلى فساد ليس هو فعلا كإفضاء شرب الخمر إلى السكر ، وإفضاء الزنا إلى اختلاط المياه . أو كان الشيء نفسه فسادا كالقتل والظلم فهذا ليس من هذا الباب ، فإننا نعلم أنما حرمت الأشياء لكونها في نفسها فسادا بحيث تكون ضررا لا منفعة فيه ، أو لكونها مفضية إلى فساد بحيث تكون هي في نفسها فيها منفعة ، وهي مفضية إلى ضرر أكثر منه ، فتحرم فإن كان ذلك الفساد فعل محظور سميت : ذريعة ، وإلا سميت سببا ومقتضيا ، ونحو ذلك من الأسماء المشهورة .

ثم هذه الذرائع إذا كانت تفضي إلى المحرم غالبا ، فإنه يحرمها مطلقا ، وكذلك إن كانت قد تفضي ، وقد لا تفضي ، لكن الطبع متقاض لإفضائها ، وأما إن كانت إنما تفضي أحيانا ، فإن لم يكن فيها مصلحة راجحة على هذا الإفضاء القليل ، وإلّا حرمها أيضاً ، ثم هذه الذرائع منها ما يفضي إلى المكروه بدون قصد فاعلها ، ومنها ما تكون إباحتها مفضية للتوصل بها إلى المحارم ، فهذا القسم الثاني يجامع الحيل بحيث قد يقترن به الاحتيال تارة ، وقد لا يقترن . كأن =

عن النضر بن الحارث ورسم :

فصل : حديث النضر بن الحارث ، وقال في نسبه : كَلْدَة بن علقمة وغيره من النُسَاب يقول : علقمة بن كَلْدَة^(١) ، وكذلك ألفتته في حاشية كتاب الشيخ
الحليل قد تكون بالذرائع ، وقد تكون بأسباب مباحة في الاصل ليست ذرائع ،
فصارت الانعام ثلاثة :

الاول : ما هو ذريعة . وهو مما يحتمل به كالجمع بين البيع والسلف ،
وكاشتراء البائع السلعة من مشتريها بأقل من الثمن تارة ، وبأكثر أخرى .
الثاني : ما هو ذريعة لا يحتمل بها كسب الاوثان . فانه ذريعة إلى سب الله
تعالى ، وكذلك سب الرجل والد غيره . فانه ذريعة إلى أن يسب والده ، وإن كان
هذان لا يقصدهما مؤمن .

الثالث : ما يحال به من المباحات في الاصل كبيع النصاب في أثناء الحول
فراراً من الزكاة ، وكإغلاء الثمن لإسقاط الشفعة .

والغرض هنا أن الذرائع حرمها الشارع ، وإن لم يقصد بها المحرم خشية
إفضاها إلى المحرم ، فاذا قصد بالشئ نفس المحرم كان أولى بالتحريم من الذرائع .
وللشريعة أسرار في سد الفساد ، وحسم مادة الشر لعلم الشارع بما جبلت عليه
النفوس ، وبما يخفى على الناس من خفى هداها الذي لا يزال يسرى فيها حتى
يقودها إلى الهلكة . فن تحذلق عل الشارع ، وانتهقد في بعض المحرمات أنه إنما
حرم لعله كذا ، وتلك العلة مقصودة . فستباح به هذا التأويل ، فهو ظلم لنفسه .
جهول بأمر ربه . وهو إن نجا من الكفر ، لم ينج غالباً من بدعة أو فسق
أو قلة فقه في الدين ، وعدم بصيرة . أما شواهد هذه القاعدة فأكثر من أن تحصر ،
فذكر منها ما حضر ، ثم أتى الإمام بثلاثين شاهداً أو دليلاً على هذا استغرقت
ست صفحات . فانظرهما في كتابه ص ٢٥٦ وما بعدها ح ٢ الفتاوى الكبرى لآي
العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني نشر دار
الكتب الحديثة .

(١) ورد نسبه هكذا في نسخة ريش في ص ٢٥٥ .

أبي بحر عن أبي الوليد ، وحديث النضر : أنه تعلم أخبار رستم واسبندياذ ، وكان يقول : اكتبتها كما اكتبها محمد ، ووقع في الأصل : اكتبها كما اكتبها محمد ، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد : اكتبها^(١) كما اكتبها ، ورسم الشيد^(٢) بالفارسية معناه : ذو الضياء ، والياء في الشيد والألف سواء ، ومنه « أرغشاذ » وقد تقدم شرحه ، ومنه « جم شاذ » ، وهو من أول ملوك « الأرض » ، وهو الذي قتله الضحاك « بيوراسب » ، ثم عاش إلى مدة « أفريزون وأبيه جم » ، وبين « أفريزون » وبين « جم » تسعة آباء ، وقال له حين قتله : ما قتلتك بجم ، وما أنت له بكفء ، واسكن قتلتك بثور كان في داره ، وقد تقدم طرف من أخبار رستم واسبندياذ في الجزء قبل هذا .

حديث ابن الزبيري وعزير :

وذكر حديث ابن الزبيري ، وقوله : إنا نعبد الملائكة ، وأن النصراني تعبد المسيح إلى آخر كلامه ، وما أنزل الله في ذلك من قوله تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ الآية قال المؤلف : ولو تأمل ابن الزبيري وغيره من كفار قريش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين :

(١) في السيرة التي معنى : رواية أبي الوليد .

(٢) في السيرة : الشديد . هذا ويذكر ابن جرير أن النبي « ص » قتل عقبة بن أبي معيط ، وطعمة بن عدى والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا ، وأن المقداد هو الذي أسر النضر ، فلما أمر الرسول بقتله ، قال المقداد : يا رسول الله أسيري ، فقال رسول الله « ص » ، إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول . هذا والمحض : ماتحرك به النار ، واحتضاً النار : ألهمها وسعرها .

أحدهما : أنه خطاب متوجه على الخصوص لقريش وعبداء الأصنام ، وقوله
إنا نعبد الملائكة حَيْدَةً ، وإنما وقع الكلام والمُحَاجَّة في اللَّاتِ والعُزَّى
وَهَبْل ، وغير ذلك من أصنامهم .

والثاني : أن لفظ التلاوة : ﴿إِنكُمْ وَمَاتَعْبُدُونَ﴾ ولم يقل : وَمَنْ تَعْبُدُونَ ،
فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعُزَيْر والملائكة وهم يعقلون ، والأصنامُ
لا تعقل ، ومن ثَمَّ جاءت الآية بلفظ : ما الواقعة على ما لا يعقل ، وإنما تقع ما
على ما يعقل ، وتعلم بقرينة من التعظيم والإيهام ، ولعلنا نشرحها ونبينها فيما بعد إن
قُدر لنا ذلك ، وسبب عبادة النصارى للمسيح معروف ، وأما عبادة اليهود
عُزَيْرًا ، وقولهم فيه : إنه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم ، وسببه فيما ذكر
عبد بن حميد الكششي ، أن التوراة لما اخْتَرَقَتْ أَيَّامَ بُحْتِ نَصْر^(١) ، وذهب
بذهابها دين اليهود ، فلما تاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدها أعظم الكرب ،
فبينما عزيز يبكي لفقد التوراة ، إذ مر بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعرها ،
فقال لها عزيز : من أنت ؟ قالت : أنا إيليا أم القرى أبكى على ولدى ، وأنت
تبكى على كتابك ، وقالت له : إذا كان غداً ، فأت هذا المكان ، فلما أن جاء
من الغد للساعة التي وعدته ، إذا هو بإنسان خارج من الأرض في يده كهيئة

(١) ضبط كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة بخت نصر فتح الباء وضم التاء .
 والمعروف المشهور ما ضبطه به ، يقول شهاب الدين أحمد الخفاجي في شفاء الغليل
عن بخت نصر إنه بضم الباء ، واسمه معرب مركب كحضر موت أو بعليك نص
عليه سيبويه . وهو عند ابن السيد معرب بوخت بمعنى : ابن ، ونصر : اسم صنم
وجد عنده ، وسمى به إذ لم يعرف له أب .

القارورة ، فيها نور ، فقال له : افتح فاك ، فألقاها في جوفه ، فسكتب عَزِيزُ
التوراة - كما أنزلها الله ، ثم قدر على التوراة بعد ما كانت دفنت أن ظهرت ،
فعرضت التوراة ، وما كان عَزِيزُ كَتَبَ ، فوجدوه سواء ، فمنها قالوا : إنه
ولدُ الله تعالى عن ذلك^(١).

مصحب جهنم :

وقوله حَصَبُ جهنم ، هو من باب الْقَبْضِ وَالنَّفْضِ^(٢) وَالْحَصَبُ يسكون
الصاد كالقَبْضِ وَالنَّفْضِ ، ومنه الحاصب في قوله سبحانه : ﴿ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ
حَاصِبًا ﴾ ويروى : حَصَبُ جهنم بضاد معجمة في شواذ القراءات ، وهو من
حَضَبَتِ النار^(٣) بمنزلة حَضَّأَتَهَا ، يقال : أَرَأَيْتُمَا وَأَنْقَبَتُمَا وَحَشَشْتُمَا وَأَذَّكَيْتُمَا
وفسر ابن إسحق قوله : يَصْدُونَ ، ومن قرأ : يَصِدُّونَ فمعناه : يعجبون^(٤).

(١) لا شك في أنها فرقة يهودية . فعزرا السكاهن اليهودى الأكبر هو الذى
عبث بالتوراة أيام الأسر ، ودس فيها مাদس بعد أن أحرقت ، وراح هو يملئها
من حفظه وهواه . وذلك بشهادة كبار مؤرخى الغرب مثل د . ول . ديورانت ،
(٢) يعنى أنه فعل د . بفتح الفاء والعين ، بمعنى مفعول ، فالنفض بمعنى منفوض
وحصب وقبض كذاك . يقول الأزهري : د . الحصب : الخطب الذى يلقى في تنور
أو في وقود . أما مادام غير مستعمل للسجور ، فلا يسمى حصباً

(٣) في اللسان : الحضب : الخطب في لغة اليمن ، وقيل : هو كل ما ألقى
في النار من حطب وغيره ، يهيجها به ، وحضب النار يحضها : رفعها . وقال الكسائي
حَضَبَتِ النار إذا خبت ، فألقيت عليها الخطب ، لتقد . والمحضب : المسعر ، وهو
عود تحرك به النار .

(٤) قراءة المصحف بكسر الصاد أى يصيحون فرحاً . وقرأ نافع وابن عامر
والكسائي بضم الصاد وهو من الصدود أى عن الحق ، وقيل : هما لغتان مثل
يعكف ويعكف بكسر عين الفعل وضما ، وقد أخرج حديث ابن الزبيرى =

ما نزل في الأخنس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في الأخنس بن شريق - واسمه : أبي من قوله تعالى : ﴿ عُنْتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ وقد قيل : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقد قيل : في الأسود بن عبد يغوث الزهري ، وقال ابن عباس : نزلت في رجل من قريش له زَمَتَانِ كَزَمَتَى الشاة . رواه البخاري بإسناده عنه ^(١) . وفي رواية أخرى أنه قال : الزنيم الذي زَمَتَانِ من الشر يعرف بها ، كما تعرف الشاة بزمتها ، وروى عن ابن عباس أيضا مثل ما قال ابن إسحق أن الزنيم المملوق بالقوم ، وليس منهم ، قال ذلك بن الأزرق الحروري ، وقال : أما سمعت قول

ابن مردويه . وعند ابن أبي حاتم أنها نزلت لما قال المشركون : فاملائكم وعزير عيسى يعبدون ، وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس في سبب نزول : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً ، أنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير ، وقد علمت قريش أن النصراني تعبد عيسى بن مريم : عليهما الصلاة والسلام . وما تقول في محمد - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا محمد . ألسنت تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا ، فإن كنت صادقا كان آلهتهم كما يقولون قال : فأنزل الله عز وجل : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً . الآية . ورواه ابن أبي حاتم مع اختلاف يسير . » (٦) رواه البخاري في باب التفسير : « له زمة مثل الشاة ، وأخرجه الحاكم بطريق أخرى نحوه

(٧) نسبة إلى حروراء موضع على ميلين من الكوفة . وكان أول اجتماع الخوارج به ، فنسبوا إليه ، منهم : عمران بن حطان وخلق كثير . وهذا النسب شاذ فإن الاسم الذي آخره همزة بعد ألف للتأنيث ، تقلب الهمزة فيه واوا ، وشذ عن القاعدة عدة أسماء منها : صنعاني وبهراني وروحاني ، وجلولي وحروري نسبة إلى صنعاء ، وبهراء قبيلة من قضاة ، وروحاء موضع قرب المدينة وجلولاء وحروراء وهما موضعان بالعراق ، وسياقي

حَسَّان : زَنِيم تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ^(١) الْبَيْت ، وَقَدْ أَنْشَدَ ابْنُ هِشَامٍ هَذَا الْبَيْتَ مُسْتَشْهِدًا بِهِ وَنَسَبَهُ لِلْخَطِيمِ الْقَمِيمِيِّ ، وَالْأَعْرَفُ أَنَّهُ لِحَسَّان ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢) ، وَأَمَّا الْعُقْلُ فَهُوَ الْغَالِيزُ الْجَانِي مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ ﴾ [إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ] الدُّخَانُ : ٤٧ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَنَا أَنْبَشُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ : كُلُّ عُقْلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمَاعٍ مَنَاعٍ »^(٣).

(١) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الزَّيْمُ الْمَمْلُوقُ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ مِنْهُمْ ، قَالَ الشَّاعِرُ : زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ مِنْ أَبَوِهِ . وَقَالَ حَسَّانُ : وَأَنْتَ زَنِيمٌ لِيَطُ فِي آلِ هَاشِمٍ . قَالَ : وَيُقَالُ لِلتَّيْسِ : زَنِيمٌ لَهُ زَنْمَتَانِ ص ٥٣٨ > ٨ فَتَحَ الْبَارِي . وَمَعْنَى حَدِيثِ الْبَخَّارِيِّ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ مَشْهُورًا بِالسُّوءِ كَثِيرَةً الشَّاةِ ذَاتِ الزَّيْمَةِ مِنْ بَيْنِ أَخَوَاتِهَا . وَبَقِيَّةُ بَيْتِ حَسَّانَ : « كَمَا نَبِطَ خَلْفُ الرَّائِبِ الْقَدَحِ الْفَرْدِ ، وَبَقِيَّةُ بَيْتِ : « زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ ، بَغْيُ الْإِمَامِ ذُو حَسَبٍ لَتِيمٍ .

(٢) رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ زَنِيمٌ : قَالَ : الدَّعَى الْفَاحِشُ اللَّتِيمُ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ ، الْبَيْت . وَيَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ قَوْلًا جَامِعًا ، « وَالْأَقْوَالُ فِي هَذَا — أَيْ فِي مَعْنَى زَنِيمٍ — كَثِيرَةٌ وَتَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَاهُ ، وَهُوَ أَنَّ الزَّيْمَ هُوَ الْمَشْهُورُ بِالشَّرِّ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ، وَغَالِبًا يَكُونُ دَعِيًّا وَلَذَنًا ، فَإِنَّهُ فِي الْغَالِبِ يَتَسَلَّطُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ ، مَا لَا يَتَسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهِ ، « وَالزَّيْمَةُ شَيْءٌ يَكُونُ لِلدَّعَى فِي آذَانِهَا كَالْفَرْطِ ، وَهِيَ أَيْضًا شَيْءٌ يَقْطَعُ مِنْ أُذُنِ الْغَيْرِ وَيَتْرَكَ مَعْلَقًا .

(٣) فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ وَكِيعٍ : « أَلَا أَنْبَشُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُقْلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ ، وَقَالَ وَكِيعٌ : « كُلُّ جَوَاطٍ جَعْظَرِي مُسْتَكْبِرٍ ، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَبَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ إِلَّا أَبَا دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَشُعْبَةَ ، كِلَاهُمَا عَنْ سَعِيدِ ابْنِ خَالِدٍ بِهِ ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ تَفَرَّدَ بِهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ « ص ، قَالَ عِنْدَ ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ : « كُلُّ جَعْظَرِي جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمَاعٍ مَنَاعٍ ، وَرَوَاهُ بِسَنَدٍ (٢ - ٢١ الرُّوسُ الْأَنْفُ ج ٣)

قل بأمرها الظفرون:

فصل : وذكر قولهم الذي أنزل الله فيه : ﴿ قل : يا أيها الكافرون ﴾ إلى آخرها فقال : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ أي : في الحال : ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ أي : في المستقبل ، وكذلك : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ فإن قيل : كيف يقول لهم : ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم قد قالوا : هلم فلنعبد ربك ، وتعبد ربنا ، كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا عليه ؟ فالجواب من وجهين :

آخر عن عبد الرحمن بن غنم : أن الرسول ﷺ ص ، قال عن العنل الزنيم : « الشديد الخلق المصحح الآكل الشراب الواجد للطعام والشراب ، الظلوم للناس رحيب الجوف ، الجعظري بفتح الجيم وسكون العين وفتح الظاء وكسر الراء وتشديد الياء : اللفظ الغليظ والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو : الضخم المختال والكثير الكلام والجلبة في الشر .

ويقول ابن كثير عما ذكر من سبب نزول : « ويوم بعض الظالم على يديه » : « وسواء أكان سبب نزولها في عقبة أو غيره فإنها عامة في كل ظالم ، فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، وبعض على يديه ، وهو قول جميل ، وقيل : إن العظيمين فيما جاء في السيرة من سبب نزول : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، لإنهما الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفي . وعن ابن عباس أنهم يعنون جبارا من جبابرة قريش . والقريتان هما : مكة والطائف . وجميل قول ابن كثير : « والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان ، وجميل منه أيضا أن يقول عن سبب نزول : « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه » ، هي عامة في كل من أنكر البعث واللام والالاف في الإنسان للجنس يعم كل منكر للبعث ، فقد اختلف في شأن سبب نزولها فابن أبي حاتم ينسب القصة إلى العاصي بن وائل ، وذكر ابن جرير من بين ما ذكر أنه عبد الله ابن أبي ، غير أن هذا منكر ؛ لأن ابن أبي مدني والآية مكية

أحدهما : أنه علم أنهم لا يفعلون ، فأخبر بما علم . الثاني : أنهم لو عبدوه على الوجه الذي قالوه ما كانت عبادة ، ولا يسمى عابداً لله من عبده سنة ، وعبد غيره أخرى ، فإن قيل : كيف قال : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ ولم يقل : من أعبد ، وقد قال أهل العربية : إن ما تقع على ما لا يعقل ، فكيف عُبِّدَ به عن البارئ تعالى ؟ فالجواب : أنا قد ذكرنا فيما قبل أن ما قد تقع على من يعقل بقرينة ، فهذا أو ان ذكرها ، وتلك القرينة : الإبهام والمبالغة في التعظيم والتفخيم ، وهى فى معنى الإبهام ^(١) لأن مَنْ جَلَّتْ عظمته ، حتى خرجت عن الحصر ، وعجزت الأفهام عن كُنْه ذاته ، وجب أن يقال فيه : هو ما هو كقول العرب : سُبْحَانَ مَا سَبَّح الرعدُ بحمده ، ومنه قوله : ﴿ والسماء وما بناها ﴾ ^(٢) فليس كونه عالماً مما يوجب له من التعظيم ما يوجب له أنه بنى السموات ، ودحا الأرض ، فكان المعنى : إن

(١) ما : اسم مبهم غاية الإبهام حتى إنها تقع على كل شيء . وتقع على ما ليس بشيء . فيجوز أن تقول : إن الله يعلم ما كان . وما لم يكن

(٢) وبقول ابن القيم عن هذا : لأن القسم تعظيم للمقسم به ، واستحقاقه للتعظيم من حيث ما أظهر هذا الخلق العظيم الذى هو السماء . ومن حيث سواها وزينها بحكته ، فاستحقق التعظيم . وثبت قدرته ، فلو قال : ومن بناها لم يكن فى اللفظ دليل على استحقاقه القسم من حيث اقتدر على بنائها ، ولسكان المعنى مقصوراً على ذاته ونفسه ، دون الإيحاء إلى أفعاله الدالة على عظمته المبيته عن حكته ، المفصحة باستحقاقه للتعظيم من خلاقته . وكذلك قولهم : سبحان ما يسبح الرعد بحمده ؛ لأن الرعد صوت عظيم من جرم عظيم ، والمسبح به لا محالة أعظم ، فاستحقاقه للتعظيم من حيث يستحقه العظيّمات من خلقه ، لا من حيث كان يعلم ، ولا تقل يعقل فى هذا الموضع .

شيئاً بناها أعظم ، أو ما أعظمه من شيء ! فلفظ ما في هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمته كأنما كان هذا الفاعل لهذا ، فما أعظمه ، وكذلك قوله تعالى في قصة آدم : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾ ^(١) ولم يقل : لمن خلقت ، وهو يعقل ، لأن السجود لم يجب له من حيث كان يعقل ، ولا من حيث كان لا يعقل ، ولكن من حيث أمروا بالسجود له ، فكأنما ما كان ذلك المخلوق ، فقد وجب عليهم ما أمروا به ، فن هاهنا حُسنَت ما في هذا الموضع ، لا من جهة التعظيم له ، ولكن من جهة ما يقتضيه الأمر من السجود له ، فكأنما من كان ، وأما قوله تعالى : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ فواقعة على ما لا يعقل ؛ لأنهم كانوا

(١) ويقول ابن القيم عن استعمال ما في الآية : وهذا كلام ورد في معرض التوبيخ والتبكيك للعين على امتناعه عن السجود ، ولم يستحق هذا التبكيك والتوبيخ حيث كان السجود لمن يعقل ، ولكن للمعصية والتكبر على ما لم يخلقه ؛ إذ لا ينبغي التكبر للمخلوق على مثله ، إنما التكبر للخالق وحده ، فكأنه يقول سبحانه : لم عصيتني وتكبرت على ما لم تخلق ، وخلقته أنا . وشرفته ، وأمرتك بالسجود له ؟ فهذا موضع ما ؛ لأن معناها أبلغ ولفظها أعم ، وهو في الحجة أوقع ، والاعذار والشبهة أقطع ، فلو قال : ما منعك أن تسجد لمن خلقت ، لكان استهزاء بجرده من توبيخ وتبكيك ، ولتوهم أنه وجب السجود لله من حيث كان يعقل . والعلة موجودة في ذاته وعينه ، وليس المراد كذلك ، وإنما المراد توبيخه وتبكيكه على ترك سجوده لما خلق الله وأمره بالسجود له ؛ ولهذا عدل عن اسم آدم العلم مع كونه أخمس ، وأتى بالاسم الموصول الدال على جهة التشريف المقتضية لإسجاده له وهو كونه خلقه بيديه ، وأنت لو وضعت مكان ما المظة من لما رأيت هذا المعنى المذكور في الصلة ، وأن ما جرى بها وصلة إلى ذكر الصلة . فلا معنى إذ للتعيين بالذكر ؛ إذ لو أريد التعيين لكان بالاسم العلم أولى وأحرى .

يعبدون الأصنام، وقوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ اقتضاها الإيهام، وتعظيم المعبود مع أن الحس منهم مانع لهم أن يعبدوا معبوده كائنًا ما كان، فحسنت ما في هذا الموضع لهذه الوجوه، فهذه القرائن يحسن وقوع ما على أولى العلم^(١) وبقيت نسكتة بدیعة يتعين التنبيه عايتها، وهو قوله تعالى: ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتم﴾ بلفظ الماضي، ثم قال: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ بلفظ المضارع في الآيتين جميعاً، إذا أخبر عن نفسه قال: ما أعبد، ولم يقل: ما عبدت، والنسكتة في ذلك أن ملأ فيها من الإيهام - وإن كانت خبرية - تعطى معنى الشرط، فكانه

(١) يعبر ابن القيم عن «ما» في قوله: «لا أعبد ما تعبدون» ما على بابها، لأنها رافعة على معبوده «ص»، على الإطلاق؛ لأن امتناعهم من عبادة الله ليس لذاته، بل كانوا يظنون أنهم يعبدون الله، ولكنهم كانوا جاهلين به، فقوله: «ولا أنتم عابدون ما أعبد» أي: لا أنتم تعبدون معبودي، ومعبوده هو «ص» كان عارفاً به دونهم، وهم جاهلون به... وقال بعضهم: إن ما هنا مصدرية لاموصولة. أي: لا تعبدون عبادتي، ويلزم من تنزيههم «لعلها تبرئته» بدليل ما سيأتي، عن عبادته. تنزيههم «لعلها كالسابقة» عن المعبود، لأن العبادة متعلقة به، وليس هذا بشيء؛ إذ المقصود براءته من معبوديهم وإعلامه أنهم بريئون من معبوده تعالى، فالمقصود: المعبود لا العبادة، ثم قال «وعندي وجه» وهو أن المقصود هنا ذكر المعبود الموصوف بكونه أهلاً للعبادة مستحقاً لها، فأتى بما الدالة على هذا المعنى، كأنه قيل: «ولا أنتم عابدون معبودي الموصوف بأنه المعبود الحق، ولو أتى بلفظة من لكانت إنما تدل على الذات فقط، ويكون ذكر الصلة تمريراً، لا أنه هو جهة العبادة، ففرق بين أن يكون كونه تعالى أهلاً لأن يعبد تعريف محض، أو وصف مقتض لعبادته... وهذا معنى قول محقق النجاة أن ما أتى لصفات من يعلم ص ١٣٣ > بدائع الفوائد لابن القيم وما بعدها. وقد ذكر وجوهاً أخرى عظيمة أيضاً

قال : مهما عبدتم شيئاً ، فإني لا أعبد ، والشرط يحول المستقبل إلى لفظ الماضي ، تقول : إذا قام زيد غداً فعلت كذا ، وإن خرج زيد غداً خرجت ، فما فيها راحة الشرط من أجل إيهامها ؛ فلذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضي ، ولا يدخل الشرط على فعل الحال ، ولذلك قال في أول السورة : ماتعون ؛ لأنه حال لأن راحة الشرط معدومة فيها مع الحال ، وكذلك راحة الشرط معدومة في قوله : عابدون ما أعبد ؛ لأنه - عليه السلام - يستحيل أن يتحول عن عبادة ربه ؛ لأنه معصوم ، فلم يستقم تقديره بهما ، كما استقام ذلك في حقهم ؛ لأنهم في قبضة الشيطان يقودهم بأهوائهم ؛ فجاز أن يعبدوا اليوم شيئاً ، ويعبدوا غداً غيره ، ولكن مهما عبدوا شيئاً ، فالرسول عليه السلام لا يعبد ؛ فلذلك قال : ولا أنتم عابدون ما أعبد في الحال وفي المال ، لما علم من عصمة الله له ، ولما علم الله من ثبته على توحيده ، فلا مدخل لمعنى الشرط في حقه عليه السلام ، وإذا لم يدخل الشرط في الكلام بقي الفعل المستقبل على لفظه ، كما تراه ، ونظير هذه المسألة قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ نُنَكِّلُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ اضطربوا في إعرابها وتقديرها لما كانت من بمعنى الذي ، وجاء بكان على لفظ الماضي ، وفهمها الزجاج ، فأشار إلى أن مَنْ فيها ظرفٌ من معنى الشرط ؛ ولذلك جاءت كان بلفظ الماضي بعده ، فصار معنى الكلام : من يكن صبياً ، فكيف يكلم ؟! لما أشارت إلى الصبي : أن كلموه ، ولو قالوا : كيف نكلم من هو في المهد الآن لكان الإنكار والتعجب مخصوصاً به ، فلما قالوا : كيف نكلم من كان ، صار الكلام أبلغ في الاحتجاج للعموم الداخل فيه . إلى هذا الفرض أشار أبو إسحاق ، وهو الذي أراد ، وإن لم يكن هذا لفظه ، فليس المقصود العبارات ،

وإنما المقصود تصحيح المعاني المتلقاة من الألفاظ والإشارات^(١).

الزقوم:

فصل : وذكر حديث أبي جهل حين ذكر شجرة الزقوم^(٢) يقال : إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش، وأن رجلاً أخبره أن أهل يثرب يقولون : **تَزَقَّمْتُ** : إذا أكلت التمر بالزبد ، فجعل يجهله اسم الزقوم من ذلك استهزاء ، وقيل : إن لهذا الاسم أصلاً في لغة اليمن ، وأن الزقوم عندهم كل ما يتقيأ منه . وذكر أبو حنيفة في النبات : أن شجرة باليمن يقال لها : الزقوم ، لا ورق لها وفروعها أشبه شيء برعوس الحيات ، فهي كريهة المنظر ، وفي تفسير ابن سلام

(١) أخذ ابن القيم ما قاله السهيلي وفصله بأسلوب أوضح في بدائع الفوائد . ثم قال : **« فإن قيل : وكيف يكون فيها الشرط ، وقد عمل فيها الفعل ، ولا جواب لها ، وهي موصولة ، فما أبعد الشرط منها ، قلنا : لم نقل : إنها شرط نفسها ، ولكن فيها رائحة منه ، وطرف من معناه لوقوعها على غير معين ، وإيهامها بـ في المعبودات وعمومها ، وأنت إذا ذقت معنى هذا الكلام وجدت معنى الشرط بادياً على صفحاته ، فإذا قلت لرجل ما تخالفه في كل ما يفعل : أنا لا أفعل ما تفعل . أأنت ترى معنى الشرط قائماً في كلامك وقصدك ، وأن روح هذا الكلام : مهما فعلت من شيء فإني لا أفعله . »** ثم قال : **« فإذا ثبت هذا فقد صحت الحكمة التي من أجلها جاء الفعل بلفظ الماضي من قوله : ولا أنا عابد ما عبدتم ، بخلاف قوله : (ولا أنتم عابدون ما أعبد)** لبعد ما فيها عن معنى الشرط تنبيهها من الله على عصمة نبيه أن يكون له معبود سواه . وأن ينتقل بـ في المعبودات تنقل الكافرين ، ص ١٣٦ ج ١ بدائع الفوائد . وقد استوفى القول في بدائع السورة العظيمة بأسلوب بديع رحمه الله

(٢) يقول ابن كثير : لا شك في دخوله — أي دخول أبي جهل — في هذه الآية ، ولكن ليست خاصة به .

والمأوردى أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم أعادنا الله منها ، وأن أهل النار ينحدرون إليها . قال ابن سلام : وهي تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر .

وقوله : الملعون في القرآن ، أى : الملعون آكلها^(١) ، وقيل : بل هو وصف لها كما يقال : يوم ملعون أى مشنوم .

حديث ابن أم مكتوم :

فصل : وذكر حديث ابن أم مكتوم ، وذكر اسمه ونسبه ، وأم مكتوم : اسمها : عائكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم^(٢) .

وذكر الرجل الذى كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الوليد ابن المغيرة ، وقد قيل : كان أمية بن خلف ، وفي حديث الموطأ : عظيم من

(١) ذكر البخارى وأحمد أنها شجرة الزقوم ، وقد زعم أعداء بنى أمية أن المقصود بالشجرة هم بنو أمية ، وأتوا بحديث قال عنه ابن كثير : وهو غريب ضعيف . وقد ذكر عنها فى القرآن ما هو قرن اللعنة : « إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم . طلعتها كأنه رءوس الشياطين ، الصفات ٦٤ ، ٦٥ (إن شجرة الزقوم طعام الإثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم) الدخان : ٤٣ — ٤٦ . . حسبنا أنها وصفت بأنها ملعونة لتؤمن بأنها ملعونة ، هي ومن ستكون هي طعامه .

(٢) فى نسب قريش عن أم مكتوم « تزوجها قيس بن زائدة بن الأصم ابن هدم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى فولدت له عمرا ، وهو الأعمى الذى ذكر الله تبارك وتعالى ، فقال : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى . . » فى الإصابة وجمهرة ابن حزم أنه كان ابن خال خديجة . انظر ص ٣٤٣ نسب قريش . وفى الجمهرة فى نسب أمه : عنكثة بن عائذ بن مخزوم وفى النسب : « عنكثة بن عامر ، انظر ص ١٦٢ جمهرة ابن حزم .

عظاء المشركين^(١) ، ولم يسمه ، وفي قوله سبحانه : ﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ من الفقه أن لا غيبة في ذكر الإنسان بما ظهر في خلقه من عمى أو عرج ، إلا أن يقصد به الازدراء ، فيلحق المائم به ؛ لأنه من أفعال الجاهلين ، قال الله تعالى : ﴿ اتَّخَذْنَا هُزُؤًا قَال : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ البقرة : ٦٧ . وفي ذكره إياه بالعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب ؛ لأنه قال : ﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ فذكر المجيء مع العمى ، وذلك ينبئ عن تجشّم كلفته ومن تجشّم القصد إليك على ضعفه ، فحقك الإقبال عليه ، لا الإعراض عنه ، فإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - معتوبا على توليه عن الأعمى ، فغيره أحق بالعتب ، مع أنه لم يكن آمن بعد ، ألا تراه يقول : ﴿ وما يذريك لعله يزكى ﴾ الآية . ولو كان قد صحَّ إيمانه ، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو أعرض لكان العتب أشد ، والله أعلم ، وكذلك لم يكن ليخبر عنه ، ويسميه بالاسم المشتق من العمى ، دون الاسم المشتق من الإيمان والإسلام ، لو كان دخل في الإيمان قبل ذلك والله أعلم ، وإنما دخل فيه بعد نزول الآية ، ويدل على ذلك قوله للنبي - صلى الله عليه وسلم : استدني يا محمد ولم يقل : استدني^(٢) يا رسول الله ، مع أن ظاهر الكلام يدل على أن الهاء في لعله يزكى عائدة على الأعمى ، لا على الكافر ؛ لأنه لم يتقدم له ذكر بعد ، ولعل

(١) وعند أبي يعلى أن الرجل هو أبي بن خلف ، وعنده في رواية أخرى هو وابن جرير : رجل من عظماء المشركين ، وكذا رواه الترمذى ومالك ، وذكر ابن جرير وابن أبي حاتم أنهم : عتبة بن ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب .
(٢) في ابن جرير والترمذى ومالك : أرشدني كما ذكر ابن كثير ، ولم يذكر =

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلامُ أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن ما كانوا يتحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو مستخفيا

فكان ممن قدم عليه مكة منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا ، ومن حبس عنه ، حتى فاته بدرٌ وغيره ، ومن مات بمكة . منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصي : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رُقِيَّة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، امرأته سُهَيْلَة بنت سُهَيْل .

ومن حلفائهم : عبدُ الله بن جَعْش بن رِثَاب .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان ، حليف لهم ، من قيس عيلان .

تعطى التَّزَكَّى والانتظار ، وأو كان إيمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد التَّرحى والانتظار للتَّزَكَّى ، والله أعلم .

== بعدما شيئاً . وفي رواية لابن جرير وابن أبي حاتم ، أن عبد الله جاء يستقرئ الرسول - ص ، آية من القرآن ، ويقول : رسول الله علني عما عليك الله . وقول السهيلي : أظهر ، فالقرآن يفيد أنه جاء في خشية يريد أن يزكي

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد
ابن أسد .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : مُصَنَّب بن عُمر بن هاشم بن عبد مناف
وسُوَيْب بن سعد بن حرملة .

ومن بنى عَبد بن قصى : طَلَيْب بن عُمر بن وهب بن أبي كبير بن عبد .
ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن
عبد بن الحارث بن زهرة ، والمقداد بن عمرو ، حليف لهم ، وعبد الله بن مسعود ،
حليف لهم .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله
ابن عمرو بن مخزوم ، معه امرأته : أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وشماس
ابن عثمان بن الشريد بن سويد بن هزيم بن عامر بن مخزوم . وسلمة ابن
هشام بن المغيرة ، حبسه عمه بمكة ، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق ، وعياش ،
ابن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل
ابن هشام ، والحارث بن هشام ، فرجما به إلى مكة ، فحبساه بها حتى مضى بدر
وأحد والخندق .

ومن حلفائهم : عمار بن ياسر ، يُشكّ فيه ، أكان خرج إلى الحبشة
أم لا ؟ ومُعَتَّب بن عوف بن عامر من خزاعة .

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بن مَظْعُون بن
حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وقُدَامة بن
مَظْعُون ، وعبد الله بن مَظْعُون .

ومن بنى سَنَم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : خُنَيْس بن حُذَافَة بن قَيْس بن عَدِيّ، وهشام بن العاص بن وائل، حُبَس بِمَكَّة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، حتى قدم بعدَ بَدْرٍ وأُحُدٍ والخندق .

ومن بنى عَدِيّ بن كَعْب : عامر بن رَبِيعَة، حليف لهم، معه امرأته: ليلي بنت أبي حَتْمَة بن حُذَافَة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤي : عبدُ الله بن تَحْرَمَة بن عبد العُزَيّ بن أبي قَيْس : وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو، وكان حبس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة، حتى كان يوم بَدْرٍ، فأنحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشهد معه بدرًا، وأبو سَبْرَة بن أبي رُحَم بن عبد العُزَيّ، معه امرأته : أم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو، والسكران بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته : سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قَيْس، مات بِمَكَّة قبل هجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، خلف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سَوْدَة بنت زَمْعَة :

ومن حلفائهم سعد بن خَوْلَة .

ومن بنى الحارث بن قَهْر : أبو عُبَيْدَة بن الجراح، وهو عامر بن عبد الله ابن الجراح، وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر بن أبي شَدَاد، وسُهَيْل بن بَيْضَاء، وهو سهيل بن وهب بن رَبِيعَة بن هِلَال، وعمرو بن أبي سَرَح بن رَبِيعَة ابن هلال « كنيته : أبو سعد كما في الإصابة » .

فجميع من قَدِمَ عليه مَكَّة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون

رجالاً، فكان مَنْ دخل منهم بجوارٍ ، فيمن سُمي لنا : عثمانُ بن مظعون بن حبيب الجمحي ، دخل بجوارٍ من الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، دخل بجوارٍ من أبي طالب بن عبد المطلب ، وكان خاله . وأُمُّ أبي سلمة : برة بنت عبد المطلب .

قصة ابن مظعون مع الوليد

قال ابن إسحاق : فأما عثمان بن مظعون ، فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف حدثني عن حدثه عن عثمان ، قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحابُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غدوى ورواحي آمتا بجوار رجلٍ من أهل الشرك - وأصحابي ، وأهل ديني يَلْقَوْنَ من البلاء والأذى في الله ما لا يُصِيبُنِي - لنقص كبير في نفسي ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وقت ذِمَّتكَ ، قد رددت إليك جوارك ، فقال له : لم يابن أخى ؟ لعله آذك أحدٌ من قومي ، قال : لا ، ولـكني أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجيرَ بغيره ؟ قال : فانطلق إلى المسجد ، فاردّد على جوارى علانيةً ، كما أجرتك لانيةً . قال : فانطلقا نخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يردّ على جوارى ، قال : صدق ، قد وجدته وفياً كريم الجوار ، ولكني قد أحبيتُ أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددتُ عليه جواره ،

ثم انصرف عثمان ، و آبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش يُنشدُهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال آبيد :

ألا كلَّ شيء ما خلا الله باطل

قال عثمان : صدقت ، قال :

وكلَّ نعيم لا محالة زائل

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . قال آبيد بن ربيعة : يا مَعْشَرَ قريش ، والله ما كان يؤدّي جليُسكم ، فتى حدّث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سَفِيه في سَفَهائه معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدنّ في نفسك من قوله ، فردّ عاياه عثمان حتى شَرى أمرُهما ، فقام إليه ذلك الرجل ، فلَطَمَ عينه ، فحَضَرها ، والوليدُ بن المُغيرة قريبٌ يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يا بن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنيّة ، لقد كنتَ في ذمة مَنِيعة . قال : يقول عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني لفي جوار من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس ، فقال له الوليد : هَلَمْ يا بن أخي ، إن شئت فمُدّ إلى جوارك ، فقال : لا .

أبو سلمة في جوار أبي طالب

قال ابن إسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد ، فحدثني أبي إسحاق ابن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة أنه حدّثه : أن أبا سلمة

لما استجار بأبي طالب ، مشى إليه رجال من بنى مخزوم ، فقالوا : يا أبا طالب ،
لقد منعت منّا ابن أخيك محمداً ، فمالك ولصاحبنا تمنعه منّا؟ قال : إنه استجار
بى ، وهو ابن أختى ، وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أختى ، فقام
أبو لهب ، فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون
تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهين عنه ، أو لنقومنّ معه
فى كل ما قام فيه ، حتى يبلغ ما أراد . قال : فقالوا : بل ننصرف عما تكره .
يا أبا عتبة ، وكان لهم ولياً وناصرأ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فأبقوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول مايقول ، ورجا أن
يقوم معه فى شأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أبو طالب يحرض
أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وإن امرأ أبو عتبة عمة لى روضة ما إن يسأم المظالم
أقول له - وأين منه نصيحتى أبا معتب ثبّت سوادك قائماً
فلا تقبلن الدهر ماعشت خطّة نسب بها ، إماً هبطت التواسم
وول سبيل العجز غيرك منهم فإنك لم تخلق على العجز لازماً
وحارب ، فإن الحرب نصف وماترى

أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما
وكيف ولم يجنّوا عليك عظمة ولم يخذلوك غانما ، أو مغارما
جزى الله عنأ عبد شمس ونوفلاً وتيما ونحزوما عقوقا ومائما
يتفرقهم من بعدود وألفة جماعتنا ، كيما ينالوا المحارما
كذبتم وبیت الله نبى محمداً ولما ترؤا يوماً لدى الشعب قائماً

قال ابن هشام: نبزى: نساب. قال ابن هشام: وبقي منها بيت تركناه.

أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- كما حدثني: محمد بن مسلم الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنهما، حين ضاقت عليه مكة، وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الهجرة، فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة وما أويومين، لقيه ابن الدغنة، أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش.

قال ابن إسحاق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهُون ابن خزيمة بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة.

قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً، فسموا الأحابيش للحباف. ويقال: ابن الدغينة.

قال ابن إسحاق: حدثني الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: فقال ابن الدغنة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني، وضيقوا علي، قال: ولم؟ فوالله إنك كثرين العشرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف وتكسب الممدوم، أرجع، وأنت في جوارى، فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إني قد أجرت ابن أبي قحافة،

فلا يعرضنَّ له أحدٌ إلا بخير . قالت : فكفوا عنه .

قالت : وكان لأبي بكر مَسْجِدٌ عند باب داره في بني جُمَح ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً ، إذا قرأ القرآن استبكي . قالت : فيقف عليه الصبيان والمبديد والنساء ، يعجبون لما يَرَوْنَ من هَيْئته . قالت : فمَشَى رجالٌ من قريش إلى ابن الدُّغْنَةِ ، فقالوا له : يا ابن الدُّغْنَةِ ، إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ، لِيُوْذِنَا ! إنه رجل إذا صلى ، وقرأ ماجاء به محمدٌ يرق ويبيكي ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضَعَفَتْنَا أَنْ يَفْتِنَهُمْ ، فَأَتَاهُ فُمره أن يدخل بيته ، فَلَمَّا صَنَعَ فيه ما شاء . قالت : فمَشَى ابن الدُّغْنَةِ إليه ، فقال له : يا أبا بكر ، إني لم أُجِرْكَ لَتُوْذِي قومَكَ ، إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه ، وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتَكَ ، فاصنع فيه ما أحببت ، قال : أو أردَ عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال : فاردد على جِواري ، قال : قدردته عليك . قالت : فقام ابن الدُّغْنَةِ ، فقال : يا معشر قريش ، إنَّ ابنَ أبي خُفَافَة قد ردَّ عليَّ جِواري ، فشأنكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد قال : لَقِيَهُ سَفِيه من سُفْهَاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحَثَّ على رأسه تَرَاباً . قال : فَرَّ بأبي بكر الوليد بن المُغِيرَةِ ، أو العاص بن وائل . قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفِيه ؟ قال : أنت فعلتَ ذلك بنفسك . قال : وهو يقول : أي ربَّ ، ما أحلَمَكَ ! أي ربَّ ، ما أحلَمَكَ ! أي ربَّ ، ما أحلَمَكَ !

حديث نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق : وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تسكّنت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفر من قريش ، ولم يُبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخى نضلة ابن هاشم بن عبد مناف لأمه ، فكان هشام لبني هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف في قومه فكان - فيما بلغني - يأتي بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً ، قد أوقره طعاماً ، حتى إذا أقبل به فَمَ الشعب ، خلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه ، فدخل الشعب عليهم ، ثم يأتي به قد أوقره برّاً ، فيفعل به مثل ذلك .

قال ابن إسحاق : ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وكانت أمه : عائكة بنت عبد المطلب - فقال : يا زهير ، أقد رَضِيتَ أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا يَنكحون ، ولا يَنكح إليهم ؟ أما إني أخلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبداً ، قال : ويحك يا هشام ! فإذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر ،

لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا حَتَّى أَنْقَضَهَا ، قَالَ : قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا قَالَ : فَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
أَنَا ، قَالَ لَهُ زَهِيرٌ : أَبْغَيْنَا رَجُلًا ثَالِثًا .

فَذَهَبَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدَى ، فَقَالَ لَهُ : يَا مُطْعِمُ أَقْدَرَضَيْتَ أَنْ يَهْلِكَ
بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ ، مُوَافِقٌ لِقَرِيشٍ فِيهِ ؟
أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أُمْسَكْتُمُوهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدُنَّهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ سَرَاعًا ، قَالَ : وَيْحَكَ ؟
فَإِذَا أَصْنَعُ ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، قَالَ : قَدْ وَجَدْتُ ثَانِيًا ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
أَنَا ، قَالَ : أَبْغَيْنَا ثَالِثًا ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : زَهِيرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ،
قَالَ : أَبْغَيْنَا رَابِعًا .

فَذَهَبَ إِلَى أَبِي الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ ، فَقَالَ لَهُ نَحْوُ مَا قَالَ لِمُطْعِمِ بْنِ عَدَى ،
فَقَالَ : وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يَبِينُ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : زَهِيرُ
ابْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدَى ، وَأَنَا مَعَكُمْ ، قَالَ : أَبْغَيْنَا خَامِسًا .

فَذَهَبَ إِلَى زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ ، فَكَلَّمَهُ ، وَذَكَرَ لَهُ
قِرَابَتَهُمْ وَحَقَّهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : وَهَلْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ سَمَى لَهُ الْقَوْمَ .

فَاتَّعَدُوا حَطَمَ الْحَجُّونَ لَيْلًا بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَاجْتَمَعُوا هُنَاكَ ، فَاجْتَمَعُوا أَسْرَمَ
وَتَعَاقدُوا عَلَى الْقِيَامِ فِي الصَّحْفَةِ ، حَتَّى يَنْقَضُوا ، وَقَالَ زَهِيرٌ : أَنَا أَبْدُوُكُمْ
فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى أُنْدِيَتِهِمْ ، وَغَدَا زُهَيْرُ بْنُ
أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ

مكة ، أنا كلُّ الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكي لا يُباع ولا يُبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظَّالمة .

قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد : كذبتَ والله لا تُشقَّ ، قال زَمْعَةُ بن الأسود : أنت والله أكذبُ ، مارَضِينَا كتابها حيثُ كُتِبَتْ ، قال أبو البَخْتَرِي : صدَقَ زَمْعَةُ ، لا نرضى ما كُتِبَ فيها ، ولا نُقرُّ به ، قال المطعم بن عديٍّ : صدَقْتُمَا ، وكذبَ مَنْ قال غيرَ ذلك ، نَبَرْنَا إلى الله منها ، ومما كُتِبَ فيها ، قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قُضِيَ بليلى ، تُشَوُّور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد ، فقام المُطعم إلى الصحيفة ليشقَّها ، فوجد الأَرْضَةَ قد أكلتها ، إلَّا : « باسمك اللَّهُمَّ » .

وكان كاتب الصحيفة مَنصور بن عِكرمة . فشأت يدهُ فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكّر بعضُ أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأبي طالب : يا عمّ ، إن ربِّي الله قد سلَّط الأَرْضَةَ على صحيفة قريش ، فلم تدعَ فيها اسماً هو الله إلَّا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلمَ والقطيعةَ والبُهتانَ فقال : أربُّك أخبرك به - ماذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحدٌ ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلمَّ صحيفةكم ، فإن كان كما قال ابن أخى ، فانتهموا عن قطيعتنا ، وانزلوا عمّا فيها ، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخى ، فقال القوم : رضينا ، فتماقّدوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هى كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم

ذلك شراً . فعمد ذلك صنع الرّهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها . قال أبو طالب ،
فما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم :

ألا هل أنى بحرينا صنم ربنا	على تأييمهم والله بالناس أروؤ
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت	وأن كل ما لم يرضه الله مُفسد
تراوحها إفك ، وسجر مُجمع	ولم يلف سجر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر	فطاروها في رأسها يتردد
وكانت كفاء رقعة بأثيمة	ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظن أهل المسكتين ، فيهربوا	فرائصهم من خشية الشر ترعد
ويترك حرثا يقلب أمره	أيتهم فيهم عند ذاك وينجد
وتصعد بين الأخشبين كتيبة	لها حُدج سنهم وقوس وميرهد
فمن ينش من حصار مكة عزه	فعرتنا في بطن مكة أتلد
نشأنا بها ، والناس فيها قلائل	فلم تنفكك زداد خيراً ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم	إذا جعلت أيدي المفيضين ترعد
جزى الله رهطاً بالحبون تبايعوا	على ملا يهذى لحزم ويرشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم	مقاولة ، بل هم أعز وأجد
أعان عليها كل صقر كأنه	إذا ما مشى في رفرع الدرع أحرذ
جري على جلى الخطوب ، كأنه	شهاب بكفى قابس يتوقد

من الأكرمين من لؤي بن غالب إذا سيم خسفا وجهه يتردد
طويل النجاد خارج نصف ساقه على وجهه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد ، سيد وابن سيد يحض على مقرى الضيوف ، ويخسد
ويبنى لأبناء العشرة صالحا إذا نحن طفنا فى البلاد ، ويمهد
ألط بهذا الصلح كل مبرأ عظيم اللواء أمره ثم يحمد
قضوا ما قضوا فى ليلهم ، ثم أصبحوا على مهل ، وسائر الناس رقد
ثم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا وسر أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الأفوام فى جل أمرنا وكنا قديما لا نقر ظلامه
وكنا قديما لا نقر ظلامه فها لتقى هل لسكرم فى نفوسكم
فانى وإياكم كما قال قائل ولدىك البيان لو تكلمت أسود

وقال حسان بن ثابت يبكى المطعم بن عدى حين مات ، ويذكر قيامه
فى نقض الصحيفة :

أبا عين فابكى سيد القوم واسفحى بدمع ، وإن أنزفته فاسكبى الدما
وبكى عظيم المشعرين كليهما على الناس معروفا له ماتكأما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا من الناس أبقى مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم ، فأصبحوا عبيدك ، مالئ مهل وأخرما
فلو سئلت عنه معة بأمرها وقحطان ، أو باقى بقية جرهما

لَقَالُوا : هُوَ الْمَوْفَى بِخُفْرَةِ جَارِهِ وَذَمَّتْهُ يَوْمَا إِذَا مَا تَدَمَّما
فَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ عَلَى مِثْلِهِ فِيهِمْ أَعَزَّ وَأَعْظَمًا
وَأَبَى إِذَا يَأْبَى وَالْبَيْنَ شَيْمَةً وَأَنُومَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : وأما قوله : « جرت رسول الله منهم » ، فإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يُجيبوه إلى مادعاهم
إليه ، من تصديقه ونصرته ، صار إلى حرّاء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ،
ليُجيره ، فقال : أنا حليفٌ ، والحليف لا يُجير ، فبعث إلى سهيل بن عمرو ،
فقال : إن بني عامر لا يُجير على بني كعب . فبعث إلى المطعم بن عدي ، فأجابه
إلى ذلك ، ثم تسلح المطعم وأهل بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ادخل ، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فطاف بالبيت ، وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله ، فذلك الذي يعنى حسانُ
ابن ثابت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا : يمدح هشام بن عمرو لقيامه
في الصحيفة :

هَلْ يُوفِينَ بَنُو أُمَيَّةٍ ذِمَّةً عَقْدًا كَمَا أَوفَى جَوَارُ هِشَامٍ
مِنْ مَمَشَرٍ لَا يَغْدِرُونَ بِجَارِهِمُ لَلْحَارِثِ بْنِ حُبَيْبٍ بَنِ سَخَّامٍ
وَإِذَا بَنُو حِثْلٍ أَجَارُوا ذِمَّةً أَوْفَوْا وَأَدَّوْا جَارَهُمُ بِسَلَامٍ

وكان هشام أخا سُخَّام : قال ابن هشام : ويقال : سُخَّام .

فصل الفرائض وإسلام مكة :

وذكر ما بلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة ، وكان باطلا ، وسببه .
 أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ سورة النجم ، فألقى الشيطانُ في
 أُمْنِيَّتِهِ ، أى : في تلاوته عند ذِكْرِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى ، وإِنَّهُمْ لَأَهْمُ أَعْرَاقَةِ الْعُلَى ، وإن
 شَفَاعَتَهُمْ أَتْرَجَتْ ، فطار ذلك بمكة ، فُسِّرَ المشركون ، وقالوا : قد ذكر آلهمنا
 بخير فسجد رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في آخرها ، وسجد المشركون
 والمسلمون ، ثم أنزل الله تعالى : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ الآية ، فمن هاهنا
 اتصل بهم في أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا ، ذكره موسى بن عقبة وابن
 إسحاق من غير رواية البُكَائِي ، وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ،
 ومن صححه قال فيه أقوالا ، منها : أن الشيطان قال ذلك وأشاعه . والرسول -
 عليه السلام - لم ينطق به ، وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لحمد :
 ما أتيتك بهذا ، ومنها : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قالها من قبل نفسه ،
 وعنى بها الملائكة : إن شفاعتهم أَتْرَجَتْ (١) . ومنها : أن النبي - عليه السلام -
 قاله حاكيا عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متعجبا من كفرهم .

(١) وهى أيضاً كلمة لا يقولها خاتم النبيين وأعظم المؤمنين ، فإن
 الشفاعة لا ترتجى إلا من الله سبحانه ، فهو الذى له وحده الشفاعة : (قل : لله
 الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض) الزمر : ٤٤ (يومئذ لا تنفع الشفاعة
 إلا من أذن له الرحمن) طه : ١٠٩ . والسبيل على إطالته وإطناؤه في مواضع
 تستحق الإيجاز لا أدري كيف خطف القول هنا ، وترك القرية تحاول محادثة القلوب .
 فكان المؤلف الكبير لم يرد لها أن تموت

والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته ، والله أعلم ^(١) .

(١) روى الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر والبخاري وابن مردويه وغيرهم هذه الفرية التي نشتمها أحقاد الزنادقة في صورة حديث منسوب إلى ابن عباس وسعيد بن جبير ، يقول إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : يا أيها النجم ، فلما بلغ : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ، فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا ، فنزلت الآية . وذكر القاضي عياض ما يلي : ويروى : ترتضى ، وفي رواية : إن شفاعتها لترجى ، وإنما لمع الغرائق العلى . وفي أخرى : والغرائقة العلى تلك الشفاعة ترجى ، ووقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه ، وأن النبي « ص » كان تمنى أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه ، وفي رواية أخرى : ألا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه ، وذكر هذه القصة . وأن جبريل — عليه السلام — جاءه ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ السكبتين قال له : ما جئتكم بها تين . فحزن لذلك النبي « ص » ، فأنزل الله تعالى تسلياً له : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ، الآية . وقوله : (وإن كادوا ليفتنونك) وباطل القصة المفتراة أسود قائم . ولكنني عنيت بنقل الرد عليها ؛ لأن هذه الاسماء الآتية ذكرت مع هذه القصة ، ولا شك في أن كثيراً منهم لا يمكن أن تصدق أنه يروها ، أو يصدق بها مثل ابن عباس رضي الله عنه ، وتدبر هذه الاسماء التي جعلتني أعنى بدحض هذه الفرية الملعونة : « سعيد بن جبير ، شعبة ، أمية بن خالد الذي يقال عنه : إنه ثقة مشهور ، وأبو بشر ، ومحمد بن كعب القرظي ، ومحمد بن قيس وابن شهاب الزهري ، والسدي ، وموسى بن عقبة ، وابن إسحاق وعكرمة وسليمان التيمي ، والوفى والبخاري ، من هؤلاء من له ذكر بإيمان عظيم ومن له ذكر بما ينال شيئا من صدق إيمانه ، وعفا الله عن رواه دون تعقيب . يهدمها من هؤلاء الذين نسبت إليهم رواية ما لهذه الأكذوبة ، وإليك ما رده القاضي عياض في الشفاء على تلك الفرية النجسة : « هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند متصل سليم ، وإنما أولع به وبمثل

وسمى الذين قدموا منهم من أجل ذلك الخبر ، وذكر فيهم طئيها ، وقال

المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتألفون من الصحف كل صحيح وسقيم ، وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته ، وانقطاع إسناده واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه في الصلاة وآخر يقول : قالها في نادى قومه حين نزلت عليه السورة ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه ، وأن النبي ﷺ ص ، لما عرضها على جبريل ، قال : ما هكذا أقرأتكم وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ ص — قرأها ، فلما بلغ النبي ﷺ ص — ذلك قال : والله ما هكذا نزلت — إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ، ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين ، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيها حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : فيما أحسب أن النبي ﷺ ص ، كان بمكة وذكر القصة . قال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ ص - بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسنده عز شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، ولما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فقد بين لك أبو بكر — رحمه الله — أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه - كما ذكرنا - الذى لا يؤمن به ولا حقيقة معه ، وأما حديث الكلبي فما لا يجوز الرواية عنه ، ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ، كما أشار إليه البزار ، والذى منه فى الصحيح أن النبي ﷺ ص ، قرأ : والنجم وهو بمكة ، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس ، أقول : قوله الذى فى الصحيح يعنى ما روى فى البخارى ومسلم عن ابن مسعود ، وليس فيه حديث الفرانيق ، بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة ، وليس فيها حديث الفرانيق ، وبعد أن فرغ القاضي عياض من ،

في نسبه: ابن أبي كبير بن عبد بن قصي، وزيادة أبي كبير في هذا الموضع لا يوافق عليه

توهين الفرية من طريق النقل، مضى يكر عليها بالحجة العقلية الدامغة، فيقول: «أجمعت الأمة على عصمته - ص - ونزاهته عن مثل هذه النقيصة إماماً من تمثيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله، وهو كفر، أو أن يتصور عليه الشيطان، ويشبه عليه القرآن، حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي - ص - أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبيه جبريل - عليه السلام - وذلك كله عمتنع في حقه - صلى الله عليه وسلم - أو يقول ذلك النبي - ص - من قبل نفسه عمداً، وذلك كفر، أو سهواً، وهو معصوم من هذا كله، وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته - ص - من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمداً ولا سهواً، أو أن يشبه عليه ما يلقى الملك بما يلقى الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو أن يقول على الله لا عمداً، ولا سهواً ما لم ينزل عليه، وقد قال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاقة: ٤٤ - ٤٧ وقال تعالى: (ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً، إذا لذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، ثم لا تجد لك علينا نصيراً) الإسراء: ٧٥. ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام، متناقض الأقسام، يمتزج المدح بالذم. متخاذل التأليف والنظم. ولما كان النبي - ص - ولا من بحضرته من المسلمين. وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك. وهذا لا يخفى على أدنى متأمل. فكيف من رجح حلمه. واتسع في باب التبيان. ومعرفة فمحيح الكلام علمه، ثم أكد أن القصة لو حدثت لوجدت بها إقرار على المسلمين الصولة. ولما قامت اليهود بها عليهم الحجة. لأنهم كانوا يتربصون بالنبي وبالمسلمين لأقل فتنة، ولكنا نجد هذه القصة مروية عن طريق ضعيفة. وأنه لم يرو عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بفت شقة، ولا شك في إدخال بعض شياطين الجن والإنس هذا الحديث على بعض مغفل

المحدثين . ليلبس به على ضعفاء المسلمين ص ١١٦ وما بعدها ح ٢ الشفاء طبعة سنة ١٢٦٠ هـ مطبعة خليل أفندي

وتدبر مع هذا قول الله سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر : ٩ وقوله : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٦٧ فإن زاد أو نقص فما بلغ رسالته . إنا بلغنا حقا بمتزجا باطل . وتدبر قوله العظيم : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) النجم : ٣ : ٤ وقوله سبحانه : (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى) الأعلى

والفخر الرازي — على ما فيه — يقول : هذه القصة باطلة وموضوعة ولا يجوز القول بها . وقال البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل .

والمراد بالفرانتيق : الأصنام . وهي في الأصل : الذكور من طير الماء . وقيل : الطويل العنق الأبيض . وقيل : هو الكركي ، واحدها : غرنوق بضم النون والغين . وبكسر الغين وإسكان الراء وفتح النون . وبضم الغين وفتح النون . وغرنيق بكسر الغين والنون ، وغرناق بفتح الغين والراء والنون ، وغرناق بكسر الغين وإسكان الراء . وغرناق : الشاب الأبيض الجميل ، وجمعها : الفرانق والغرنابق . وقد شبهوا أصنامهم بالفرانتيق وهي الطيور التي تعلق في السماء وترتفع .. والعجب أن الحافظ بن حجر يحاول في الفتح الدفاع عن قواعد المحدثين ، وينقل عن الطعنة الغادرة التي اقترفت ضد الرسالة والرسول . فيقول عن النقد العظيم الذي وجهه القاضي عياض لطريق الحديث « وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد . فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا . وقد ذكرت أن ثلاثة أساسيد منها على شرط الصحيح . وهي مراسيل يحتاج بمثلها من يحتاج بالمراسيل ، وكذا من لا يحتاج به لاعتضاد بعضها بيمض ، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر ، ص ٣٥٥ ج ٨ لست أدري أيمن أن نجعل لقواعد بشرية متهافنة مكانة فوق الحق المبين ، من هدى الله ؟ إنا هنا يجب أن نعتمد بقواعد الحق المبين ، لا بقواعد المحدثين التي تؤدي الدفاع عنها هنا إلى النيل من قداسة القرآن وعصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما إذا وجدنا أن التأويلات التافهة التي سفسدت بها هذه

وكذلك وجدت في حاشية كتاب الشيخ التنبيه على هذا^(١) وذكره أبو عمر ونسبه كما نسبه ابن إسحق بزيادة: أبي كبير ، وكان بدريا في إحدى الروايتين عن ابن إسحق ، وكذلك قال الواقدي وابن عتبة ، ومات بأجنادين شهيدا لا عقب له .

تأويل : كل سىء ما فعله الله باطل :

فصل : وذكر قول أبيد :

== القواعد تأويلات لا يشهد لها نقل ، ولا يحترمها عقل ، القضية المعروضة :
أي سجد محمد لصنم ، ويثنى على صنم ، ويفترى على الله الكذب ؟ أي يخفى على محمد — وقد هداه القرآن — حقيقة الكفر وألفاظ الكفر ويعبث الشيطان به ؟ كل مسلم يعلم من ينسب إلى الرسول هذا الفرية الخبيثة الجاحدة .

وأقول هنا تعليقا على قوله سبحانه : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) إنها وردت في سورة الحج عقب التذكير بالقوم الذين كذبوا رسلهم ، وبعض مواقف المشركين منه صلى الله عليه وسلم ، وإملاء الله للقرى وهي ظالمة ، وكذلك التذكير بمصير الصالحين والمعادنين . إن ورودها كذلك يؤكد أن التمنى المقصود هو تمنيه صلى الله عليه وسلم لإسلام قومه . كما تمنى الرسل والتبوء قبله . وأن إلقاء الشيطان في أمنية الرسول (ص) هو وسوسته التي يبثها في نفوس أوليائه ؛ ليحملهم على البقاء على الكفر ، فلا تتحقق أمنية الرسول (ص) ، وأما نسخ الله لما يلقى الشيطان ، فهو نصره لرسوله وتأيد له حتى يؤمن الكثير من قومه ، كما فعل بيونس وغيره . والله أعلم .

(١) ورد نسبه في نسب قريش دون ذكر أبي كبير ص ٢٥٦ أما أبو كبير فهو منهب بن عبد بن قصى في نسب قريش . شهد بدرًا مع النبي (ص) ، وقتل يوم اليرموك شهيدا . ص ٢٥٧ .

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

وقصة ابن مضمون إلى آخرها ، وليس فيها ما يشكل غير سؤال واحد ، وهو قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ قولُ أبيد :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ^(١)

فصدقه في هذا القول وهو - عليه السلام - يقول في مناجاته : «أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، ولقائك حق»^(٢) ، فكيف يجتمع هذا مع قوله :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

فالجواب من وجهين أحدهما : أن يريد بقوله : ما خلا الله : ماعدا ، وعدا رحمة التي وعد بها من رحمه ، والنار وما توعد به من عقابه ، وما سوى هذا فباطل أى : مضمحل والجواب الثانى : أن الجنة والنار وإن كانتا حقا ، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما ، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما ، وأنه يخاق الدوام لأهلهما على

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة . وفي رواية لمسلم : أصدق بيت . وفي رواية لأحمد والترمذى عن أبي هريرة : أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبید ، وهذه الرواية ترفع إشكال السبلى ، وقد عد البخارى وابن أبى خيثمة وغيرهما لبیدا ، فى الصحابة . وقيل : عاش قرنا ونصفا أو أكثر ، ومات فى خلافة عثمان . وهو القائل .

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبید

(٢) رواه البخارى

قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائداً على الذات ، وهو قول الأشعري ، وإنما الحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال ، وهو القديم ^(١) الذي انعدامه محال ؛ ولذلك قال عليه السلام : أنت الحق بالالف واللام ، أى المستحق لهذا الاسم على الحقيقة ، وقولك الحق ؛ لأن قوله قديم ، وليس بمخلوق فيبيد ، ووعدك الحق ، كذلك ، لأن وعده كلامه ، هذا مقتضى الألف واللام ، ثم قال : والجنة حق ، والنار حق بغير ألف ولام ، ولقاؤك حق كذلك ؛ لأن هذه أمور محدثات والمحدث لا يجب له البقاء من جهة ذاته ، وإنما علمنا بقاءها من جهة الخبر الصادق الذى لا يجوز عليه الخلف ، لا من جهة استحالة البقاء عليها ، كما يستحيل على القديم - سبحانه - الذى هو الحق ، وما خلاه باطل ، فإما جوهر وإما عرض ، وليس فى الأعراض إلا ما يجب له الفناء ، ولا فى الجواهر إلا ما يجوز عليه الفناء والبطول ، وإن بقى ولم يبطل فحائز أن يبطل . وأما الحق - سبحانه -

(١) لم يرد فى قرآن ولا سنة وصف الله بالقدم ، وإنما ورد فى القرآن وصفه بأنه الأول . أما القدم فكانت صفة للضلال : (قالوا : تالله إنك لفى ضلالك القديم) يوسف : ٩٥ وللعرجون : (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) يس : ٣٩ والإفك : (وإذ لم يمتدوا به ، فسيقولون : هذا إفك قديم) الأحقاف : ١١ والآباء الضالين السابقين : (قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون . فإنهم عدولى إلا رب العالمين) الشعراء : ٧٦ ولا يجوز وصف الله بصفة هذا استعمالها . وهذه موارد فى القرآن الكريم ، كما لا يجوز أن يسمى الله أو يوصف إلا بما سعى ووصف به نفسه . ولو وضعت صفة أنه الأول ، بدلا من قديم لاستراح الفكر البشرى من هذا الجدل المحموم الذى استمر حتى الآن حول صفة القدم ومدلولها ونسبتها إلى الله والعالم . فلا ينسکر حتى زنادقة الفلسفة وملحدو الإشراقية أنه سبحانه هو : الأول .

فليس من الجواهر والأعراض ، فاستحال عليه ما يجب لها ، أو يجوز عليهما .

ذكر ميث أبي بكر مع ابن الدغنة :

وذكر حديث أبي بكر حين لقي ابن الدُّغْنَةَ ، واسمه : مالك ، وهو سيد الأحابيش ، وقد سماهم ابن إسحاق ، وهم : بنو الحارث وبنو الهون من كنانة ، وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا ، أى : تجموا ، فسموا الأحابيش . قيل : إنهم تحالفوا عند جبيل ، يقال له حُبَيْشِي^(١) ، فاشتق لهم منه هذا الاسم .

وقوله لأبي بكر : إِنَّكَ لَتَكْسِبُ المَعْدُومَ^(٢) ، يقال : كَسَبْتَ الرجل مالا ،

(١) قال عنه ابن دريد فى الاشتقاق : جبيل يقال له حبشى . ص ١٩٣ .

(٢) فى رواية للبخارى أنه قال له : إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وتصل الرحم وتحمل السكلى ، وتقرى الضيف ، وتمين على نوائب الحق ، ونحن نلاحظ أنه عين ما قالته أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم حين عاد إلى البيت ليلة الوحي

والحديث فى البخارى بسنده عن عروة بن الزبير عن عائشة ، وفيه أن أبا بكر خرج مهاجرا إلى أرض الحبشة حتى بلغ برك - السكسر أشهر - الغاد ، والدغنة بفتح الدال وكسر الغين وتخفيف النون ، أوفتحها وفتح النون مع تشديدها ، أو بضم الدال والغين وتشديد النون ، وسمى بهذا لاسترخاء فى لسانه . أو لأن الدغنة أمه ، أو أم أبيه ، وقيل : دابته . وفى رواية البخارى : وارتحل معه ابن الدغنة فظاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قریش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله . ولا يخرج ، وفيه أيضاً : فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبي بكر ، فابتنى مسجدا بفناء داره ، وكان يصلى فيه ، ويقرأ القرآن ، فيتمدح عليه نساء المشركين وأبنائهم . . . وناه البخارى فى باب الهجرة إلى المدينة مطولا . وفى مواضع أخرى مختصرا .

فتعديه إلى مفعولين . هذا قول الأَصْمَعِيِّ ، وحكى غيره : أ كسبته مالا ، فمضى
تَكْسِبُ المعلوم ، أى : تَكْسِبُ غَيْرَكَ ما هو معدوم عنده ، والدَّغْنَةُ : اسم
امرأة عُرِفَ بها الرجل ، والدَّغْنُ : الغنمُ يبقَى بعد المطر .

عن الشعب ونقض الصحيفة:

فصل : وذكر نقض الصحيفة ، وقيام هشام فيها ونسبه ، فقال : هشام
ابن الحارث ، بن حُبَيْب ، وفي الحاشية عن أبى الوليد : إنما هو هشام بن عمرو
ابن ربيعة بن الحارث^(١) ، وهكذا وقع نسبه في رواية يونس عن ابن إسحاق ،
وكان أبوه عمرو أخا نَضْلَةَ بن هاشم لأمه .

وذكر أنه كان يأتى بالبعير قد أَوْقَرَه بَرًّا بالزأى للمعجمة ، وفي غير نسخة
الشيخ أبى بحر: بَرًّا ، وفي رواية يونس : بَرًّا أو بُرًّا على الشك من الراوى .

وذكر أن منصور بن عَكْرَمَةَ كان كاتب الصحيفة ، فَشَلَّتْ يده ، ولِلنَّسَابِ

(١) لعل المؤلف كانت بيده نسخة من السيرة غير التى معنا ، فالتى معنا فيها :
هاشم بن عمرو بن ربيعة ، ونسبه مختلف عما فى كتاب نسب قريش ، فهو فيه
هكذا : هـ هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك
ابن حسل بن عامر بن لؤى ، فهو فى النسب كما ترى من نسل جذيمة بن مالك ،
أما فى السيرة فهو من نسل نعيم بن مالك شقيق جذيمة ، وقد قال مصعب عن هاشم
هذا : هـ وهو الذى قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم
فى نفر قاموا معه ، منهم : مطعم بن عدى بن نوفل وزمعة بن الأسود بن المطلب ،
وأبو البختري بن هشام بن الحارث فى رجال من قريش ، ص ٤٣١ ، وانظر
أيضاً ص ٤١٢ عن سلالة عامر بن لؤى

من قریش فی کاتب الصحیفة قولان، أحدهما : أن کاتب الصحیفة هو : بَعِیْضُ
ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والقول الثانی : أنه مَنْصُور
ابن عَبْدِ شُرَحْبِيلَ بن هاشم من بنی عبد الدار ایضا ، وهو خلاف قول ابن
إسحاق ، ولم يذكر الزُّبَيْرُ فی کاتب الصحیفة غیر هذين القولین ، والزُّبَيْرُ بْنُ
أَعْلَمَ بِأَنساب قومهم (١) .

وذكر ما أصاب المؤمنین مع رسولِ الله - صلى الله علیه وسلم - فی الشَّعْبِ
من ضیق الحصار لا یبایعون ولا یناکحون ، وفی الصحیح : أنهم جُهِدُوا حتی
کانوا یا کلون الخَبِطَ وَوَرَقَ السَّمرِ ، حتی إن أحدهم لَیَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ (٢) .
وكان فیهم سعدُ بن أبی وقَّاص . روى أنه قال : لقد جُعت ، حتی إني وطئت
ذات لیلۃ علی شیء رطب ، فوضعتہ فی فمی وبلعته ، وما أدري ما هو إلى الآن ،
وفی رواية یونس : أن سعداً قال : خَرَجْتُ ذات لیلۃ لأبول ، فسمعت قَفَقَمَةً
تحت البول ، فإذا قطعة من جِلْدٍ بغير یابسة ، فأخذتها وغسلتها ، ثم أحرقتها .
ثم رَضَضْتُها ، وَسَفَفْتُها بالماء ، فَقَوِيتُ بها ثلاثاً ، وكانوا إذا قدمت العیرُ مکةً یأتی
أحدهم السوقَ لیشتري شیئاً من الطعام لعیاله ، فيقوم أبولهب عدوُّ الله ، فيقول :

(١) ذكرهما المصعب الزبیری ص ٢٢٢ نسب قریش ، وذكر أن کنیة
منصور هی : أبو الروم

(٢) فی اللسان : د وأما الذی فی حدیث سعد : إن كان أحدهما لیضع كما تضع
الشاة . أراد : أن نجوهم - النجو : ما ینخرج من البطن من غائط - كان ینخرج
بمرأ لیبسه من أكلهم ورق السمر ، وعدم الغذاء المألوف ، مادة وضع .

يامعشر التجار : غَالُوا على أصحاب محمد ، حتى لا يُدْرِكُوا معكم شيئاً ، فقد علمتم مالى ووفاء ذِمَّتِي ، فأنا ضامن أن لا خَسَارَ عليكم ، فيزيدون عليهم فى السِّلعة ، قيمتها أضاعافاً حتى يرجع إلى أطفاله ، وهم يَتَضَاعَوْنَ من الجوع ، وليس فى يديه شئ يُطعمهم به ، ويقعدو التجار على أبى لهب ، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جُمِعَ المؤمنون ، ومن معهم جوعاً وعُزْباً ، وهذه إحدى الشدائد الثلاث التى دل عليها تأويل الفُطَّات الثلاث التى غَطَّه جبريل حين قال له : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، وإن كان ذلك كان فى اليَقْظَةِ ، ولكن مع ذلك له فى مقتضى الحكمة تأويل وإيماء ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا قبل ، وإلى آخر حديث الصحيفة ليس فيها ما يشكل^(١) .

(١) كان ابتداء حصرهم فى المحرم سنة سبع من المبعث . فأقاموا سنتين أو ثلاثاً كما روى ابن إسحاق ، وجزم موسى بن عقبة بأنها كانت ثلاث سنين . وذكر الواقدي أن خروجهم من الشعب كان فى سنة عشر من المبعث ، ومات أبو طالب بعد أن خرجوا بقليل . ويقول الحافظ فى فتح البارى : « ولما لم يثبت عند البخارى شئ من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبى هريرة : نصه : « قال : قال رسول الله (ص) حين أراد حنيناً : منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بنى كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر ، لأن فيه دلالة على أصل القصة ، لأن الذى أورده أهل المغازى من ذلك كالشرح لقوله فى الحديث : على الكفر ، ص ١٥٢ وما بعدها ج ٧ فتح البارى .

ويقول الحافظ فى نفس المكان أيضاً عما أكلته الأرضة من الصحيفة : « أما ابن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة فذكروا عكس ذلك أن الأرضة لم تدع اسماً لله إلا أكلته ، وبقي ما فيها من الظلم والقطيعة ، قال البرهان ما حاصله : وهذا أثبت من الأول ص ٢٩٠ ج ١ شرح المواهب اللدنية .

شرح دالية أبي طالب :

وقول أبي طالب : ألا^(١) قد أتى بَحْرَيْنَا ، يعنى الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه ، وهكذا وجه النسب إليه ، وقد قال عايمه السلام : إذا نشأت بَحْرِيَّة ، وزعم ابن سيدة في كتاب المحكم له أن العرب تنسب إلى البحر : بَحْرَانِي على غير قياس ، وأنه من شواذ النسب ، ونسب هذا القول إلى سيبويه والخليل ، ولم يقله سيبويه قط ، وإنما قال في شواذ النسب : تقول في بهراء : بهْرَانِي ، وفي صنعاء : صَنْعَانِي ، كما تقول : بَحْرَانِي في النسب إلى البحرَيْنِ التي هي مدينة ، وعلى هذا تلقاه جميع النحاة ، وتأولوه من كلام سيبويه ، وإنما شبه على ابن سيدة لقول الخليل في هذه المسألة ، أعنى مسألة النسب إلى البحرين ، كأنهم بنوا البحر على بَحْرَان ، وإنما أراد لفظ البحرين^(٢) ألا تراهم يقول

(١) في السيرة : ألا هل .

(٢) قياسها : بحراني . ولكنهم قالوا : بحراني ، فقياس المثنى المجمعول نونه معتقب الإعراب أن يكون في الأحوال بالآلف ، فلزام البحرين الياء شاذ إذن وإذا جعل نون المثنى معتقب الإعراب لم يحذف في النسب لاهو ولا الآلف فقيل : بحراني على أنه منسوب إلى البحران المجمعول نونه معتقب الإعراب ص ٨٢ > ٢ شرح الشافعية ، وللتوضيح أقول : من العلماء من يلزم المثنى إذا سمى به الآلف والنون ويعربه لإعراب مالا ينصرف ، ومنهم من يلزمه الآلف والنون ويصرفه فتظهر علامات الإعراب على النون رفعا وجرأ ونصباً ، ولا تكون الآلف علامة لإعراب ، ولهذا ينسب إلى المثنى حيثئذ دون حذف شيء منه مثل بحراني . وقياس صنعاء وبهراء في النسب : بهراوى وصنعاوى مثل حمراوى ، ولكنهم أبدلوا النون من الواو شذوذاً للنسبة التي بينهما . وقيل في النون التي في صنعاني لأنها بدل من الهمزة في صنعاء ، أو بدل من الواو في نسبها القياسي ، وهو صنعاوى كأنهم قالوا : صنعاوى كصجراوى ، ثم أبدلوا من الواو نونا ، وهو المختار عند =

في كتاب العين : تقول بَحْرَانِي في النسب إلى الْبَحْرَيْن ، ولم يذكر النسب إلى البحر أصلاً للعلم به ، وأنه على القياس جار ، وفي الغريب المصنف عن اليزيدي أنه قال : إنما ^(١) قالوا : بَحْرَانِي في النسب إلى الْبَحْرَيْن ، ولم يقولوا : بَحْرِي ليفرقوا بينه وبين النسب إلى الْبَحْرِ ، وما زال ابن سيدة يعثر في هذا الكتاب وغيره [عثرات] يَدْمِي منها الْأَظْلُ ، وَيَدْحَضُ دَحَضَاتُ تُخْرِجُهُ إِلَى سَبِيلٍ مَنْ ضَلَّ ^(٢) ألا تراه قال في هذا الباب : وذكر بحيرة طَبْرِيَّة ، فقال : هي من أعلام خروج الدجال ، وأن ماءها يَيْبَسُ عند خروجه ، والحديث : إنما جاء في ^(٣) عين زُغَر ، وإنما ذكرت بحيرة طَبْرِيَّة في حديث يأجوج ومأجوج ،

== الزمخشري ، لأن النون من الفم ، والهمزة من أقصى الحلق ، فلا مناسبة بينهما ، أما النون فتقارب الواو . وقد سبق ذكر شيء من هذا . هذا وقد ورد في اللسان منسوباً إلى ابن سيدة : والنسب إلى البحر : بَحْرَانِي على غير قياس . قال سيديويه قال الخليل : كأنهم بنوا الاسم على فعالن ، ثم نقل ابن منظور بعد هذا عين ما ذكره السهيلي رداً على ابن سيدة ، وقد نسبه إلى السهيلي . وفيه : « اشبهته على ابن سيدة ، بدلاً من شبه . واليزيدي بدلاً من اليزيدي . »

(١) في الأصل : إذا ، والتصويب من اللسان ص ٢٣٢ الذي وردت فيه نفس هذه الفقرة .

(٢) الاظل باطن الإصبع ، ودحض كقطع : زلقت رجله .

(٣) في اللسان : غور . وفي معجم البكري : عين زغر اختلف فيها ، فقتيل هي بالشام . قال الكلبي : زغر : امرأة نسبت إليها هذه العين . وفي حديث علي أن عين زغر بالبصرة . وعين زغر هي التي سألت عنها الدجال في حديث تميم الداري . وقال ابن سهل الاحول : سميت بزغر بنت لوط . وفي المراصد : قرية بمشارف الشام في طرف البحيرة المنتنة ، وتسمى البحيرة بها ، وهي قرب الكرك .

وأَنهم يشربون ماءها ، وقال في الجمار في غير هذا الكتاب : [إنما] هي التي تُرى بعرفة ، وهذه هَفْوَةٌ لَا تُقال ، وَعَثْرَةٌ [لا] لَعَالها^(١) وكم له من هذا إذا تسكلم في النسب وغيره^(٢) ، ومن النسب إلى البَحْر قوله عليه السلام لأسماء بنت عميس حين قدمت من أرض الحبشة : البَحْرِيَّة الحَبَشِيَّة ، فهذا مثل قول أبي طالب : أأهل أتى بَحْرِيَّنا .

وقوله : والله بالناس أَرْوَدُ : أي : أَرْفَقُ ، ومنه : رُوِيْدَكَ ، أي : رِفَقًا جاء بلفظ التصغير ؛ لأنهم يريدون به تَقْلِيلًا أي : أَرْفَقَ قليلًا ، وليس له مكبر من لفظه ؛ لأن المصدر : إِرْوادًا ، إلا أن يكون من باب تصغير الترخيم ، وهو أن تصغر الاسم الذي فيه الزوائد ، فمحذوفها في التصغير ، فتقول في أسود : سُوَيْدٌ ، وفي مثل إِرْواد : رُوَيْدٌ^(٣) .

وقوله : من ليس فيها بَقَرَقَر : أي : ليس بذليل ، لأن القَرَقَرَ : الأرضُ

(١) لعا : صوت معناه : الدعاء للعائر بأن يرتفع من عثرته . يقال : لعا فلان وفي الدعاء عليه بالنعس : يقولون : لا لعاله . والسياق يقتضي وجود كلمة : لا . وقد وضعتها لهذا ، ومع ذلك فهي في اللسان الذي نقل هذا النص كله عن السهيلي .
(٢) إلى هنا انتهى ما نقله اللسان عن الروض ، وقد نقل من أول : زعم ابن سيدة في كتاب المحكم .

(٣) تصغير الترخيم شاذ قليل ، وبرى الفراء أن العلم وحده هو الذي يصغر تصغير الترخيم ، لأن ما بقي منه بعد الترخيم دليل على ما حذف لشبهة العلم ، وأجازه البصريون في غير العلم واستشهدوا بالمثل : عرف حميق جملة فصغر أحمق تصغير ترخيم .

الْمَوْطُوءَةُ الَّتِي لَا تَمْنَعُ سَائِكَهَا، وَيجوز أن يريد به : ليس بذي هَزَلٍ ، لأنَّ
الْفَرَقَةَ : الضحك .

وقوله : وطائرهما في رأسها يتردد . أى : حظها من الشؤمِ والشر ،
وفي التنزيل : ﴿ الزمنا طائره في عنقه ﴾ الإسراء : ١٣ ، وقوله : لها حُدُجٌ سَهْمٌ
وقوسٌ ومِرْهَدٌ ، وجدت في حاشية كتاب الشيخ مما كتبه عن أبي الوليد الكِنَافِي
على هذا البيت : اعلم حُدُجٌ بضم الحاء والدال جمع حِدَجٍ على ما حكى الفارسي ،
وأنشد شاهدا عليه عن ثعلب :

قَدْ أَفَانَسْنَا الْحُؤُلَ وَالْحُدُجَ

ونظيره : سِتْرُوسْتُرُ ، ذكر ذلك عنه ابنُ سيدة في محكمه ، فيكون المعنى :
لأن الذي يقوم لها مقام الحُدُجِ سَهْمٌ وقوسٌ ومِرْهَدٌ . إلى هنا انتهى ما في
حاشية كتاب الشيخ . قال المؤلف : وفي الدين : الحُدُجُ : حَسَكُ الْقُطْبِ [مادام
رطباً] فيكون ^(١) الحُدُجُ في البيت مُسْتَعَارًا من هذا ، أى : لها حَسَكُ ،
ثم فسره فقال : سهمٌ وقوسٌ ومِرْهَدٌ ^(٢) ، هكذا في الأصل بالراء وكسر الميم

(١) القطب : ضرب من النبات يذهب حبالاً على الأرض طولاً ، وله زهرة
صفراء ، وشوكه إذا حصد ويبس يشق على الناس أن يطئوه ، وفي الأصل :
الحُدُجُ حَسَكُ الْعَبْطِ ، وَالْعَبْطُ : الْقَطَنُ ، وهذا لا يتفق مع ما قبله من قوله : والحُدُجُ
حَسَكُ . وما أثبتته من اللسان ، وما بين القوسين زيادة من اللسان ، وقول الفارسي
عن ثعلب موجود في اللسان ، وقد فسرها أبو ذر الحِشْنِي بما يأتي : وحُدُجُ
كَثْرَةٌ ، وأصل الحُدُجِ : صغار الحنظل والحشخاش ، فشبه كثرتهم به .

(٢) عند الحِشْنِي : مرهَدٌ بفتح الميم : رمح لين ، ومن رواه فرهد ، فعناه =

فيحتمل أن يكون مقلوبا من مَرْهَدٍ : مَفْعَلٌ من رَهَدَ الثوبَ إذا مزقه ، ويعنى به رُمْحًا أو سيفًا ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرّهيد ، وهو الناعم أى : ينعم صاحبه بالظَّفَر ، أو ينعم هو بالرَّيِّ من الدَّم ، وفي بعض النسخ : مَزْهَدٌ بفتح اليم والزاي ، فإن صحت الرواية به ، فمعناه : مَزْهَدٌ في الحياة ، وحرّص على الممات ، والله أعلم . وقوله فيها : إذا جمعات أيدي المفيضين تُرْعَد . يعنى : أيدي المفيضين بالقِداح في الميسر ، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا سخي ، ويسمون من لا يدخل معهم في ذلك : الأبرم . وقالت امرأة لبعلمها - وكان برما بخيلا ، ورأته يقرن بضعتين في الأكل : أبرما قرونا^(١) ويسمونه أيضا : الخُصُور : يريد أبو طالب : إنهم يطعمون إذا بخل الناس . والميسر : هى الجزور التى تُقَسَّم ، يقال : يَسَرْتُ إذا قسمت ، هكذا فسرهُ التُّقَيْبِيُّ وأنشد :

أقول لهم بالشَّعبِ إذ يَيسِرُونِني ألم ييأسوا أنى ابنُ فارسٍ زَهَدِمَ^(٢)

قال : يَيسِرُونِني أى : يَقْتَسِمُون مالى ، ويُرَوِّى : يَيسِرُونِني من الأثر .

== الرمح الذى إذا طعن به ، وسع الخرق ، ومن رواه مزهد ، فهو ضعيف لامعنى له إلا أن يراد به الشدة على معنى الاشتقاق .

- (١) فى اللسان : وفى المثل : أبرما قرونا . أى : هو برم ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين .
 (٢) البيت فى اللسان ، وقد نسبته فى مادة يسر إلى سحيم بن وثيل البربوعى . وفيه : ألم تعلموا بدلا من : ألم ييأسوا . كان وقع عليه سباء فضربه عليه بالسهم . وفى مادة زهدم يقول : قال ابن برى : زهدم : اسم لفارس لسحيم بن وثيل ، وفيه يقول ابن جابر : أقول لهم بالشعب الخ . والزهدم : الصقر ، وزهدم : اسم فارس ، وفارس يقال له : فارس زهدم .

وتوله : رَفَرَفِ الدَّرْعُ أَحْرَدُ . رَفَرَفُ الدَّرْعِ : فُضُولُهَا ، وَقِيلَ فِي مَعْنَى :
 رَفَرَفِ خُضْرٍ : فَضُولُ الْفُرْشِ وَالْبُسْطِ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ عَلِيِّ أَهْلِهَا :
 الْمَرَاثِقُ ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : الرِّفَارِفُ : رِيَاضُ الْجَنَّةِ ، وَالْأَحْرَدُ الَّذِي فِي مَشْيِهِ
 تَمَاقُؤٌ ، وَهُوَ مِنَ الْخَرَدِ ، وَهُوَ : عَمِيبٌ فِي الرَّجْلِ . وَفِيهِ : هَمَزٌ وَاسْتَهْلَ بِبَيَّضَاءَ
 رَاضِيًا . سَهْلٌ هَذَا هُوَ : ابْنُ وَهْبٍ بِنِ رَيْبَعَةَ بِنِ هِلَالٍ بِنِ رَبِيعَةَ بِنِ الْحَارِثِ بِنِ
 فِهْرٍ ، يَعْرِفُ : بِابْنِ الْبَيْضَاءِ ^(١) ، وَهِيَ أُمُّهُ ، وَاسْمُهَا : دَعْدَةُ بِنْتُ جَعْدَمَ بِنِ أُمَيَّةَ
 ابْنِ ضَرْبٍ بِنِ الْحَارِثِ بِنِ فِهْرٍ ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ : سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ وَصَفْوَانُ
 بَنُو الْبَيْضَاءِ . وَقَوْلُهُ :

وإني وإياكم كما قال قائل لديك البيان لو تكلمت أسود ^(٢)

أسود : اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل ، فلم يعرف قاتله ، فقال أولياءه .
 المقتول هذه المقالة ، فذهبت مثلاً .

(١) ورد نسب وهب في نسب قريش هكذا : « وهب ، بن ربيعة بن هلال ،
 ابن مالك بن ضبة بن الحارث ، ص ٤٤٦ ، ولم يذكر غير سهيل وصفوان ابن
 وهب بن ربيعة بن هلال ، لكن في جمهرة ابن حزم : « سهل بن وهب بن ربيعة بن
 عامر بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر » ص ١٦٧ جمهرة ابن حزم ، ولم يذكر
 سهيلاً . والام في النسب هي : دعد بنت جعدم بن عمرو بن عائش ، وفي جمهرة
 ابن حزم جاء بعد عائش : ابن المطرف بن حارث بن فهر .

(٢) في النسخة التي معنا : « إني وإياكم ، وفي القاموس : أسود العين ، وأسود
 النساء ، وأسود العشاريات ، وأسود الدم ، وأسود الحمى : جبال ، وفي الحسن
 أسود : اسم رجل ، وأراد : يا أسود ، وهو مثل يضرب للقادر على الشيء
 ولا يفعله ص ١٠٩ .

قول مسانه في مطعم وهشام بن عمرو :

فصل : وذكر قول حسان في مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ ، ويذكر جواره للنبي - عليه السلام - وذلك حين رجع من الطائف ، وقيامه في أمر الصحيفة :
 فلو كانَ مجْدٌ يُخْلِدُ الدهرَ واحداً من الناس أبقي مجْدُهُ اليومَ مُطْعِماً^(١)
 وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة ، لأنه قدم الفاعل ، وهو مضاف إلى ضمير المفعول ، فصار في الضرورة ؛ مثل قوله :

جزى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ^(٢)

(١) استشهد به ابن عقيل في شرح الالفية ، وهو يشرح قول ابن مالك .

وشاع نحو خاف ربه عمر وشذ نحو زان نوره الشجر

أى : شاع تقديم المفعول المشتمل على ضمير يرجع إلى الفاعل المتأخر ، وشذ عود الضمير من الفاعل المتقدم على المفعول المتأخر ، وإنما شذ ذلك لأن فيه عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ؛ لأن الشجر مفعول به ، وهو متأخر لفظاً ، والأصل فيه أن يفصل عن الفعل ، فهو متأخر رتبة . وقد أجاز هذا اللاحش وابن جني وأبو عبد الله الطوال وابن مالك في التسهيل ؛ ونصر الجرجاني مذهب اللاحش ، وفي بيتنا هذا آخر المفعول وهو مطعم عن الفاعل ، وهو مجده مع أن الفاعل مضاف إلى ضمير يعود على المفعول . فيقتضى رجوع الضمير إلى متأخر لفظاً ورتبة . والبيت في الاشتقاق : « فلو أن مجداً خلد الخ ص ٨٨ .

(٢) البيت لابن الأسود الدؤلي يهجو عدى بن حاتم الطائي ، وبقية : « جزاء الكلاب العاويات وقد فعل » . وقد نسب ابن جني إلى النابغة الذبياني . والشاهد فيه تأخير المفعول وهو عدى ، وقدم الفاعل وهو ربه مع اتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول . انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ١٩٠ وما بعدها هو شرح ابن عقيل لالافية ج ١ ص ٤٢٠ بتحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد .

غير أنه في هذا البيت أشبه قليلا لتقدم ذكر مُطْعِم ، فكأنه قال : أبقى
مجدُّ هذا المذكور للتقدم ذكرُهُ مُطْعِمًا . ووضع الظاهر موضع المضمَر ، كالوقلت :
إن زيدا ضَرَبْتُ جاريته زيدا ، أى : ضربت جاريته إياه ، ولا بأس بمثل
هذا ، ولا سيما إذا قصدت قصدَ التعظيم وتفنخيم ذكر الممدوح ، كما قال الشاعر :

ومالَى أَن أكونَ أعيبَ يحيى وَيُحْيِي طَاهِرَ الأَثوابِ بَرٌّ

ويجوز نصبه عندى على البدل من قوله : وَبَكَّى عَظِيمَ المُشعرين ، ويكون
المفعول من قوله : أبقى مجدُّه محذوفًا ، فكأنه قال : أبقاه مجدُّه أبداً ، والمفعول
لأَقْبَحَ في حذفه ، إذا دل عليه الكلام كما في هذا البيت .

وذكر قول حسان في هشام بن عمرو ، وقال فيه : للحارث بن حُبَيْبِ
ابن سُخَّام ، وقد تقدم نسبه ، وهو حُبَيْب بالتخفيف تصغير حِبِّ ، وجعله
حسانُ تصغير حُبَيْب ، فشَدَّده ، وليس هذا من باب الضرورة ؛ إذ لا يسوغ
أن يقال في فُلَيْسٍ : فُلَيْسٌ ، ولا في كَلَيْبٍ : كَلَيْبٌ في شعر ولا غيره ، ولكن
لما كان الحُبُّ والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر ، وهو حَسَنٌ
في الشعر ، وسائغ في الكلام ، وهشام بن عمرو هذا أسلم ، وهو معدود في المؤلَّفة
قلوبهم ، وكانوا أربعين رجلا فيما ذكروا .

وقوله : ابن سُخَّام ، هو : اسم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه : سُخَّامُ
بشين معجمة ، وألفت في حاشية كتاب الشيخ أن أبا عبيدة النَّسابة وعَوانة
يقولون فيه : سُخَّام بسين وحاء مهملتين ، والذي في الأصل من قول ابن هشام :

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ما يرى من قومه ، يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه . وجعلت قريش ، حين منعه الله منهم ، يحذرونه الناس ، ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث : أنه قدم مكة - ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها - فمشى إليه رجال من قريش - وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً كليباً - فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشدت أمرنا ، وإنا قولُه كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمته ولا تسمعن منه شيئاً .

سخام بسين مهملة ، وخاء معجمة ^(١) ولفظ سُخَام من شَخِمَ الطعام ، وخَشِمَ إذا تغيرت رائحته ، قاله أبو حنيفة .

(١) في نسب قريش ص ٤٢٢ أن شحاما بالشين والحاء هو: جذيمة بن مالك ابن حسل ، وأنه جد هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بضم الحاء - ابن جذيمة ابن مالك بن حسل . وفيه أيضاً أن حبيباً بن جذيمة يقال له : شحام ، وأن أمه هي مارية بنت عبد معيص . وفي النسب بيت آخر غير ثلاثة الآيات التي في السيرة :
أخنى بنو خلف وأخنى قنفذ وأبو الربيع ، وطار ثوب هشام
ونسب هشام في الجمهرة كما هو في النسب ص ١٦٠ ، وفي الإصابة : حنيف بدلا من حبيب . وأن هشاما أعطاه النبي (ص) دون المائة من غنائم حنين .

قال : فوالله مازالوا بى حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلّمه ، حتى حشوتُ في أذنى حين غدوتُ إلى المسجد كُرسفاً قَرَقاً من أن يبلغنى شىءٌ من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعَه . قال : فغدوتُ إلى المسجد ، فإذا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قائمٌ يصلى عند الكعبة . قال : فقمّتُ منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يُسمعنى بعضَ قوله . قال : فسمعتُ كلاماً حسناً . قال : فقلتُ فى نفسى : وائسكلُ أُمى !! والله إنى لرجُل كَبِيبٌ شاعرٌ ما يخفى على الحسنُ من القبيح ، فما يَمْنَعنى أن أسمعَ من هذا الرجل ما يقول ! فإن كان الذى يأتى به حسناً قَبِلْتُهُ ، وإن كان قبيحاً تركتُهُ .

قال : فمكثتُ حتى انصرف رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيته فانبَغتُهُ ، حتى إذا دخل بيته دَخَلْتُ عليه ، فقلتُ : يا محمد ، إن قومك قالوا لى كذا وكذا - للذى قالوا - فوالله ما برحوا يُخَوِّفونى أمرَكَ حتى سددتُ أذنى بكُرسُفٍ لئلا أسمع قولَكَ ، ثم أبى الله إلا أن يُسمعنى قولَكَ ، فسمعتُهُ قولاً حسناً ، فاعرض على مَرَك . قال : فعرض على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإِسلام ، ونلا على القرآن ، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدلَ منه ، قال : فأسلمتُ ، وشهدتُ شهادةَ الحقِّ ، وقلتُ : يا نَبىَّ الله إنى امرؤٌ مُطاعٌ فى قومى ، وأنا راجعٌ إليهم ، وداعٍهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يجعل لى آيةً تكون لى عوناً عليهم فيما أدعُوهم إليه فقال : اللهم اجعل له آيةً .

قال : فخرجتُ إلى قومى ، حتى إذا كنتُ بِثَنِيَّةٍ تُطلِعُنى على الحاضرِ وقع

نور بين عيني مثل المصباح ، فقلت : اللهم في غير وجهي ، إني أخشى ،
أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي إفراق دينهم . قال : فتحوّل فوق في رأس
سوطي . قال : فجعل الحاضر يترأّون ذلك النور في سوطي كالتدبيل المعاق ،
وأنا أهبط إليهم من الثنية ، قال : حتى جنبهم فأصبحت فيهم .

إسلام والد الطفيل وزوجته

قال : فلما نزلت أتاني أبي ، وكان شيخا كبيرا ، قال : فقلت : إليك غني
يأبى ، فإست منك ، وإست مني ، قال : ولم يابني ؟ قال : قلت : أسلمت ،
وتابعت دين محمد - صلى الله عليه وسلم - قال : أي بني ، فدينك ، قال :
فقلت : فاذهب ، فاغتسل ، وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت .
قال : فذهب فاغتسل ، وطهر ثيابه . قال : ثم جاء فعرضت عليه الإسلام ،
فأسلم .

قال : ثم أتني صاحبتى ، فقلت : إليك غني ، فإست منك وإست مني ،
قالت : لم ؟ بأبي أنت وأمي ، قال : قلت : قد فرق بيني وبينك الإسلام ،
وتابعت دين محمد - صلى الله عليه وسلم - قالت : فدينك ، قال : قلت :
فاذهبي إلي حنّا ذى الشرى - قال ابن هشام : و يقال : حنّى ذى الشرى -
فتطهرى منه .

وكان ذو الشرى صنّا لِدَوْس ، وكان الحمى حنّى حمّوه له ، به وشل من
ماء يهبط من جبل .

قال : قالت : بأبي أنت وأمي ، أتخشى على الصبيّة من ذى الشّرى شيئا ،
قال : قلت : لا ، أنا ضامنٌ لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضتُ
عليها الإسلام ، فأسلمت .

ثم دعوت دَوْسًا إلى الإسلام ، فأبطنوا علىّ ، ثم جثّ رسول الله -
صلّى الله عليه وسلم - بمكّة ، فقلت له : يا نبيّ الله ، إنه قد غلبني على دَوْس
الزّنا ، فادعُ الله عليهم ، فقال : اللهم اهْدِ دَوْسًا ، ارجع إلى قومك فادعهم
وارفُق بهم ، قال : فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر
رسول الله - صلّى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأحدٌ والخندقُ ،
ثم قدمتُ على رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - بمن أسلمَ معي من قومي ،
ورسولُ الله - صلّى الله عليه وسلم - يَخْبِرُ ، حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين
بيتًا من دَوْس ، ثم لحقنا برسول الله - صلّى الله عليه وسلم - بخيبر ، فأسلمهم لنساء
مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - حتى إذا فتح الله عليه مكة ،
قال : قلت : يا رسول الله ، ابعثنى إلى ذى الكفّين ، ضم عمرو بنُ حُمّة
حتى أُحرّقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ، ويقول :
يا ذا الكفّين كُنتُ من عبَادِكَ ميلادنا أقدمُ من ميلادِكَ
إني حشوتُ النار في فؤادِكَ

قال : ثم رجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان معه بالمدينة ، حتى قبض اللهُ رسولهُ - صلى الله عليه وسلم - فلما ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم ، حتى فرغوا من طليحة ، ومن أرض نجد كلها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة - ومعه ابنه عمرو بن الطفيل - فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا ، فاعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق ، وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيتني امرأة ، فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ، ثم رأيت حُبس عني ، قالوا : خيرا . قال : أمّا أنا والله ، فقد أولتُها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أمّا حلق رأسي فوضعه ، وأمّا الطائر الذي خرج من فمي فرُوحِي ، وأمّا المرأة التي أدخلتني فرجها ، فالأرض تُحفرُ لي ، فأغيب فيها ، أما طلب ابني إياي ثم حبسه عني ، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني ، فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبَلَّ منها ، ثم قُتل عام اليزموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا .

من قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قرّة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم : أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، [بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعِي ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار] خرج إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَلَمْ تَقْتِمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ عَشْقِ النِّسَاءِ ، وَإِنَّمَا
وَأَسْكَنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ
كَهَوْلًا وَشُبَّانًا فَقَدْتُ وَتَرْوَةً
وَمَا زِلْتُ أَبْنَى الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ
وَأَبْتَذِلُ الْعِيسَ الْمَرَاتِيلُ تَعْتَلِي
أَلَا أَتِيهِذَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمْتَمُ
فَإِنْ تَسْأَلُنِي عَنِّي ، فَيَا رَبُّ سَائِلِي
أَجِدْتِ بَرَجَتِيهَا النَّجَاءَ ، وَرَاجَعْتِ
وَفِيهَا - إِذَا مَا هَجَّرْتَ - عَجْرَفِيَّةٌ
وَأَلَيْتُ لَا آوِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ
مَتَى مَا تُنَاقِخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ
نَبِيًّا يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذَكَرُهُ
لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِيبُ وَنَائِلٌ
أَجِدْكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بَزَادَ مِنَ التَّقَى
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونُ كَمَثَلِهِ
فَإِيَّاكَ وَالْعَمِيَّتَاتِ لَا تَقْرُبْنَهَا
وَذَا النُّصْبَ الْمَنْصُوبَ لَا تَنْدَسُكْنَهُ

وَبَتْ كَلَابَاتُ السَّلَامِ مُسَهَّدَا
تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خَلَّةَ مَهْدَا
إِذَا أَصْلَحْتُ كَفَايَ عَادَ ، فَأَفْسَدَا
فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا !!
وَلِيدَا وَكِهَلَا حِينَ شَبْتُ وَأَمْرَدَا
مَسَافَةً مَا بَيْنَ التَّجَاوِي فَصَرَّخَدَا
فَإِنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا
حَفِيَّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا
يَدَاها خِنَافًا لَيْنَا غَيْرَ أَحْرَدَا
إِذَا خَلَّتْ حَرِبَاءُ الظَّهِيرَةِ أَضِيدَا
وَلَا مِنْ حَفِيٍّ حَتَّى تَلَاقَى مُحَمَّدَا
تُرَاحِي ، وَتَلْقَى مِنْ قَوَاضِلِهِ نَدَى
أَغَارَ لَعْمَرَى فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا
وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدَا
نَبِيُّ الْإِلَهِ حَيْثُ أَوْصَى ، وَأَشْهَدَا
وَلَا فَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
فَتَرُصِدُ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا
وَلَا تَأْخُذْنَ سَهْمَا حَدِيدَا ، لَتَفْصِدَا
وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْتَانَ ، وَاللَّهُ فَاغْبُدَا

ولا تَقْرَبَنَّ حُرَّةً كَانَ سِرُّهَا عَلَيْكَ حَرَامًا فَانْكَحَنَّ أَوْ تَابَّدَا
وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى فَلَا تَقْطَعَنَّه لِعَاقِبَةٍ وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقَيَّدَا
وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاحْدَا
وَلَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَائِسٍ ذِي خَرَارَةٍ وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَسَالَ لِلْمَرْءِ مُخْلِدَا

مصير الأعشى

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؛ ليُسلم ، فقال له : يا أبا بصير ، إنه يُحرِّمُ الزَّنا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمرٌ مالى فيه من أرب ، فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر ، فقال الأعشى : أمّا هذه فوالله إنَّ في النفس منها أملاّلات ، والكنى منعرفٌ فأتروى منها عامى هذا ، ثم آتية فأسلم . فأنصرف فمات في عامه ذلك ، ولم يَعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذلة أبي جهل

قال ابن إسحاق : وقد كان عدوَّ الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبغضه إياه ، وشدّته عليه ، يُذِلُّه الله له إذا رآه .

أبو جهل والإراشى

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي ،
وكان واعية ، قال : قدم رجلٌ من إراش - قال ابن هشام : ويقال : إراشة -
بابل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل ، فمطله بأنمانها . فاقبل الإراشى حتى
وقف على نادر من قريش ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ناحية المسجد
جالس ، فقال : يا معشر قريش ، من رجل يؤدّيني على أبي الحكم بن هشام ،
فإني رجلٌ غريب ، ابنٌ سبيل ، وقد غلبني على حق ؟ : فقال له أهل ذلك
الجلس : أتري ذلك الرجل الجالس - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهم يهزمون به ؛ لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه ،
فإنه يؤدّيك عليه .

فاقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :
يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبلك ، وأنا غريب
ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدّيني عليه ، يأخذني حقّ
منه ، فأشاروا إلى إليك ، فخذني حقّ منه ، يرحمك الله ، قال : انطلق إليه ،
وقام معه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأوه قام معه ، قالوا لرجل
ممن معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جاءه ، فضرب
عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج إليّ ، فخرج إليه ، ومافى
وجهه من رائحة ، قد انتقمع لونه ، فقال : أعطِ هذا الرجل حقّه ، قال : نعم ،

لاتبرح حتى أعطيه الذى له ، قال : فدخل ، فخرج إليه بحقه ، فدفعه إليه . قال : ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال للإراشى : الحق بشأنك ، فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لى حق .

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابته ، فخرج إليه ومعه روحه ، فقال له : أعط هذا حقه ، فقال : نعم ، لاتبرح حتى أخرج إليه حقه فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه . قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : وبلك ! مالك والله مارأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرب على بابى ، وسمعت صوته ، فمئنت رعباً ، ثم خرجت إليه ، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ، مارأيت مثل هامته ، ولا قصرته ، ولا ألباً ، لا ط ، لو أبيت لأكلنى .

ركانة ومصارعته

قال ابن إسحاق : وحدثني أبى إسحاق بن يسار ، قال : كان رُكَّانةُ ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشدَّ قُرَيش ، بخلاً يوماً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارُكَّانة ، ألا تتقى الله ، وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إني لو أعلم أن الذى تقول حق لانبعتك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

أَفَرَأَيْتَ إِنْ صَرََعْتُكَ ، أَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَقُولُ حَقٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَقُمْ حَتَّى أَصَارَ عَكَ . قَالَ : فَقَامَ إِلَيْهِ رُكَّانَةً بِصَارِعِهِ ، فَلَمَّا بَطِشَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَضْجَعَهُ ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ : عُدُّ يَا مُحَمَّدُ ، فَعَادَ فَصَرَ عَهُ ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا لِلْعَجَبِ ، أَتَصْرَعُنِي ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُرِيكَهُ ، إِنْ انْقَسَمَ اللَّهُ وَاتَّبَعْتَ أَمْرِي ، قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : أَدْعُوكَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي تَرَى فَتَأْتِنِي ، قَالَ : ادْعُهَا ، فَدَعَاها ، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : فَقَالَ لَهَا : ارْجِعِي إِلَى مَكَانِكَ . قَالَ : فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا !

قَالَ : فَذَهَبَ رُكَّانَةً إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، سَاحِرُوا بِصَاحِبِكُمْ أَهْلَ الْأَرْضِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُسْجَرَ مِنْهُ قَطُّ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُم بِالَّذِي رَأَى ، وَالَّذِي صَنَعَ .

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ بِمَكَّةَ - عَشْرُونَ رَجُلًا ، أَوْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مِنَ النَّصَارَى ، حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ مِنَ الْحَبِشَةِ ، فَوَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَجَلَسُوا إِلَيْهِ وَكَلَّمُوهُ وَسَلُّوهُ ، وَرَجُلَانِ مِنَ قُرَيْشٍ فِي أُنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ مَسْأَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَمَّا أَرَادُوا ، دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ ، ثُمَّ اسْتَجَابُوا

لله، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم في كتابهم من أمره. فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبتكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترادون لهم؛ لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده، حتى فارقتم دينكم، وصدقتموه ببال، ما نعلم ركبا أحق منكم، أو كما قالوا، فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجأه لكم، إنا مانحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا.

ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أى ذلك كان. فيقال - والله أعلم - فيهم نزلت هؤلاء، الآيات: «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون». وإذا بُتلى عليهم قالوا آمنا به، إنه الحق من ربنا، إنا كنا من قبله مسلمين». .. إلى قوله: «لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم» لا تبتغي الجاهلين» القصص: ٥٢، ٥٣، ٥٥.

قال ابن إسحاق: وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلن، فقال لي: ما أسمع من علمائنا أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه، والآية من سورة المائدة من قوله: «ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا، وأسما لا يستكبرون». .. إلى قوله: «فاكتبنا مع الشاهدين» المائدة: ٨٢، ٨٣.

قال ابن إسحاق وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا جلس

في المسجد ، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خبابٌ ، وعمارٌ ، وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن محرز ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ! لو كان ماجاء به محمدٌ خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصهم الله به دوننا . فأنزل الله تعالى فيهم : « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا : أَهَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ . وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ، قُلْ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » الأنعام : ٥٢ - ٥٤

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - كثيراً ما يجلس عند المرأة إلى مبيعة غلام نصراني ، يقال له : جبر ، عبد لبني الحضرمي ، فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدٌ كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني ، غلام بني الحضرمي ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « وَلَقَدْ نَعَامُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » النحل : ١٠٣

قال ابن هشام : يُلحدون إليه : يميلون ، والإلحاد : الميل عن الحق

قال رؤبة بن العجاج :

إِذَا تَبَعَ الضَّحَّاكَ كُلُّ مُلْحِدٍ [وَنَحْنُ ضَرَّابُونَ هَامَ الْعُنْدِ]

ابن هشام : يعني الضحَّاك الخارجي ، وهذا البيت في أرجوزة له

مول مربي طفيل الدوسي وزى الكفين :

فصل : وذكر حديث طفيل بن عمرو الدوسي ، وهو طفيل بن عمرو ابن طريف بن العاصي بن ثعلبة بن سلم بن جهم بن دوس إلى آخره ^(١) وليس فيه إشكال إلا قوله : حننا ذى الشرى ، وقد قال ابن هشام : هو حمى ، وهو موضع حموة لصنمهم ذى الشرى ، فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالنون قد تبدل من الميم ، كما قالوا : حلالن وحلالم للجدي ، ويجوز أن يكون من حنوت العود ، ومن تحنية الوادي ، وهو ما انحنى منه .

وقوله : يا ذا الكفين است من عبادكا . أراد : الكفين بالتشديد ، تخفف للضرورة ، غير أن في نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى : ذا الكفين ، وتخفف .

(١) في الإصابة : ابن فهم بدلا من : جهم . وله فيها نسب آخر هو : ابن عبد عمرو بن عبد الله بن مالك ، بن عمرو بن فهم ، لقبه : ذو النور ، وحكى المرزباني في معجمه أنه الطفيل بن عمرو بن حممة ويقول ابن حجر في الإصابة عن قصة الطفيل في السيرة : وذكرها ابن إسحاق في سائر النسخ بلا إسناد ، وأخرجه ابن سعد أيضاً من وجه آخر وكذلك الاموى عن ابن السكبي بإسناد آخر . هذا وقد ذكر ابن حبان أنه مات باليرموك ، وقيل : بأجنادين كما ذكر موسى بن عقبة وأبو الاسود عن عروة .

(٢) في الاصنام لابن السكبي ص ٢٧ ط ١ : وكان لدوس ثم لبني منهب ابن دوس صنم يقال له : ذو الكفين ، فلما أسلموا بعث النبي ﷺ ص ، الطفيل ابن عمر الدوسي لحرقه . وروى الرجز ، وفي جمهرة ابن حزم : وكان لحزاعة ودوس ، كسره عمرو بن حممة الدوسي ، ص ٤٦٠ ، وفي المراسد : أن فاده تخفف وتضعف . وفي ذكره القاموس في مادة كف .

الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة ، فدل أنه عنده مخفف في غير الشعر ، فإن صح هذا فهو محذوف اللام ، كأنه تننية كَفء ، من كفأت الإناء ، أو إذا كفء بمعنى كفء ؟ ! ثم سَهَلَت الهَمْزَةُ ، وألْقَيْت حركتها على الفاء ، كما يقال : اَنْخَبْه وَاَنْخَبْ^(١) ، وفي الحديث : أن أهل الحاضر من دَوَسٍ كانوا يترأون في التَّيْنَةِ ، وفي سوطه كَالْقَنْدِيلِ الْمَعْلَقِ^(٢) ، وذكره المبرِّد فقال في لفظ الحديث : جعلوا ينظرون إلى الجبل ، وهو يهتف من شدة الضياء والنور ، وروى ، أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : لما قال طفيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - إن

(١) يقول ابن الحاجب في باب تخفيف الهَمْزَةُ المتحركة الساكن ما قبلها : والمتحركة إن كان قبلها ساكن ، وهو واو أو ياء زائدتان لغير الإلحاق قلبت إلهيا ، وأدغمت فيها كخطية ، ومقروءة ، وأفيس . . . وإن كان حرفا صحيحا أو معتلا غير ذلك نقلت حركتها إليه ، وحذفت نحو : مسلة وخب وشى وسو ، ص ٢٢ > ٣ شرح الشافعية ، ويقول الرضى : أعلم أنه إذا وقف على المتحركة المطرقة ، فإما أن يوقف على مذهب أهل التحقيق ، أو على مذهب أهل التخفيف ، فالأول مضى حكمه مستوفى في باب الوقف ، وأما على مذهب أهل التخفيف فإنه تخفف الهَمْزَةُ أولا ؛ لأن حالة الوصل متقدمة على حالة الوقف ، ونقل الهَمْزَةُ حاصل حالة الوصل ، فتخفف على ما هو حق التخفيف من النقل والحذف في نحو الخَبِّ والقلب والإدغام في نَحْو : بوى ومقروء ، فيبقى الخَبُّ بتحريك الباء كالدم ، ثم يوقف عليه بالسكون المحض ، والروم أو الإشمام أو التضعيف ، ص ٤٢ > ٣ شرح الشافعية .

(٢) هذا كلام رواه الطبري وأبو الفرج الأصبهاني عن طريق ابن السكبي ، فتأمل الطريق . وحادث مثل هذا كان يدعو إلى أن تتواتر عن الناس أخباره ، لا أن يروى هكذا كوسوسة الشيطان تحصره الملائكة .

دوسا غلب عليها الزنى والربا ، فادع الله عليهم ، قلنا : هلكت دوس ، حتى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم اهد دوسا^(١) .

الأعشى ورايته ومكرهه والشرف :

فصل : وذكر ابن هشام حديث الأعشى^(٢) وقصيدته إلى آخرها ، فلما كان قريبا من مكة لقيه بعض المشركين ، فقال : إلى أين يا أبا بصير ؟ الحديث ، وذكر تحريمه الخمر ، وتحريمه الزنى ، وقول الأعشى : أما الخمر ففي الناس منها علالات وقال غير ابن هشام : كان القائل للأعشى هذه المقالة أبو جهل . قالها في دار عتبة ابن ربيعة ، وكان نازلا عنده ، قال المؤلف : وهذه غفلة من ابن هشام ، ومن قال بقوله ، فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد^(٣) ، وحرمت في سورة المائدة ، وهي من آخر ما نزل ، وفي

(١) رواه الشيخان

(٢) كان أبوه فيس يدعى : قتييل الجوع ؛ لأنه دخل غارا . فوقعت صخرة ، فسدت الفار ، فمات جوعا ص ٨٣ سبط اللآلى ، وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة أن رحلته كانت في صالح الحديبية . وهذا يوافق ما ذهب إليه السمعاني ، وما ذكر عن تحريم الخمر ، وما ورد في القصيدة

ونسبه في الأغاني : ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ، ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن الخ وما بين قوسين في السيرة زده عن الأغاني . كان الأعشى يلقب بصناجة العرب ، لأنه - كما يقول صاحب الأغاني - كان يغنى في شعره .

(٣) تظاهرت عدة أحاديث تؤيد هذا الرأي ، وفي البخاري بسنده عن جابر قال : أصبح أناس غداة أحد الخمر ، فقتلوا من يومهم شهداء ، وذلك قبل تحريمها .

الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها ، وغنمته القينتان : ألا يا حمز ،
للشرف^(١) النواء ، فبقر خواصر الشارفين ، واجتنب أسنمتهم .

(١) الحديث كما قال . وخلاصته أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قد أعطى عليا شارفا - والشارف من الإبل الناقة التي قد أسنت - من غنائم بدر غير شارف آخر كان لعلي نصيبا من غنائم بدر ، وذهب على لبعض شأنه ، والشارفان إلى جنب حجرة رجل من الانصار ، فلما عاد على وجدتهما ، وقد قطعت أسنمتهما ، وبقرت خواصرهما ، وأخذ من أكبادهما ، فبكى على ، وعرف أن فاعل ذلك هو عمه حمزة الذي كان مع جماعة من الانصار يشربون الخمر ، فسكر ، وغنمته جاريتان شعرا - سياقي بعدد مقام وفعل بالشارفين ما تقدم ذكره ، فذهب على يشكو للنبي د ص ، فذهب النبي د ص ، إلى البيت الذي فيه حمزة ، وطفق يلومه ، فراح يصعد النظر في رسول الله د ص ، عدة مرات ، ثم قال حمزة : هل أنتم إلا عبيد لآبي ، فعرف الرسول د ص ، أنه قد ثمل - أى غشاه السكر - فنكص على عقبيه القهقري ، وقد غنت الجاريتان حمزة بما يأتي :

ألا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء
ضع السكين في اللبات منها وضر جن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبها لشرب قديدا من طابخ أو شواء

وقد أراد الذي أمر القينتين أن تغنيا هذا بعث همه حمزة - لما عرف من كرمه - لنجر الناقين . والنواء بكسر النون جمع نارية ، وهى الناقة السمينة . والشرب بكسر الشين وسكون الراء جمع شارب ، والفناء بكسر الفاء : جانب الدار التي كانوا فيها ، وضر ج : لطح ، القديد : اللحم المطبوخ . وفى معجم الشعراء للمعزبانى أن هذا الشعر أعده بن السائب بن أبي السائب الخزومي ، ولكنه غير أنصارى . والقهقري : المشى إلى خلف ، وهذه حكمة عظيمة من الرسول د ص ، إذ خشي ازدياد عبث حمزة في حال سكره ، فينتقل من القول إلى الفعل . وعند ابن أبي شيبة أن الرسول د ص ، أغرم حمزة ثمن الناقين . وقد روى البخارى الحديث في باب الخنس ، وغنائم بدر

وقوله للنبي عليه السلام: هل أنتم إلاَّ عبيدٌ لآبائي ، وهو ثَمِيل . الحديث بطوله . فإن صح خبر الأعشى ، وما ذكر له في الخمر ، فلم يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة ، ويكون القائل له : أما علمت أنه يحرم الخمر ، من المنافقين ، أو من اليهود ، فالله أعلم . وفي التصيدة ما يدل على هذا قوله : فإن لها في أهل يثرب موعدا ، وقد ألفيت للقالى رواية عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : لقي الأعشى عامر بن الطفيل في بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر له أنه يحرم الخمر ، فرجع ، فهذا أولى بالصواب ، وقول الأعشى : أتروى منها هذا المام ، ثم أعود فأسلم لا يخرجني عن الكفر بإجماع ، قال الإسفراييني في عقيدته : إذا قال المؤمن سأ كفر : غدا أو بعد غد ، فهو كافر لحينه بإجماع ، وإذا قال الكافر : سأؤمن غدا ، أو بعد فهو على كفره ، لا يخرجني عن حكم الكفر إلاَّ إيمانه إذا آمن ، ولا خـلاف في هذا والله المستعان .

وقوله: أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ أَرْمَدًا ، لم ينصب ليلة على الظرف ؛ لأن ذلك يفسد معنى البيت ، ولسكن أراد المصدر فحذفه ، والمعنى : اغتماض ليلة أرمد ، فحذف المضاف إلى الاليلة ، وأقامها مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه ^(١) ، وقد روى هذا البيت : ليلك بالكاف ، ومعناه : غَمَضُ أَرْمَدَ ، وقيل : بل أرمد على هدم

(١) قال الفارسي : أراد : اغتماض ليلة أرمد ، وليس بظرف ، ونسب الاغتماض إلى الليل ، كما قال عز وجل : « بل مكر الليل والنهار » ص ٤٠ سمط اللالى للبكرى

الرواية من صفة الليل ، أى حال منه على المجاز ، كما تقول : ليالك ساهر .

وقوله : تناسيت قبل اليوم خلة مَهْدَدَا . مَهْدَدٌ : فَعْلٌ من المَهْد ، ولولا قيام الدليل على أن الميم أصلية لحكنا بأنه مَفْعَل ؛ لأن الكلمة الرباعية إذا كان أولها ميما أو همزة ، فحملها على الزيادة ، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية ، والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف في الدال ؛ إذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف ، ولقلت فيه : مَهْدٌ كما تقول : مَرَدٌ وَمَكْرٌ ومَفَرٌّ وكل ما وزنه مَفْعَل من المضاعف ، وإنما الدال في مَهْدَدَ ضوعفت ليلحق ببذاء جَعْفَر^(١)

(١) يقول أبو عثمان المازني في التصريف في باب الإلحاق المطرد في الأسماء والأفعال : « أما المطرد الذي لا ينكسر ، فإن يكون موضع اللام من الثلاثة مكررا للإلحاق ، مثل مهدد وقردد وعذدد ، ص ٤٧ »

ويقول ابن جنى في المنصف شرح التصريف : « اعلم أنك إذا استوفيت ثلاثة أحرف من الأصوات ثم تكررت اللام قضيت بزيادتها ، وذلك نحو قردد وجلبب فالدال والباء الأخيرتان زائدتان ؛ لأنهما قد تكررتا ، ولو كان موضع الدال الأخيرة حرف غير الدال لكانت الكلمة رباعية ، ص ٤٧ »

وفي ص ١٤١ يقول أبو عثمان المازني : « ومهدد الميم فيه أصل ؛ لأنها لو كانت زائدة لكانت مهدا : بفتح الميم والهاء وتضعيف الدال ، لأن مفعلا : بفتح الميم وسكون الفاء وفتح العين ، من المضاعف يحى مدغما نحو مرد ومسد . ويشرح ابن جنى هذا بقوله : « فظهور الدالين يدل على أنه فعلل بمنزلة قردد فإن قال قائل فقد قالوا : محجب فبينوا وهو مفعل — فما تنكر أن يكون مهدد أيضاً مفعلا من الهد ؟ قيل محجب شاذ لا يقاس عليه ، وقياسه محب كمرد ومسد ثم بين أن محجب علم ، والاعلام تغير كثيرا عما عليه أكثر الأسماء ، ولهذا جاز في محجب إظهار التضعيف ، ثم قال : فإن قال قائل فإن مهدد اسم علم ، وهو اسم امرأة ، فما تنكر أن يكون مهدد مثل محجب ، إذ هو علم مثله ؟ ثم أجاب هو عن =

وقوله : إِذَا خِلَتْ حِرْبَاءُ الظُّهيرة أَصِيدُ . والأصيد : المائل العنق ، ولما كانت الحِرْبَاءُ تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت ، كانت في وسط السماء في أول الزوال ، كالأصيد ، وذلك أحر ما تكون الرَّمْضاءُ . يصف ناقته بالنشاط ، وقوة المشي في ذلك الوقت .

وقوله : خِنَافًا إِيَّيْنَا . في العين : خَنَفَتِ الناقة تخنِفَ يديها في السير ، إذا مالت بهما نشاطاً ، وناقة خَنُوف قال الرازي .

إِنْ الشَّوَاءَ وَالنَّسِيلَ وَلِرُغْفُ وَالْقَيْنَةِ الحَسَنَاءِ ، وَالكَاسِ الْأُنْفُ
لِلظَّاعِنِينَ الْخَيْلَ ، وَالْخَيْلُ خُمُفٌ^(١)

== هذا بقوله : إِنْ محبوب مفعول من الحب . أما مهدد فليس فيها دليل يدل على أنها من الهد ، دون المهد . فيقضى بأنه مفعول ، انظر ص ٤١ ، ٤٧ ، ١٤١ من كتاب المنصف لابن جنى بشرحه التصريف للمازني ، انظر أيضاً ص ٥٨ > ٢ الخصائص وص ١٤ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٤ من شرح شافية ابن الحاجب ج ١

(١) الرجز للقيط بن زرارة ، وفي اللسان : النشيل ، وقطف بدلا من النسيل . وخنف ، وللضاربين الهام بدلا من : الظاعنين الخيل . والشواء : لحم مشوى . والنشيل على رواية اللسان : ما طبخ من اللحم بغير توابل يخرج من المرق ، وينشل . ويقال أيضاً ، نسل اللحم : أخذ بيده عضواً ، فتناول ما عليه من اللحم بفيه وهو النشيل ، واللحم الذي يؤخذ قبل النضج ، والقينة : الجارية المغنية ، الكاس الأنف : هي التي لم يشرب بها قبل ، والقطف : جمع قطوف ، وهي التي تسمى السير .

وقوله : **أَيِّنَّا** غير **أَحْرَدَا** ^(١) أى : تفعل ذلك من غير حرَد في يديها ، أى اعوجاج ، و**النَجِيرُ** و**صَرَخْدُ** بلدان ، وأهل النجير أول من ارتد في خلافة أبي بكر بعد أهل ^(٢) **دَبَا** وكان أهل دبا قد حاصروهم **حُدَيْفَةُ** بن **أَسِيد** ، وحاصر أهل النجير **زياد بن لبيد** بأمر أبي بكر ، حتى نزلوا على حكمه . وأما **صَرَخْدُ** فبلد طيب الأغراب ، وإليه تنسب **الْقَصْرُ خَدِيَّة** . وفي الأملى : ولذَّ كَطْعِ **الْقَصْرِ خَدَى** تركته

(١) البيت في اللسان في مادة : خذف .

(٢) بفتح الدال على وزن فعل مع القصر : سوق من أسواق العرب بعمان ، ومدينة عظيمة مشهورة بعمان كانت قصبته ، وبضم مع تشديد الباء من نواحي البصرة فيها أنهار وقرى ، والدبا بالتعريف : موضع يظهر الحيرة معروف ، وفي هامش نسخة من معجم ما استمعجم : دبا : إحدى فرضتى العرب يجتمع فيها تجار أهل الهند والسند . والصين وأهل المشرق والمغرب ،

(٢) تمام البيت : و بارض العد من خشية الحدثان ، وبعده :

ومبدلى الشحناء بينى وبينه دعوت وقد طال السرى ، فدعانى

لذ : يعنى النوم ، و**الصَرَخْدَى** : العسل كذا قال أبو الميَّاس ، والعداء : الأعداء ، الحدثان : ما يحدث من الأمور . وقال أبو بكر : اللذ : اللذيذ يعنى النوم و**الصَرَخْدَى** : الخمر ، وقوله : ومبدلى الشحناء ، يعنى : كلبا وذلك أن الرجل إذا تحير في الليل ، فلم يدر أين البيوت نبح ، فقسمه الكلاب ، فتنبج ، فيقصد أصواتها . ص ٢١٠ ج ١ أملى القالى ط ٢ ولم ينسبهما إلى أحد . وهما في حيوان الجاحظ ص ١٢١ > ١ . تحت عنوان : وقال آخر يصف كلبا ، والبيت الأول في اللسان رواء في مادة : لذ ، و**صَرَخْدُ** وقال : قال ابن برى : البيت للراعى ، وعجزه : دفعته . عشية خمس القوم والعين عاشقة ، أراد أنه لما دخل ديار أعدائه لم ينم حذارا لهم . وهذه الرواية الأخيرة رواء اللسان في مادة **صَرَخْدُ**

وقوله : وآيت لا آوى لها من كَلَالَةٍ ، ولا من وَجَى ^(١) ، أى : لأرق لها ،
يقال : آويت للضعيف إِيَّةً ومَأْوِيَةً ^(٢) إذا رقت له كبكك .

وقوله : أغار لَعْمَرَى في البلاد وأنجد ، المعروف في اللغة : غار وأنجد ، وقد
أشدوا هذا البيت : لعمري غَارَ في البلاد وأنجدا . والغورُ : ما انخفض من
الأرض ، والنجدُ : ما ارتفع منها ، وإنما تركوا القياس في الغور ، ولم يأت على
أفعل إلا قايلا ، وكان قياسه أن يكون مثل أنجدَ ، وأنهم ؛ لأنه من أَمَّ الغور ،
فقد هبط ونزل ، فصار من باب غار الماء ، ونحو ذلك ، فإن أردت : أشرف على
الغور ، قلت : أغار ، ولا يكون خارجا عن القياس ^(٣)

وقال : صرخد : موضع نسب إليه الشراب في قول الراعي ، ثم روى البيت بالرواية
الآخيرة .

ولذ كطعم الصرخدى طرخته عشية خمس القوم والقوم عاشقة
وفي المراصد : صرخد : قلعة ملاصقة لبلد حوران حصينة وولاية واسعة
حسنة ، وينسب إلى صرخد الخمر الجيد . وقد وصفها أبو الفداء في التقويم
وصفا دقيقا ، ومن قاله أن من شرقها يسلك الإنسان طريقا إلى العراق يتطلب
من السائر عشرة أيام ليصل إلى بغداد .

(١) في الأغاني : فأليت لا أرثى ، والأغاني حفى كما في السيرة ، وفي تجريد
الأغاني : وجى كما في الروض . وهناك في الأغاني مغارة أخرى هينة لما هنا .
(٢) في القاموس : أوى له كروى أوية ، وإية ومأوية ، ومأواة : رقى .
(٣) وفي الأغاني عن مصيره : « فبلغ خبره قريشا ، فرصدها على طريقه ،
وقالوا : هذا صناجة العرب ما مدح أحدا قط إلا رفع من قدره ، فلما ورد
عليهم ، قالوا له : أين أردت يا أبا بصير قال : أردت صاحبكم هذا لاسلم ، قالوا :
لأنه ينهك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق ، قال : وما هن ؟

وقوله : وليس عطاء اليوم مانعه غدا . معناه على رفع العطاء ونصب مانع ، أى : ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانعاه غدا من أن يعطيه ، فإلهاء عائدة على الممدوح ، فلو كانت عائدة على العطاء لقال : وليس عطاء اليوم مانعه هو ، بإبراز الضمير الفاعل ، لأن الصفة إذا جرت على غير من هى له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل ، وذلك لِسِرِّ بيناه فى غير هذا الموضع لم يذكره الناس ، ولو نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، لأنه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويكون اسم ليس على هذا مضمرا فيها عائدا على النبي صلى الله عليه وسلم .

== فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا ، قال : لقد تركنى الزنا ، وما تركته ، ثم ماذا ؟ قال : القمار ، قال : لعلى إن لقيته أن أصيب منه عوضا عن القمار ، ثم ماذا ؟ قالوا : الربا . قال : ما دنت ولا أدنت ، ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر ، قال : أوه ، أرجع إلى صباية قد بقيت لى فى المهراس ، فأشربها فقال له أبو سفيان : هل لك فى خير مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن ، وهو الآن فى هدنة ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنتك هذه ، وتنظر ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفنا ، وإن ظهر علينا أتيتهم ، ورجع بعد أن أخذ مائة بمير . ورواية الأغانى تتفق وما قيل عن تحريم الخمر ، وما روى فى بعض الأحاديث عن زمن تحريمها . وعن مصير الأعشى يقول الأغانى : فلما كان بقاع منفوخة رمى به بعيره فقتله . ورواية الأغانى قريبة جداً من رواية ابن قتيبة فى طبقات الشعراء

غور كل شيء : قعره وعمقه وبعده ، وقال الفراء : أغار بمعنى : غار . ويقول ابن منظور . وقد روى بيت أعشى مخروم النصف : غار لعمرى فى البلاد وأنجدنا . وقال الجوهري : غار يغور غورا ، أى : أتى الغور ، ولا يقال : أغار . وقال الأصمعي عن معنى أغار فى بيت الأعشى : أسرع ، وأنجد : أى ارتفع ، ولم يرد فى البيت : أتى الغور ، ولا أنجدنا ، قال : وليس عند الأصمعي فى إتيان الغور إلا أغار . وانظر مادة غور ، ففىها تفصيل أكثر .

وقوله : فانكحن أو تأبدا . يريد : أو ترهب ؛ لأن الراهب أبداً عزب
فقليل له : متأبداً اشتق من لفظ الأبد .

وقوله : فالله فاعبدا ، وقف على النون الخفيفة بالالف ، وكذلك
فانكحن أو تأبدا ، ولذلك كتبت في الخط بالف ، لأن الوقف عليها بالالف ،
وقد قيل في مثل هذا : إنه لم يُرد النون الخفيفة ، و إنما خاطب الواحد
بخطاب الاثنين ، وزعموا أنه معروف في كلام العرب ، وأنشدوا في ذلك :
فإن تزجراني يا ابن عفان أزدجر وإن تدعاني أحمر عرساً مُنمعا^(١)
وأنشدوا أيضا في هذا المعنى :

وقلت لصاحبي : لا تحبسنا بنزع أصولها واجتث شيئا^(٢)

(١) البيت لسويد بن كراع العكلي ، وكان سويد قد هجا به عبد الله
ابن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان . فأراد ضربه ، فقال سويد
قصيدة أولها :

تقول ابنة العوفي ليلي ألا ترى إلى ابن كراع لا يزال مفرعا
مخافة هذين الأميرين سهدت رقادي وغشتني بياضا مفرعا
وهذا يدل على أنه خاطب اثنين لا واحدا . بدليل قوله أيضا .

فإن أننا أحكمتاني فازجرا أراط توذيني من الناس رصعا

(٢) في رواية : واجدز أي : اجتز ، والبيت من أبيات للمضرس بن ربيع
الفقعسي الأسدي ، وهي :

وضيف جاءنا والليل داج وريح القر تحفز منه روحا

ونسبه الجوهري ليزيد بن الطثرية نقلا عن الكسائي ، ولكن ابن برويه
في أماليه على الصحاح يؤكد أنه لمضرس ، وفي رواية : فقلت لصاحبي لا تحبسني .

ولا يمكن إرادة النون الخفيفة في هذين البيتين ، لأنها لا تكون ألفا ،
إلا في الوقف ، وهذا الفعل قد اتصل به الضمير ، فلا يصح اعتقاد الوقف
عليه دون الضمير ، وحكى أن الحجاج قال : يا حرسى اضربا عنقه ، وقد يمكن
فيه حمل الوصل على الوقف ، ويحتمل أن يريد : اضرب أنت وصاحبك ،
وقد قيل في قوله سبحانه : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ إن الخطاب للمالك وحده حملا على
هذا الباب ، وقيل : بل هو راجع إلى قوله تعالى : (سائق وشهيد) وفي القصيدة
زيادة لم تقع في رواية ابن هشام وهي قوله في وصف الناقة :

فأما إذا ما أدْجَلْتُ ، فترى لها رقيبين نجماً لا يغيب وقرْقدًا

وقع هذا البيت بعد قوله : ليما غير أحردا

وقوله في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : أغار لعمرى في البلاد
وأنجدا . وبمده :

به أنقذ الله الأنام من القمى وما كان فيهم من يرئع إلى هدى

حديث الإراشى :

فصل : وذكر حديث الإراشى الذى قدم مكة ، واستعدى على أبى جهل .
قال ابن إسحاق : هو من إراش ، وهو ابن الغوث أو ابن عمرو ^(١) ،
ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهو والد أنمار الذى
ولد بجيلة وخنم . وإراشة الذى ذكر ابن هشام : بطن من خنم ، وإراشة

(١) في جمهرة ابن حزم : إراش بن عمرو بن الغوث النخ

مذكورة في المالميق في نسب فرعون صاحب مصر ، وفي بَيْلٍ أَيْضاً بنو
إِراشة^(١) ، وقوله : مَنْ [رجل] يُوْدِيْنِي على أبي الحـكم أى : يعيننى على أخذ
حتى منه ، وهو من الأداة التى توصل الإنسان إلى ما يريد ، كأداة الحرب ،
وأداة الصانع ، فالحـكم يُوْدِي الحـصم ، أى يوصله إلى مطلبه ، وقد قيل : إن الهمزة
بدل من عين ، ويُوْدِي ويعدى بمعنى واحد ، أى : يزيل العُدوان ، والعَداء
وهو : الظلم ، كما تقول : هو يُشْكِيك أى : يزيل شـكْوَكَ ، وفي حديث
خَبَاب : شكونا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حَرَّ الرَّمْضَاءِ ، فلم يُشْكِنَا
معناه على أحد القولين : لم يرفع شكوانا ولم يُزِلْهَا .

وقوله : فخرج إليهِ ، ومافى وجهه راحة ، أى : بقية روح ، فكان معناه : روح
باقية ، فذلك جاء به على وزن فاعله ، والدليل على أنه أراد معنى الرُّوح وإن
جاء به على بناء فاعلة قول الإِراشِي في آخر الحديث : خرج إلى ، وما عنده رُوحُه .
مصارعة رُكَّاة :

فصل : وذكر حديث رُكَّاة ومصارعة للنبي - صلى الله عليه وسلم -^(٢)

(١) وفي الاشتقاق : ومن بنى إراشة .

(٢) قصة المصارعة مشهورة لركانة لكن جاء من وجه آخر أنه يزيد
ابن ركانة . وفي حديث المصارعة اضطراب . ولقد قال الترمذى عن حديث
المصارعة الذى أخرجه هو وأبو داود من رواية أبى الحسن العسقلانى عن
أبى جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه : غريب ، وليس لإسناده بقاء . وحديث
للشجرة التى طلب الرسول دس ، مشهيا لإسناده هدى القرآن .

وقد تقدم مثل هذا الحديث عن أبي الأشدين الجُمَحيّ ، ولعلمهما أن يكونا جميعاً صارعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم التعريف بأبي الأشدين ، وباسمه ونسبه ؛ ورُكَّانَة هذا هو : ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب من مَسَلَمَة الفتح ، وتوفي في خلافة معاوية ، وهو الذي طلق امرأته ألبتة ، فسأله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن نيته ، فقال : إنما أردت واحدة ، فردها عليه ^(١) ، ومن حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إن لكل

(١) روى أبو داود في سننه عن نافع بن عجير بن عبد يزيد بن ركانة أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته سهيمة ألبتة ، فأخبر النبي ﷺ بذلك ، وقال : والله ما أردت إلا واحدة ، فقال النبي ﷺ : والله ما أردت إلا واحدة ؟ فقال ركانة : والله ما أردت إلا واحدة ، فردها إليه رسول الله ﷺ ، فطلقها الثانية في زمن عمر ، والثالثة في زمن عثمان ، وفي جامع الترمذي عن عبد الله ابن يزيد بن ركانة عن أبيه عن جده أنه طلق امرأته ألبتة ، فأتى رسول الله ﷺ فقال له : ما أردت ؟ قال واحدة ، قال : آله ، قال : آله . قال : هو على ما أردت ، قال الترمذي : لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وسألت محمداً — يعني البخارى — عن هذا الحديث ؟ فقال : فيه اضطراب . فتارة يقول : طلقها ثلاثاً وتارة يقول : واحدة ، وتارة يقول : ألبتة ، وقال أحد : وطرقه كلها ضعيفة . أقول : إن القرآن يفرض أن يكون الطلاق بشروطه المذكورة في الكتاب ، مرة بعد مرة حتى يبلغ ثلاثاً ، وبعدها لا تحل حتى تنكح زوجاً آخر . ولا يصح إيقاع الطلاق مطلقاً إلا بعد القيام بما فرض الله من وعظ وهجر في المضاجع وضرب يقصد به التأديب ، ثم تحكيم مؤمنين خبيرين بالحكمومة ، فإن لم يصل معها إلى غاية تقيم البيت على مودة ورحمة ، وتمسكتهما من إقامة حدود الله ، تربص بها حتى تظهر بما يأتيها كل شهر ، ثم بعد هذا يوقع الطلاق مرة واحدة قبل أن يمسه وكذلك في المرة الثانية =

دين خلقا، وخلق هذا الدين الحياء^(١)، ولابنه يزيد بن رُكَّانة صحبةً أيضاً، ويروى عن يزيد بن رُكَّانة ابنه على، وكان على قد أعطى من الأيد والقوة ما لم يُعْطَ أحد، زرع في ذلك إلى جدِّ رُكَّانة، وله في ذلك أخبار ذكرها ألفا كهي، منها: خبره مع يزيد بن معاوية، وكان يزيد بن معاوية من أشد العرب، فصارعه يوما، فصرعه على سرعة لم يسمع بمثلا، ثم حمله بعد ذلك على فرس سجوح لا يطلق، فعلم على ما يراد به، فلما تجمَّع به الفرس ضمَّ عليه نخذه حكمة نفق منها الفرس، وذكر عنه أيضا أنه نابط رجلين أيدَيْن، ثم جرى بهما، وهما تحت إبطَيْهِ حتى سماحا: الموت الموت، فاطلقهما.

وفد نصارى الحبشة:

فصل: وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وإيمانهم، وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ ولم يقل: من النصارى، ولا سمَّاهم هو سبحانه بهذا الاسم، وإنما حكى قولهم الذى قالوه حين عرفوا بأنفسهم، ثم شهد لهم بالإيمان، وذكر أنه أنابهم الجنة، وإذا كانوا هكذا

== ثم الاخيرة أمام عدلين في كل مرة. ولنتدبر سورة الطلاق، وآيات الطلاق في سورة البقرة نجد القرآن يهدينا إلى أن الله لم يشرع لإيقاع الثلاث جملة واحدة ألبتة. وحسبنا قوله سبحانه: (لطلاق مرتان) فإن العرب في لغتها لا تعقل وقوع المرتين إلا متعاقبتين، وثبت أدلة أخرى، وحسبنا ما ذكرناه.

(١) رواه ابن ماجه عن أنس وابن عباس كما ذكر السيوطى فى الجامع الصغير

وقال عنه: ضعيف.

فليسوا بنصارى ، هم من أمة محمد - عليه السلام - وإنما عُرف النصارى بهذا الاسم ، لأن مبدأ دينهم كان من ناصرة قرية بالشام ، فاشتقَّ اسمهم منهم ، كما اشتقَّ اسم اليهود من يهود بن يعقوب ، ثم لا يقال لمن أسلم منهم : يهودى اسم الإسلام أولى بهم جميعاً من . ذلك النسب ^(١) .

عن غلام المبيغ ومصر برب وأبى فكبره :

فصل : ذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس إلى مبيغة

(١) هدى القرآن يؤكد أن كل رسول دعا إلى الإسلام ، لأنه هو دين الله الذى به أرسلوا جميعاً ، ويقول الدكتور بوست فى قاموسه عن يهود : « أطلقت هذه الكلمة أولاً على بنى يهوذا تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا : لإسرائيل إلى أن تشتت الأسباط أولاً ، وأمر يهوذا ثانياً ، فن تم دعى جميع نسل يعقوب يهوداً ، وفى أيام المسيح والرسول انقسم كل العالم إلى يهود وأمم ، وقد روى البيهقي حديث هؤلاء فى دلائل النبوة وأعلام الرسالة . هذا وقد ذكر النسائي أن آيات سورة المائدة (ذلك بأن منهم قسيسين) قد نزلت فى حق النجاشي ، بينما يروى الطبراني أنها فى حق كرا بين أى : فلاحين ، جاءوا مع جعفر بن أبى طالب ص ٨٦ ج ٢ تفسير ابن كثير . وهذا الاختلاف يحتم علينا ألا ننتد كثيراً على ما روى من أسباب النزول . وذكر الإمام أحمد وابن جرير ، وابن أبى حاتم فيما نزل فى حق المستضعفين أن الذى مر على الرسول . د ص ، هو الأفرع ابن حابس التميمي وعيينة بن حصن . فطلبوا منه أن يبعد المستضعفين عنه ، وأن يقعد معهم متى شاء حين يفرغون منه ، فأجابهم إلى طلبهم ، ولكن قال ابن كثير عنه : إنه حديث غريب ، لأن الآية مكية . والأفرع وعيينة ، إنما أسلبا بعد الهجرة بزمان طويل . وروى الحاكم غير هذا .

غُلام^(١) . المبيعة : مَفْعُلةٌ مثل المبيشة ، وقد يجوز أن يكون مَفْعُلةٌ بضم العين - وهو قول الأخفش ، وأما قولهم : سلمة مبيعة ففعلولة ، حُذفت الواو منها في قول سيبويه حين سكنوا الياء استئقالا للضمة ، وفي قول أبي الحسن الأخفش إن الياء بدل من الواو الزائدة في مَبْيُوعَة ، ووزنها عنده : مَفْعُلةٌ بحذف العين ، ولل كلام على هذين المذهبين موضع غير هذا .

وذكر ضُهِيباً وأبا فَيْكِيهة ، وسنذكر اسم أبي فَيْكِيهة ، والتعريف به فيما بعد لأنه بذري ، وكذلك ضُهِيبُ بْنُ سِنَانٍ ، ونقتصر في هذا الموضع على ذكر اسمه وهو : يسار مولى عبد الدار^(١) .

(١) هناك خلاف حول اسم هذا الغلام وحول الذين افتروا قصة السوء ، فعن قتادة ، أن اسمه يعيش ، وعن ابن عباس أن اسمه بلعام ، وكان المشركون يرون رسول الله حين يدخل عليه ، ويخرج من عنده ، فقالوا هذه القرية ، وقال الضحاک : هو سلمان الفارسي ولكن الآية مكية ، وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، وروى عن عبد الله بن مسلم أنه كان له غلامان روميان يقرآن كتاباً لهما بلسانهما ، فكان النبي (ص) يمر بهما ، فيسمع منهما ، فقال المشركون ما قالوا . وروى الزهري عن ابن المسيب أن الذي بهت الرسول (ص) بهذه القالة الكاذبة رجل كان يكتب الوحي للرسول (ص) ثم ارتد بعد ذلك . وهي أقوال يضرب بعضها بعضها . ولقد رد الله على القرية رداً هو الحق الذي يزهد الباطل ، فلنستدبره .

(٢) قيل إنه : مولى صفوان بن أمية . ويقال إن أصله من الأزد ، وقيل إن اسمه أفتح بن يسار ، وإن كان ينسب إلى الأشعرين .

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق : وكان العاص بن وائل السهمي - فيما بلغني - إذا ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : دعوه ، فإنما هو رجل أبتّر ، لا عقب له ، لو مات لا تقطع ذكره ، واسترحم منه ، فأنزل الله في ذلك : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . وَالْكَوْثَرُ : العظيم .

الكوثر في الشعر

قال ابن إسحاق : قال لبيد بن ربيعة الكلابي :
وصاحب مَلْحُوبٍ فُجِعْنَا بَيَوْمِهِ وعند الرِّدَاعِ بَيْتُ آخِرِ كَوْثَرٍ
يقول : عظيم .

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له . وصاحب مَلْحُوبٍ : عَوْفُ
ابن الْأَخْوَصِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، مات مَلْحُوبٍ . وقوله : عند الرِّدَاعِ
بيت آخر كَوْثَرٍ : يعني شريح بن الأخوص بن جعفر بن كِلَابٍ ، مات بالرِّدَاعِ .
وكَوْثَرٍ : أراد الكثير ، ولفظه مشتق من لفظ الكثير . قال الكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ يمدح
هشام بن عبد الملك بن مروان :

وأنت كثيرٌ يا بنَ مَرْوَانَ طَيِّبٌ وكان أبوك ابنُ العقائلِ كَوْثَرُ
وهذا البيت في قصيدة له . وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ الْهُذَلِيُّ يصف
حمار وحش :

يُحَامَى الْحَقِيقُ إِذَا مَا احْتَدَمْنَ وَحَمَحَمْنَ فِي كَوْنِ كَالْجِلَالِ
يعنى بالكوثر : الغبار الكثير ، شبهه لكثرة عليه بالجلال . وهذا
البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : حدثني جعفر بن عمرو — قال ابن هشام : هو جعفر
ابن عمرو بن أمية الضمري — عن عبد الله بن مسلم أخى محمد بن مسلم بن شهاب
الزهرى ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقيل له : يا رسول الله ، ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ قال : نهر كما بين صنعاء
إلى أيلة ، آيته كعدد نجوم السماء ، ترده طيور لها كأعناق الإبل . قال : يقول
عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لنا عمة ، قال : آكلها أنعم منها .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت فى هذا الحديث أو غيره أنه قال — صلى الله
عليه وسلم : « مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا » .

نزول : (وقالوا لولا نزل عليه ملك)

قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قومه إلى الإسلام ،
وكلهم ، فأبلغ إليهم ، فقال له زمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ،
والأسود بن عبد يغوث ، وأبي بن خلف ، والعاص بن وائل : لو جعل معك
يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من
قولهم : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، وآو أنزلنا مآكا لقضى الأمر
ممن لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم
ما يلبسون) الأنعام : ٨ ، ٩ .

نزول : (ولقد استهزى برسلك من قبلك)

قال ابن إسحاق : ومَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — بالوليد بن المغيرة ، وأمّية بن خلف ، وبأبي جهل بن هشام ، فغمزوه وهمزوه ، واستهزؤا به ، فغاظه ذلك : فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ : (وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ ، فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) الأنبياء : ٤١ .

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام : حدثنا يزيد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقب قال : ثم أُسْرِى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش . وفي القبايل كلها .

قال ابن إسحاق : كان من الحديث فيما بلغنى عن مشراه - صلى الله عليه وسلم - عن عبد الله بن مسعود ، وأبي سعيد الخدري ، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والحسن بن أبي الحسن البصري ، وابن شهاب الزهري ، وقتادة وغيرهم من أهل العلم ، وأمّ هاني بنت أبي طالب ، ما اجتمع في هذا الحديث ، كلّ يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أُسْرِى به - صلى الله عليه وسلم - وكان في مشراه ، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ،

وهَدَى وَرَحْمَةً وَثَبَاتٍ لِمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ سَيِّجَاهُ وَتَعَالَى عَلَى
يَقِينٍ ، فَاسْرَى بِهِ كَيْفَ شَاءَ ، لِيُريَهُ مِنْ آيَاتِهِ مَا أَرَادَ ، حَتَّى عَاينَ مَا عَاينَ مِنْ
أَمْرِهِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ ، وَقُدْرَتِهِ الَّتِي يَصْنَعُ بِهَا مَا يُرِيدُ .

رَاوِيَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ

فَسَكَانُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ — فِيمَا بَلَغَنِي — عَنْهُ — يَقُولُ :

أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبُرَاقِ — وَهِيَ الدَّابَّةُ الَّتِي كَانَتْ
تُحْمَلُ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ ، تَضَعُ حَافِرَهَا فِي مَنْتَهَى طَرَفِهَا — فَحُمِلَ عَلَيْهَا ،
ثُمَّ خَرَجَ بِهِ صَاحِبُهَا ، يَرَى الْآيَاتِ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَيْتِ
الْمَقْدَسِ ، فَوَجَدَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ وَمُوسَى وَعِيسَى فِي نَقَرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ
جُمِعُوا لَهُ ، فَصَلَّى بِهِمْ . ثُمَّ أَتَانِي بِثَلَاثَةِ آتِيَةٍ ، إِنْاءٌ فِيهِ لَبَنٌ ، وَإِنْاءٌ فِيهِ خَمْرٌ ،
وَإِنْاءٌ فِيهِ مَاءٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ
حِينَ عُرِضَتْ عَلَيَّ : إِنْ أَخَذَ الْمَاءَ ، غَرِقَ وَغَرِقَتْ أُمَّتُهُ ، وَإِنْ أَخَذَ الْخَمْرَ غَوَى ،
وَوَغَوَتْ أُمَّتُهُ ، وَإِنْ أَخَذَ اللَّبْنَ هُدِيَ ، وَهُدِيتْ أُمَّتُهُ . قَالَ : فَأَخَذْتُ إِنْاءَ اللَّبَنِ ،
فَشَرَبْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هُدِيتَ وَهُدِيتْ أُمَّتُكَ يَا مُحَمَّدُ .

حَدِيثُ الْحَسَنِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحُدِّثْتُ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَيْنَا أَنَا نَأْتِمُ فِي الْحِجْرِ ، إِذْ جَاءَنِي جِبْرِيلُ ، فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ،
فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ، فَعُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَجَاءَنِي الثَّانِيَةَ فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ،

فجلستُ فلم أرَ شيئاً ، فعدتُ إلى مَضْجَعِي ، فجاءني الثالثةُ فهمزني بقدمه ، فجلستُ ، فأخذ بَعْضِي ، فقامتُ معه فخرج إلى بابِ المسجد ، فإذا دَابَّةٌ أبيضُ ، بين البغل - والحمار - في فَيْخِذِهِ جَنَاحَانِ يَحْمِزُ بهما رجلَيْه ، يضع يده في مُنْتَهَى طرفه ، فحُمِّلْنِي عليه ، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

حديث قتادة

قال ابن إسحاق ، وحُذِّثتُ عن قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ : حُذِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لِمَا دَنَوْتُ مِنْهُ ؛ لِأَرْكَبَهُ شَمْسٌ ، فَوَضَعَ جَبْرِيلُ يَدَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَسْتَعِجِي يَا بَرَأَقُ مِمَّا تَصْنَعُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَكِبْتُ عَبْدَ اللَّهِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ . قَالَ : فَاسْتَعْجِلَا حَتَّى ارْقُضَ عَرَقًا ، ثُمَّ قَرَّ حَتَّى رَكِبْتَهُ .

من حديث الحسن

قال الحسنُ في حديثه : فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَضَى جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَوَجَدَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَلَّى بِهِمْ ، ثُمَّ أَتَى بِإِنَاءَيْنِ ، فِي أَحَدِهِمَا : خَمْرٌ ، وَفِي الْآخَرِ : لَبَنٌ . قَالَ : فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَاءَ اللَّبَنِ ، فَشَرِبَ مِنْهُ ، وَتَرَكَ إِنَاءَ الْخَمْرِ . قَالَ : فَقَالَ : لَهُ جَبْرِيلُ : هُدَيْتَ لِلْفِطْرَةِ ، وَهُدَيْتَ أُمَّتَكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَحُرِّمْتَ عَلَيْكَ الْخَمْرَ ، ثُمَّ انصرفت رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - إلى مكة ، فلما

أصبح غداً على قريش ، فأخبرهم الخبر . فقال أكثر الناس : هذا والله الإمرُ
الْبَيْن ، والله إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مُدبرة ، وشهراً مقبلة ،
أفيذهب ذلك محمدٌ في ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ! قال : فارتد كثيرٌ ممن
كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في
صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع إلى
مكة . قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، ها هو ذا
في المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ،
فما يُعجبكم من ذلك ؟ ! فوالله إنه ليُخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض
في ساعةٍ من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى
انتهى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا نبي الله . أحدثت
هؤلاء القوم أنك أتيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : يا نبي الله ،
فصفه لي ، فإني قد جئته - قال الحسن : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فرُفِع لي حتى نظرتُ إليه - فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصفه لأبي
بكر : ويقول أبو بكر : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئاً ،
قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى انتهى ، قال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - لأبي بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق ، فيومئذ سماء الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتدَّ عن إسلامه لذلك : (وَمَا جَعَلْنَا
الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ، وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُخَوِّفُهُمْ
فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا » الإسراء : ٦٠ .

فهذا حديث الحسن عن مَشْرَى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما دخل فيه من حديث قتادة .

الإسراء رؤيا

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أبي بكر : أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فُقد جسدُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله أنشأ بروحه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن غنثة بن المغيرة بن الأخنس : أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سُئل عن مَشْرَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة .

فلم ينسَ ذلك من قولها ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) الإسراء : ٦٠ . ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) الصافات : ١٠٢ . ثم مضى على ذلك . فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : تنام عيناي ، وقابى يقظان . والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعان فيه ما عان ، من أمر الله ، على أى حاله كان : نائما ، أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

الصفات التي وصف بها النبي بعض الرسل

قال ابن إسحاق : وزعم الزُّهْرِيُّ عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَصَفَ لِأَصْحَابِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى حِينَ رَأَوْهُ فِي تِلْكَ
الَّيْلَةِ ، فَقَالَ : أَمَّا إِبْرَاهِيمُ ، فَلَمْ أَرْ رَجُلًا أَشْبَهَ بِصَاحِبِكُمْ ، وَلَا صَاحِبِكُمْ أَشْبَهَ بِهِ
مِنْهُ ، وَأَمَّا مُوسَى فَرَجُلٌ طَوِيلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أَقْنَى كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ،
وَأَمَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، فَرَجُلٌ أَحْمَرٌ ، بَيْنَ الْقَصِيرِ وَالطَّوِيلِ ، سَبَطَ الشَّعْرَ ، كَثِيرَ
خَيْلَانَ الْوَجْهِ ، كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسَ ، تَحَالَ رَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً ، وَلَيْسَ بِهِ مَاءٌ ،
أَشْبَهُ رِجَالَكُمْ بِهِ عُروَةُ بْنُ مَسْعُودٍ النَّقْفِيُّ

قال ابن هشام وكانت صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما - ذكر
عمر مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب ، قال : كان علي بن
أبي طالب عليه السلام ، إذا نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال - :
لم يكن بالطويل الممّط ، ولا القصير المتردد . وكان ربعة من القوم ، ولم يكن
بالجعد القَطَطِ ولا السَّبَطِ ، كان جعداً رجلاً ، ولم يكن بالأمّطهم ولا المكنّهم
وكان أبيض مشرباً ، أذعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش
الكتد ، دقيق المشربة أجرد ، شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلّع ،
كأنما يمشي في صَدَبٍ ، وإذا التفت التفت معا ، بين كتفيه خاتم النبوة ،
وهو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، أجود الناس كفّاً ، وأجراً الناس صدراً ،
وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمّة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ،

من رآه بديهة هابة ، ومن خالطه أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم

حديث أم هانئ عن الإسراء

قال محمد بن إسحاق : وكان - فيما باغنى - عن أم هانئ بنت أبي طالب رضى الله عنها - واسمها : هند - فى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : ما أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وهو فى بيتى ، نائم عندى تلك الليلة فى بيتى ، فصلّى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبطنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما صلى الصبح ، وصلىنا معه ، قال : يا أم هانئ ، لقد صليتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيتَ بهذا الوادى ، ثم جئتُ بيت المقدس فصليتُ فيه ، ثم قد صليتُ صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطرف رِدائه ، فتكشّف عن بطنه كأنه قُبْطِيَّة مطوية ، فقلت له : يا نبي الله ، لا تحدث بهذا الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ، قال : والله لأحدثنهموه . قالت : فقلت لجارية لى حَبَشِيَّة : ويحك اتبعى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تَسْمعى ما يقول للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس أخبرهم ، فَعَجَبُوا وقالوا : ما آية ذلك يا محمد ؟ فإننا لم نسمع بمثل هذا قط ، قال : آية ذلك أنى مررتُ بعيرِ بنى فلان بوادى كذا وكذا ، فأنفرهم حِسُّ الدابة ، فَنَدَّ لَهُمْ بَعِيرٌ ، فَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنَا مُوجِّهُ إِلَى الشَّامِ . ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ بَصْجَنانٍ مررتُ بعيرِ بنى فلان ، فوجدتُ القومَ نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غَطُّوا عليه

بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن غيرهم الآن تصوب من البيضاء ، تنفية التنعيم بقدمها جل أوزق ، عليه غمارتان ، إحداهما سوداء ، والأخرى برقاء . قالت : فابتدر القوم الثنية ، فلم يكتفهم أول من الجمل كما وصف لهم ، وسألوه عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماء ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماء . وسألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أنفروا في الوادي الذي ذكره ، وندلنا بعير ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

الأبتر والكوتر :

فصل : وذكر قول العاصي بن وائل : إن محمداً أبتر إذا مات انقطع ذكره ، وأنزل الله تعالى فيه قوله من سورة الكوتر على قول ابن إسحاق ، وأكثر المفسرين . وقيل : إن أبا جهل هو الذي قال ذلك . وقد قيل : كعب ابن الأشرف ، ويلزم على هذا القول الأخير أن تكون سورة الكوتر مدنية ، وقد روى يونس عن أبي عبد الله الجعفي عن جابر الجعفي عن محمد بن علي ، قال : كان القاسم ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بلغ أن يركب الدابة ، ويسير على النجبية ، فلما قبضه الله ، قال العاصي : أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » . عَوْضاً يا محمد من مصيبتك بالقاسم : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِن شَاءَ نَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » ولم يقل : إن شئت لك أبتر^(١) يتضمن اختصاصه بهذا الوصف ، لأن هو في مثل هذا

(١) في الكلام نقص لعله : . فقوله : هو الأبتر . .

الموضع تعطى الاختصاص ، مثل أن يقول قائل : إن زيدا فاسق ، فلا يكون مخصوصا بهذا الوصف دون غيره ، فإذا قلت : إن زيدا هو الفاسق ، فمعناه : هو الفاسق الذى زعمت ^(١) ، فدل على أن بالخضرة من يزعم غير ذلك ، وهكذا قال الجرجاني وغيره فى تفسير هذه الآية أن هو تعطى الاختصاص ، وكذلك قالوا فى قوله سبحانه : (وأنه هو أغنى وأقنى) لما كان العباد ^(٢) يتوهمون أن غير الله قد يغنى ، قال : هو أغنى وأقنى ، أى : لا غيره ، وكذلك قوله تعالى : « وأنه هو أمات وأحيا » إذ كانوا قد يتوهمون فى الإحياء والإماتة ماتوهم المبرود حين قال : أنا أخى وأميت ، أى : أنا أقتل من شئت ، وأسْتَحْيى من شئت ، فقال عز وجل : وأنه هو أمات وأحيا أى : لا غيره ، وكذلك قوله تعالى : (وأنه هو ربُّ الشعري) ^(٣) أى : هو الربُّ لا غيره ، إذ كانوا قد اتخذوا أربابا من دونه ، منها : الشعري ، فلما قال : وأنه خلق الزوجين ، وأنه أهلك عاداً استغنى الكلام عن هو التى تعطى معنى الاختصاص ، لأنه فعل لم يَدْعِهِ أحدٌ ، وإذا ثبت هذا ، فكذلك قوله : إن شئت هو الأبر أى : لا أنت . والأبر : الذى لا عقب له يتبعه ، فعدمه كالأبر الذى هو عدم

(١) فى الأصل : التى .

(٢) التعبير الدقيق : بعض العبيد .

(٣) هذه الآيات من سورة النجم وترتيبها : (وأنه هو أمات وأحيا . وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تمنى ، وأن عليه النشأة الآخرة . وأنه هو أغنى وأقنى ، وأنه هو ربُّ الشعري) النجم ٤٤ — ٤٩ . وأقنى : أعطى المال المتخذ قنية . والشعري : كوكب خلف الجوزاء أشد ضياء من الغميصاء وفى القاموس : الشعري : العبور ، والشعري : الغميصاء اختا سهيل .

الذَّئِبِ، فإذا قلت هذا، ونظرت إلى العاصي، وكان ذا ولد وعقب، وولده مُعْتَرِضٌ وهشام ابنا العاصي بن وائل، فكيف يثبت له البَتَرُ، وانقطاع الولد، وهو ذو ولد ونَسْلٍ، ونفيه عن نبيه، وهو يقول: «ما كان مُحَمَّدٌ أباً أحدي من رجالكم» الأحزاب الآية: ٤٠. فالجواب: أن العاصي - وإن كان ذا ولد - فقد انقطعت العصمة بينه وبينهم، فليسوا بأتباع له، لأن الإسلام قد حجزهم عنه، فلا يرثهم ولا يرثونه، وهم من أتباع محمد عليه السلام، وأزواجه أمهاتهم، وهو أب لهم، كما قرأنا: **ابن كعب**: «وأزواجه أمهاتهم، وهو أب لهم»^(١)، والنبى أولى بهم» كما قال الله سبحانه، فهم وجميع المؤمنين أتباع النبى فى الدنيا، وأتباعه فى الآخرة إلى حوضه، وهذا معنى الكَوْنِ، وهو موجود فى الدنيا لكثرة أتباعه فيها، ليفدى

(١) لا يتصور مسلم أن قوله: وهو أب لهم، آية من القرآن، لأنها ليست فى المصحف. وما ليس فى المصحف فلا يعمده مسلم قرأنا أيا كان راويه. والحديث الذى رواه البخارى حول الآية: ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة. اقرءوا إن شئتم: (النبى أولى بالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) فأبنا مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتنى، فأنا مولاه، ولم ترد تلك القراءة عن طريق صحيح، والعجيب أن تسند هذه القراءة إلى أبى بن كعب وابن عباس، وأنها تروى عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن ١١ تدبر هذه الأسماء المحشودة وراءه وهو أب لهم، والله يقول: (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) ففى القراءة مخالفة صريحة للآية المحكمة، ثم هى توحى كثيراً من القراءات المغفلة بأن المصحف الذى بأيدينا ينقص بعض آيات أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم. ومحاولة التأويل، أو الدفاع عن هذه القراءات محاولة يكيد بها الشيطان، ويمكر ضد القرآن، ومساندة لرواة مجهولين دسوا، وكتب يحاول بعض الناس أن يرفعوها فوق القرآن.

أرواحهم بما فيه حياتهم من العلم ، وكثرة أتباعه في الآخرة ليستقيم من حوضه ما فيه الحياة الباقية ، وعدو الله العاصي على هذا هو الأبر على الحقيقة ، إذ قد انقطع ذنبه وأتباعه ، وصاروا تبعاً لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولذلك قوبل تغييره للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالبر بما هو ضده من الكثرة ؛ فإن الكثرة تضاد معنى القلة ، ولو قال في جواب اللعين : إنا أعطيناك الحوض الذى من صفته كذا وكذا لم يكن رداً عليه ، ولا مُشاكلاً لجوابه ، ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير ؛ والعدد الجَم الغفير المُضاد لمعنى البر ، وأن ذلك في الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذى أعطاه ، فلا يختص لفظ الكثرة بالحوض ، بل يجمع هذا المعنى كله ، ويشتمل عليه ، ولذلك كانت آنيته كعدد النجوم^(١) ، ويقال : هذه الصفة في الدنيا : علماء الأمة من أصحابه ومن بعدهم ، فقد قال : أصحابي كالنجوم^(٢) ، وهم يرؤون العلم عنه ، ويؤدونه

(١) في حديث متفق عليه : « حوضى مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، مازه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبداً . » كما وردت مسألة الكيزان هذه في روايتين عند مسلم ، إحداهما عن أبي هريرة ، والآخرى عن أنس . ولكن لنذكر مع هذا حديثاً آخر : « قال رسول الله - ص - : « إني فرطكم على الحوض ، من مر على شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردن على أقوام أعرفهم ، ويعرفوننى ، ثم يحال بيني وبينهم ، فأقول : إنهم منى ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير بعدى ، متفق عليه . »

(٢) في حديث رواه رزين : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وقد قال عنه المحدث الفاضل الشيخ محمد ناصر الالباني : « حديث باطل ، وإسناده واه جداً . » ص ٢١٩ ج ٣ مشكاة المصابيح .

إلى مَنْ بعدهم ، كما تَرَوِي الآنيَّةُ في الحوض ، وتسقى الواردةَ عليه : تقول :
 رَوَيْتُ الماءَ ، أى : استَقَيْتُهُ كما تقول : رَوَيْتُ العلمَ ، وكلاهما فيه حياة ، ومنه قيل
 لمن روى علماً أو شعراً : راوية تشبيهاً بالمَزَادَةِ أو الدَّابَّةِ التي يُحْمَلُ عليها الماءُ
 وليس من باب علامة ونسابة ، وفي حديث أبي بَرَزَةَ في صفة الحوض أنها
 تَنْزُو في أَكْفِ الْمُؤْمِنِينَ ، يعنى الآنيَّةُ ، وَحَصْبَاءُ الحوض : اللؤلؤُ والياقوتُ ^(١) ،
 ويقابلهما في الدنيا الحِصَمُ الماثورةُ عنه ، ألا ترى أن اللؤلؤَ في علم التعبير حِصَمٌ
 وفوائدٌ علم ، وفي صفة الحوض له المسك ، أى : حَمَائِهِ ^(٢) ويقابله في الدنيا : طيبُ
 الثناء على العلماء ، وأتباع النبي الأتقياء ، كما أن المسك ، في : علم التعبير ثناءٌ حَسَنٌ ،
 وعلم التعبير من علم النبوة مُقْتَبَسٌ . وذكر في صفة الحوض الطيرُ التي ترده
 كأعناق البُيُخْتِ ^(٣) ، ويقابله من صفة العلم في الدنيا وُرُودُ الطالبين من كل
 صُفْعٍ ^(٤) وَقَطَرٌ على حضرة العلم وانتياهم إياها في زمن النبي - صلى الله عليه
 وسلم - وبعده ، فتأمل صفة الكوثر معقولة في الدنيا ، محسوسة في الآخرة مُدْرَكَةٌ

(١) في حديث رواه الفسافي : حَصْبَاءُ اللؤلؤ والياقوت

(٢) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وإخاءة : الطين الاسود ، وفي حديث رواه البخارى عن
 الكوثر : « فَإِذَا طِينُهُ مَسَكَ أَذْفَرُ » .

وفي حديث رواه أحمد : « فَضْرِبَتْ بِيَدِي فِي تَرَابِهِ ، فَإِذَا مَسَكَ أَذْفَرُ » ، وفي
 حديث آخر : « وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى أَرْضِهِ ، فَأَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ الْمَسَكَ » .

(٣) البخت : نوع من الإبل طويلة الأعناق ، وقد ذكرت في حديث رواه
 الترمذى ، وصححه الحاكم ، وفيه : « أَوْ أَعْنَقِ الْجَزْر » ، جمع جزور : البعير .

(٤) ناحية .

بِأَعْيَانٍ - هُنَالِكَ بَيْنَ لَكَ إِعْجَازُ التَّنْزِيلِ وَمُطَابَقَةُ السُّورَةِ - اسْبَبٌ - نَزُولُهَا ،
وَلِلَّذَلِكَ قَالَ فُضَيْلٌ : (فَصَلَ لِرَبِّكَ وَانْحَرَ) أَيْ : تَوَاضَعَ لِمَنْ أَعْطَاكَ الْكَوْثَرَ
بِالصَّلَاةِ لَهُ ، فَإِنَّ الْكَثْرَةَ فِي الدُّنْيَا تَقْتَضِي فِي أَكْثَرِ الْخَلْقِ الْكِبَرَ : وَتَحْدُو
إِلَى الْفَخْرِ وَالْحَيْرِيَّةِ ، فَلِذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَائِطاً رَأْسَهُ عَامَ الْفَتْحِ حِينَ رَأَى
كَثْرَةَ أَتْبَاعِهِ ، وَهُوَ عَلَى الرَّاحِلَةِ حَتَّى أُلْصِقَ عُنُقُونَهُ ^(١) بِالرَّحْلِ امْتِثَالاً لِأَمْرِ
رَبِّهِ ، وَكَذَلِكَ أَمَرَهُ بِالنَّحْرِ شُكْرًا لَهُ ، وَرَفَعَ الْيَدَيْنِ إِلَى النَّحْرِ ^(٢) فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ
اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ الَّتِي عِنْدَهَا يَنْحَرُ ، وَإِلَيْهَا يَهْدِي مَعْنَاهُ : الْجَمْعُ بَيْنَ الْفَعْلَيْنِ . النَّحْرُ
لِلْأُمُورِ بِرَبِّهِ يَوْمَ الْأَضْحَى ، وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ بِرَفْعِ الْيَدَيْنِ إِلَى النَّحْرِ ، كَمَا أَنَّ
الْقِبْلَةَ نَحْجُوجَةٌ مُصَلَّى إِلَيْهَا ، فَكَذَلِكَ يَنْحَرُ عِنْدَهَا ، وَيُشَارُ إِلَى النَّحْرِ عِنْدَ
اسْتِقْبَالِهَا ، وَإِلَى هَذَا التَّفَتُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ : مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ
قِبْلَتَنَا ، وَنَسَكَ نُسُكَنَا فَهُوَ مُسَلِّمٌ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « قُلْ : إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي
وَنَحْيَايَ وَمَعَاقِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِأَشْرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]
الْأَنْعَامُ ١٦٢ ، ١٦٣ فَتَقَرَّنَ بَيْنَ الصَّلَاةِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَالنُّسُكِ إِلَيْهَا ، كَمَا قَرَنَ بَيْنَهُمَا
حِينَ قَالَ : « فَصَلَ لِرَبِّكَ وَانْحَرَ » وَذَكَرَ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ : كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ
وَأَبْسَاءَ ^(٣) وَقَدْ جَاءَ فِيهِ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ « كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ ^(٤) » وَبَيْنَهُمَا

(١) الْعَشُونُ : مَا نَبَتَ عَلَى الذَّقِّ وَتَحْتَهُ سَفْلًا .

(٢) النَّحْرُ : أَعْلَى الصَّدْرِ .

(٣) مِنْ حَدِيثِ رِوَاةِ الطَّبْرَانِيِّ وَابْنِ حِبَّانَ . وَأَيْلَةُ : مَدِينَتُهُ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ

الْقَلْزُومِ مَا بَلَغَ الشَّامَ . وَأَيْلَةُ : مَوْضِعٌ بِرِضْوَى .

(٤) جَرَبَاءُ — وَفِي الْأَصْلِ : حَرْبَاءُ مَوْضِعٌ مِنْ أَعْمَالِ عُمَانَ بِالْبَلْقَاءِ مِنْ

أَرْضِ الشَّامِ . وَمَا وَارِدَتَانِ فِي حَدِيثٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ . وَجَرَبَاءُ تَقْصَرُ وَتَمُدُّ ، وَالْقَصْرُ

مسافة بعيدة ، وفي الصحيح أيضاً في صفته : كما بين عدن أبين إلى عمان ، وقد تقدم ذكر أبين ، وأنه ابن زهير بن أيمن بن خير ، وأن عدن سميت برجل من خير عدن بها ، أي : أقام ، وتقدم أيضاً ما قاله الطبري أن عدن وأبين هما ابنا عدنان أخوا معد ، وأما عمان بتشديد الميم وفتح العين ، فهي بالشام قرب دمشق ، سميت بعمان بن لوط بن هاران ، كان سكناها - فيما ذكروا - وأما عمان بضم العين وتخفيف الميم ، فهو باليمن سميت بعمان بن سنان ، وهو من ولد إبراهيم - فيما ذكروا - وفيه نظر ؛ إذ لا يُعرف في ولد إبراهيم لصلبه من اسمه سنان . وفي صفة الحوض أيضاً كما بين الكوفة ومكة ، وكما بين بيت المقدس والكعبة ، وهذه كلها روايات متقاربة المعاني ، وإن كانت المسافات بعضها أبعد من بعض ، فكذلك الحوض أيضاً له طول وعرض وزوايا وأركان ، فيكون اختلاف هذه المسافات التي في الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه ، ولا أظن أن كبادنا في الآخرة إليه . وما جاء في معنى الكوثر مارواه ابن أبي نجيح عن عائشة - قالت : الكوثر نهر في الجنة ، لا يدخل أحد أصبغيه في أذنيه إلا سمع خريز ذلك النهر ، وقع هذا الحديث في السيرة من رواية يونس ، وراوه الدارقطني من طريق مالك بن مغول عن الشَّعْبِيِّ عن مسروق عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إن الله أعطاني نهرًا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتي أن يسمع خريز ذلك الكوثر إلا سمعه ، فقلت : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : أدخلني أصبغيتك في أذنيك وشُدِّي ، فالذي تسمعين فيهما من خريز الكوثر ^(١) » وروى

(١) حديث ابن أبي نجيح منقطع ، وحديث الدارقطني مرفوع .

الدار قُطْنِي من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلي : « والذي نفسى بيده إنك لذائدٌ عن حَوْضِي يومَ القيامة تذود عنه كفَّارُ الأمم ، كما تزداد الإبلُ الضَّالَّةُ عن الماء بعصامن عَوْسَجٍ ^(١) » إلا أن هذا الحديث يرويه حَرَامُ بن عُثْمَانَ عن ابْنَيْ جَابِرٍ ، وقد سُئِلَ مالك عنه ، فقال : ليس بثقة ، وأغلظ فيه الشافعي القول ، وأما قوله - عليه السلام - ومِنْبَرِي على حَوْضِي ، فقد قيل في معناه أقوالٌ ، ويفسره عندى الحديث الآخر ، وهو قوله عليه السلام ، وهو عَلَى المنبر : « إني لأنظر إلى حَوْضِي الآن ^(٢) » من مقامى هذا « فتأمله .

استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر :

وذكر ابن هشام فى الاستشهاد على معنى الكوثر قول لبيد بن ربيعة :

وصاحبٌ مَلْحُوبٌ فُجِعْنَا بيومه وعند الرِّدَاعِ بيتُ آخرِ كوثرٍ
وبالفورة الحَرَابِ ذو الفضلِ عامرٌ فنعم ضياه الطارقِ الْمُتَنَوِّرِ ^(٣)
يعنى عامر بن مالك مُلَاعِبَ الأُسْنَةِ ، وهو عم لبيد ، وسنذكر : لِمَ سُمِّيَ مُلَاعِبَ الأُسْنَةِ إذا جاء ذكره إن شاء الله تعالى . وصاحبٌ مَلْحُوبٌ : عوفٌ

(١) شجر من شجر الشوك له ثمر مدور، كأنه خرز العقيق «المعجم الوسيط»

(٢) عجيب من السهيل أن يعتد بمثل هذه الداهيات التى أتف أصحاب

الصحيح من ذكرها ١١

(٣) بيت الكميث الذى فى السيرة فى الاشتقاق واللسان ، وفيه : الخلاف

مكان : المعائل .

ابن الأُخوص ، وقد ذكره ابن هشام . والذي عند الرِّدَاع : شَرِيحُ بن الأُخوص
في قوله ، وقال غيره : هو حِيَّان بن عُثْبَةَ بن مالك بن جَعْفَر بن كلاب .
والرِّدَاع : من أرض اليمامة . وملْحُوب : مَفْعُولٌ من لَحَبْتُ العود ، إذا
قشَرته ، فكان هذا الموضع سُمِّيَ ملْحُوباً ، لأنه لا أكرم فيه ولا شَجَر .

ذكر حديث المستهزئين :

وذكر حديث المُسْتَهْزِئِينَ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل
الله فيهم من قوله تعالى : « ولقد استهزىء برُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ » الآية الأنبياء : ٥١ .
فقال فيها : استهزىء برُسُلٍ ثم قال : خاق بالذين سخروا منهم ، ولم يقل :
استهزءوا ، ثم قال : ما كانوا به يستهزئون ولم يقل : يسخرون . ولا بدَّ في حكمة
في هذا من جهة البلاغة وتنزيل الكلام منازل ، فقوله : استهزىء برُسُلٍ ، أى :
أُسمِعُوا من الكلام الذى يُسمى استهزاء ، ماساءهم تأنيسالة ، ليتأسَّى بمن قبله
من الرسل ، وإنما سُمي استهزاء إذا كان مسموعاً ، وهو من فعل الجاهلين :
قال الله تعالى : « أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ »
البقرة : ٦٧ . وأما السُّخْرُ والسُّخْرَى ، فقد يكون في النفس غير مسموع ،
ولذلك تقول : سَخِرْتُ منه ، كما تقول : عَجِبْتُ منه إلا أن العجب لا يختص
بالمعنى المذموم ، كما يختص السُّخْرُ ، وفي التنزيل خبراً عن نوح : « إِنَّ تَسْخَرُوا
مِنَّا ، فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ » ، كما تَسْخَرُونَ « هود : ٢٨ ولم يَقُل : نَسْتَهْزِئُ بِكُمْ
كما تَسْتَهْزِئُونَ ؛ لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء ، إنما هو من فعل الجاهلين
كما قدمنا من قول موسى عليه السلام ، فالنبي يَسْخَرُ : أى ، يعجب من كفر من

يَسْخَرُ بِهِ ، وَمَنْ سَخَّرَ عَقُولَهُمْ . فَإِنْ قُلْتَ : فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) ، قَالُوا : الْعَرَبُ تَسْمِي الْجَزَاءَ عَلَى الْفِعْلِ بِاسْمِ الْفِعْلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) وَهُوَ مَجَازٌ حَسَنٌ ^(١) وَأَمَّا الْاسْتَهْزَاءُ الَّذِي كُنَّا بِصَدَدِهِ ، فَهُوَ الْمَسْمِيُّ اسْتَهْزَاءً حَقِيقَةً ، وَلَا يَرْضَى بِهِ إِلَّا جَهُولٌ . ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : (فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخَّرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أَيْ حَاقَ بِهِمْ مِنَ الْوَعِيدِ الْمُبَلَّغِ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ بِالْإِسْتِهْزَاءِ ، فَنَزَلَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ عَنَزَلَهَا ، وَلَمْ يَحْسَنْ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ وَضَعُ وَاحِدَةٍ مَكَانَ الْأُخْرَى . وَذَكَرَ أَيْضًا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَنَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) أَيْ : لَوْ جَعَلْنَاهُ الرِّسُولَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ ، وَلَدَخَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّيْلِ فِيهِ مَا دَخَلَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ وَقَوْلُهُ : لَبَسْنَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ ، فَهُوَ يُعْنِي مِنْ شَاءَ عَنِ الْحَقِّ ، وَيَفْتَحُ بَصِيرَةً مَنْ شَاءَ ، وَقَوْلُهُ : مَا يَلْبَسُونَ ، مَعْنَاهُ : يَلْبَسُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ ، وَلَسَكُنْ جَعَدُوا بِهَا ، وَاسْتَدْنَقَمَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ، فَجَعَلُوا ، يَلْبَسُونَ أَيْ يَلْبَسُ ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْبَسُونَ عَلَى أَهْلِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ ، أَيْ : يَخْلُطُونَ عَلَيْهِمْ بِالْبَاطِلِ ، نَقُولُ الْعَرَبُ : لَبَسْتُ عَلَيْهِمْ

(١) سبق التعليق على مثل هذا . والنسيان هنا حقيقة لامجاز ، لأن أصل النسيان — كما يقول ابن الأثير : الترك . ويقول ابن فارس في معجمه عن أصل المادة إنها أصلان : أحدهما يدل على إغفال الشيء ، والثاني : على ترك الشيء ، فيكون المعنى : تركوا الله فتركهم ، هذا لأن دعوى المجاز فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله دعوى تجمع بين الحماسة والجرأة والقول على الله بغير علم . ولا سيما وأنه لم يرد عن خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم شيء من هذا .

الأمرَ أَلْبَسَهُ ، أى : سترته وخلطته ، ومن ألبس الثياب : لَبَسَ أَلْبَسُ ، لأنه فى معنى كَسَيْتُ ، وفى مُقَابَلَةِ عَرَيْتُ ، فجاء على وزنه ، والآخرفى معنى : خَلَطْتُ أو سَتَرْتُ ، فجاء على وزنه .

شرح ما فى حديث الإسراء من المشكل

اتفقت الرواة على تسميته إسرائاً ، ولم يُسمَّه أحدٌ منهم : سُرَى ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : سَرَى وأُسْرَى بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يُحقِّقوا العبارة ، وذلك أن القراء لم يختلفوا فى التلاوة من قوله : (سُبْحَانَ الذى أُسْرَى بِعَبْدِهِ) ولم يقل : سَرَى ، وقال : والليل إذا يسر ، ولم يقل : يُسْرِى ، فدل على أن السرى من سَرَيْت إذا سِرْتَ ليلاً ، وهى مؤنثة ^(١) تقول : طالَت سُرَاكَ الليلة ، والإسراء مُتَعَدِّ فى المعنى ، ولكن حذف مفعوله كثيراً حتى ظن أهل اللغة أنهما بمعنى واحد ، لاسارأونها غير متعديين إلى مفعول فى اللفظ ، وإنما أسرى بعبدته ، أى : جعل البراق يسرى ، كما تقول : أَمْضَيْتُهُ ، أى : جعلته يَمْضَى ، لكن كثر حذف المفعول لقوة الدلالة عليه ، أو للاستغناء عن ذكره ، إذ المقصود بالخبر ذكر محمد ، لا ذكر الدابة التى سارت به ، وجاز فى قصة لوط عايه السلام . أن يقال له : فأسرِ بأهلك : أى فاسر بهم ، وإن يقرأ فأسرِ بأهلك بالقطع ، أى : فأسرِ بهم ما يَتَحَمَّلُونَ عليه من دابة أو نحوها ، ولم يتصور ذلك فى السرى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يجوز أن يقال سَرَى بعبدته بوجه

من الوجوه ؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة فتدبره .
وكذلك تسامح النحويون أيضا في الباء والهمزة ، وجعلوها بمعنى واحد
في حكم التعدية ، ولو كان ماقالوه أصلا لجاز في : أمرضته أن تقول : مرّضت به ،
وفي أسقمته : أن تقول : سقمته به ، وفي أغميته أن تقول : غميت به قياسا
على : أذهبتُهُ وأذهبتُ به ، وبأبي الله ذلك والعالمون ؛ فإنما الباء تعطى مع التعدية
طرفا من المشاركة في الفعل ، ولا تعطيه الهمزة ، فإذا قلت : أقعدته ، فعناد :
جعلته يقعد ، واسكنك شاركته في القعود ، فحذبت بيدك إلى الأرض ، أو نحو
ذلك ، فلا بد من طرفٍ من المشاركة إذا قعدت به ، ودخلت به ، وذهبت به
بخلاف أدخلته وأذهبت .

فإن قلت : فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم ، وذهب بسمعهم وأبصارهم
ويتعالى - سبحانه - عن أن يوصف بالذهاب ، أو يضاف إليه طرف منه ،
وإنما معناه : أذهب نورهم وسمعهم . قلنا : في الجواب عن هذا : أن النور
والسمع والبصر كان بيده سبحانه ، وقد قال : بيده الخير ، وهذا من الخير
الذي بيده ، وإذا كان بيده ، فجائز أن يقال ذهبَ به على المعنى الذي يقتضيه
قوله سبحانه بيده الخيرُ كأننا ما كان ذلك المعنى ، فعليه ينبنى ذلك المعنى
الآخر الذي في قوله : ذهب الله بنورهم مجازاً كان أو حقيقةً ، ألا ترى أنه
لما ذكر الرّجسَ كيف قال : « لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ » الأحزاب : ٣٣ .
ولم يقل يذهبُ به ، وكذلك قال : « وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ »
الأنفال : ١١ تعليما لعباده حسن الأدب معه ، حتى لا يضاف إلى التمدّوس
سبحانه - لفظاً ومعنى شيء من الأرجاس ، وإن كانت خلقاً له ومذكراً

فلا يقال : هي بيده على الخصوص ، تحسيفا للعبارة وتنزيها له ، وفي مثل النور والسمع والبصر يحسن أن يقال : هي بيده ، فحسن على هذا أن يقال : ذهب به ، وأما أسرى بعبدته ، فإن دخول الباء فيه ليس من هذا القبيل ، فإنه فعل يتمدى إلى منعول ، وذلك المفعول المسمى هو الذى سرى بالبعد فسادكه بالأسرى ، كما قدمنا فى قعدت به أنه يُعطى المشاركة فى الفعل ، أو فى طرف منه ، فتأمله ^(١) .

(١) علق ابن القيم على قوله سبحانه : أسرى بعبدته ، فقال : وفى قوله تعالى : (أسرى بعبدته) دون بعث بعبدته ، وأرسل به ما يفيد مصاحبته له فى مسراه فإن الباء هنا للمصاحبة كفى فى قوله : هاجر بأهله ، وسافر بإعلامه ، وليست للمتعديّة فإن أسرى يتمدى بنفسه ، يقال : سرى به ، وأسراه ، وهذا لأن ذلك السرى كان أعظم أسفاره - صلى الله عليه وسلم - والسفر يعتمد الصاحب ، ولهذا كان - صلى الله عليه وسلم - إذا سافر يقول : ا هم أنت الصاحب فى السفر . فإن قيل : فهذا المعنى يفهم من الفعل الثلاثى لو قيل : سرى بعبدته ، فافائدة الجمع بين الهمزة والباء ، ففيه أجوبة ، ثم رفض ما أجاب به غيره ثم قال : والجواب الصحيح أن الثلاثى المتعدي بالباء يفهم منه شيان أحدهما : صدور الفعل من فاعله : الثانى : مصاحبته لما دخلت عليه الباء . فإذا قلت : سربت بزيد ، وسافرت به كنت قد وجد منك السرى والسفر مصاحبا لزيد فيه . وأما المتعدي بالهمزة : فيقتضى إيقاع الفعل بالمفعول فقط ، كقوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) . ونظائره فإذا قرن هذا المتعدي بالهمزة بالباء أفاد إيقاع الفعل على المفعول مع المصاحبة المفهومة من الباء ، ولو أتى فيه بالثلاثى فهم منه معنى المشاركة فى مصدره ، وهو : تمتنع فتأمله ، ص ٢٠٣ - ٣ بدائع الفوائد .

أَلَا هُوَ إِسْرَاءُ بِقِظَةِ أَمْسٍ صَانِدًا :

فصل : ونقدم بين يدي الكلام في هذا الباب : هل كان الإسراء في يقظة مجسده ، أو كان في نومه بروحه ، كما قال سبحانه : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » الزمر : ٤٣ ، وقد ذكر ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنها كانت رؤيا حق ، وأن عائشة قالت : لم تفقد بدنه ، وإنما عرج بروحه تلك الليلة ، ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه : « وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » الإسراء ٦٠ . ولم يقل : الرؤية ، وإنما يُسَمَّى رؤيا ما كان في النوم في عرف اللغة ، ويحتجون أيضاً بحديث البخاري عن أنس بن مالك قال : ليلة أُسْرِيَ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو قائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو هذا ، وهو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة ، فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى ، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه ، حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم . فتولاه منهم جبريل . الحديث بطوله ، وقال في آخره : واستيقظ ، وهو في المسجد الحرام ، وهذا نص لا إشكال فيه أنها كانت رؤيا صادقة ، وقال أصحاب القول الثاني : قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة ، وأنشدوا للراعي يصف صائدا :

وَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا ، وَهَشَّ فَوَادُهُ وَبَشَّرَ قَلْبًا كَانَ جَمًّا بِلَابِلِهِ ^(١)

قالوا : وفي الآية بيان أنها كانت في اليقظة ، لأنه قال : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير من أسلم ، وقال الكفار : يزعم محمد أنه أتى بيت المقدس ، ورجع إلى مكة ليلته ، والعبير تطرد إليها شهراً مُقْبِلَةً وشهراً مُذْبِرَةً ، ولو كانت رؤيا نوم ، لم يستبعد أحدٌ منهم هذا ، فمعلوم أن النائم قد يرى نفسه في السماء ، وفي المشرق والمغرب ، فلا يستبعد منه ذلك واحتج هؤلاء أيضاً بشربه الماء من الإناء الذي كان مُغَطًى عند القوم ، ووجدوه حين أصبح لا ماء فيه ، وبإرشاده للذين ندَّ بعيرُهم حين أنفرهم حسَّ الدابة ، وهو البراق حتى دلَّم عليه ، فأخبر أهل مكة بأمارته ذلك ، حتى ذكر الغراريين السَّوداءَ والبرقاء ^(٢) كما في هذا الكتاب ، وفي رواية يونس : أنه وعدَّ قریشاً بقدوم العير التي أرشدهم إلى البعير ، وشرب إناءهم ، وأنهم سَيَقْدُمُونَ ويُخْبِرُونَ بذلك ،

(١) البلابل : شدة الهم والوسواس في الصدر . والراعى هو : عبيد بن حصين ابن معاوية من بنى نَمير ، يكنى أبا جندل أو أبا نوح شاعر إسلامي ، وهم أهل بيت سؤدد . وسمى الراعى لقوله :

ضعيف العصا بادي العروق تخاله عليها إذا ما أحمل الناس لأصبعها
هذا لابل إن تبسع الريح مرة يدعها ويخف الصوت حتى تربعا
لها أمرها حتى إذا ما تبسوات لاخفاؤها مرعى تبوأ مضجعا

(٢) اجتمع فيها سواد وبياض . وفي الرواية أنها بيضاء .

فقالوا : يا محمد متى يَقدُمُون ؟ فقال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم ، ولم يَقدُمُوا ، حتى كَرَبَت الشمسُ أن تَغْرُبَ ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قَدِمُوا كما وصف ، قال : ولم يحبس الشمسَ إلَّا له ذلك اليوم ، وإيُوشَعَ بن نُونٍ^(١) وهذا كُلُّهُ لا يكون إلَّا يَنْظَظَةً ، وذهبت طائفةٌ ثالثة ، منهم : شيخنا القاضى أبوبكر [ابن العربي] رحمه الله إلى تصديق المقالتين ، وتصحيح الحديثين ، وأن الإسراء كان مرتين ، إحداها : كان في نومه وتوطئة له وتيسيراً عليه ، كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سهَّله عليه بالرؤيا ؛ لأنَّه هو له عظيم ، فجاءه في اليقظة على تَوَاطُؤَةٍ وَتَقْدِمَةٍ ، رَفَقًا مِنْ اللَّهِ بَعْبِدِهِ وتسهيلاً عليه ، ورأيت المهلب في شرح البخارى قد حكى هذا القولَ عن طائفةٍ من العلماء ، وأنهم قالوا : كان الإسراء مرتين : مرةً في نومه ، ومرة في يقظته بيدنه صلى الله عليه وسلم .

(١) هو فتى موسى - كما يقال - ونبي بنى إسرائيل بعده ، واسمه عند الكتائبين : يشوع ، وسفره يقع بعد سفر التثنية من العهد القديم ، وهم يروون أن يوشع حاصر أريحا ، فلما غربت الشمس ، أو كادت تغرب ، ويدخل عليهم السبت الذى جعل عليهم ، وشرع لهم قال لها : إنك مأمورة ، وأنا مأمور اللهم احبسها على ، فحبسها الله حتى تمكن من فتح البلد ، وزادوا فقالوا : وأمر القمر ، فوقف عن الطلوع .

ثم يروى ابن كثير حديثاً عن الإمام أحمد : « إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس ، فكيف إذن حبست للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ وفي مسلم حديث يفيد أن الله حبس الشمس لنبي غزا . لكنه لم يصرح فيه باسم يوشع انظر ص ٣٢٣ ج ١ البداية والنهاية لابن كثير ج ١

قال المؤلف : وهذا القول هو الذى يصح ، وبه تتفق معانى الأخبار ،
الآتى أنه قال فى حديث أنس الذى قدمنا ذكره : أنه ثلاثه نفر قبل أن
يُوحى إليه ، ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة ، وحين فُرضت الصلاة^(١)
كما قدمنا فى الجزء قبل هذا ، وقيل كان قبل الهجرة بعام ، ولذلك قال فى
الحديث : فارتد كثير ممن كان قد أسلم ، ورواة الحديثين حفاظ ، فلا يستقيم
الجمع بين الروایتين إلا أن يكون الإسراء مرتين ، وكذلك ذكر فى حديث
أنس : أنه لقي إبراهيم فى السماء السادسة وموسى فى السابعة ، وفى أكثر
الروايات الصحيحة أنه رأى إبراهيم عند البيت المعمور فى السماء السابعة ،
ولقى موسى فى السادسة ، وفى رواية ابن إسحاق أتى بثلاثة آنية ، أحدها ماء
فقال قائل : إن أخذ الماء غرق ، وغرقت أمته ، وفى إحدى روايات البخارى
فى الجامع الصحيح : أنه أتى بإناء فيه عسل ، ولم يذكر الماء والرواة أثبتت ،
ولاسبيل إلى تكذيب بعضهم ولا توهينهم ، فدل على صحة القول بأنه كان
مرتين ، وعاد الاختلاف إلى أنه كان كله حقا ، ولكن فى حالتين ووقتین
مع ما يشهد له من ظاهر القرآن ، فإن الله سبحانه يقول : « ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى » ثم قال : (مَا كَذَبَ
الْفُؤَادُ مَا رَأَى) النجم : ٨ ، ١١ فهذا نحو ما وقع فى حديث أنس من قوله :
فما يراه قلبه ، وعينه نائمة^(٢) والفؤاد : هو القلب ، ثم قال : « أَقَامَا رُؤُوسَهُ عَلَى

(١) بل الثابت من آيات القرآن أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء .

(٢) فى البخارى : باب : كان النبى صلى الله عليه وسلم ، تمام عينه ، ولا ينام قلبه .

رواه سعيد بن ميناء عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ما يرى) ولم يقل: ما قد رأى، فدل على أن نَمَّ رؤية أخرى بعد هذه، ثم قال: (ولقد رآه نزلةً أخرى) أى: فى نزلةٍ نَزَلَهَا جبريلُ إليه مرةً، فَرَأَاهُ فى صورته التى هو عليها (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، إِذْ يُغَشَّى السِّدْرَةَ مَا يَفْشَى) قال: يَفْشَاهَا فَرَّاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، وفى رواية: يَنْتَثِرُ مِنْهَا الْيَاقُوتُ، وَثَمَرُهَا مِثْلُ قِلَافِ هَجَرَ^(١) ثم قال: (مَازَاغَ الْبَصَرِ) ولم يقل: الْفُؤَادَ، كما قال فى التى قبل هذه، فدل على أَنَّهَا رُؤْيَا عَيْنٍ وَبَصَرٍ فى النَّزَلَةِ الْآخِرَى، ثم قال: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)^(٢)، وإذا كانت رؤية عينٍ: فهى من الآياتِ الْكُبْرَى، ومن أعظم البراهين وَالْعَبَرِ، وصارت الرُّؤْيَا الْأُولَى بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْآخِرَى لَيْسَتْ مِنَ الْكُبْرَى؛ لَأَنَّ مَا يَرَاهُ الْعَبْدُ فى مَنْامِهِ دُونَ مَا يَرَاهُ فى يَقْظَتِهِ لِمَحَالَّةٍ، وكذلك قال فى أَكْثَرِ الْأَحَادِيثِ إِنَّهُ رَأَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى نَهْرَيْنِ ظَاهِرَيْنِ، وَنَهْرَيْنِ بَاطِنَيْنِ، وَأَخْبَرَهُ جَبْرِيلُ أَنَّ الظَّاهِرَيْنِ: النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ، وَذَكَرَ فى حَدِيثٍ أَنَّهُ رَأَى هَذَيْنِ النَّهْرَيْنِ فى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: هُمَا النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ، أَصْلُهُمَا وَعَنْصَرُهُمَا، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ رَأَى فى حَالِ الْيَقْظَةِ مِنْبَعَهُمَا، وَرَأَى فى الْمَرَّةِ الْأُولَى النَّهْرَيْنِ دُونَ أَنْ يَرَى أَصْلَهُمَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَقَدْ جَاءَ فى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَكْنَاهُ فى الْأَرْضِ) الْمُؤْمِنُونَ: ١٨ أَنَّهُمَا النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ أَنْزَلَا مِنَ الْجَنَّةِ

(١) قرية كانت من قرى المدينة، وليست هجر البحرين، وكانت تعمل بها القلال تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء، سميت قلة لأنها ترفع وتحمل.

(٢) الآيات السابقة كلها من سورة النجم.

من أسفل درجة منها على جناح جبريل ، فأودعهما بطون الجبال^(١) ثم إن

(١) بما أومن به أنه من الخير تخطيطه حديث يرويه راو يخالف المحكم الصريح من كتاب الله ، والواقع المحس بكل نوع من الإحساس ، فهذا أفضل من أن نحتق بشأن حديث ينتج عنه تكذيب القرآن ، وتكذيب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ورمى الإسلام بأنه عفن وخرافة ، والإسلام هو الحق والنور والحياة ، وأرجو أن يكون قولي واضحا : والحديث الذى يخالف المحكم الصريح من القرآن ، والواقع المشهود الملموس المحس ، وقد أكد القرآن الإسراء ، وآياته المحكمة تقطع به وحددت مكان الإسراء ، ومن لمس جانب هذا الحق بأثارة من شك ، فقد أثم لثما عظيما وباء بخسران مبین ، وقارىء القرآن عن الإسراء لا يرتاب فى شيء ، فإن هو عرج على بعض الأحاديث ، وبعضها يخالف لبعض ربما أثارته نزعة من ريبة ، لهذا يجب علينا أن نستمع إلى ما يصادق القرآن منها ، ونضرب صفحا عن الأخرى ، تدبر أمر النبل والقرات ، وأين هما ، ثم اقرأ ماورد فى بعض الأحاديث عنهما نجد شيئا لا يمكن تصديقه إلا بضروب بعيدة من خرف التأويل ، ألا يكفى أن نتدبر قوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لئريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير) كلام يملأ القلب والعقل والشعور نورا وهداية وبصرا وإيمانا وتسيحا لله الذى فعل بعبده ذلك .

هذا وقد عرض السبلى أمورا منها : رأى القائلين بأن الإسراء كان مرتين مرة فى نومه ، ومرة فى يقظته . ولإليك عرض الإمام ابن القيم لهذا : وقال موسى ابن عقبة عن الزهرى : عرج بروح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس ، وإلى السماء قبل خروجه إلى المدينة بسنة . . .

وكان الإسراء مرة واحدة ، وقيل : مرتين ، مرة يقظة ، ومرة مناما ، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك ، وقوله : ثم استيقظت ، وبين سائر الروايات ، ومنهم من قال : بل كان هذا مرتين ، مرة قبل الوحى لقوله فى حديث شريك : وذلك قبل أن يوحى إليه ، ومرة بعد =

=الوحى كما دلت عليه سائر الأحاديث . ومنهم من قال : بل ثلاث مرات ، مرة قبل الوحى ، ومرتين بعده ، وكل هذا خبط ، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا فى القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوها مرة أخرى ، فكما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع . والصواب الذى عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة . وبما عجبوا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه فى كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردد بين ربه وبين موسى ، حتى يصير خمسا ، ثم يقول : أمضيت فريضة ، وخففت عن عبادى ، ثم يعيدها فى المرة الثانية إلى خمسين ، ثم يحطها عشرا عشرا ١٤ وقد غلط الحفاظ شريكا فى ألفاظ من حديث الإسراء ، ومسلم أورد المستند منه ، ثم قال : فقدم وأخر ، وزاد ونقص ، ولم يسرد الحديث ، وأجاد رحمه الله ، ص ١٣٠ > ٢ زاد المعاد ط السنة المحمدية . وعن المعراج بقطة أو مناما يقول الإمام الجليل أيضاً : « وقد نقل عن ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالاً : إنما كان الإسراء بروحه ، ولم يفقد جسده . ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك ، ولكن يبغي أن يعلم الفرق بين أن يقال : كان الإسراء مناما ، وبين أن يقال : كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم ، وعائشة ومعاوية لم يقولوا : كان مناما ، وإنما قالوا : أسرى بروحه ، ولم يفقد جسده . وفرق بين الأمرين ، فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالا معضوبة للعلوم فى الصور المحسوسة ، فيرى كأنه قد عرج به إلى السماء ، أو ذهب به إلى مكة وأقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ، ولم تذهب ، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال .

والذين قالوا : عرج برسول الله - صلى الله عليه وسلم - طائفتان ، طائفة قالت : عرج بروحه وبدنه ، وطائفة قالت : عرج بروحه ، ولم يفقد بدنه ، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناما ، وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسرى بها ، وعرج بها حقيقة ، وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة ، وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها إلى السماوات سماء سماء ، حتى ينتهى بها =

== إلى السماء السابعة ، فتقف بين يدي الله عز وجل ، فيأمر فيها بما يشاء ، ثم تنزل إلى الأرض . والذي كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء أكمل بما يحصل للروح عند المفارقة ، ومعلوم أن هذا أمر فوق ما يراه النائم ، لكن لما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مقام خرق العوائد . . عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير إماتة ، ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة ، ص ١٢٨ المصدر السابق ، وهو تأويل جيد للإمام الجليل .

ويقول الإمام الشوكاني : « وقد اختلف أهل العلم : هل كان الإسراء بجسده مع روحه ، أو بروحه فقط ؟ فذهب معظم السلف والخلف إلى الأول ، وذهب إلى الثاني طائفة من أهل العلم ، منهم : عائشة ومعاوية والحسن وابن إسحاق ، وحكاها ابن جرير عن حذيفة بن اليمان ، وذهبت طائفة إلى التفصيل ، فقالوا : كان الإسراء بجسده يقظة إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح ، واستدلوا على هذا التفصيل بقوله : إلى المسجد الأقصى ، فجعله غاية للإسراء بذاته ، فلو كان الإسراء من بيت المقدس إلى السماء وقع بذاته لذكره ، والذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس ، ثم إلى السماوات ، ولا حاجة إلى التأويل ، ص ١٩٩ > ٢ فتح القدير ط مصطفى البابي الحلبي . ولو أن الشوكاني قال : بعض الأحاديث الصحيحة ، لكان أوفق لأن بعض الأحاديث الصحيحة أيضاً تدل على أنه كان بروحه .

تاريخ الإسراء : كما يتحدث الإمام الشوكاني عن تاريخ الإسراء بقوله : « وقد اختلف أيضاً في تاريخ الإسراء ، فروى أن ذلك كان قبل الهجرة إلى المدينة بسنة ، وروى أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام ، ووجه ذلك أن خديجة حصلت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ماتت قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل بثلاث ، وقيل بأربع ، ولم تفرض الصلاة إلا ليلة الإيماء ، وقد استدلل بهذا ابن عبد البر على ذلك ، وقد اختلفت الرواية عن الزهري . ومن قال : بأن ==

== الإسراء كان قبل الهجرة بسنة الزهري في رواية عنه ، وكذلك الحربي ، فإنه قال : أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة . وقال ابن القاسم في تاريخه : كان الإسراء بعد مبعثه بثمانية عشر شهراً قال ابن عبد البر : لا أعلم أحداً من أهل السير قال يمثل هذا . وروى عن الزهري أنه أسرى به قبل مبعثه بسبعة أعوام ، وروى عنه أنه قال : كان قبل مبعثه بخمس سنين ، وروى يونس عن عروة عن عائشة أنها قالت : توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة ، ص ٢٠٠ المصدر السابق . وأقول : سبق أن بينت أن القرآن يؤكد أن الصلاة فرضت في بداية مبعثه صلى الله عليه وسلم .

وقد تحدث السهيلي عن قوله سبحانه (ثم دنا فتدلى) الخ

ولإليك رأى السلف في هذا ينقله الإمام ابن القيم أيضاً ، وأنا أنقله عنه من المصدر السابق : د وأما قوله تعالى في سورة النجم (ثم دنا فتدلى) فهو غير الدنو والتدلى في قصة الإسراء ، فإن الذي في سورة النجم هو : دنو جبريل وتدليه ، كما قالت عائشة وابن مسعود ، والسياق يدل عليه ، فإنه قال : (علمه شديد القوى) وهو جبريل : (ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى) ، ثم دنا فتدلى) فالضائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى ، وهو ذو المرة — أى القوة — وهو الذى استوى بالأفق الأعلى ، وهو الذى دنا فتدلى ، فكان محمد - صلى الله عليه وسلم - قدر قاب قوسين أو أدنى ، فأما الدنو والتدلى الذى في حديث الإسراء ، فذلك صريح في أنه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليه . ولا تعرض في سورة النجم لذلك ، بل فيها أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . وهذا هو جبريل رآه محمد - صلى الله عليه وسلم - على صورته مرتين مرة في الأرض ، ومرة عند سدرة المنتهى ، ص ١٢٧ المصدر السابق . وبهذا يسقط استدلال السهيلي بأن الإسراء كان مرتين .

وعن مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج يقول الإمام ابن القيم أيضاً : واختلف الصحابة : هل رأى ربه تلك الليلة أم لا ؟ فصح ==

== عن ابن عباس أنه رأى ربه ، وصح عنه أنه قال : رآه بفؤاده ، وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك ، وقالوا : إن قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) إنما هو جبريل ، وصح عن أبي ذر أنه سأله : هل رأيت ربك ، فقال : نور أنى أراه أى حال بينى وبين رؤيته النور ، كما قال فى لفظ آخر : رأيت نورا ، وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على أنه لم يره . قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : وليس قول ابن عباس إنه رآه مناقضا لهذا ، ولا قوله : رآه بفؤاده ، وقد صح عنه أنه قال : رأيت ربى تبارك وتعالى ، ولكن لم يكن هذا فى الإسراء ، ولكن كان فى المدينة لما احتبس فى صلاة الصبح ، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة فى منامه ، وعلى هذا بنى الإمام أحمد ، وقال : نعم رآه حقا ، فإن رؤيا الأنبياء حق ، ولا بد . ولكن لم يقل أحمد : إنه رآه بعينى رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك ، فقد وهم عليه ، ولكن قال مرة : رآه ، ومرة قال : رآه بفؤاده ، فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعينى رأسه ، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك ، وأما قول ابن عباس إنه رآه بفؤاده مرتين ، فإن كانه استناده إلى قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى) ثم قال : (ولقد رآه نزلة أخرى) — والظاهر أنه مستند - فقد صح عنه - صلى الله عليه وسلم - أن هذا المرقى جبريل ، رآه مرتين فى صورته التى خلق عليها ، وقول ابن عباس هذا هو مستند الإمام أحمد فى قوله : رآه بفؤاده ، والله أعلم ، ص ٢٧ المصدر السابق . وقد يقال : رأى آخر هو أن الإسراء به صلى الله عليه وسلم كان بحسده وروحه ، أما المعراج فكان بروحه كما شرح الإمام ابن القيم ، بدليل ما ورد فى بعض الروايات . فرواية شريك لا يذكر فيها الإسراء مطلقا . وفى رواية عن أنس أيضا : « بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام ، فوكز بين كتفى ، فقامت إلى شجرة فيها كوكرى الطير ، فتعد فى أحدهما ، وقعدت فى الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سدت الحافقين ، وأنا أقلب طرفى ، ولو شئت أن أمس السماء لمسست ، . . . هذه أيضا لم يأت فيها ذكر الإسراء إلى المسجد الأقصى ، ولا للبراق . وفى رواية ==

== أنس عن مالك بن صعصعة يقول : د بيننا أنا في الخطيم - وربما قال قتادة في الحجر مضطجما - إذ أتاني آت ، فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة ، قال : فأتاني ، فقد ما بين هذه إلى هذه أى من ثغرة نحره إلى مشعرته . أو من قصته إلى مشعرته ، ولم يأت كذلك ذكر الإسراء ، وفي رواية أخرى : فرج سنف يبنى ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، ففرج صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب بمثل حكمة وإيمانا ، فأفرغها في صدرى ثم أطبقه . ثم أخذ يبدى ففرج بى إلى السماء . . . لعل هذه الروايات تعين على إثبات هذا رأى الأخير ، وهو أن المعراج شىء ، والإسراء شىء آخر ، وأن أن المعراج كان بالروح ، وهذه هى الرؤيا التى أراه الله ، أما الإسراء . فكان بحسده وروحه .

هذا وقد أجريت بعض مقارنات بين الروايات المختلفة عن بعض الأمور التى وردت فى قصة ، ولإليك بعضها :

المكان الذى كان منه الإسراء : سنغفل التعبير بما يأتى :

وورد فى رواية ، ، وورد فى رواية أخرى للاختصار ، ولإليك ما ورد عن مكان الإسراء : المسجد الحرام . فرج عن سقف بيته ، وهو فى مكة . بيت أم هانى . وقد جاءت هذه الرواية بصورة تأكيد ، وذلك إذ تقول أم هانى . وما أسرى برسول الله . ص ، إلا وهو فى بيتى نائم عندى . وبعض الروايات أغفلت ذكر المكان .

البراق أو ما حمل عليه : بعض الروايات أغفلت ذكره . دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل - أتى به مسرجا ملجما ، فاستعصب ، قهره جبريل ، فارفض عرقه . حمل على البراق ، فأوثق الدابة ، أو قال : الفرس . شجرة فيها كوكرى الطير ، فتعد فى أحدهما ، وقعد جبريل فى الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سادت الحافقين . ينفى حذيفة بن اليمان أنه ربطه ، وإنما سخره له الله .سمى فرسا ، وراح يصفه النبي لأبي بكر ، لأن أبا بكر كان قد رآها من قبل ،

== شق الصدر: كان قبل الوحى ، وقد جاءه ثلاثة نفر ، وهو نائم فى المسجد الحرام ، فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة ، فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ، ولا ينام قلبه ، فلم يكلموه ، حتى احتملوه ، فوضعوه عند بشر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ، فشقى ما بين نحره إلى لبته النخ . أتاه ثلاثة ، فشقى أحدهم من ثفرة نحره إلى مشعرته ، أو من قصته إلى شعرته . . . جاء جبريل وميكائيل ، فشقى بطنه . فرج سقف بيته ، وهو بمكة فنزل جبريل ، ففرج صدره ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممثلة حكمة وإيماناً ، فأفرغها فى صدره و ص ، ثم أطبقه

صلاته ليلة الإسراء : صلى ركعتين فى بيت المقدس . صلى بطيبة و بطور سيناء

وبيت لحم ، حيث ولد عيسى وصلى فى بيت المقدس ، حيث جمع له الأنبياء عليهم السلام ، فقدمه جبريل ، حتى أمهم ، يقسم حذيفة بن اليمان أنه ما صلى فى المسجد الأقصى ، ولا دخله هو وجبريل ، وأنهما مازا يلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، صلى فى بيت المقدس حيث اجتمع ناس كثيرون ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة ، ويروى الحديث أن النبي و ص ، قال : فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدي جبريل عليه السلام ، فقدمنى فصليت بهم ، فلما انصرفت ، قال جبريل : يا محمد أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : قلت : لا ، قال : صلى خلفك كل نبي ، بعثه الله عز وجل . بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء ، فأمرهم تلك الليلة . صلى فى بيت المقدس ، وصلى الشيبون أجمعون معه . صلى فى بيت المقدس ، كما صلى فى البيت المعمور . هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء ، فصلى بهم . كانت صلاته بالأنبياء فى السماء ، وكانت صلاته أول دخوله إلى بيت المقدس .

الآنية التى شرب منها : أتى بها بعد صلاته ركعتين فى بيت المقدس قبل الخروج .

وهما : خمر ولبن ، وأسند إلى الرسول و ص ، اختيار اللبن ، عرض عليه خمر وماء ولبن عند بيت المقدس . عرضت عليه الآنية فى السماء بعد أن رفع إلى البيت المعمور . وكانت آنية خمر ولبن وعسل . إناء من لبن وإناء عسل بين يدي ==

== شيخ متمسك به ، وهو الذى قال لجبريل : اختار صاحبك الفطرة . بعد انصرافه من بيت المقدس أتى له بقدرحين من لبن وعسل . جرى له بكأس من عسل ولبن ، وهو فى المسجد . بعد خروجه من بيت المقدس جرى له بياناء فيه ماء ، فشرب يسيرا ، وبياناء فيه لبن فشرب حتى روى ، وبياناء فيه خمر فلم يشرب .

الانبياء الذين لقيهم فى السموات : سأذكر ما ورد فى عدة روايات فى الرواية الاولى : فى السماء الاولى آدم وعنصر النيل والفرات والكوثر ، وفى الثانية إدريس ولم يذكر من فى الثالثة ، وفى الرابعة : هارون ، ومن فى الخامسة لم يحفظ الراوى اسمه ، وفى السادسة : إبراهيم ، وفى السابعة موسى .

فى الرواية الثانية آدم فى السماء الاولى ، وفى الثانية : يحيى وعيسى . وفى الثالثة : يوسف ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة : هارون ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة : إبراهيم وهو مستند إلى البيت المعمور .

وفى الرواية الثالثة : فتح له باب من أبواب السماء ، فرأى النور الاعظم ، وإذا دون الحجاب : رفرق الدر والياقوت ، وأوحى إلى الرسول : « ع » ما شاء الله أن يوحى . ولم يذكر شيئاً عن النبيين .

وفى الرواية الرابعة : فى السماء الاولى : آدم فى الاولى ، وفى الثانية : عيسى ويحيى وفى الثالثة يوسف ، وفى الرابعة : هارون ، وفى الخامسة إدريس ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة إبراهيم .

وفى الرواية الخامسة : آدم فى الاولى ، فى الثانية عيسى وابن خالته يحيى ، فى الثالثة : يوسف . فى السماء الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون ، فى السادسة : موسى ، فى السابعة : إبراهيم . والكوثر فوق السابعة :

وفى الرواية السادسة : فى الاولى : آدم ، فى الثانية : عيسى ويحيى ، فى الثالثة : يوسف . فى الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون . فى السادسة : موسى ، فى السابعة : إبراهيم . وعند سدرة المنتهى فوق ذلك وجد أربعة الأنهار منها : النيل والفرات ، ثم رفع إلى البيت المعمور .

= وفي الرواية السابعة : في الأولى : آدم ، ثم عرج إلى السماء الثانية ، وذكر أنه وجد في السماوات إدريس وموسى وعيسى ، ولكن لم يثبت منازلهم ، وذكر أنه وجد إبراهيم في السادسة

وفي الرواية الثامنة : كالرواية السابقة . وفي الرواية التاسعة : وجد ملكا يقال له : إسماعيل ، وهو صاحب السماء الدنيا ، ووجد في السماء الأولى آدم وفي الثانية : يوسف ، وفي الثالثة : يحيى وعيسى ، وفي الرابعة : إدريس ، وفي الخامسة : هارون ، وفي السادسة : موسى ، وفي السابعة : إبراهيم .

وفي الرواية العاشرة : في الأولى : آدم ، وفي الثانية : عيسى ويحيى . في الثالثة : يوسف ، في الرابعة : إدريس : في الخامسة : هارون . في السادسة : موسى . في السابعة : إبراهيم .

الأنهار : في السماء الدنيا نهران ، هما : عنصرا النيل والفرات ، كما وجد الكوثر : فوق ظهر السماء السابعة عند سدرة المنتهى : أربعة أنهار ، اثنان باطنان والآخران : النيل والفرات . الكوثر : ينشق من عين تخرج من سدرة المنتهى التي فوق السماء السابعة ، وهناك أيضاً نهر يسمى الرحمة اغتسل فيه النبي ﷺ ، فغفر له كل ذنب ، أنهار أولها : رحمة الله ، والثاني : نعمة الله ، والثالث : سقايم ربهم شرابا طهورا . بهذا العرض يتجلى لنا وجود ما لا يمكن أن يوصف إلا بالتضاد أو التناقض ، ولا يمكن أن يتصور مسلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأتي بمثل هذا التناقض ، أو يحكم على الشيء بالنفي ، وبالإثبات في آن واحد .

الإسراء حق ، لأنه من إخبار القرآن ، فلنحرص على عدم التوسع في ذكر الروايات التي يناقض بعضها بعضا ، أو يحكم عليه الواقع المشهود المحسوس بأنه وضع خيال .

وليحذر المتهوكون الظن بأننا نضرب صفحا عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما نضرب صفحا عن أحاديث الرواة الذين يخطئون ساهين ، أو يتعمدون الخطأ ماكرين . ألا ترون إلى المفسر السلفي الجليل الإمام ابن كثير كيف يقول عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر الذي أخرجه البخاري حديث =

الله سبحانه سير فعمهما ، ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الإيمان ، فلا يبقى على الأرض خير ، وذلك قوله تعالى : (وإنا على ذهابٍ به لقادرون) وفي حديث مُسْنَدٍ ذكره النحاس في المعاني بأنهم من هذا فاختصرته ، ووقع في كتاب المعلم للمازري قول رابع في الجمع بين الأقوال قال : كان الإسراء بحسده في اليقظة إلى بيت المقدس ، فكانت رؤيا عين ، ثم أُسرى بروحه إلى فوق سبع سموات ، ولذلك شَنَّع السكندر قوله : وأُنِيتُ بيت المقدس في ليلتي هذه ، ولم يشنُّعوا قوله فيما سوى ذلك ^(١) .

== الإسراء في كتاب التوحيد : ه إن شريك . اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ، ولم يضبطه ، ويقول عن روايات حديث الإسراء : : وإن اختلفت عبارات الرواة في أداثه ، أو زاد بعضهم فيه ، أو نقص منه ، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة ، فأثبت لإسراءات متعددة ، فقد أبعد ، وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب ، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أُسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ، ومنه إلى السماء ، وفرح بهذا المسلك ، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات ، وهذا بعيد جداً ، انظر تفسير سورة الإسراء من تفسير ابن كثير ، ولعلنا ندرك أنه ما دفع هؤلاء إلى هذا إلا التناقض البادى بين روايات حديث الإسراء ، وإلا ليمانهم بأن كل هذه المتناقضات تنسب حقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما أنا فأؤمن أن الرسول لا يقول إلا حقاً وصدقاً ، ولا يمكن أن يصيبه النسيان الماكر ، وهو يقص علينا آية من آيات ربه الكبرى . وما عرضت نفسي لغضب الناس إلا اتقاء لغضب الله ، فإن يك هذا الظن منى صواباً فمن الله ، وإلا فني ، والله الهادي إلى ما يحبه ويرضاه .

(١) هذا رأى سديد ، وهو بعض ماذهب إليه الإمام ابن القيم .

شمس البراق :

فصل : ومما يُسأل عنه في هذا الحديث شمسُ البراق حين ركبه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له جبريل : أما تستحي يا براقُ ، فما ركبك عبدُ الله قبل محمد هو أكرمُ عليه منه ، فقد قيل : في نفرته ما قاله ابن بَطَّال في شرح الجامع الصحيح ، قال : كان ذلك ابعد عهد البراق بالأنبياء ، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وروى غيره في ذلك سبباً آخر قال في روايته في حديث الإسراء : قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شمسَ به البراق : لعالمك يا محمد مَسَسَتِ الصَّفراءُ اليوم ، فأخبره النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه مامسها إلا أنه مرَّ بها ، فقال : تباً لمن يعبدك من دون الله ، ومامسها إلا لذلك ، وذكر هذه الرواية أبو سعيد النَّيْسَابُورِي في شرف المصطفى ، فالله أعلم ، وقد جاء ذكر الصَّفراء في مُسْنَدِ البَزَّار ، وأنها كانت صمّاً بعضُه من ذهب فكسرها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح ، وفي الحديث الذي خرجه الترمذي^(١) من طريق بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيَّ^(٢) أنه - عليه السلام - حين انتهى

(١) يقول ابن الأثير في اللباب إنها نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له جيحون ، والناس مختلفون في كيفية هذه النسبة ، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم بضمها ، وبعضهم بكسرها . والمنداول على لسان أهل تلك المدينة : بفتح التاء وكسر الميم ، والذي كنا نعرفه فيه قديماً كسر التاء والميم جميعاً ، والذي يقوله المنفوقون ، وأهل المعرفة بضم التاء والميم ، وبهض هذا في المراسد .

(٢) قيل اسمه عامر : وبريدة لقب ، وفي الصحيحين أنه غزا مع النبي « ص » ،

إلى بيت المقدس ، قال جبريل : بإصبعه إلى الصخرة ، فخرقها فشد بها البراق^(١) ، وصلى ، وأنَّ حُذَيْفَةَ أنكر هذه الرواية ، وقال : لم يفر منه وقد سخره له عالمُ الغيب والشهادة^(٢) ، وفي هذا من الفقه على رواية بُرَيْدَةَ : التنبيه على الأخذ بالحزم مع صحة التوكل ، وأن الإيمان بالقدر كما - روى عن وهب بن منبه - لا يمنع الحازم من توثيق المهالك . قال وهب : وجدته في سبعة كتب من كتب

(١) رواه أبو بكر البزار ، وقال : لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة ، ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة . وقد رواه الترمذى في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم . وقال : غريب .

(٢) في الأصل : لم أفر منه . وفي حديث حذيفة هذا تعبير بحكم المعنى ، فقد سمع زر بن حبیش - يحدث عن ليلة الإسراء ، فقال له : ما اسمك يا أصلم ؟ فأنا أعرف وجهك ، ولا أدري ما اسمك ؟ قال زر : أنا زر بن حبیش . فقال له حذيفة : فما علمك بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى فيه ليلته ، أى : فى بيت المقدس ؟ فقال زر : القرآن يخبرنى بذلك ، فقال حذيفة كلمته الرائعة التى تشع بنور الحق العظيم : من تكلم بالقرآن أفلح ، ثم طلب من زر أن يقرأ ، فقرأ : سبجان الذى أسرى ، فقال حذيفة : يا أصلم ! هل تجد صلى فيه ؟ فقال زر : لا . فقال حذيفة : والله ما صلى فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ليلته ، ولو صلى فيه لكتبت عليكم صلاة فيه ، كما كتب عليكم صلاة فى البيت العتيق . والله ما زايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، فرأيا الجنة والنار ، ووعد الآخرة أجمع ، ثم عادا عودهما على بدئهما ، قال زر : ثم ضحك حتى رأيت نواجذه قال حذيفة : ويحدثون أنه ربطه لا يفر منه ، وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة . وقد روى حديث حذيفة هذا الإمام أحمد ، وأبو داود الطيالسى ، والترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حسن

الله التديمة^(١) ، وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم : « قَيِّدْهَا وَتَوَكَّلْ »^(٢) .
فإيمانه صلى الله عليه وسلم بأنه قد سُخِّرَ له كإيمانه بقدر الله وعلمه بأنه سبق
في علم الكتاب ماسبق ، ومع ذلك كَانَ يَتَزَوَّدُ في أسفاره وَيُعِدُّ السلاح
في حروبه ، حتى لقد ظاهر بين درعين في غزوة أُحُدٍ . وَرَبَطَهُ للبراق
في حَقِّقَةِ الباب من هذا الفن ، وهو حديث صحيح ، وقد رواه غير بُرَيْدَةَ
ووقع في حديث الحارث بن أبي أسامة من طريق أنس ، ومن طريق
أبي سعيد ، وغيرهما أعنى رَبَطَهُ للبراق في الخَلْقَةِ التي كانت تَرَبِّطُهُ فيها
الأنبياء ، غير أن الحديث يرويه داود بن المُجَبَّر ، وهو ضعيف .

معنى قول الملائكة : من معك

معنى قول الملائكة : من معك ومما يُسألُ عنه قولُ الملائكة في كل سماء
للجبريل : مَنْ مَعَكَ ، فيقول : محمد ، فيقولون : أَوْقَدْ بَعَثْ إِلَيْهِ فيقول : نعم
هكذا لفظ الحديث في الصَّحاح ، ومعنى سؤالهم عن البعثِ إليه فيما قال بعض
أهل العلم ، أى : قد بعث إليه إلى السماء ، كما قد وجدوا في العلم أنه سيعرج به ،
ولو أرادوا بَعَثَهُ إلى الخلق ، لقالوا : أَوْقَدْ بُعِثَ ، ولم يقولوا إليه ، مع أنه
يبعد أن يخفى عن الملائكة بعثه إلى الخلق ، فلا يعلمون به إلى ليلة الإسراء .
وفي الحديث الذى تقدم في هذا الكتاب بيان أيضا حين ذكر تسبيح ملائكة
السماء السابعة ، ثم تسبيح ملائكة كل سماء ، ثم يسأل بعضهم بعضا : مِمَّ سَبَّحْتُمْ
حتى ينتهى السؤال إلى ملائكة السماء السابعة ، فيقولون : قَضَى رَبُّنَا فِي خَلْقِهِ

(١) ياريل التفسير من مختصرات وهب

(٢) في الجامع الصغير للسيوطي : « اعقلها وتوكل » وراه الترمذى عن أنس

كذا ، ثم ينتهي الخبرُ إلى سماء الدنيا - الحديث بطوله ، وفي هذا ما يدل على أن الملائكة قد علمت بنبوّة محمد - صلى الله عليه وسلم - حين نُبِّيَ ، وإِنما قالت : أوقد بعث إلهي ، أي قد بعث إلهي بالبراق كما تقدّم على أن في حديث أنس أن ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل : أوقد بعث ، كما وقع في السيرة وليس في أول الحديث : إلهي ، هذا إِنما جاء في حديث الرؤيا التي رآها بقلبه ، كما قدمنا ، وأن ذلك قبل أن يُوحى إليه كما جاء في الحديث بعينه ، وفي هذا قوة لما تقدم من أن الإسراء كان رؤيا ، ثم كان رؤية ؛ ولذلك لم نجد في رواية من الروايات أن الملائكة قالوا : أوقد بعث إلهي إلا في ذلك الحديث ،
فإنه أعلم .

باب الحفظة :

وذكر باب الحفظة ، وأن عليه مَلَكَ يقال له : إسماعيل ، وقد جاء ذكره في مُسْنَدِ الحارث ، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف^(١) ملك ، هكذا لفظُ الحديث في رواية الحارث ، وفي رواية ابن إسحاق : اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظُ الحديث ، وفي مُسْنَدِ الحارث أيضاً .

(١) أخرجه البيهقي في كتاب دلائل النبوة وأوله يخالف الروايات الأخرى فبينما أنا تأتم عشاء في المسجد الحرام ، إذ أتاني آت ، فأيقظني ، فاستيقظت ، فلم أرى شيئاً ، فإذا أنا بكهيفة خيال ، فأتبعته بصري ؛ حتى خرجت من المسجد الحرام الخ .

وذكر سِدْرَةَ الْمُنتَهَى، فقال: لو غطيت بُورَقَ مَنْ ورَقها هذه الأُمَّةُ لَغَطَّاهُمْ،
وفي صفتها من رواية الجميع: فإذا ثمرها كِقِلَالِ هَجَرَ، وفي حديثِ الْقَلَتَيْنِ
من كتاب الطهارة، من رواية ابن جُرَيْج: إذا كان الماءُ قُلَّتَيْنِ من قِلَالِ
هَجَرَ لم يحمل الخبث^(١) قالوا: والقِلَتانِ منها تَسْعَانِ خَمْسَمِائَةِ رطل، قال
الترمذى: وذلك نحو من خَمْسِ قَرَبٍ، وفي تفسير ابن سلام قال عن بعض
السلف: إنها سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنتَهَى، لأن روح المؤمن ينتهى به إليها،
فتصلى عليه هنالك الملائكةُ المقربون. قال ذلك في تفسير عليين.

آدم في سماء الدنيا والأسودۃ التي رآها:

فصل: وفيه أنه رأى آدم في سماء الدنيا، وعن يمينه أسودۃ، وعن شماله
أسودۃ، وأن جبريل أعلمه أن الأسودۃ التي عن يمينه هم: أصحابُ اليمين،
وفي رواية ابن إسحاق: تعرض عليه أرواحُ ذُرِّيَّتِهِ، فإذا نظر إلى الذين عن
يمينه ضحك، وقد سئل عن هذا، فقل: كيف رأى عن يمينه أرواحُ أصحابِ
اليمين، ولم يكن إذ ذاك من أصحابِ اليمين إلا نَفَرٌ قَلِيلٌ، ولعله لم يكن ماتَ

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي مولا هم المسكي
أبو الوليد، ويقال: أبو خالد، وهو من تابعي التابعين توفي سنة ١٥٠ وقيل
غير ذلك.

(٢) تكلمنا عنه من قبل، وأقول: ورد في نيل الأوطار الإمام الشوكاني:
«وأما التقييد بقِلَالِ هَجَرَ، فلم يثبت مرفوعاً إلا من رواية المغيرة بن صقلاب
عند ابن عدى، وهو منكر الحديث. قال النخيل: لم يكن مؤتمناً على الحديث،
وقال ابن عدى: لا يتابع على عامة حديثه، ص ٣١ ط عثمان خليفة.

ك الليلة منهم أحد ، وظاهر الحديث يقضى أنهم كانوا جماعة . فالجواب أن
يقال : إن كان الإسراء رؤيا بقلبه ، فتأويلها أن ذلك سيكون ، وإن كانت
رؤيا عين ، كما قال ابن عباس وغيره بمعناه : أن ذلك أرواح المؤمنين رآها
هنالك ، لأن الله تعالى يتوفى الخلق في منامهم ، كما قال في التنزيل : ﴿ الله
يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر ٤٣ فصعد بالأرواح إلى هنالك ، فرآها
ثم أعيدت إلى أجسادها . وجواب آخر : وهو أن أصحاب اليمين الذين
ذكرهم الله تعالى في سورة المدثر في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ -
فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ٣٩ : ٤٠ . قال ابن عباس : هم
الأطفال الذين ماتوا صغاراً ، ولذلك سألوا الجرمين : (مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ)
لأنهم ماتوا قبل أن يعلموا بكفر الكافرين ، وقد ثبت في الصحيح أن أطفال
المؤمنين والكافرين في كفالة إبراهيم عليه السلام ، وأن رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - قال لجبريل حين رآهم في الروضة مع إبراهيم : مَنْ هَؤُلَاءِ
يا جبريل ؟ فقال : أولاد المؤمنين الذين يموتون صغاراً ، فقال له : وأولاد
الكافرين ، قال : وأولاد الكافرين . خرجه البخارى في الحديث الطويل من
كتاب الجنائز ، وخرجه في موضع آخر ، فقال فيه : أولاد الناس ، فهو
في الحديث الأول نص ، وفي الثانى عموم ، وقد روى في أطفال الكافرين
أنهم خدم لأهل الجنة ، فعلى هذا لا يبعد أن يكون الذى رآه عن يمين آدم من
نَسَمِ ذريته أرواح هؤلاء ، وفي هذا ما يدفع تشعيب هذا السؤال
والاعتراض منه .

من حكم الماء :

فصل : وفيه شُرْبُهُ من إناء القوم ، وهو مُغَطَّى ، والماء وإن كان لا يُمْلَكُ والناس شُرْكَاءَ فيه ، وفي النار والسَّكَلَاءُ كما جاء في الحديث ، لكن المستقي إذا أحرزه في وعائه ، فقد ملكه ، فكيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم شُرْبُهُ وهو ملكٌ لغيره ، وأملاك الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ، ولادماؤهم .

فالجواب أن العربَ في الجاهلية كان في عُرْفِ العادة عندهم إبادة الرُّسُلِ لابن السبيل فَضْلًا عن الماء ، وكانوا يعهدون بذلك إلى رِعَائِهِمْ ، ويشترونه عليهم عند عقد إجارتهم : أَلَا يَمْنَعُوا الرُّسُلَ ، وهو اللبن من أحدٍ مرَّ بهم ، وللحكم في العُرْفِ في الشريعة أصولٌ تشهد له ، وقد ترجم البخاريُّ عليه في كتاب البيوع ، وخرج حديثَ هِنْدِ بنتِ عُمْتَبَةَ ، وفيه : خُذِي ما يكفيك وولدك بالمعروف .

عن دخول بيت المقدس وصفه الأنبياء :

فصل : وذكر فيه أنه دخل بيت المقدس ، ووجد فيه نفرًا من الأنبياء ، فضلَّى بهم ، وفي حديث الترمذي الذي قدَّمناه عن حذيفة أنه أنكر أن يكونَ صلَّى بهم ، وقال : ما زال من ظهر البُرَاقِ ، حتى رأى الجنة والنار ، وما وعده الله تعالى ، ثم عاد إلى الأرض ، وزيادة العدل مقبولة ، ورواية من أثبت مُقَدِّمَةً على رواية مَنْ نَفَى ، وذكر فيه صفة الأنبياء ، وقال في عيسى : كأن رأسه يَقْطُرُ ماءً وليس به ماء ، وكأنه خرج من دِيَمَاسٍ والدِّيمَاسُ : الحُمَامُ ،

وأصله : دِمَّاسٌ ويجمع على دَمَامِيس ، وقد قيل في جمعه : دَيَامِيس ^(١) ، ومثله :
قيراط ودينار ودينار ودينار ، الأصل فيها كلها : التضعيف ، ثم قلب الحرف المدغم ياء ،
فلما جمعوها وصغروا ، ردّوه إلى أصله ، فقالوا : قَرَارِيط ودَنَانِير : [وقُرَيْرِيط
ودُنَيْنِير] ^(٢) ، غير أنهم لم يقولوا : دَنَانِير ولا قِيَارِيط ، كما قالوا : دَيَامِيس ،
وقالوا : دَبَابِيج ودَبَابِيج ^(٣) ، وأصل الدَّمَس : التغطية ومنه كَلِيلٌ دَامِسٌ ، وفي
هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الرُّبِّيِّ والخِصْبِ الذي يكون
في أيامه إِذْ أَهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ والله أعلم .

وذكر في صفة موسى أنه آدمٌ طَوَّالٌ ، ولو صفه إياه بالأدَمَةِ أَصْلٌ في كتاب
الله تعالى ، قاله الطَّبْرِي عند تفسير قوله : ﴿ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ قال :
في خُرُوجِ يده بَيْضَاءَ آيَةٍ في أن خرجت بَيْضَاءَ مخالفاً لَوْنِهَا لَوْنِ جَسَدِهِ ،
وذلك دليلٌ بَيِّنٌ عَلَى الْأَدَمَةِ الَّتِي هِيَ خِلَافُ الْبَيَاضِ ^(٤) .

وذكر إبراهيم فقال : لَمْ أَرَّ رَجُلًا أَشْبَهَ بِصَاحِبِكُمْ وَلَا صَاحِبِكُمْ أَشْبَهَ بِهِ مِنْهُ ،

(١) في اللسان : إن فتحت الدال جمع على دياميس مثل شيطان وشياطين ،
وإن كسرتها جمعت على دماميس ،

(٢) زيادة يقتضيها السباق .

(٣) في اللسان مادة دز : قال أبو منصور : دينار وقيراط ودينار
أصلها أعجمية ، غير أن العرب تكلمت بها قديما ، فصارت عربية .

(٤) الذي في الطبري في تفسير الآية : ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا
آدم ، فأدخل يده في جيبه ، ثم أخرجها بَيْضَاءَ من غير سوء من غير برص
مثل الثلج ، ثم ردها ، فخرجت كما كانت على لونه .

يعنى : نفسه ، وفى آخر هذا الكلام إشكالٌ من أجل أن أشبه منصوبٌ
فى الموضعين ، ولكن إذا فهمت معناه ، عرفت إعرابه ، ومعناه : لم أر رجلاً
أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم به منه^(١) ، ثم كرر أشبه توكيداً فصارت لغواً كأنمقحَم
وصاحبكم معطوفٌ على الضمير الذى فى أشبه الأول الذى هو نعتٌ لرجل ،
وحسن العطف عليه ، وإن لم يؤكد بهو ، كما حسن فى قوله تعالى : ﴿ مَا أَشْرَكْنَا
وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ من أجل الفصل بلا النافية ، ولو أسقط من الكلام أشبه الثانى ،
لكان حسناً جداً ، ولو آخر صاحبكم فقال : ولا أشبه به صاحبكم منه لجاز ،
ويكون فاعلاً بأشبه الثانية ، ويكون من باب قولهم : مارأيت رجلاً أحسن
فى عينه الكحل من زيد ، وهى مسألة عذراء لم تفتزعها أيدى النحاة^(٢) ،
بعد ولم يشف منها مُتَقَدِّمٌ منهم ، ولا متأخراً ممن رأينا كلامه فيها وقد أمليتما
فى غير هذا الكتاب فيها تحقيقاً شافياً .

صفة النبى صلى الله عليه وسلم :

فصل : وذكر فى صفة - النبى - صلى الله عليه وسلم - مما نفعته به على بن
أبى طالب - رضى الله عنه - فقال : لم يكن بالطويل الممّغط بالعين المعجمة ،

(١) رواية مسلم : أشبه الناس به صاحبكم - يعنى نفسه .

(٢) هى مسألة مفصلة فى كتب النحو عن عمل أفعل التفضيل ورفع الاسم
الظاهر ، فانظر لها مثلاً ص ١٠٦ > ٢ من شرح التصريح على التوضيح ، ص ٤٦
> ٣ من حاشية الصبان على شرح الأشموني ط ١٣٠٥ هـ ص ٢٥٢ > ٣ النحو
الوافى للأستاذ عباس حسن .

وفى غير هذه الرواية بالعين المهملة ، وذكر الأوصاف إلى آخرها وقد شرحها أبو عبيد ، فقال عن الأصمى ، والكسأى وأبى عمرو وغير واحد : قوله : ليس بالطويل الممّط أى : ليس بالبائن الطويل ، ولا القصير المتردد^(١) . يعنى : الذى تردد خائفه بعضه على بعض ، وهو مجتمع ليس بسبط الخلق يقول : فليس هو كذلك ، ولكن ربعة بين الرجلين ، وهكذا صفة صلى الله عليه وسلم . وفى حديث آخر : ضرب اللحم بين الرجلين .

وقوله : ليس بالمطهم ، قال الأصمى : هو التام كل شيء منه على حدته ، فهو بارع الجمال ، وقال غير الأصمى المكلّم المدور الوجه ، يقول : ليس كذلك ، ولكنه مسنون ، وقوله : مشرب يعنى الذى أشرب حجرة ، والأدعج العين : الشديد سواد العين قال الأصمى : الدّعجة : هى السواد ، والجليل المشاش : العظيم العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبتين ، وقوله : السكتد هو : السكهل ، وما يليه من جسده ، وقوله شثن الكفين والقدمين يعنى : أنهما إلى الغلط . وقوله : ليس بالسبط ولا الجعد القاطط ، فالقاطط : الشديد الجعودة مثل شعور الحبشة ، ووقع فى غريب الحديث لأبى عبيد التام كل شيء منه على حدته . يقول : ليس كذلك ، ولكنه بارع الجمال ، فهذه الكلمة ، أعنى : ليس كذلك بخلة بالشرح ، وقد وجدته فى رواية أخرى عن أبى عبيد بإسقاط : يقول كذلك ، ولكن على نص ذكرناه آنفا

(١) وردت هذه الأوصاف فى حديث رواه الترمذى وإسناده ضعيف .

قصة المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثني من لآأهم عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضى الله عنه - أنه قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لما فرغتُ مما كان فى بيت المقدس ، أتى بالمعراج - ولم أر شيئاً قطُّ أحسنَ منه - وهو

عنه عن الأصمى ، والذي فى غريب الحديث من تلك الزيادة وَهُمْ وقع فى الكتاب ، والله أعلم .

وأما ما رواه الترمذى عن الأصمى فى شرح المطهم قال : هو البادن : الكثير اللحم ، ذكره عن أبي جعفر ، عن الأصمى ، وذكر عنه فى الْمُعْطَط نحو ما قدمناه ، قال : وسمعتُ أعرابياً يقول تَمْعَطُ فى نُشَابَةِ أَى : مَدَّهَا ، وفى كتاب العين : مَعَطْتُ الشئ إِذَا مَدَدْتَهُ ، وقال فى باب العين المهملة مَعَطْتُ ^(١) الشئ إِذَا مَدَدْتَهُ ، كما قال فى الغين المعجمة ، فعلى هذا يقال فيه تَمْعَطُ وَتَمْعَطُ ، ووزنه مُنْفَعِلٌ ، واندغمت النون فى الميم ، كما اندغمت فى محوته فَأَتَحَى لما أمن التباسه بالمضاعف ، ولم يدغموا النون فى الميم فى شاةٍ زَمَاءٌ ، ولأفى غَمٍ لثلاً ياتبس بالمضاعف ، لو قالوا : أَزَمَاءٌ وَغَمًّا ، وقد ذكرنا قبل ما وَهم فيه الترمذى من تفسير زِرِّ الْحَجَلَةِ حيث قال : يقال إنه بيض له ، حيث تكامنا على خاتم النبوة وصنفته ، واختلاف الرواية فيه والحمد لله .

(١) كذلك يقول اللسان .

الذى يَمُدُّ إِلَيْهِ مِيتُكُمْ عَيْنِيهِ إِذَا حُضِرَ ، فَأَضْمَدَنِي صَاحِبِي فِيهِ ، حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ ، يُقَالُ لَهُ : بَابُ الْحَقِظَةِ ، عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، يُقَالُ لَهُ : إِسْمَاعِيلُ ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ ، تَحْتَ يَدِي كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ - قَالَ : يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ : وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ - فَلَمَّا دَخَلَ بِي ، قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ . قَالَ : أَوْ قَدْ بُعِثَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَدَعَا لِي بِخَيْرٍ : وَقَالَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ حَدَّثِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : تَلَقَّيْنِي الْمَلَائِكَةُ حِينَ دَخَلْتُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَلْقَنِي مَلَكٌ إِلَّا ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا ، يَقُولُ خَيْرًا وَيَدْعُو بِهِ ، حَتَّى لَقَيْتَنِي مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالُوا ، وَدَعَا بِمِثْلِ مَا دَعَوْا بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَضْحَكْ ، وَلَمْ أَرَ مِنْهُ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلَ مَا رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِهِ ، فَقُلْتُ لِجَبْرِيلَ : يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَذَا الْمَلِكُ الَّذِي قَالَ لِي كَمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ وَلَمْ يَضْحَكْ إِلَيَّ ، وَلَمْ أَرَ مِنْهُ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : فَقَالَ لِي جَبْرِيلُ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ ضَحِكَ إِلَيَّ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَكَ ، أَوْ كَانَ ضَاحِكًا إِلَى أَحَدٍ بَعْدَكَ ، لَضَحِكَ إِلَيْكَ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَضْحَكُ ، هَذَا مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ لِجَبْرِيلَ ، وَهُوَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَكَانِ الَّذِي وَصَفَ لَكُمْ (مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ) : أَلَا تَأْمُرُهُ أَنْ يُرِيَنِي النَّارَ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، يَا مَالِكُ ، أَرِ مُحَمَّدًا النَّارَ . قَالَ : فَكَشَفَ عَنْهَا غِطَاءَهَا ، فَفَارَتْ ، وَارْتَفَعَتْ ، حَتَّى ظَنَنْتُ : لَتَأْخُذَنِّ مَا أَرَى . قَالَ :

قلت لجبريل : يا جبريل ، مُرّه ، فليردّها إلى مكانها . قال : فأمره ، فقال لها : اخبني ، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه . فما شبّهت رُجوعها إلا وقوع الغلّ . حتى إذا دخلت من حيثُ خرجت رَدّ عليها غطاءها .

قال أبو سعيد الخدري في حديثه : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : لما دخلت السماء الدنيا ، رأيت بها رجلاً جالساً تُعرض عليه أرواح بني آدم ، فيقول لبعضها ، إذا عُرِضت عليه خيراً ويُسرّ به ، ويقول : روح طيّبة خرجت من جسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عُرِضت عليه : أفس ، ويُعَبِّس بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تُعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرّت به روح المؤمن منهم سرّ بها : وقال روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرّت به روح الكافر منهم أفس منها ، وكَرِهها ، وساء ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال ثم رأيت رجالاً لهم مَشافر كَمَشافِر الإبل ، في أيديهم قِطْع من نار كالأنهار ، يقذفونها في أفواههم ، فتخرج من أديبارهم . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكَلّة أموال اليتامى ظالماً .

قال : ثم رأيت رجالاً لهم بُطون لم أرَ مثلاً قطُّ بسبيل آل فرعون ، يَمُرُّون عليهم كالإبل الممّيومة حين يُعَرَضُونَ على النار ، يطئونهم لا يقدرّون على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك . قال قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء أكَلّة الربا .

قال : ثم رأيتُ رجلاً بين أيديهم لحم ثمين طيّب ، إلى جنبه لحم غنّ متين ، يأكلون من الفثّ المتين ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحلّ الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن .

قال : ثم رأيت نساء معلقات بشدّهنّ ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن عمرو ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : اشتدّ غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فأكل حراثهم ، واطلع على عوراتهم .

عود إلى حديث الخدرى : ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدرى ، قال : ثم أضعدني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريّا ، قال : ثم أضعدني إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر ، قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب . قال : ثم أضعدني إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس — قال : يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم : ورفعناه مكاناً عليّاً — قال : ثم أضعدني إلى السماء الخامسة ، فإذا فيها كنهل أبيض الرأس واللحية ، عظيم العنان ، لم أر كنهلاً أجمل منه ، قال قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا المصّيب في قومه هارون بن عمران ، قال : ثم أضعدني إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدم طویل أقنى كأنه من رجال شنوءة ؛ فقلت له :

من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران . ثم أضعفنى إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كهيل جالس على كرسيٍّ إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بي الجنة ، فرأيت فيها جارية لعساء ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتنى حين رأيتها ، فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشّر بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ، فيقولون : أو قد بعث ؟ فيقول : نعم ، فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم .

قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأفبات راجعا ، فلما مررت بموسى بن عمران ونعم صاحبُ كان لکم ، سألتى كم فُرض عليك من الصلاة ؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم ؛ فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعتُ فسألت ربي أن يخفف عني ، وعن أمتي ، فوضع عني عشرا . ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك ، فرجعتُ فسألت ربي ، فوضع عني عشراً .

ثم انصرفت ، فررت على موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فرجعت فسأله فوضع
عنى عشراً ، ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك ، كلما رجعت إليه ، قال : فارجع
فاسأل ، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنى ، إلا خمس صلوات فى كل يوم
وليلة . ثم رجعت إلى موسى ، فقال لى مثل ، ذلك ، فقلت : قد راجعت ربى
وسأله ، حتى استحييت منه ، فما أنا بفاعل رواه البيهقى فى كتاب دلائل
النبوة وابن جرير وابن أبى حاتم .

فمن أذهن منكم إيماناً بهنّ ، واحتساباً لهنّ ، كان له أجر خمسين صلاة
مكتوبة . رواه . وفى الحديث غرابة ونكارة .

رؤية النبي ربه :

فصل : وقد تكلم العلماء فى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء ،
فروى مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه ، وقالت من زعم أن محمداً
رأى ربه ، فقد أعظم على الله الفرية ، واحتجت بقوله سبحانه (لا تدركه
الأنصار ، وهو يدرك الأنصار) الأنعام : ١٠٣ وفى مصنف الترمذى عن
ابن عباس وكعب الأحبار أنه رآه ، قال كعب : إن الله يقسم رؤيته وكلامه
بين موسى ومحمد ، وفى صحيح مسلم عن أبى ذرّ قال : يارسول الله هل رأيت
ربك ؟ قال : رأيت نوراً ، وفى حديث آخر من كتاب مسلم أنه قال : نوراً أنى
أراه ، وليس فى هذا الحديث بيان شاف أنه رآه ، وحكى عن أبى الحسن
الأشعرى أنه قال : رآه بعينى رأسه ، وفى تفسير النقاش عن ابن حنبل أنه
سئل : هل رأى محمد ربه ، فقال : رآه رآه رآه حتى انقطع صوته ، وفى تفسير

عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، فقال لزهري : ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس ، وفي تفسير ابن سلام عن عروة أنه كان إذ ذكر إنكار عائشة أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه يشتد ذلك عليه ، وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه ؟ روى يونس عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال : سأل مروان أبا هريرة : هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم ، وفي رواية يونس أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله : هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم رآه ، فقال ابن عمر : وكيف رآه ، فقال ابن عباس كلاما كرهت أن أوردته بلفظه لما يؤم من التشبيه ، ولو صح لكان له تأويل والله أعلم ، والمتحصل من هذه الأقوال - والله أعلم - أنه رآه لأعلى أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى والنعيم الأكبر ، ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يؤمى قوله : رأيت نوراً ونوراً أنى أراه في الرؤية الأخرى والله أعلم .

وأما الدُّنُوُّ والتَّدَلَّى فهما خبرٌ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بعض المفسرين ، وقيل إن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام تدلى إلى محمد حتى دنا منه وهذا قول طائفة أيضاً ، وفي الجامع الصحيح في إحدى الروايات منه : فتدَلَّى الجبار ، وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحدٌ من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره ، أو للغفلة عن موضعه ، ولا استحالة فيه ؛ لأن حديث الإسراء إن كان رؤيا رآها بقلبه وعينه نائمة - كما في حديث أنس فلا إشكال فيما يراه في نومه عليه السلام فقد رآه في أحسن صورةٍ ووضع كنفه بين كتفيه ، حتى وجد برزخها بين ثدييه .

رواه الترمذى^(١) من طريق معاذ فى حديث طويل ، ولما كانت هذه رؤيا .

(١) الحديث كما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ص ، قال : أتانى ربه الليلة فى أحسن صورة - أحسنه يعنى فى النوم - فقال : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قال : قلت لا ، فوضع يده بين كفتى حتى وجدت بردها بين يدي - أو قال نحرى فعلت - فى السموات والأرض ، ثم قال : يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قال : قلت : نعم يختصمون فى الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قال : قلت المكث فى المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، وإبلاغ الوضوء فى المنكره ، من فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه . وقال : قل يا محمد إذا صليت . اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضنى إليك غير مقنون . قال : والدرجات : بذل الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلوة بالليل والناس نيام ، ورواه أحمد أيضاً بسنده عن معاذ قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح ، حتى كدنا نترامى قرن الشمس ، فخرج - صلى الله عليه وسلم - سريعا فتوب بالصلوة ، فصلى ، وتجاوز فى صلاته ، فلما سلم ، قال - صلى الله عليه وسلم - كما أنتم ، ثم أقبل إلينا فقال : إني قت من الليل ، فصليت ما قدر لى ، فتعسيت فى صلاتى حتى استيقظت ، فإذا أنا بربي عز وجل فى أحسن صورة ، الخ ولكنه قال فى هذه الرواية : فتجلى لى كل شيء وعرفت ، بدلا من : فعلت ما فى السموات الأرض . وشتان ما هما فى الدلالة . وعن الدرجات قال فيها : أين الكلام بدلا من إفشاء السلام . أما الدعاء فى رواية معاذ أن الله قال له : سل ، قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين . وأن تغفر لى ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوقنى غير مقنون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك . أما فى رواية ابن عباس ، فقد ورد أن الله هو الذى طلب منه أن يقول هذا ، وعلمه إياه . هذا والحديث رواه الترمذى من حديث جهم بن عبد الله

اليمامي ، وقال : حسن صحيح ، وهو في السنن من طرق . ويقول ابن كثير : وهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة ، فقد غلط .

وما أعظم فقه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيما رواه أحد بسنده عن عامر ، قال : أتى مسروق عائشة ، فقال : يا أم المؤمنين : هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم — ربه عز وجل ؟ قالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن ، فقد كذب . من حدثك أن محمدا رأى ربه ، فقد كذب ، ثم قرأت : (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار) (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد ، فقد كذب . ثم قرأت : (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام) الآية . ومن أخبرك أن محمدا قد كتم ، فقد كذب ، ثم قرأت : (يأبها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ~~واكتمه~~ رأى جبريل في صورته مرتين ، وتدبر ما رواه أحد بسنده عن مسروق قال : وكنت عند عائشة ، فقلت : أليس الله يقول : (ولقد رآه بالأفق المبين — ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت : أنا أول هذه الأمة ، سألت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عنها ، فقال : إنما ذاك جبريل . لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين ، رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به . ولمسلم في الرؤية طريقان بلفظين عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : نوراني أراه . والآخر : رأيت نوراً . وقد حكى الحلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث ، فقال : ما زلت منهكراً له ، وما أدري ما وجهه . . ويقول الأئمة : إن عائشة سألت عن الرؤية بعد الإسراء ، ولم يثبت لها النبي الرؤية ، ومن قال : إنه خاطبها على قدر عقلاها ، أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد ، فإنه هو المخطئ . وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال في قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى) قال : رأى جبريل عليه السلام . وحسبنا هذا .

لم ينكرها أحدٌ من أهل العلم ، ولا استبشعها ، وقد بينا آنفاً أن حديث الإسراء كان رؤيا ثم كان يقظة فإن كان قوله فتدلى الجبارُ في المرة التي كان فيها غير نائمٍ ، وكان الإسراء بحسده ، فيقال فيه من التأويل ما يقال في قوله : ينزل ربنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا ، فليس بأبعدَ منه في باب التأويل ، فلا نكارةَ فيه كان في نوم أو يقظة ، وقد أشرنا إلى تمام هذا المعنى في شرح ما تضمنه لفظ القوسين من قوله : قَابَ قَوْسَيْنِ في جزء أمليناه في شرح سبحان الله وبحمده . نَضَمْنِ لطائف من معنى التقديس والتسبيح ، فليُنظر هناك وأمليناً أيضاً في معنى رؤية الرب سبحانه في المنام ، وفي عَرَصَاتِ القيامة مسألة اقناع الحقيقة في ذلك كاشفةً فمن أراد فهم الرؤية والرؤيا فليُنظرها هناك ، ويقوى ما ذكرناه من معنى إضافة التدلّي إلى الربِّ سبحانه كما في حديث البخاري ما رواه ابن سنجر مُسنَداً إلى شريح بن عبيد ، قال : لما صعد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، فلما أحس جبريل بدُنُوِّ الربِّ خرَّ ساجداً ، فلم يزل يُسَبِّحُ سُبْحَانَ رَبِّ الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِبَرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ حَتَّى قَضَى اللهُ إِلَى عَبْدِهِ مَا قَضَى ، قال : ثم رفع رأسه ، فرأيته في خلقه الذي خُلِقَ عليه منظوماً أجنحته بالزَّبَرَجَدِ وَالْوَأْوَاءُ وَالْيَاقُوتُ ، فخَيَّلَ إِلَى أَنْ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ قَدْ سَدَّ الْأَفْقَيْنِ ، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صُورٍ مختلفة ، وكنت أكره ما أراه على صورة دَحْيَةَ بن خليفة الكَلْبِيِّ ، وكان أحياناً لا يراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجلُ صاحبه من وراء الغراب^(١) .

(١) حديث متهافت . أما رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل على صورة دحية ، فقد ورد في روايات صحيحة .

لِقَاؤُهُ لِلنَّبِيِّينَ :

فصل : ومما سئل عنه من حديث الإسراء ، وتسكلم فيه لقَاؤُهُ لآدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، وَلِإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ لَقِيَهُمْ فِي غَيْرِ هَاتَيْنِ السَّمَاءَيْنِ ، وَالْحِكْمَةُ فِي اخْتِصَاصِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالسَّمَاءِ الَّتِي رَأَاهُ فِيهَا ، وَسُؤَالِ آخَرٍ فِي اخْتِصَاصِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ بِاللِّقَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ رَأْيُ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ ، فَمَا الْحِكْمَةُ فِي اخْتِصَاصِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ بِالذِّكْرِ ؟ وَقَدْ تَسَكَّلَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ بَطَالٍ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ ، فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، وَمَغْزَى كَلَامِهِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمَّا عَلِمُوا بِقُدُومِهِ عَلَيْهِمْ ابْتَدَرُوا إِلَى لِقَائِهِ ابْتِدَارَ أَهْلِ الْغَائِبِ لِلْغَائِبِ الْقَادِمِ ، فَهُمْ مِنْ أَسْرَعِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْطَأَ . إِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ فَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ ، وَالَّذِي أَقُولُ فِي هَذَا : إِنْ مَأْخَذَ فُهِمَهُ مِنْ عِلْمِ التَّعْبِيرِ ، فَإِنَّهُ مِنْ عِلْمِ التَّجَوُّزِ ، وَأَهْلُ التَّعْبِيرِ يَقُولُونَ : مَنْ رَأَى نَبِيًّا بِعَيْنِهِ فِي الْمَنَامِ ، فَإِنْ رُؤْيَاهُ تَوْثِقَ بِمَا يُشَبِّهُ حَالَ ذَلِكَ النَّبِيِّ مِنْ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَخْبَرَهَا عَنْ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْقُرْآنِ ، وَالْحَدِيثِ ، وَحَدِيثِ الْإِسْرَاءِ كَانَ بِمَكَّةَ وَهِيَ حَرَمُ اللَّهِ وَأَمْنُهُ وَقُطَّائُهَا جِبْرَانُ اللَّهِ ، لِأَنَّ فِيهَا بَيْتَهُ ، فَأُولَ مَا رَأَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ آدَمَ الَّذِي كَانَ فِي أَمْنِ اللَّهِ وَجِوَارِهِ ، فَأَخْرَجَهُ عَدُوُّهُ إِبْلِيسُ مِنْهَا ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ تُشَبِّهُهَا الْحَالَةُ الْأُولَى مِنْ أَحْوَالِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَخْرَجَهُ أَعْدَاؤُهُ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ وَجِوَارِ بَيْتِهِ ، فَكَرَبَهُ ذَلِكَ وَعَمَّهُ . وَأَشْبَهَتْ قِصَّتَهُ فِي هَذَا قِصَّةَ آدَمَ ، مَعَ أَنَّ آدَمَ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ مِنْهُمْ ، فَكَانَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمِثْلِ مَا يَرَى الْفَرِيقَيْنِ ، لِأَنَّ أَرْوَاحَ أَهْلِ الشَّقَاءِ لَا تَلِجُ فِي السَّمَاءِ ، وَلَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ رَأَى

في الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود ، أما عيسى فكذبته اليهود وآذته ، وهُمُوا بقتله فرفعه الله ، وأما يحيى فقتلوه ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان ، وكانت محنته فيها باليهود ، آذَوْه وظَاهَرُوا عليه وَهَمُّوا بِالْقَاءِ الصَّخْرَةِ عليه ، ليقتلوه فَنَجَّاهُ الله تعالى كما نَجَّى عيسى منهم ، ثم سَمَّوه في الشاة ، فلم تزل تلك الأكلة تعاوده ، حتى قطعت أَمْرَهُ^(١) كما قال عند الموت ، وهكذا فعلوا بابنِي الخالة : عيسى ويحيى ، لأنَّ أُمَّ يَحْيَى أَشْيَاعُ بنتُ عُمَرَانَ أختُ مَرْيَمَ ، أمهما : حَنَّةُ ، وأما لِقَاؤُهُ لِيُوسُفَ في السماء الثالثة ، فإنه يؤذَنُ بِحَالَةٍ ثَالِثَةٍ تشبه حال يوسُفَ ، وذلك بأن يوسُفَ ظَفِرَ بِإِخْوَتِهِ بعد ما أخرجوه من بين ظَهْرَانِيهِمْ فصفح عنهم ، وقال لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ الْآيَةُ ، وكذلك نبينا - عليه السلام - أسرَ يَوْمَ بَدْرٍ جُمْلَةَ من أَفَارِبه الذين أخرجوه فيهم عمه العباسُ ، وابن عمه عَقِيلُ ، فمنهم من أطلقَ ، ومنهم من قَبِلَ فِدَاءَهُ ، ثم ظَهَرَ عليهم بعد ذلك عامَ الفتح لجمعهم ، فقال لهم : أقول ما قال أخى يوسُفَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ، ثم لِقَاؤُهُ لِإِدْرِيسَ في السماء الرابعة ، وهو المكان الذى سماه الله مكانا عليا ، وإِدْرِيسُ أول من آتاه الله الخَطَّ بالقلم ، فكان ذلك مُؤْذَنًا بِحَالَةٍ رَابِعَةٍ ، وهى عُلُوُّ شَأْنِهِ - عليه السلام - حتى أخافَ الملوكَ وكتبَ إليهم يدعُوهم إلى طاعته ، حتى قال أبو سفيان ، وهو عند ملك الروم ، حين جاءه كتابُ النَّبِيِّ عليه السلام ، ورأى ما رأى من خَوْفِ هِرَقْلَ :

(١) الأبر : الظهر وعرق فيه ، ووريد العنق والا كحل . وقد ذكر قصة الشاة المسمومة البخارى وغيره .

لقد أمر أمر ابن أبي كَبْشَةَ^(١) ، حتى أصبح يخافه ملكُ بني الأَضْفَرِ ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض ، فمنهم من اتبعه على دينه كالنَّجَاشِيِّ ، ومَلِكِ عمان ، ومنهم من هادنه ، وأهدى إليه وأتخفه كَهَرَقْلَ والمَقْوِسِ ومنهم من تبعَ على ، فأظهره الله عليه ، فهذا مقام على ، وخط بالقلم كنحو ما أوتى لإدريس - عليه السلام - ولقاؤه في السماء الخامسة لهارون المُجَبِّبِ في قومه يؤذن بحب قريش ، وجميع العرب له بعد بُغْضِهِمْ فيه ، ولقاؤه في السماء السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بفز الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم ، وكذلك غزا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - تَبُوكَ من أرضِ الشام ، وظهر على صاحب دَوْمَةَ حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا ، وافتتح مكة ، ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه ، ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم - عليه السلام - الحكمتين : إحداهما : أنه رآه عند البيت المعمور مُسْنِداً ظهره إليه والبيت المعمورُ حيال مكة ، وإليه تخرج الملائكة ، كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة ، وأذن في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - حجَّه إلى البيت الحرام ، وحجَّ معه نحو من سبعين ألفاً من المسلمين ، ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تؤذن بالحج ، لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوبة ، فقد انتظم في هذا الكلام الجواب عن

(١) أي كثر وارتفع شأنه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكر

السؤالين المتقدمين ، أحدهما : السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر ، والآخر :
السؤال عن تخصيصهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة ، وكان الحزم
ترك التكلف لتأويل ما لم يرد فيه نصٌّ عن السلف ، ولكن عارض هذا
الغرض ما يجب من التفكير في حكمة الله ، والتدبر لآيات الله ، وقول الله تعالى :
﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ ﴾ وقد رُوِيَ أَنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ
عِبَادَةِ سَنَةٍ ^(١) ما لم يكن النظر والتفكير مجرداً من ملاحظة الكتاب والسنة ،
ومقتضى كلام العرب ، فعند ذلك يكون القول في الكتاب والسنة بغير علم عصمنا
الله - تعالى - من ذلك ^(٢) ، وجعلنا من الْمُتَمَتِّلِينَ لأمره حيث يقول : فاعتبروا
يا أولى الأبصار وليدبروا آياته ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ، ولولا إسرارُ
الناس إلى إنكار ما جهلوه ، وغَلَطُ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لأبدينا
من سِرِّ هذا السؤال ، وكشفنا عن الحكمة في هؤلاء الأنبياء المسلمين في هذه
المراتب أكثر مما كشفنا ^(٣) .

البيت المعمور :

فصل : وذكر البيت المعمور ، وأنه يَدْخُلُهُ كل يوم سبعون ألف ملكٍ
روى ابن سنجر عن علي - رحمه الله - قال : البيتُ المعمور بيتٌ في السماء السابعة

(١) التفكير نفسه في خلق السموات والأرض وغيرهما من أجل أنواع
العبادة ، فكيف نجعل التفكير شيئاً والعبادة شيئاً آخر ؟ وهذا يدل على ضعف
الحديث .

(٢) هذه رائحة من السبيل ، فلنتدبرها باحتفال تستحقه

(٣) والحق أنه لم يكشف ، وإنما اعتسف .

يقال له : الضَّرَاحُ ، واسم السماء السابعة : عَرِيْبًا^(١) ، روى أبو بكر الخطيب بإسناد صحيح إلى وهب بن مُنَبِّه قال : من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له نُورٌ يملأ ما بين عَرِيْبَاءَ وجريباء وجريبا ، وهي الأرض السابعة^(٢) ، وذكر عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دَحِيَّةٍ عند كل دَحِيَّةٍ سبعون ألف ملك رواه عنه أبو التَّيَّاح [يزيد الصَّبَّاحِي] قال أبو سلمة : قلتُ ما الدَّحِيَّةُ ؟ قال : الرئيس . وروى ابنُ سنجر أيضا من طريق أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : في السماء السابعة بيتٌ يقال له : المَعْمُورُ بِحِمَالٍ مَسَكَّةٍ ، وفي السماء السابعة نهرٌ يقال له الحيوان^(٣) يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه اغتماسةً ، ثم يخرج فينتفض انتفاضةً ، يخر عنه سبعون ألف قَطْرَةٍ ، يخلق الله من كل قطرة ملكا ويؤمنون أن يأنوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ، [و] يولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يُسَبِّحون الله [فيه]

(١) في القاموس واللسان والنهاية لابن الأثير أن اسم السماء السابعة : عروباء (٢) في اللسان : الجرباء : السماء سميت بذلك لما فيها من الكواكب ، وقيل : سميت بذلك لما وضع الحجر كأنها جربت بالنجوم . وقيل : الجرباء من السماء : الناحية التي لا يدور فيها فلك الشمس والقمر . . والجرباء والملاء : السماء الدنيا . . وأرض جرباء محلة وقحوظة لا شيء فيها ، وفي التاموس عن الجرباء أنها قرية بمنحب أذرح ، ثم قال : وغلط من قال : بينهما ثلاثة أيام ، وإنما الوهم من رواية الحديث من إسقاط زيادة ذكرها الدارقطني ، وهي : ما بين ناحيتي حوض كما بين المدينة وجرباء وأذرح .

(٣) في ابن أبي حاتم : وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان .

إلى أن تقوم الساعة» (١)

فرصة الصلاة :

فصل : وأما فرض الصلاة عليه هنالك ، ففيه التنبيه على فضلها ، حيث لم تُفرض إلا في الحضرة (٢) المُقدَّسة ؛ ولذلك كانت الطهارة من شأنها ، ومن شرائط أدائها ، والتنبيه على أنها عناية الرب ، وأن الرب تعالى مُقْبِلٌ بوجهه على المصلّي بناجيه يقول : حَمَدَنِي عَبْدِي ، أَتُنَى عَلَيَّ عَبْدِي (٣) إلى آخر

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، وقد تكلم عنه ابن كثير ، فقال : وهذا حديث غريب جداً تفرد به روح بن جناح ، هذا وهو القرشي الاموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي ، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ ، منهم : الجوزجاني والعقبلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم ، وقال الحاكم : لا أصل له من حديث أبي هريرة ، ولا سعيد ، ولا الزهري ، تفسير سورة الطور .

(٢) سبق بيان أن آيات القرآن تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل هذا ، وإلا وجب القول بأن الإسراء كان في عقب المبعث مباشرة . هذا ، ولا يجوز أن نقول : الحضرة المقدسة ، فإنه لا يعد تعبيراً إسلامياً ، ولكنه تعبير صوفي قديم ولم يرد في قرآن أو حديث ، ولم يجر على لسان صحابي أو تابعي ، ولا يجوز أن ننسب إلى الله سبحانه إلا ما نسب هو - جل شأنه - إلى نفسه .

(٣) من حديث رواه مسلم والنسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ، فبى خداج — ثلاثاً — غير تمام فقبل لأبي هريرة : إنا نكون خلف الإمام ، فقال اقرأ بها في نفسك ، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله - عز وجل - قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين . ولعبدى ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدني عبدى ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله أتني على عبدى ، =

السورة ، وهذا مشاكِلٌ لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب ، وناجاه ، ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلي للصلاة ، وأخرج عن الدنيا بحسبه ، كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ، ويحرّم عليه كل شيء إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته في ذلك الحين ، وهو بيت المقدس ، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلي يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا فهي البيت المعمور ، وإلى جهة عرش من يتناجيه ويصلي له سبحانه .

فرصه الصلوات خمسين

فصل وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات . وقد روى أيضا أنها حطت خمسا بعد خمس ، وقد يمكن الجمع بين الروایتين لدخول الخمس في العشر ، فقد تكلم في هذا الفقص من الفريضة :

== فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله : مجدى عبدي ، وقال مرة : فوض إلى عبدي . فإذا قال : إياك نعبد ، وإياك نستعين قال : هذا بينى وبين عبدي ، ولعبدي . ما سألت ، فإذا قال : إلهنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المنضوب عليهم ، ولا الضالين ، قال الله : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن . أقول : إن القرآن يفرض على كل مسلم إذا قرئ القرآن أن يستمع وينصت ، وعلى هذا يجب على المأموم - خلافا لما في الحديث - ألا يقرأ بالفتاحة في نفسه ، وهو يسمع القرآن من الإمام ، لأن الله يقول : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له ، وأنصتوا لعلكم ترحمون) . الأعراف : ٢٠٤ . والقول بأن الأمر موجه إلى من يكونون في غير الصلاة . قول على الله بغير علم .

أَهُوَ نَسْخٌ أَمْ لَا ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : هُوَ مِنْ بَابِ نَسَخِ الْعِبَادَةِ قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا ، وَأَنْكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّجَّاسُ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا الْبِنَاءُ عَلَى أَصْلِهِ وَمَذْهَبُهُ فِي أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا يَجُوزُ نَسْخُهَا قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا ، لِأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنَ الْبِدْءِ ، وَالْبِدْءُ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ . الثَّانِي : أَنَّ الْعِبَادَةَ إِنْ جَازَ نَسْخُهَا قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا عِنْدَ مَنْ يَرَى ذَلِكَ ، فَلَيْسَ يَجُوزُ عِنْدَ أَحَدٍ نَسْخُهَا قَبْلَ هَبْوِطِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَوَصُولِهَا إِلَى الْمُخَاطَبِينَ : قَالَ : وَإِنَّمَا أَدْعَى النَّسْخَ فِي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْمَوْضُوعَةِ عَنْ مُحَمَّدٍ وَأَمَّتِهِ الْقَاشَانِيِّ ، لِيَصَحَّحَ بِذَلِكَ مَذْهَبَهُ فِي أَنَّ الْبَيَانَ لَا يَتَأَخَّرُ ، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : إِنَّمَا هِيَ شَفَاعَةٌ شَفَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأُمَّتِهِ وَمَرَاجَعَةٌ رَاجِعُهَا رَبُّهُ ، لِيُخَفِّفَ عَنْ أُمَّتِهِ ، وَلَا يُسَمَّى مِثْلَ هَذَا نَسْخًا .

قَالَ الْمَوْلُفُ : أَمَّا مَذْهَبُهُ فِي أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُنْسَخُ قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ بَدْءٌ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْبِدْءِ أَنْ يَبْدُوَ لِلْأَمْرِ رَأْيٌ يَتَبَيَّنُ لَهُ الْعُصَابُ فِيهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ تَبَيَّنَ ، وَهَذَا مُحَالٌ فِي حَقِّ مَنْ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ بِعِلْمٍ قَدِيمٍ ^(١) ، وَإِيسَ النَّسْخَ مِنْ هَذَا فِي شَيْءٍ إِنَّمَا النَّسْخُ تَبْدِيلُ حُكْمٍ بِحُكْمٍ ، وَالْكَلُّ

(١) فِي اللِّسَانِ : دَ الْبِدْءُ : اسْتِصْوَابُ شَيْءٍ عِلْمٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَعْلَمْ ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ غَيْرُ جَائِزٍ ، وَيَقُولُ الشَّهْرَسْتَانِيُّ فِي الْمَلَلِ وَالنَّجَلِ : دَ الْبِدْءُ لَهُ مَعَانٍ : الْبِدْءُ فِي الْعِلْمِ ، وَهُوَ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ صَوَابٌ عَلَى خِلَافِ مَا أَزَادَ وَحُكْمٌ ، وَالْبِدْءُ فِي الْأَمْرِ ، وَهُوَ أَنْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بَعْدَهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، قَالَ هَذَا وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ أَحَدِ زُعَمَاءِ فِرْقِ الشَّيْعَةِ الْأَوَائِلِ ، ثُمَّ قَالَ : دَ وَإِنَّمَا صَارَ الْمُخْتَارُ إِلَى اخْتِيَارِ الْقَوْلِ بِالْبِدْءِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَدْعَى عِلْمَ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْأَحْوَالِ إِمَّا بِوَحْيٍ يُوْحَى إِلَيْهِ ، وَإِمَّا بِرِسَالَةٍ مِنْ قِبَلِ الْإِمَامِ ، فَكَانَ إِذَا وَجَدَ أَصْحَابَهُ بِكَوْنِ شَيْءٍ ، وَحُدُوثِ حَادِثَةٍ ، فَإِنْ وَافَقَ كَوْنَهُ قَوْلَهُ جَعَلَهُ دَلِيلًا

في سابق علمه ومقتضى حكمته، كنسخه المرض بالصحة، والصحة بالمرض، ونحو ذلك، وأيضاً بأن العبد المأمور يجب عليه عند توجه الأمر إليه ثلاث عبادات: الفعل الذي أمر به، والعزم على الامتثال عند سماع الأمر، واعتقاد الوجوب إن كان واجباً فإن نسخ الحكم قبل الفعل، فقد حصلت فائدتان: العزم واعتقاد الوجوب. وعلم الله ذلك منه، فصح امتحانه له واختباره بإياه، وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته، وإنما الذي لا يجوز نسخ الأمر قبل نزوله، وقبل علم الخطاب به، والذي ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها، فليس هو حقيقة النسخ، لأن العبادة المأمور بها قد مضت، وإنما جاء الخطاب بالنهاى عن مثلها لأغنها، وقولنا في الخمس والأربعين صلاة الموضوعة عن محمد وأمه أحد وجهين، إما أن يكون نسخ ماوجب على النبي صلى الله عليه وسلم من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب، وهذا قد قدمنا أنه نسخ على الحقيقة، ونسخ عنه ماوجب عليه من التبليغ، فقد كان في كل مرة عازماً على تبليغ ماأمر به، وقول أبي جعفر: إنما كان شافعاً ومراجماً ينفى النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم، فشفاعته عليه السلام لأمه كانت سبباً للنسخ لا مبطلةً لحقيقته،

== على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم، وكان لا يفرق بين النسخ والبداء، ص ٢٣٧ - الملل والنحل للشهرستاني ط مكتبة الحسين التجارية فالبداء إذن أسطورة ملعونة، ومحال نسبتها إلى الله سبحانه ولا يجوز وصف علم الله بأنه قديم، كما لا يجوز وصف الله بهذه الصفة كما سبق بيانه. كما أنه لا يجوز أن يقال عن آية في القرآن إنها منسوخة، فمكل آية في القرآن هي حق لا ريب فيه، وكل آية فيه يجب أن تؤمن بأنها غير منسوخة.

ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس في خاصته ، وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكمه إذ لا يتصور نسخ الحكم قبل بلوغه إلى المأمور ، كما قدمنا ، وهذا كله أحد الوجهين في الحديث .

والوجه الثاني أن يكون هذا خبرا لا تمثيلا ، وإذا كان خبرا لم يدخله النسخ ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام أخبره ربه أن على أمته خمسين صلاة ، ومعناه : أنها خمسون في اللوح المحفوظ ، وكذلك قال في آخر الحديث : هي خمس وهي خمسون ، والحسنة بعشر أمثالها فتأوله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أنها خمسون بالفعل ، فلم يزل يراجع ربه حتى بين له أنها خمسون في الثواب لا بالعمل . فإن قيل : فما معنى نصفها عشرا بعد عشر ؟ قلنا : ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى آخرها ، وقد جاء في الحديث أنه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها ، وأن العبد يصلي الصلاة ، فيكتب له نصفها ربعها حتى انتهى إلى عشرها ، ووقف ، فهي خمس في حق من كتب له عشرها ، وعشر في حق من كتب له أكثر من ذلك ، وخمسون في حق من كملت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكال سجودها وركوعها .

أوصاف من الملائكة :

فصل : وذكر أنه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكا مستبشرا إلا ما لكأ خازن جهنم ، وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله ، ولا هو ضاحك لأحد ، ومضدق هذا في كتاب الله تعالى ، قال الله سبحانه ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ التحريم : ٦ وهم موكلون بغضب الله تعالى ، فالغضب لا يزالهم

أبداً ، وفي هذا الحديث مبالغة للحديث الذي في صفة ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق الله جهنم ، وكذلك يعارضه ما خرَّج الدَّارَقُطْنِيُّ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبسم في الصلاة ، فلما انصرف سُئِلَ عن ذلك ، فقال : رأيت ميكائيلَ راجعاً من طلب القوم ، على جناحيه الغبارُ فضحك إليّ ، فتبسمت إليه ، وإذا صح الحديثان ، فوجه الجمع بينهما : أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيكون الحديثُ عاماً يُراد به الخصوص ، أو يكون الحديث الأولُ حَدَّثَ به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعدُ بما حَدَّثَ به من ضحكِهِ إليه ، والله أعلم ولم يرَ ماله كما على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ، ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه .

أَكْثَرُ الرِّبَا فِي رُؤْيَا الْمَعْرَاجِ :

وذكر أَكْثَرُ الرِّبَا وأنهم بسبيل آلِ فرعون يَمْرُون عَالِيَهُمْ كَالْإِبِلِ الْمَهُيُومَةِ ، وهى العِطَاشُ ، وَالْهُيَامُ : شدة العطش ، وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مَهْيُومَةٌ ، كما لا يقال معطوشة ، إنما يقال هائم وهيان ، وقد يقال : هُيُومٌ ويجمع على هيم ، ووزنه فعل بالضم لكن كسرٍ من أجل الياء كما قال تعالى : ﴿ قَسَّارِبُونَ شُرَبَ الْهَيْمِ ﴾ الواقعة : ٥٥ ولكن جاء في الحديث مَهْيُومَةٌ ، كأنه شيء فعل بها كَالْمَحْمُومَةِ وَالْمَجْنُونَةِ كَالْمَنْهُومِ ، وهو الذى لا يَشْبَعُ وكان قياس الياء أن تعتل ، فيقال : مَهْيِمَةٌ ، كما يقال : مَبْيَعَةٌ فى معنى مَبْيُوعَةٌ .

ولكن صحت الياء ، لأنها في معنى الهيومة كما صحت الواو في عور لأنه في معنى أعور ، كما صحت في اجتوروا لأنه في معنى : تَجَاوَرُوا ، وإنما رآهم مُتَفَخِّعَةً بطونهم ؛ لأن العقوبة مُشَاكِلَةٌ للذنب ، فأكل الربا يربو بطنه ، كما أراد أن يربو ماله بأكل ما حُرِّمَ عليه ، فُمَحِقَتِ البركة من ماله ، وجُعِلَتْ نَفْخًا في بطنه ، حتى يقوم كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من اللَّمس ، وإنما جُمِعُوا بطريق آل فرعون يمرون عليهم غُدُوًّا وَعَشِيًّا لأن آل فرعون هم أشد الناس عذابا يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ اذْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر : ٤٦ . فخصُّوا بسبيلهم ، ليعلم أن الذين هم أشد الناس عذابا بطونهم فضلا عن غيرهم من الكفار ، وهم لا يستطيعون القيام ، ومعنى كونهم في طريق جهنم بحيث يُمرُّ بالكفار عليهم ، أن الله سبحانه قد أوقف أمرهم بين أن ينتهوا ، فيكون خيرا لهم ، وبين أن يعودوا ويصروا ، فيدخلهم النار ، وهذه صفة مَنْ هو في طريق النار قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ البقرة : ٢٧٥ . إلى آخر الآية وفي بعض المسمدات أنه رأى بطونهم كالبيوت ، يعني : أَكَلَةُ الرِّبَا ، وفيها حَيَاتٌ ترى خارج البطون . فإن قيل : هذه الأحوال التي وصفها عن أَكَلَةِ الرِّبَا إن كانت عبارة عن حالهم في الآخرة ، قال فرعون في الآخرة قد اُدْخِلُوا أَشَدَّ الْعَذَابِ ، وإنما يُعْرَضُونَ على النارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا في البرزخ ، وإن كانت هذه الحال التي رآهم عليها في البرزخ ، فأى بطون لهم ، وقد صاروا عظاما ورفاتا ، ومزَّقوا كُلُّ مُمَزَّقٍ فالجواب أنه إنما رآهم في البرزخ ، لأنه حديثٌ عما رأى ، وهذه الحال هي حال

أرواحهم بعد الموت ، وفيها تصحيح لمن قال : الأرواحُ أجسادٌ لطيفة قابلة للنعم والعذاب ، فيخلق الله في تلك الأرواح من الآلام ما يجده من انتفخ بطنه حتى وُطئ بالأقدام ، ولا يستطيع من قيامٍ ، وليس في هذا الحديث دليل على أنهم أشد عذاباً من آل فرعون ، ولكن فيه دليل على أنهم يَطْوُونهم آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الرِّبَا ماداموا في البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة ، كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من العسِّ ، ثم ينادى منادى الله ﴿ ادْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر : ٤٦ وكذلك ما رأى من النساء المعلقات بشديهن^(١) يجوز أن يكون رأى أرواحهن ، وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله ، ويحتمل أيضاً أن يكون مثلت له حالهن في الآخرة ، وذكر الذين يدعون ما أحل الله من نسائهم ، ويأتون ما حرم عليهم ، وهذا نص على تحريم إتيان النساء في أعجازهن ، وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والإجماع ، وقد ذكرنا المواضع التي يقوم منها التحريم على هذه المسألة من كتاب الله ، ومن حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكرنا ما جاء في ذلك عن ابن عباس من قوله : هو الكفر ، وقول ابن عمر : هي اللواطية الصغرى ، وأما الإجماع ، فإن المرأة تُرَدُّ بداء الفرج ، ولو جاز وطؤها في المسلك الآخر ما أجمعوا على ردّها بداء الفرج ، وقد مهّدنا الأدلة على هذه المسألة مفردة في غير هذا الإملاء بما فيه شفاء والحمد لله

(١) لم يخرج أحد من أصحاب الصحيح ، وفي بعض رواياته غرابة ونكارة .

الولد لغير رشدة :

وقوله : فأكل حرائبهم : الحَرِيبَةُ : المبال ، وهو من الحرب ، وهو السَّلْبُ ، يريد أن الولد إذا كان لغير رشدة نُسب إلى الذي وُلد على فراشه ، فيأكل من ماله صغيراً ، وينظر إلى بناته من غير أمه وإلى أخواته ، ولَسَنَ بَعَمَاتٍ لَهُ ، وإلى أمه وليست بجدة له ، وهذا فساد كبير ، وإنما قدّم ذكر الأكل من حَرِيبته وماله قبل الاطلاع على عَوْراته ، وإن كان الاطلاع على العَوْرَاتِ أشنع ، لأن نفقته عليه أول من حال صغره ، ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عَوْراته ، أولاً يبلغ ، وأيضاً فإن الأم أرضعته بلبانها ، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزَّوْجُ أباً له من الرضاعة ، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة ، وفي ذلك نقصان من الشناعة ، فإن بلغ الصَّبِي ، وثابت الأم ، وأعلمته أنه لغير رشدة ليستغف عن ميراثهم ، ويكف عن الاطلاع على عَوْراتهم ، أو علم ذلك بقرينة حال وجب عليه ذلك وإن كان شرُّ الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزَّنا ، وقد تَوَوَّلَ حديثُ شرِّ الثلاثة على وُجُوهِ ، هذا أقربها إلى الصواب ، لقوله عليه السلام : أَكَلَ حَرَائِبَهُمْ ، واطَّلَعَ على عَوْرَاتِهِمْ ، ومن فعل هذا عن عمدٍ وقصد فهو شرُّ الناس ، وإن لم يعلم فأكله واطلاعه شرٌّ عمل ، وأبواه حين زَنِيَاً فارقا ذلك العمل الخبيث لحيثهما والابن في عمل خبيثٍ من مَذَشِّهِ إلى وفاته ، ، فعمله شرٌّ عمل .

حكم الحاكم لا يحمل الحرام :

وفي هذا الحديث من الفقه أيضاً أن حكم الحاكم لا يُحِلُّ حراماً ، وذلك أن الولد في حكم الشريعة للفراش إلا أن يُنفَى باللعان ، فإذا حكم الحاكم بهذا ، وعلم

الولد عند بلوغه خلاف ما حكم به الحاكم لم يحل له بهذا الحكم ما حرّم الله عليه من أكل الحرائب والاطلاع على العورات ، وفي هذا ردّ لمذهب أبي حنيفة من قوله : إن حكم الحاكم قد يحل ما يعلم أنه حرام مثل أن يشهد شاهدان على رجل أنه طلق ، وهما يعلمان أنه لم يطلق فيقبل القاضي شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل ، فإذا بانّت منه كان لأحد الشاهدين أن ينكحها مع علمه بأنه قد شهد زوراً ، لم يقل أبو حنيفة بهذا القول في الأموال لقول النبي عليه السلام « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ، ولعلّ أحدكم أن يكون ألحن بحجّته من صاحبه ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بشيء من حقّ أخيه ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار ^(١) » ففي هذا الحديث مع الذي تقدّم ردّ لمذهبه ، ولا حجة له في أن يقول ذلك مخصوص بالأموال من وجهين : أحدهما : أن أن القياس أصل من أصوله ، وقياس المسألتين واحد ، الثاني : أنه قال من حق أخيه ، ولم يقل من مال أخيه ، وهذا لفظ يعم الحقوق كلها قال المؤلف : وعندى أن أبا حنيفة رحمه الله : إنما بنى هذه المسألة على أصله في طلاق المكره ، فإنه

(١) رواه الجماعة . ومعنى ألحن : أبلغ كما وقع في الصحيحين أى : أحسن لإيراد الكلام ، ولا بد من تقدير محذوف لتصحيح معناه . وهو أى وهو كاذب ، ويسمى هذا عند علماء الأصول : دلالة اقتضاء ، لأن اللفظ الظاهر المذكور يقتضى هذا المحذوف ، وقد يكون معناه : أعرف بالحجة ، وأقطن لها من غيره ويقال : لحنت فلان إذا قلت له قولاً يفهمه ، ويخفى على غيره لأنك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم ، فاللحن : الميل عن جهة الاستقامة ، يقال : لحن فلان في كلامه : إذا مال عن صحيح المنطق . وفي رواية . ولعل بعضهم أن يكون ألحن بحجّته من بعض ، فأقضى بنحو ما أسمع .

عنده لازم فإذا أكره الرجلُ على الطلاق ، وقلنا يلزم الطلاق له ، فقد حرمت المرأة عليه ، وإذا حرمت عليه جاز أن ينكحها من شاء فالإثم إنما تعلق في هذا المذهب بالشهادة دون النكاح ، وقد خالفه فقهاء الحجاز في طلاق المكره ، وقولهم يعضده الاثر ، وقول أبي حنيفة يعضده النظر ، والخوض في هذه المسألة يصدّنا عما نحن بسبيله .

مكان إدريس

فصل : وذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى : (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيمًا) مريم ، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأخبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ، ورفع مَلَكٌ كان صديقاً له ، وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر ، وكان إدريس سأل أن يُرَبِّه الجنة ، فأذن له الله في ذلك ، فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك مَلَكُ الموت ، فعجب ، وقال أمرت أن أقبض روح إدريس الساعة في السماء الرابعة ، فقبضه هنالك ، ورفعته حياً إلى ذلك المكان العلى خاص له دون الأنبياء^(١) .

(١) يقول ابن كثير عن هذا : « وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجيباً ، ثم ذكر الأثر بطوله ، بخرقه المششوم ، وكذبه الملعون ، ثم قال بعده : « هذا من أخبار كعب الأخبار الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارة والله أعلم ، تفسير الآية من سورة مريم . أما المكان العلى فقد ذكر الحسن وغيره أنه الجنة . ونحذر من موبات كعب

قول الأنبياء في كل سماء :

فصل : وذكر من قول الأنبياء له في كل سماء : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ،
وقول آدم وإبراهيم : بالابن الصالح وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حُجَّةً لِمَنْ
قال : إن إدريسَ ليس بجَدَّةَ لِنُوحٍ ، ولا هو من آباء رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - لأنه قال مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ، ولم يقل : بالابن الصالح

فراثة طلب موسى أنه يكون من أمة أحمد :

وأما اعتناؤه موسى - عليه السلام - بهذه الأمة وإلحاحه على نبيه أن يشفع
لها ، وَيَسْأَلُ التَّخْفِيفَ عنها ، فاقوله - والله أعلم - حين قُضِيَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ بِجَانِبِ
الْقَرْيَةِ ، ورأى صفات أمة محمد عليه السلام في الألواح ، وجعل يقول : إني
أجد في الألواح أُمَّةً صَفَّتْهُمْ كَذَا ، اللهم اجعلهم أمتي ، فيقال له : تلك أمة
أحمد ، وهو حديث مشهور^(١) ، فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتنى
بالقوم مَنْ هُوَ مِنْهُمْ ، لقواه : اللهم اجْعَلْنِي مِنْهُمْ ، والله أعلم .

(١) هو مشهور ، ولكن شهرة الباطل الماكر ، والضلالة اللثيمة ،
وقد أخرجه أبو نعيم في الدلائل ، ولم يخرج أحد من أصحاب الصحيح .
وكيف يطلب موسى من الله أن تكون هذه الأمة التي ستأتي بعده بقرون أمة له ؟
وكيف تصدق أو كيف يستقيم القول بأنه أعطى خصلتي الرسالة والتكليم بعد هذه
المنافشة ، على حين كان هو رسولا مكلما قبل أن تنزل الألواح عليه . فقد ورد
في ختام الحديث . أن موسى قال : يا رب فاجعلني من أمة أحمد ، فأعطى عند
ذلك خصلتين ، فقال : (يا موسى إني اصطفتيك على الناس برسالاتي وبكلامي ،
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) لأنها خرافة ظاهرها - نزع إلى تمجيد
النبي - ص ، وباطنها - بهته بالكذب والخرف اللاحق ،

بعض ما رأى :

ومما جاء فى حديث الإسراء مما لم يذكره ابن اسحاق فى مُسند الحارث ابن أبى أسامة أنه - عليه السلام - ناداه مناد ، وهو على ظهر الأبراق : يا محمد ، فلم يعرج عليه ، ثم ناداه آخر : يا محمد يا محمد ثلاثا ، فلم يعرج عليه ، ثم أقيته امرأة عليها من كل زينة ناشرة يديها ، تقول : يا محمد يا محمد ، حتى تَفَشَّتْ ، فلم يعرج عليها ، ثم سأل جبريل عما رأى ، فأخبره ، فقال : أما للنادى الأول ، فداعى اليهود لو أُجِبتْ لَتَهَوَّدَتْ أمتك ، وأما الآخر فداعى النصارى ، ولو أُجِبتْ لَتَنَصَّرَتْ أمتك ، وأما المرأة التى كان عليها من كل زينة ، فانها الدنيا لو أُجِبتْ لَأَثَرَتِ الدنيا على الآخرة ^(١) .

(١) وردت فى حديث رواه البيهقى فى الدلائل بسنده إلى أبى سعيد الخدرى وابن جرير . ورواه ابن أبى حاتم بسياق طويل كما يقول ابن كثير - حسن أنقى أجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة .

تم بحمد الله
الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع
ان شاء الله

وأوله : ﴿ كفاية الله أمر المستهزئين ﴾

فهرس

الجزء الثالث من الروض الأنف

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٦	ابتداء فرض الصلاة د س ،	٢٩	تفسير ونحو : اصدع بما
٧	أول من أسلم د س ،		تؤمر د ن ، ل ،
٩	إسلام زيد بن حارثة د	٣٩	حول ما المصدرية والذي
١٠	إسلام أبي بكر		ن ، ل ،
١١	فرض الصلاة	٤٢	مبادأة رسول الله د ص ، د س ،
١٢	لانسخ في القرآن د س ،	٤٣	صلاة الرسول وصحبه في
١٣	الوضوء		الشعاب د س ،
١٤	جبريل يؤم الرسول د ص ،	٤٣	عداوة الشرك للرسول د ص ،
١٥	أول من آمن	٤٦	مناصرة أبي طالب للرسول د ص ،
١٦	إسلام زيد	٤٩	مبادأة رسول الله
١٩	إسلام أبي بكر	٥٠	أبو البختری
٢٢	من أسلموا على يد أبي بكر د س ،	٥٢	لو وضعوا الشمس في يميني
٢٧	إسلام أبي عبيدة وسعيد بن زيد	٥٤	عرض قرش على أبي طالب
٢٩	إسلام سعد . وابن عوف	٥٦	شرح شعر لأبي طالب
	والنحام	٦١	موقف الوليد بن المغيرة من
٢١	ابن مسعود ومسعود القاري		القرآن د س ،
٢٣	تصحيح نسب أبي حذيفة	٦٣	أبو طالب بفخر بأبن أخيه د
٢٤	عميس	٦٣	لامية أبي طالب د
٢٥	تصحيح في نسب بنى عدى	٦٩	شرح ابن هشام لبعض القصيدة د
٢٧	إسلام عامر بن فهيرة	٧٠	ذكره صلى الله عليه وسلم ينتشر د
٣٨	عامر بن الطفيل د ش ،		

س = سيرة . ش = شرح . وما ليس أمامه شيء أو أمامه راء فهو من
الروض : و د ن ل ، مسائل نحوية ولغة

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٧١	أبو قيس بن الأسلت ونسبه دس،	١٣١	حول سورة الكهف دس،
٧٢	قصيدة ابن الأسلت د	١٤٣	أول من جهر بالقرآن د
٧٤	داحس والغبراء د	١٤٤	ما لقي رسول الله د ص، د
٧٦	د	١٤٥	المذثر والذئير والعريان
٧٧	حكيم بن أمية ينهى عن عداوة	١٤٧	تقديم المفعول على الفعل
	الرسول دس،	١٤٨	الرقى وعتبة بن ربيعة
٧٧	موقف الوليد من القرآن د	١٥٠	إسلام حمزة
٨٠	ذرفي ومن خلقت وحيدا	١٥٢	طلبهم الآيات
٨٢	شرح لامية أبي طالب	١٥٤	عبد الله بن أبي أمية
٨٢	قلب الواو تاء د ن . ل ،	١٥٤	هم أبي جهل باللقاء الحجر
٨٤	وسوم الإبل	١٥٦	أرايت د ن . ل ،
٨٤	حول الصفة المشبهة د ن . ل ،	١٥٧	الأساطير وشيء عن الفرس
٨٧	حديث أم زرع د ش ،	١٦١	عن الكهف والفرقان
٨٨	الودع والودع .	١٦٢	لم قدم الحمد على الكتاب؟
٨٩	من شرح لامية أبي طالب	١٦٣	شرح شواهد شعرية
٩٤	حسن ذا أدبا د ن . ل ،	١٦٤	للرقم وأهل الكهف
٩٥	عود إلى شرح اللامية د ن . ل ،	١٦٤	لأعراب أحصى د ن . ل ،
١٠٢	برى وبراء وما يشبههما	١٦٥	عن الكهف مرة أخرى
١٠٣	الاستعفاء	١٦٩	واو الثمانية د ن . ل ،
١٠٧	ابن الأسلت وقصيدته	١٧١	آية الاستعفاء
١١٢	داحس	١٧٢	وابشوا في كهفهم
١١٦	داحس	١٧٤	السنة والعالم د ن . ل ،
١١٦	ما لقيه الرسول دس،	١٧٧	ذو القرنين
١١٨	د	١٨١	حكم التسمي بأسماء النبيين
١٢٠	الرسول دس، وعتبة د	١٨٢	الروح والنفس
١٢٢	بين النبي دس، وبين قریش د	١٨٨	الروح سبب الحياة

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
عبد شمس	٢٢٧	الإنسان روح وجسد	١٩١
عمار لم يهاجر إلى الحبشة	٢٢٨	النفس	١٩١
حول بني الحارث بن قيس	٢٢٩	ابن هرمة	١٩٢
حول بني زهرة وطليب بن عبيد	٢٢٩	خزنة جهنم	١٩٤
عن شعر الهجرة الحبشية ونحوياته	٢٣٠	بهته «ص» بأن بشرأ يعلمه	١٩٥
«ن. ل.»		المستمعون لللاوة النبي «س»	١٩٦
حول أن المصدرية «ن. ل.»	٢٣٢	العدوان على المستضعفين	١٩٩
حول لام التعجب	٢٣٧	تعذيب بلال وعقه	١٩٩
من معاني شعر ابن مظعون	٢٣٨	من اعتقاء أبي بكر	٢٠٠
أنساب	٢٣٩	بين أبي بكر وأبيه	٢٠١
أم سلمة	٢٤١	تعذيب عمار	٢٠١
قريش تطلب المهاجرين «س»	٢٤٣	فتنة المعتذبين	٢٠٢
النور الذي كان على قبر النجاشي	٢٤٣	رفض تسليم الوليد بن الوليد	٢٠٢
«س»		الهجرة الأولى إلى الحبشة	٢٠٣
حوار بين النجاشي وبين المهاجرين	٢٤٦	المهاجرون إلى الحبشة	٢٠٥
«س»		من شعر الهجرة الحبشية	٢١٣
المهاجرون وانتصار النجاشي	٢٤٨	حول آيات من القرآن	٢١٥
تملك النجاشي على الحبشة	٢٤٩	حكم المـكـره على الكفر والمعصية	٢١٨
قرش تطلب المهاجرين	٢٥٢	آل ياسر	٢٢٠
عمارة بن الوليد بن المغيرة	٢٥٣	زفيرة وغيرها	٢٢١
حول حديث المهاجرين مع	٢٥٥	أم عميس	٢٢١
النجاشي		عن بلال	٢٢٢
إضافة العين إلى الله	٢٥٧	عن الهجرة إلى الحبشة	٢٢٢
معنى ان عيسى كلمة الله وروحه	٢٥٨	النجاشي وعثمان ورقية	٢٢٢
من هدى السلف في الصفات «س»	٢٥٨	رؤيا ورقية ولدى العاص	٢٢٥
كلمة «حضرته» ونسبها إلى الله «س»	٢٥٩	أمة بنت خالد وأبوها	٢٢٦

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٢٦٠	أصحمة النجاشي	٢٩٧	كمال المصحف وتامه «ش»
٢٦١	من فقه حديث الهجرة الحبشية	٢٩٨	بعض ما قيل عن الصحيفة «ش»
٢٦١	الصلاة على النجاشي	٢٩٩	تفسير بائية أبي طالب
٢٦٢	حكم الصلاة على الغائب	٣٠٠	لا التي للبرئة «ن . ل»
٢٦٤	إسلام عمر «س»	٣٠١	عود إلى شرح البائية
٢٧١	عن إسلام عمر و حديث خباب	٣٠٤	مسد أم جميل
	«س»	٣٠٨	عن الجيد والعنق «ن . ل»
٢٨٢	خبر الصحيفة القرشية «س»	٣٠٩	غلو في الوصف بالحسن
٢٨٢	موقف أبي لهب «س»	٣١٢	الفهر
٢٨٣	بائية أبي طالب	٣١٣	حول خباب وقولهم مذمم
٢٨٤	من جهالة أبي جهل	٣١٣	سد الذرائع
٢٨٥	ما لقي رسول الله من قومه	٣١٤	إنما الأعمال بالنيات «ش»
٢٨٥	أبو لهب وامراته	٣١٥	شرح ابن تيمية لسد
٢٨٧	أمية بن خلف		الذرائع «ش»
٢٨٨	العاص بن وائل	٣١٦	عن النضر ورستم
٢٨٨	أبو جهل	٣١٧	ابن الزبيري وعزير (١)
٢٨٩	النضر بن الحارث	٣١٩	حصب جهنم
٢٩٠	ابن الزهري والأخنس	٣٢٠	عما نزل في حق الأخنس
٢٩٢	ما نزل في حق الوليد بن المغيرة	٣٢٠	عن النسب على غير قياس «ش»
	وأبي بن خلف وعقبة بن أبي	٣٢١	الزيم «ر . ش»
	معيط «س»	٣٢٢	تفسير سورة «الكافرون»
٢٩٤	ما نزل في حق من اعترضوا	٣٢٤	عن كلمة «ما . ن . ل»
	طواف الرسول «س»	٣٢٧	الزقوم
٢٩٤	ما قيل في حق أبي جهل «س»	٣٢٨	حديث ابن أم مكتوم
٢٩٥	قصة ابن أم مكتوم «س»	٣٣٠	العائدون من الحبشة «س»
٢٩٦	حديث صحيفة قريش «س»	٣٣٣	قصة ابن مظعون مع الوليد «س»

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٢٢٤	أبو سلمة في جوار أبي طالب «س»	٣٩١	عن غلام المبيعة وصهيب وأبي فكيهة
٢٣٦	أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة «د»	٣٩٢	سبب نزول الكوثر «د س»
٣٣٨	نقض الصحيفة «د»	٣٩٢	الكوثر في الشعر «د»
٣٤٤	قصة الغرائب «ش ر»	٣٩٤	وقالوا لولا نزل عليه ملك «د»
٣٤٩	كل شيء ما خلا الله باطل	٣٩٥	ولقد استهزى برسول من قبلك «د»
٣٥٢	أبو بكر وابن الدغنة	٣٩٥	الإسراء والمعراج «د س»
٣٥٣	عن الشعب ونقض الصحيفة	٤٠١	حديث أم هانئ عن الإسراء «د»
٣٥٦	شرح دالية أبي طالب	٤٠٢	الآبتر والكوثر «د ر»
٢٥٦	النسب على غير قياس «ش»	٤٠٩	استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر «د ر»
٣٥٧	عود إلى الدالية «د ر»	٤١٠	ذكر حديث المستهزين «د ر»
٢٦٢	شعر حسان في مطعم وهشام	٤١٢	شرح «أ» في حديث الإسراء من المشكل «د ر»
٣٦٤	إسلام الطفيل «د س»	٤١٥	أكان الإسراء بقطة أم منام «د ر»
٣٦٨	قصة الأعشى	٤١٧	أكان الإسراء مرتين «د ر»
٣٧٠	ذلة أبي جهل والإراشي «س»	٤٢٠	حول الإسراء والمعراج «ش»
٣٧٢	ركانة ومصارعة «د»	٤٢٢	رأى الشوكاني «ش»
٣٧٣	قدوم وفد النصارى من الحبشة «د»	٤٢٣	رأى ابن القيم «ش»
٢٧٦	حول حديث الطفيل الدوسي «د ر»	٤٢٥	موازنات بين الروايات «ش»
٣٧٧	خب وخب «ش»	٤٣٠	شماس البراق «د ر»
٢٧٨	دالية الأعشى وحمزة والشرف «د ر»	٤٢٢	قول الملائكة : من معك ؟
٢٨٠	عود إلى دالية الأعشى	٤٢٣	باب الحنظة «د ر»
٣٨٤	أغار وأنجد «د ل»	٤٣٤	آدم في سماء الدنيا والأسودة التي رآها «د ر»
٣٨٦	حول الوقف على النون الخفيفة «د ل»	٤٣٦	من حكم الماء (ر)
٣٨٨	مصارعة ركانة		
٣٩٠	وفد نصارى الحبشة		

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٤٣٦	عن دخول بيت المقدس وصفة	٤٥٩	أوصاف من الملائكة د ر ،
	الأنبياء د ر ،	٤٦٠	أكلة الربا في رؤيا المعراج د ر ،
٤٣٨	صفة النبي صلى الله عليه وسلم	٤٦٣	الولد لغير رشدة د ر ،
٤٤٠	قصة المعراج د ر ،	٤٦٣	حكم الحاكم لا يحل الحرام د ر ،
٤٤٥	رؤية النبي ربه د ر ،	٤٦٥	مكان إدريس د ر ،
٤٥٠	لقاؤه للنبيين د ر ،	٤٦٦	قول الأنبياء في كل سماء د ر ،
٤٥٣	البيت المعمور د ر ،	٤٦٦	خرافة طلب موسى أن يكون من
٤٥٤	فرض الصلاة د ر ،		أمة أحمد د ر ،
٤٥٦	فرض الصلوات الخمس د ر ،	٤٦٧	بعض ما رأى



